

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

تاريخ الكفاح المسلح
لجبهة التحرير الوطني في فرنسا
(1956-1962)

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 50 لعيد الإستقلال

دحو جربال

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

تاريخ الكفاح المسلح
لجبهة التحرير الوطني في فرنسا
(1962-1956)

ترجمة : سناء بوزيدة

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب ، 2013 .

ردمك : 978-9947-39-041-2

الإيداع القانوني : 2013/4023

الفهرس

تنبيه 13

الجزء الأول : السياق التاريخي و السياسي

- الانتقال الصعب من « فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية » إلى
« فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني » 19
- فترة بوضياف 19
- فترة لوانشي 28
- مرحلة لبجاوي القصيرة و إنابة بولحروف 36
- الصراع من أجل السيطرة على المهاجرين الجزائريين 38
- الهيمنة المصالية 38
- فرق التدخل و انتصار جبهة التحرير الوطني 40
- موقف المثقفين و الطلبة الجزائريين 45
- الطلبة أولا 45
- المثقفون خاصة 50
- التنظيم السياسي لفيدرالية فرنسا و الخط العام لجهة التحرير الوطني 55
- إلزام المتمردين باحترام الأوامر و مجانسة الصفوف 55
- إدماج الطلبة 55
- شل المعارضة الداخلية 57
- مسألة فتح جبهة ثانية 60
- نقل الحرب إلى فرنسا لحملها على التفاوض (1955 – 1957) ... 60

نقل الحرب إلى فرنسا لاستعادة الأنفاس (1958 – 1959) 62

الجزء الثاني : المنظمة الخاصة

المحاولة الأولى (1956 – 1957)	69
المحاولات الأولى	69
العمليات	73
عملية اغتيال شكال علي	76
المعطى الجديد (1957 – 1958)	79
منظمة خاصة جديدة	79
تقطيع جغرافي جديد	82
الاستعلام	87
شبكة « أبولكر »	87
شبكة « صادق »	92
الإيواء	98
اللوجستية	99
القاعدة الخلفية المغربية	101
اختراعات و اكتشافات متفجرة	103
دمج الشبكات	106
التسليح، السلسلة الألمانية	110
ارتباطات و اتصالات	114
علاقات خطيرة	116
تكوين الكومندوس	122
اختيار الرجال	122
عبور الحدود	128
تدريب الكومندوس	130
تكوين المتخصصين في المتفجرات	132

الجزء الثالث : شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

بين الاندماج و الاستقلالية	139
تداخل هيكلية	141
مجموعة « الطريق الشيوعي »	143

151	شبكة دافزي
157	شبكة جونسون فرانسيس - كورييل هنري
162	جماعة « المقاومة الشابة »
170	المقاومون القدامى

الجزء الرابع : رجال و نساء المنظمة الخاصة

177	الأصول
177	مميزات إجمالية
180	بعضهم من المدن
183	معظمهم من الريف
188	متعلمون متمردون
195	الحالة الخاصة جدا لنساء المنظمة الخاصة
206	التييمات المتكررة للوعي الوطني
206	السلب و الظلم
209	المدرسة و التمييز العنصري
212	البحث عن الهوية و تأكيد الاختلاف
218	8 ماي 1945، القطيعة

الجزء الخامس : العمليات

225	النقاش حول فتح جبهة ثانية، الفصل الثاني
225	اجتماع 25 جويلية 1958
230	أهداف الحرب
233	التحضيرات الأخيرة
233	سيحدث ذلك بليلة سانت بارتيليمي
235	استطلاع و إرشادات
238	المنظمة الخاصة تشن الهجوم
238	ليلة سانت بارتيليمي
239	تقييم أولي
241	الأيام و الأسابيع التالية
248	عمليات باهرة
249	الهجوم على جاك سوستيل

258	قنبلة برج إيفل
263	الجنوب يلتهب
270	الهجوم على النائب بن حبيلس

الجزء السادس : التدايعات

283	رد قوات الأمن الفرنسية
283	الخسائر البشرية
284	التكفل بالجرحى
285	الاعتقالات
288	قضية « موستاش »
293	سقوط نساء المنظمة الخاصة بدورهن
299	المرحلة القضائية
299	معركة قضائية، معركة سياسية
300	فعل معزول ذو بعد سياسي رئيسي
303	من محكمة الجنح إلى المحكمة العسكرية
306	الاعتقال
306	منطقة المحكوم عليهم بالإعدام
308	أناس متميزون
312	الفرار كشكل من أشكال المقاومة
314	التعديلات الموجهة
314	الحرب ضد التمرد، استراتيجية للمستقبل
317	قبعات زرقاء و يد حمراء
322	الهجوم على شبكات الدعم
323	« الفريق الدارئ » و الحرب الدفاعية

الجزء السابع : تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

336	الرياح الجديد
336	من الجانب الفرنسي
338	من الجانب الجزائري
341	مهام جديدة
341	بالنسبة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

347	بالنسبة للمنظمة الخاصة
354	تغيير أهداف شبكات دعم جبهة التحرير الوطني
355	مع الكفاح المسلح بفرنسا أم ضده ؟
360	تأييد الثورة، و لكن أي ثورة ؟
366	سوء التفاهم
368	حالة مجموعة « الدفاع عن الماركسية »
372	جبهة التضامن مع الثورة الجزائرية

الجزء الثامن : طريق العودة الطويل

377	المنفى بالبلدان المجاورة
377	المرحلة الألمانية
381	الانتقال الصعب لنساء المنظمة الخاصة
385	طنجرة الحدود
393	العودة إلى البلاد
393	أيام الاعتقال الأخيرة
398	لم الشمل و ردّة الفعل
404	العودة إلى الصف
404	الدفعات الأخيرة
407	التحيزات
409	عمال مساعدون أم رجال مأجورون عرضيون ؟
415	وساطات سياسية
417	الإلكترونيات الحرة
419	الاندماج الصعب
423	شكر و تقدير
425	الملاحق
453	فهرس الأسماء

تنبيه

تم البدء بهذه الدراسة في فترة مميزة جدا من فترات تاريخ الجزائر المستقلة. ففي الفاتح من نوفمبر 1984، اتخذ بن جديد الشاذلي، رغبة منه للتجديد في مجال الاحتفاء بذكرى التواريخ الهامة من تاريخ الثورة الجزائرية، و لكن بالخصوص، رغبة منه لكسب تعاطف جميع أولئك الذين استبعدهم من سبقوه، اتخذ قرار جمع جميع من شارك في الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي بسُرادق نادي الصنوبر. و لأول مرة منذ 1962، احتفى مئات الآلاف من المناضلين الوطنيين بلم شملهم في جو استثنائي، ملئ بالفخر و بالكرامة المسترجعة أخيرا بعد سنوات من الرقابة.

لأول مرة منذ 1962، وجد أولئك الذين حرّموا من الكلمة أنفسهم فجأة مدفوعين إلى واجهة المشهد الإعلامي، ذلك أن الوسائل الكبيرة كانت قد استُخدمت، إذ كانت جميع وسائل الإعلام موجودة : الراديو و الصحافة المكتوبة، و خاصة التلفزيون. أُعطيت الكلمة لبعض القادة المشهورين و لآخرين كانوا أقل شهرة ثم أعطي لهم موعد لـ « إعادة كتابة التاريخ » تحت رعاية الحزب الوحيد آنذاك، حزب جبهة التحرير الوطني.

ما حدث بعد ذلك، خلال المؤتمرات لـ « إعادة كتابة التاريخ » التي نُظّمت في كل عاصمة منطقة أو ولاية، لم يكن دائما في مستوى التوقعات. فالإشراف الثقيل جدا لحزب مساعدية و ضعف الذاكرة و الضغائن المتراكمة و الرهانات السياسية الكامنة قضت، في نهاية المطاف، على جميع النوايا الحسنة.

و كان يوجد، من بين الذين خاب أملهم، أعضاء المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. فالحصة التي خُصّصت لهم في تاريخ المنظمة

المذكورة لم تكن تلائم الأغلبية . كانت هناك في الواقع منازعات لم يساعد الزمن على حلها ؛ فهل كانت المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني منظمة مدنية أم أنها كانت منظمة عسكرية ؟ كان الجواب على هذا السؤال مهما جدا، لأن الأمر يتعلق بالوضع الشرعي لأعضائها خلال حرب التحرير، ولكن كذلك بعدها . كانت، في الوقت نفسه، مسألة مبدأ حيث كانت كرامة كل واحد على المحك، و لكنها كانت كذلك مسألة من مستوى آخر بما أنه كان يجب تحديد نوع الحقوق التي تُمنح للمنتمين إلى هذه المنظمة : المنظمة الخاصة لجبهة التحرير الوطني أم لجيش التحرير الوطني ؟ بالنسبة لأعضاء المنظمة الخاصة لم يكن هناك مجال للشك، كانوا جنود جيش التحرير الوطني و ليشهدوا بذلك أمام التاريخ طلبوا من قائدهم بتلك الفترة أن يكمل المشروع . كان آيت مختار نصر الدين، المدعو « مجيد » بالماضي النائب المباشر لبوعزيز رابح المدعو « سعيد »، عضو اللجنة الفيدرالية و المسؤول المعين لقيادة المنظمة الخاصة . كان « مجيد » قد باشر بالمشروع لكن معاناته من مرض معيق لم تسمح له من بلوغ هدفه، فقام، من خلال عطا الله دهينة، أحد زملائي المتخصصين بتاريخ القرون الوسطى بمعهد التاريخ، بالاتصال بي كي أتابع ما كان قد بدأ بكتابته و أتمّه . فلزميلي، الذي وافته المنية مع الأسف، الفضل الكبير في هذا العمل، كما أنه، في معظمه، ثمرة مساعدة و اهتمام « مجيد » و أعضاء المنظمة الخاصة الذين أجابوا على أسئلتي و قبلوا أن تُسجل شهاداتهم .

هنا تتوقف الظروف الخاصة، ولكن هنا يبدأ كذلك عمل المؤرخ . كان عليّ، بادئ ذي بدء، أن أجيب على سؤال حاسم بالنسبة لتعاقب الأحداث : هل كان عليّ أن أكون « حامل الريشة » و « الناطق بلسان » المطالبة الأصلية لأعضاء المنظمة الخاصة، أم هل كان عليّ أن أقوم بعمل المؤرخ ؟ لأنني، في هذا العمل، كنت أتعامل مع فاعلين - شهود، مع مناضلين و مناضلات كانوا يقومون بسرد أعمالهم الخاصة . فمع مرور الزمن، قد تخونهم ذاكرتهم، و من الممكن أن يُسكت عن وقائع أو أن تُشوّه لتتناسب بشكل أفضل مع ما كان معترفا به آنذاك في وقت جمع شهاداتهم . و بصورة عامة، يمكننا أن نحاول إعطاء موقف جيد عن أنفسنا مثلما نلتقط صورة فوتوغرافية لتُثبت إلى الأبد الحركة و الشخص . و مثل الاحتفال بحادثة استثنائية، قد نرغب في أن نظهر بأحسن مظهر .

لكن، ما كان يظهر، فيما يبدو لنا، هو ذلك الامتنان الذي كان معظم الفاعلين - الشهود يعربون عنه، إذ دنا منهم، لأول مرة، شخص مع مشروع سماعهم وتسجيل شهادتهم. هؤلاء المنسيون من التاريخ كانوا سيدخلون التاريخ من الباب الكبيرة. وإنه لإحساس رائع رؤية هؤلاء الرجال والنساء وكأنهم تصالحوا مع أنفسهم ورُدّ لهم اعتبارهم في نظر الأجيال القادمة. كان كلامهم، دون أن يعوا ذلك، قد تحول من جديد إلى فعل، ليس فعلا مفردا فحسب، وإنما فعلا - حدثا بالنسبة للتاريخ بالمعنى الحقيقي للكلمة، فعل إحياء للتاريخ لأنفسهم ولغيرهم، للجزائر وللجزائريين إجمالا. كان يجب إذن مقاومة الاجتياح العاطفي الذي قد يؤثر في رواية الوقائع أو تأويلها الموضوعي.

لكن رغبة القول كانت تلتقي غالبا مع ضرورة السكوت عن أمور، لأنه لا يجب أن ننسى قرب الأحداث، و عنفها الشديد، والآثار والجراح التي لم تلتئم بعد، ورغبة العائلات في الثأر، ورغبة المهزومين في الانتقام السياسي، والضرورات المؤسسية (واجب التحفظ بالنسبة لبعض الإطارات أو ضباط الأمن). وهناك واقعتان طبعتا كثيرا : الأولى عندما علمت أن عائلة ذائعة الصيت كانت لاتزال تحاول تحديد مكان الذي أعدم أحد أعضائها، شخصية شهيرة في ذلك الوقت. وبعد مرور خمس وعشرين أو ست وعشرين سنة كنا لا نزال نبحث عن تصفية حسابات على طريقة الثأر المتوسطي بعينه. أما الواقعة الثانية التي طبعتني، فكانت واقعة تلك المناضلة التي اعتذرت، والدموع تخنقها، لعدم قدرتها على إعطاء مقابلة لأن زوجها كان يعارض ذلك، وكأن عقد الزواج يعطي للزوج الحق، ليس على شخص زوجته فحسب، وإنما كذلك على ذاكرتها كمناضلة وبهذا على ذاكرة حركة تحرير بكاملها.

أما بعد، فقد بقي لنا أن نقوم بالعمل الذي طُلب منا. ومن وجهة نظر المؤرخ، لم تكن المسألة حساسة فحسب، بل كان لها كذلك أبعاد واسعة جدا. لم تكن المنظمة الخاصة، التي أُرسيت سنة 1957، قد حُلّت رسميا من قبل فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ولا من قبل السلطات العليا لحركة التحرير، وهو أمر جعل من الصعب القيام بالتحديد الكرونولوجي لمجال البحث والتحليل. بعد الهجوم الأول لصيف 1958، والقمع والاعتقالات، تسارع تناوب المناضلين والمناضلات

في وسط هذه المنظمة التي كانت معروفة بسريتها واعتمادها نظام الفصل بين الهياكل التي يتكون منها النظام. و من ثم، ارتفع عدد الفاعلين – الشهود بصورة ملحوظة. و أكثر من ذلك، بما أن وظيفتها لم تعد هي نفسها تماما بعد 1959، فهل من المناسب متابعة الدراسة إلى أبعد من الهجوم الكبير لصيف 1958؟ فأخذت على نفسي محاولة القيام ببعض البحوث في مسألة المشاكل التي كانت تطرحها هذه المنظمة على مسؤوليها السياسيين بفرنسا كما بتونس و بالمغرب. و بما أنه كان يجب تقديم الشهادة، فالأحرى أن نقوم بذلك باحترام مسارات البعض و البعض الآخر بأكبر أمانة ممكنة، و باحترام النقاش حول الرهانات و الاستراتيجيات.

و ظهر كذلك تقييد آخر في تمثيل هذه اللحظة المهمة من تاريخ حرب التحرير، و هو استحالة تغطيتي لجميع المناطق التي حدثت بها العمليات. سنلاحظ على سبيل المثال، غياب شهادات عن ما أنجزه مناضلو منطقة الغرب (الشمال، بريتاني، نورمانديا، أكييتان). تعذّر علينا كذلك سرد جميع وقائع الحرب المرتبطة بفتح جبهة ثانية بالتراب الفرنسي، فبعض العمليات التي قادتها مجموعة باريس أو مجموعة ليون، من بين غيرها، لم تحظ بفرصة إدراجها في هذا الكتاب. لكن ستتبع أعمال أخرى هذا العمل و سيقوم مؤرخون آخرون بملاء هذه الفراغات تدريجيا أو ستملؤها إصدارات مذكرات أو روايات حياة أخرى.

فمنذ أن بدأ هذا العمل (في 1984 – 1985)، ثم أوقف مؤقتا، ظهرت بعض المؤلفات بفرنسا و بالجزائر، ألفها شاهدون مباشرون (هارون علي، الولاية السابعة، باريس، 1986) أو مؤرخون (ستورا بنيامين، جاؤوا من الجزائر: الجالية المهاجرة الجزائرية بفرنسا [1912 – 1992]، باريس، 1992)، و هذه المؤلفات، شأنها شأن مؤلفات أخرى سنستشهد بها في الكتاب، لم تستوف دراسة المسألة بعد، بل على العكس من ذلك. و قد تمكن هارون علي، بمثابته عضو فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بفرنسا ثم بألمانيا، أن يتحصل على جزء فقط من أرشيف المنظمة، لأنه يبدو أن الجزء المتعلق بالتحديد بالمنظمة الخاصة هو بين أيد أخرى. و تمكن ستورا بنيامين، من جهته، أن يراجع أرشيف مصالح الشرطة الفرنسية. ولكن، بعد أن اطلعت على المقاطع التي تتناول تاريخ المنظمة الخاصة، أظن متأكدا من أن شهادات الفاعلين الرئيسيين ستضفي توضيحات، بل و أكثر، ستقدم وقائع لم تكشفها لا تقارير فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و لا تقارير الشرطة الفرنسية.

الجزء الأول

السياق التاريخي و السياسي

الانتقال الصعب من « فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية » إلى « فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني »

فترة بوضياف

من الصعب التكلم عن « المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني » دون التطرق إلى الأوضاع العامة التي كانت تسود عشية تأسيسها . و لقد كانت السنوات التي سبقت ظهور المنظمة الخاصة في فرنسا سنوات مجابهات دامية بين الإخوة الأعداء في الحركة الوطنية، إذ، حتى قبل بيان الفاتح من نوفمبر 1954، كانت الخلافات التي نشأت في الجزائر داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين المصاليين و المركزيين قد امتدت إلى المهاجرين في فرنسا .

و لقد كان التنظيم السياسي للاتجاه الوطني الراديكالي ممثلا عندها من قبل وفد دائم للجنة المركزية ؛ و كان مترئسا فيدراليةً امتدت سيطرة هيكلها على كامل التراب الفرنسي . و قد تم تعيين مسؤولي مناطق وقادة ولايات لضمان العمل السياسي و تأطير المهاجرين . في نهاية 1952، قام الطيب بولحروف، المطلوب في القضية المسماة بـ « مؤامرة » المنظمة الخاصة، بمغادرة الجزائر متجها إلى فرنسا، و هناك التحق بيزيد محمد المدعو « الزبير » (المكلف بالتنسيق مع اللجنة المركزية للحركة)، و بولكرووا موسى (رئيس اللجنة الفيدرالية)، و مومجي زين العابدين المدعو « حسين » و بن مهل توفيق (المكلف بالصحافة)، و هم جميعهم أعضاء الوفد الدائم للحركة بفرنسا . في 1953، اعتقلته الشرطة

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

الفرنسية برفقة أحمد مزغنة و بحوزتهما جوازا سفر مزوران و مسودة رسالة موجهة إلى القاهرة¹. و السبب في ذلك يعود إلى أن مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح كانت، في الجزائر، تثير نقاشات في صفوف الحركة و كان النقاش حول طرق و وسائل الثورة قد بدأ يُظهر انشقاقات خطيرة في المنظمة ؛ و كان كل طرف من أطراف النزاع يسعى إلى التأثير في أكثر عدد ممكن من أعضاء القيادة ليرجح ميزان القوى لصالحه .

في نهاية عام 1953 و بداية عام 1954، كانت النقاشات لا تزال تنحصر في الحلقة الضيقة لأعضاء اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية و قيادة الحزب . و يذكر قدروج مسعود، في هذا الصدد، نقاشا دار بين بن بولعيد مصطفى و ديدوش مراد و الطيب بولحروف حول التحول إلى العمل المسلح ؛ جرى هذا النقاش عند اختتام مؤتمر بلكور (13 - 16 أوت 1954) و هم على متن قطار العودة إلى قسنطينة، لأن المؤتمر لم يسمح بالتعمق في مسألة اللجوء إلى الكفاح المسلح، إذ يبدو أن النقاشات كانت قد تمحورت حول مسألة قيادة الحركة التي ثار الخلاف حولها بين أنصار مصالي و أنصار لحو حسين و بن يوسف بن خدة . في القطار إذن، استؤنف النقاش بين بولحروف و قدروج من جهة و بن بولعيد و ديدوش من جهة أخرى . و بعد أن سئم هذا الأخير من حجج معارضيه، يكون قد قال لهم : « على أي حال، سننتقل إلى العمل المسلح، و أنتم سيتم القبض عليكم جميعكم واحدا تلو الآخر »².

كانت اللجنة الثورية للوحدة و العمل التي أُسست في 23 مارس 1954 لمحاولة إعادة توحيد الصفوف و إيجاد حل للأزمة، قد فقدت سبب وجودها . و لقد أدى انعقاد مؤتمرين منفصلين إلى القضاء نهائيا على آمالها . في هذه الظروف عاد كل من محمد بوضياف و ديدوش مراد، اللذين كانا لا يزالان مطلوبين و في حالة فرار، إلى فرنسا حيث شغل الأول منصب مسؤول و الثاني منصب نائب مسؤول في تنظيم اللجنة الفيدرالية . و قد واجها فيما بعد معارضة شديدة من قبل مؤيدي مصالي الذين كانوا يرون فيهما عنصريين مقربين من المركزيين .

(1) شهادة طيب بولحروف .

(2) شهادة قدروج مسعود .

لا ننسى أن اللجنة الثورية للوحدة والعمل كانت تعتبر في تلك الفترة بمثابة اختلاق اللجنة المركزية و أدواتها، و كانت حملات لسان حالها « لوباتريوت »، ضد رئيس الحزب و مؤيديه، تدفع المصاليين إلى البقاء على موقفهم العدائي³. و قد اضطر كل من بوضياف و ديدوش إلى العودة على جناح السرعة إلى الجزائر بعد أن هُددوا بالضرب المبرح، و هكذا، بعد أن حُسم الأمر، تمّ شن العمل المسلح دون مشاركة المصاليين و المركزيين على حد سواء.

في غضون ذلك، أي في نهاية عام 1953 و بداية عام 1954، كان الوفد الدائم قد توقف عن العمل كأداة مراقبة لفدرالية فرنسا التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. فالنواة الصلبة، التي تشكلت حولها قيادة هذا الهيكل، كانت مكونة أساسا من مؤيدي اللجنة المركزية و ما تبقى من أعضاء المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري، نجد من بينهم مسؤولي مناطق على غرار مراد طربوش⁴ و العدلاني قدور و عمرون مصطفى⁵ (المسؤول عن المنطقة الباريسية)؛ و الدائمين مثل خنشول علي و العربي ماضي محمد بصفته ممثلا للطلبة⁶؛ و قدما المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية مثل : عبد الرحمن غراس⁷. فطوال عام 1954، امتد النزاع تدريجيا إلى المستويات المتوسطة ليطال في النهاية جميع المناضلين في المنظمة. و بعد انعقاد مؤتمر « هورنو » (13 – 14 جويلية 1954) و مؤتمر « بلكور » (13 – 16 أوت 1954) انضم معظم المناضلين في المهجر إلى جهة مصالي، و لم يتبق إلا هيكل حزب مع أطر حائرين و مقطوعين عن قاعدتهم.

في أكتوبر 1954، توجه كل من لحو حسين و يزيد محمد إلى القاهرة لطلب مساندة خيضر محمد و بن بلة أحمد و حسين آيت أحمد، و كانوا قبل ذلك قد مروا بباريس أين التقوا، في من التقوا به، بالعربي ماضي محمد و حربي محمد اللذين كانا وقتها مسؤولين عن الطلاب الجزائريين.

(3) انظر : مقطع مقتبس من رسالة وجهها مصالي إلى قادة الحركة الوطنية الجزائرية

In Les Archives de la Révolution algérienne, p. 128

(4) قائد قسمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

(5) عمرون سعيد الملقب بـ مصطفى، و هو عضو دائم في حركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا منذ 1949.

(6) شهادة حربي محمد.

(7) المعروف بـ « فرحات صايد ».

قال لهما يزيد : « سيشرعون في التنفيذ، نجهل متى، ذلك لا يتوقف علينا و في العاصمة لا يريدون الإصغاء لأي رأي آخر. سنذهب إلى القاهرة لمحاولة إقناع الوفد الخارجي بتأجيل تاريخ تفجير الثورة حتى ينعقد المؤتمر الوطني »⁸.

عندما اندلع الكفاح المسلح بالجزائر في الفاتح من نوفمبر 1954، كانت الحيرة التامة قد سادت في الضفة الأخرى من البحر المتوسط .

« في فرنسا، لم نكن ضد الكفاح المسلح، فقد كان أول كفاح ضد ما كنا قد أسميناه بـ « النزعة الإصلاحية » قد تم هنا بالذات . ولقد دار هذا الصراع تحت شعار مع العمل المسلح أو ضده ؟ هل علينا أن نحذو حذو التونسيين و المغربيين أم لا ؟ و بالتالي كان الجميع بفرنسا يؤيد العمل المباشر . بالنسبة للمهاجرين المنضوين تحت لواء حركة انتصار الحريات الديمقراطية كان اندلاع الكفاح المسلح الذي فُجّر في الجزائر، كان بشكل من الأشكال نتيجة الأزمة و تحقيقا لتطلعات المجموعة كلها . كانت القاعدة تعتقد أن الناشطين الذين انتقلوا إلى العمل المباشر هم أنفسهم من كانوا يدافعون عن هذه الفكرة قبلا، أي بعبارة أخرى مؤيدو مصالي . أما القادة المصاليون فكانوا يعلمون أنّ من فُجّر الكفاح المسلح في الجزائر لم يكونوا ممثليهم و لكن بالنسبة للمناضلين (حوالي 10.000 ناشط) كان مصالي هو من يقود الثورة »⁹.

في هذه الفترة إذن، حاول، كل من بوضياف و ديدوش من جهة، و يزيد و لحول من جهة أخرى، كسب المنظمة الخارجية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى صفهم . و لم يلبث بوضياف أن التقى من جديد بطربوش و غراس و عمرون و خنشول و العدلاني و كذلك دوم أحمد، الذي كان فرعه بمدينة سوشو الوحيد الذي لم ينضم إلى مصالي . و لقد استلم حربي رسائل من ديدوش يطلب منه فيها الاتصال بأحمد مهساس و « حسين » مومجي ليطلب منهما مغادرة الجزائر، إذ كان من الضروري، حسب ديدوش، الحفاظ على « القادة السياسيين » لكي يقوموا بالدعاية في الخارج و لكي تتحول فرنسا، مثلما تحولت الجزائر، إلى ساحة للعمل العسكري . لكن الاتصال الذي كان يحاول أن يُقيمه مع المهاجرين

(8) حربي محمد، المرجع المذكور .

(9) المرجع نفسه .

السياق التاريخي و السياسي

المناضلين الشباب انقطع بسرعة لأن إقامة العروش التي أعطى عنوانها كانت مراقبة من قبل الشرطة. و كان قد تم القبض قبل مدة على مشموش، بقال القرية، و محمود حربي (أخ محمد)، اللذين كانا على صلة بديدوش. و مع اعتقال أعضاء الخلية الأولى لجبهة التحرير الوطني بمدينة الشمال القسنطيني الكبيرة هذه، انقطع الخيط الرفيع الذي كان يربط ديدوش بالمناضلين الوطنيين الشباب¹⁰ في المهجر.

و لم تستأنف الاتصالات إلا في بداية عام 1955 بواسطة طربوش الذي قال لحربي :

« لقد رأيت بوضياف. سُنْشَكل جبهة التحرير الوطني و ننتقل إلى العمل المسلح. أعرض عليك دواما بمبلغ 40.000 فرنك، أي 40.000 فرنك لعشرة أشهر، سيترتب علينا بعدها أن نتدبر أمرنا ».

كان على طربوش أن يتصل كذلك ببومنجل أحمد و شوقي مصطفى و العربي ماضي محمد¹¹.

و لقد حاول المركزيون، من جهتهم، و أحمد مهساس، من جهته، (من خلال محمد مروي) أن يتحاوروا مع المصاليين، فالمسألة تتعلق بتشكيل جبهة و إعادة تنظيم الحزب في فرنسا. و على ما يبدو، كانت حجرة العثرة تكمن في مسألة التمثيل في الهيئات القيادية، إذ أن المصاليين لم يمنحوا للمركزيين إلا مركزا واحدا عوض اثنين. كان كل من مهل و بولحروف يطالبان بتولييهما ضمن فيدرالية فرنسا¹². في العاشر من فيفري 1955 جرى نقاش بالقاهرة بين بن بلة و خيضر و آيت أحمد و بوضياف و مزغنة (ممثل مصالي) لمحاولة إيجاد أرضية مشتركة.

في النهاية، تلاحقت اللقاءات بين مسؤولين منتمين إلى مختلف الاتجاهات، إبان هذه الفترة الانتقالية لنهاية عام 1954 و بداية عام 1955، و انطلق سباق

(10) المرجع السابق

(11) المرجع نفسه.

(12) أقوال منقولة عن أمير بن عيسى (مصالي التحق بجبهة التحرير الوطني) و اقتبسها حربي محمد، المرجع المذكور.

سريع لمعرفة من سيرث هيكل فيدرالية فرنسا التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية. ونجد، في هذا النزاع من أجل احتكار الهيكل التنظيمي للحركة الوطنية الجزائرية، شركاء أزمة 1954 ونجد كذلك، في الوقت نفسه، قطبا ثالثا يتمثل في الوفد الخارجي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة الذي تحول، في غضون ذلك، إلى الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني. ويشير هارون علي في كتابه إلى المناشير السياسية و الدعوات إلى الكفاح و بيان الفاتح من نوفمبر التي كان يتلقاها مناضلو مدينة سوشو عبر مراسلات مجهولة مبعوثة من القاهرة تحمل رمز ج.ت. و¹³.

من المهم أن نأخذ في الاعتبار هذا الجانب من الأمور لأن الكثير من الأحداث التي ستطرق طوال فترة حرب التحرير، و حتى بعد 1962، سيتوضّح مغزاها. تقررّت الأمور إذن بعد النصف الثاني من عام 1955، إذ كانت هناك محاولة إعادة تشكيل قيادة و لكنها لم تضم إلا المركزيين و قدماء المنظمة السرية الذين كان يؤيدهم بوضياف. كانت القاعدة المناضلة الراديكالية لا تزال منحازة تماما إلى مصالي و بدأت تهاجم بعنف منافسيه. إن المشكل الذي كان يشكل نقطة الخلاف بين المعسكرين لم يكن مسألة اللجوء إلى الكفاح المسلح لأنه، على خلاف المتواجدين في العاصمة، خاصة عبد الرحمن كيوان و عبد الحميد سيد علي، فإن مركزيي المهجر لم يعارضوا هذا الخط إلا أنهم طرحوا مشكل المشاركة في وضع الخطوط العامة للحركة و رفضوا التقرير الاستفتائي و الولاء لمجموعة أو قائد، و إن كان مبعجلا مثل مصالي.

نجد، في النواة الصلبة التي شكلت قاعدة اللجنة الأولى لفيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، أطرا محنكين مثل محمد طربوش و دوم أحمد المدعو « رضا » و العربي ماضي محمد و زروق المدعو « بوزيد » و المدعو كذلك بـ « أحسن »¹⁴ الذين أوكلت لهم قيادة المنطقة الباريسية. و لقد انضم كل من بن سالم فضيل و « سيد » غراس، و هما مسؤولان محليان قدماء و إطاران دائمان، انضما مباشرة

Ali Haroun, La 7^{ème} wilaya. La guerre du FLN en France, 1954 -1962, Paris, Le Seuil, (13 1986, p.13.

(14) اسمه الحقيقي هو أرزقي زروق و أصله من سكيكدة.

إلى اللجنة الفيدرالية الجديدة، عكس العدلاني و عمرون اللذين بقيا متردّدين. قد أحصت هذه المجموعة الأولى قاعدة نضالية تضم حوالي 200 مناضل لفرنسا بأكملها¹⁵ يمكن الاعتماد عليهم.

مئتا مناضل من مجموع عشرة آلاف آلاف كانت تضمها حركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا، هذا هو العدد الذي كانت تعتمد عليه جبهة التحرير الوطني في فرنسا. في الأشهر الأولى التي تلت اندلاع الكفاح المسلح، واجهت قيادة وقاعدة المصاليين أطرا وسيطة من المركزيين كان بوضياف هو، إلى حد ما، الذي زكاهم.

هذه الشهادة تتقاطع و شهادة موسى لقبائلي المدعو « دراجي » و هو مناضل شاب مثقف وجد نفسه مدفوعا بسرعة إلى الصفوف الأولى في منظمة جبهة التحرير الوطني في فرنسا.

« في سنتي 1955-1956، كان سي أحمد مسؤولي المباشر. فيما بعد، جاء مسؤولون آخرون للمراقبة أو الاستفسار. كان مناصرية عبد الله من سوق أهراس مسؤولا إقليميا، و كان هناك كذلك « أحسن » زروق من سكيكدة. كان هذان المسؤولان هما اللذان حللت محلهما فيما بعد، قبل اعتقال لبجاوي. و لقد عيّني دوم في هذا المركز. و كان بوضياف في مرحلة حركة انتصار الحريات الديمقراطية مسؤولا إقليميا. كان قد بقي على اتصال مع مجموعة كان قائدها طربوش، هذا الأخير هو الذي أسس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني [...] كانت المجموعة مكونة من بن سالم و غراس و دوم و مشاطي و طربوش. و كان طربوش نفسه هو الذي أخبرني بهذا و كذلك بوضياف. و كان بوضياف قد أراد منذ البداية السيطرة على فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية لأنه كان يعرف قدراتها. كان يريد أيضا منطقة الجزائر الكبرى و عندما جاء سعدي ياسف¹⁶ لرؤيته أُلقت الشرطة السويسرية القبض على هذا الأخير و قدمت معلومات عما أفشاه للشرطة الفرنسية التي قامت بحملة اعتقالات كبيرة وقع ضحيتها طربوش. [...] بقي دوم لتسيير المنظمة أين واجه العديد من المشاكل »¹⁷.

(15) م. حري، المرجع المذكور.

(16) كان مسؤولا عن الجماعات المسلحة لجبهة التحرير الوطني بالقصبة ثم بالمنطقة المستقلة للجزائر العاصمة ما بين 1955 و 1957.

(17) شهادة موسى لقبائلي.

يؤكد هارون علي على هذه الوقائع و يوضحها قائلا :

« بعد محاولة أولى أُجِهُضت، عُقد اجتماع في نهاية ديسمبر (1954) أو بداية جانفي (1955) بلوكسمبورغ، رسم خلاله محمد بوضياف، باسم تمثيلية القاهرة و أمام عشرات المسؤولين عن المنطقة الشرقية، الظروف التي دفعت بجبهة التحرير الوطني إلى خوض المعركة. [...] و انطلاقا من هذه اللحظة أصبح الاتصال مع باريس منتظما أين كان مراد طربوش، المعين من قبل بوضياف الذي التقى به بسويسرا، قد قام بتشكيل النوى الأولى لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني [...] و نجد من حول طربوش أحمد مهساس و المهندس محمد زروقي و طالب العربي ماضي و كذلك غراس عبد الرحمن. قام دوم أحمد، الذي عُيّن لتكملة هذه اللجنة، بالالتحاق بباريس ليضع نفسه تحت تصرف طربوش. وصل إلى هناك في نهاية مارس أو بداية أبريل 1955 »¹⁸.

تكمن نقطة الخلاف الوحيدة مع شهادة موسى لقبائلي في أن هارون علي لا ينسب تسرب المعلومات إلى سعدي ياسف، وإنما ينسبها إلى طربوش نفسه الذي يكون قد اعتُقل عند الحدود السويسرية عند عودته من لقاء مع بوضياف¹⁹. سيكون من المفيد العودة إلى أرشيف الشرطة السويسرية لإلقاء بعض الضوء على هذا الحدث الخاص الذي ترتبت عنه عواقب كثيرة في فرنسا كما في الجزائر.

تختلف رواية أحمد مهساس في نقاط كثيرة عن تلك التي بسطانها²⁰. استدعي مهساس، و هو عضو سابق في قيادة المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري و مسؤول عن منطقة الجزائر العاصمة ثم عن منطقة قسنطينة (1947-1948)، استُدعي إلى الجزائر ليشرف على حملة الانتخابات في المجلس الجزائري. اعتقله الأمن العسكري الفرنسي في القضية المسماة بقضية « مؤامرة » المنظمة الخاصة، و حُكِم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات و قضى عقوبته بسجن البليدة الذي فرّ منه سنة 1952 برفقة بن بلة أحمد.

منذ ذلك الحين، اشتدّ تباين وجهات النظر بين اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية و المنظمة الخاصة حول سبُل التحرير الوطني و وسائله.

Ali Haroun, *Op.cit.*, p. 15 (18)

(19) المرجع نفسه، ص 18، الملاحظة 2.

(20) سترتكر في هذا المقطع على المقابلة التي أجريتها مع أحمد مهساس في نوفمبر 1996.

و لقد أصبح من الواضح أن قيادة الحزب كانت تسعى، بأي ثمن، إلى حفظ ملف قضية المنظمة الخاصة باختيار حل قضائي. أدى هذا الموقف، في آخر المطاف، إلى وقوف كل من نجا من الاعتقال الذي أجرته قوات القمع، و الذين نُصّبوا « خارج الهيكل التنظيمي » في بعض مناطق البلاد ؛ ووقفهم ضد القيادة²¹. لكن عملية الفرار من سجن البليدة، شأنها شأن عملية الفرار من سجن عنابة، زادت الطين بلة ، و أفنعت أعضاء المنظمة الخاصة بأنه قد تم التحلي عنهم و أن قيادة الحزب قد انحرفت .

أُتهم مهساس و بن بلة بعدم الانضباط و وُيخا لأنهما فرا من السجن بقرار شخصي، و لذلك قرّرا مغادرة الجزائر سرّا و اتفقا على أن يذهب الأول إلى فرنسا و الثاني إلى مصر لتهيئ الظروف للكفاح المسلح. في 1953، و هو يمر من فرنسا، وجد بن بلة مهساس بالصدفة في « مون روج » بإقامة بوضياف الباريسية. كان ديدوش مراد مساعدا لبوضياف، و كان مسؤول التنظيم في فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، و هناك جمع حوله جزءا من الأعضاء المتبقين من المنظمة الخاصة المنحلة. خلال هذا اللقاء غير المتوقع بين المسؤولين الثلاثة، تم الاتفاق على الانحراف الذي تكون قد اقترفته قيادة الحزب. قرّروا عندها أن ينكبوا على العمل لإرساء هياكل الثورة. و قد أوكل القيام بهذا العمل في الجزائر لبوضياف، و مهساس في فرنسا و بن بلة في مصر.

و بين 1953 و 1954، تفاقمت الأزمة التي كانت كامنة من قبل صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية. في فرنسا، ضاعف مهساس الاتصالات مع الإطارات و المناضلين لمحاولة تحقيق الوحدة في الصفوف في المستوى القاعدي. و برفقة البعض منهم، على غرار يزيد محمد و عبد المالك بن حبيلس و بصطالي أمير، نادى إلى الاحتكام إلى العقل. فبالنسبة له و لأصدقائه أصبح أكثر من الضروري أن يُحدّدوا أسباب الأزمة و أن يحققوا وحدة المناضلين على وجه الخصوص، لشن الكفاح المسلح. و بسبب انعزالهم و قلة شهرتهم في صفوف حركة انتصار

(21) في 1950، تم تعيين كل من عبد الله بن طوبال و بيطاط رايح و عبد السلام حباشي و محمد بن جدو و مكّي تيلاني و عبد الحفيظ بوصوف و عبد المالك كيتوني، المطلوبين من قبل الشرطة في قضية المنظمة الخاصة، بالأوراس، و وضعوا تحت سلطة قائد دائرة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ابراهيم حشاني ثم انضم إليهم بن مصطفى و بن عودة و سليمان بركات و مصطفى بكوش و زيغوت يوسف الذين فروا من سجن عنابة.

الحريات الديمقراطية في فرنسا، جعلوا راجيف بلقاسم، و هو أحد رموز الحركة الوطنية لدى جماعة المهجر، يمضي النداء. كان موقفهم يهدف إلى الحفاظ على مجموعة المناضلين من آثار الأزمة التي كانت تهز القمة، و كانوا يلتزمون، فيما يخص هذه الأخيرة، بموقف يسمى بـ « الحياد الإيجابي ». و عندها ظهرت بعض الخلافات في وجهات النظر بين بوضياف، الذي انضم إلى اللجنة الثورية للوحدة و العمل، و جماعة مهساس- بن بلة. و كما أشرنا إليه أعلاه، اتسم لسان حال اللجنة الثورية للوحدة و العمل، « لوباتريوت »، بمواقف متحيزة أكثر فأكثر معادية لمصالي. نشأ إذن خلاف بين بوضياف و رفقائه السابقين من قيادة المنظمة الخاصة.

و بين 1953 و 1954، إذن، شكل مهساس، بعد أن تولى مسؤولية التحضير للانتقال إلى الكفاح المسلح في فرنسا، النوى الأولى لما سيصبح فيما بعد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، و جمع من حوله خنشول و ماضي و زروق و طربوش²².

نحن إذن هنا أمام رواية أخرى مختلفة تماما عن تلك التي قدمها حربي محمد و موسى لقبائلي و هارون علي. فلم تكن النوى الأولى لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، حسب هذه الرواية، قد تجمعت من حول طربوش، و بمبادرة من بوضياف، بل من حول أحمد مهساس.

و بذلك يكون مهساس قد تولى مسؤولية القيادة الجديدة بتعاون وثيق مع بن بلة و جماعة القاهرة التي أصبحت الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني.

فترة لوانشي

تطورت الأمور في الجزائر مع وصول عبان رمضان على رأس المنظمة السياسية لجبهة التحرير الوطني. فمباشرة بعد خروجه من السجن قام بلقاسم كريم، و بدرجة أقل، عمار أوعمران، و هما على التوالي قائدا منطقة القبائل و منطقة الجزائر العاصمة، بتقديم دعمهما له. و سرعان ما أعطاه ماضيه كمسؤول تنظيمي في العديد من مناطق البلاد في فترة حركة انتصار الحريات الديمقراطية و شخصيته

(22) مهساس، مقابلة، المرجع المذكور.

السياق التاريخي و السياسي

النشيط و رؤيته الفريدة لمشكل التحالفات ؛ أهمية أكيدة على مسرح السياسة الجزائرية . فهو أول من عمل على استقطاب ممثلي مختلف التيارات السياسية الجزائرية بدون أي تمييز . لكنه لم يفعل بالمثل مع التيار المصالي ، الذي أصبح الحركة الوطنية الجزائرية ، إذ تنافس معه ، لحساب جبهة التحرير الوطني ، على احتكار العنف الثوري .

احتدمت المواجهات في الجزائر بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية ، وانتقلت بسرعة إلى التراب الفرنسي . في الوقت نفسه ، تحولت المقاربات التي اتخذتها الأحزاب المتعارضة إزاء مختلف مكونات الطبقة السياسية الجزائرية لصالح جبهة التحرير الوطني . وفي ربيع 1955 ، تفوق الخط السياسي لعبان رمضان ، و بعد أن انضم لحو حسين (الذي بقي في القاهرة) و بن خدة و المركزيين ، جاء سريعا دور حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري²³ و جمعية العلماء لينضموا بدورهم .

عاد الإطارات المركزيون ، مباشرة بعد خروجهم من السجن بالنسبة للبعض²⁴ و بعد أحداث 20 أوت 1955 بالنسبة لمعظمهم ، إلى فرنسا أين تم تعيين صالح لوانشي مسؤولا فيدراليا .

يجب القول بأن حياة اللجنة الفيدرالية الأولى لجبهة التحرير الوطني بفرنسا لم تدم طويلا . و بالفعل : بعد أسابيع قليلة من تشكيلها ، تم القضاء عليها تماما تقريبا جراء اعتقال طربوش و زروق و ماضي (جوان 1955) . تكونت اللجنة ، التي أعيد تشكيلها في شهري ماي و جوان ، من بن سالم فضيل لمنطقة الشمال و غراس عبد الرحمن بالنسبة لمنطقة الجنوب-الوسط و محمد مشاطي لمنطقة

(23) الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان يقوده عباس فرحات و الذي انحل في 22 أفريل 1956 ثم انضم عناصره فرديا إلى جبهة التحرير الوطني . و كان بومنجل ، عندما عينه عبان رمضان ، محامي دفاع القادة الخمسة لجبهة التحرير الوطني و الذي أُلقي عليه القبض في 22 أكتوبر 1956 .

(24) منح العديد من قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين اعتقلوا في ديسمبر 1954 ، بتهمة « تهديد سلامة الدولة » ، الحرية المؤقتة ما بين 3 و 13 ماي 1955 . يتعلق الأمر ب : ل . دماغ العتروس ، بن شيخ الحسين ، م . كوسر ، م . بوشكور ، س . دحلب ، يحيوي ، م . فندوز ، ب . بن خدة ، م . مراح ، بن محجوب ، ب . خليف ، أ . بودا ، م . دخلي ، عبد الحميد س . ع . م . فروخي ، م . زيتوني ، ع . مهري ، س . محفوظ ، ع . امبارك ، د . رغيمي ، م . مناصر .

الشرق و دوم أحمد لباريس و ضواحيها. نلاحظ هنا غياب أحمد مهساس الذي كان، في غضون ذلك، قد غادر التراب الفرنسي. و يضيف هارون أنه في وقت لاحق انضم الطيب بولحروف و « حسين » مومجي و طالب أحمد إلى اللجنة²⁵. في الواقع، مع أن طالب أحمد، الذي تقدم بطلب من عبان كمرشح لرئاسة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين²⁶، كان على اتصال دائم بصالح لوانشي إلا أنه لم يكن بعد عضوا في اللجنة الفيدرالية. من جهة أخرى، في ديسمبر 1955 و بمناسبة مهمة بباريس لحساب لجنة التنسيق و التنفيذ²⁷، طلب محمد لبجاوي من طالب أن يحضر نفسه للانضمام إلى اللجنة الفيدرالية في حين أبعد بولحروف و مومجي، اللذين عينتهم « جماعة الأربعة »²⁸.

في غضون ذلك، قام المركزيون، الذين قرروا الالتحاق بصفوف جبهة التحرير، الوطني بالمرور سرا من فرنسا من خلال شبكة وضعها « شولي بيير » و « شولي كلودين » مع أصدقائهم من جماعة كونسيونس ماغربين²⁹. و هذا هو الحال، من بين حالات أخرى، بالنسبة لعبد الحميد مهري الذي عبر البحر المتوسط في سفينة متنكرا في زيّ كاهن...³⁰ و بن خدة الذي وصل هو كذلك سرا إلى فرنسا و استعان بالشبكة هو بدوره للاتصال بلوانشي.

و كان تعيين عبان رمضان للوانشي، على ما يبدو، تعبيرا عن الاهتمام المزدوج المتمثل في إعطاء ضمانات حسن النية لمختلف التيارات الوطنية و ضمان دعم جزء من الرأي العام الفرنسي، كان هذا الأخير مُثْلا بما كان يسمى وقتها بالمسيحيين الاجتماعيين، الذي كان أندريه ماندوز رئيسهم البارز³¹، و كذلك بمجموعة « الليبراليين ».

(25) A. Haroun; *Op. cit.*, p. 24

(26) أُسّس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال المؤتمر التأسيسي الذي انعقد بباريس، نادي المجتمعات العالمية، ساحة موبير، من 8 إلى 14 جويلية 1955.

(27) أُسست لجنة التنسيق و التنفيذ لجبهة التحرير الوطني خلال مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956.

(28) طالب أحمد الإبراهيمي، مقابلة، (سبتمبر 1996).

(29) شهادة بيير و كلودين شولي.

(30) المرجع نفسه.

(31) يجب كذلك ذكر دويوا-دومي و بارات روبيير.

إن محاولات حشد جزء من الرأي العام الفرنسي لتأييد قضية استقلال الجزائر³²، التي بدأت في ربيع 1955 و تأكدت خلال مؤتمر الصومام في أوت 1956، لم تعط نتيجة و آلت إلى الفشل. نشرت اللجنة الفيدرالية بشكل متتابع « رسالة إلى الفرنسيين » كتب نصها طالب الإبراهيمي و « رسالة إلى الإشتراكيين »³³ حررها ساحلي محمد شريف. و لقد جرت مقابلات سرية، بطلب من بارات روبير، و هو الوسيط المفضل و الرجل المفتاح لجميع الاتصالات، بساحة فالوا بمقر الحزب الراديكالي. و وافق بيير - مانديس فرانس على الاستماع إلى ممثلين عن الشبيبة الجزائرية، فتعاقب كل من مالك رضا برفقة كامو ألبير ثم طالب أحمد و ياكور العياشي على مكتبته³⁴.

بذلك، شهدنا في فرنسا، طوال سنتي 1955 - 1956، توارد المسؤولين السياسيين لجبهة التحرير الوطني الذين كانوا يحاولون إدراج الهيكل الفيدرالي ضمن أهداف استراتيجية وضعتها مجموعات قيادية مختلفة و نفذتها. و لقد جاء تدفق من الإطارات المركزيين ليعطي لعبان رمضان مكانة غالبية، و لكن كان عليه كذلك أن يأخذ بعين الاعتبار محمد بوضياف و الرجال الذين بقوا مخلصين له في المنظمة. و يشير حربي محمد إلى هذا في شهادته³⁵. فبصفته عضوا سابقا في حزب الشعب الجزائري و ممثل المناضلين الشبان الوطنيين في فرنسا، كان حربي لا يزال على صلة برجل الفاتح من نوفمبر. أصبح مؤيدو هذا الأخير ضمن اللجنة الفيدرالية أقلية منذ وصول لوانشي و لم يعد لديه تأثير كبير على المنظمة.

« كان عليّ أن ألتقي ببوضياف قبل وقت قصير من اعتقاله، كان ينوي الذهاب إلى تونس ثم الانطلاق من هناك ليتجه سرا إلى مدريد أين كان عليّ أن ألتحق به لمناقشة ما قد يمكننا فعله في باريس. كان أخوه حمدان مكلفا بترتيب مقابلتنا، لكن ألقى عليه القبض في هذه الأثناء و لم أعرف قط ما حدث بينه و بين قيادة الجزائر العاصمة ».

(32) يتحدث برفيلي غي عن مقابلة لوانشي برفقة طالب أحمد قاما بها مع بيير مانديس - فرانس.

Cf.G. Pervillé, *Les étudiants algériens de l'université française, 1880-1962*, Cnrs. Paris, 1984, p. 142.

(33) انظر العدد 4، عدد خاص لجريدة المجاهد.

(34) 1. طالب، المرجع المذكور، تجدر الإشارة هنا إلى تصحيح أحد المشاركين في اللقاء تأكيد المؤرخ بارفيلي.

(35) م. حربي، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

إن السيطرة على فيدرالية فرنسا و منطقة الجزائر العاصمة مثلت، بالنسبة لبوضياف كما بالنسبة لعبان للأسباب نفسها على الأرجح، رهانا أساسيا في قيادة حرب التحرير. يبدو إذن أن عبان، في ربيع 1955، هو الذي تفوق ضمن فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، لكن هزيمة جماعة بوضياف لم تعزز بالضرورة مواقف ممثل الجزائر العاصمة. ولم تعترف « جماعة الأربعة » الفيدراليين، الذين عينوا أنفسهم بأنفسهم، بلوانشي اعترافا تاما. ولقد طرح من جديد وصول مسؤول عينته الجزائر المشكل القديم المتعلق بالاستقلال النسبي للفيدرالية عن القيادة المركزية وشروط تعيين القادة؛ وأدى وصول الإطارات المركزيين إلى إحياء الولاءات القديمة لحزب الشعب الجزائري التي تعود إلى زمن المنظمة الخاصة. في حين أن زيادة الانضمام على المستوى القاعدي وتنوع الخيارات السياسية للوافدين الجدد جلبت معها هي كذلك حصتها من النزاعات. لم يكن لوانشي، وهو يفتقر إلى اتصالات موثوقة، يملك وسائل التدخل لتخفيف الضغائن أو إيجاد حل سياسي مُرض لها.

يروى حربي أنه، بعد 20 أوت 1955، بدأ عدد كبير من المناضلين السابقين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية من الشرق الجزائري بالعودة إلى فرنسا أين تم دفعهم مباشرة إلى القمة.

« عندما تشكلت ولاية الشمال كان بن سالم قد حاول تنظيمها ولكنه لم يوفق حقا. ولقد تكتلت من حول إطارات أصل معظمهم من فيليب فيل (سكيكدة) ومن الشمال الشرقي الجزائري. بعد وصول قدروج مسعود، كانت جميع المناطق تقريبا مُسيرة من قبل مناضلين من سكيكدة. في باريس كان هناك زروق، قائد قسمة سابق لحركة انتصار الحريات الديمقراطية من سكيكدة، وكان في مدينة ليون غربي شيخ، نائب بلدية سابق لحركة انتصار الحريات الديمقراطية من عنابة والذي كان برفقة مساعده³⁶ منصور عمار³⁷ ». »

يتكلم قدروج في شهادته عن لقاءه مع لوانشي الذي عرض عليه أن يذهب لمساعدتهم في إحلال النظام في المنظمة. وتم تعيينه في مكان بن سالم، الذي

(36) م. حربي، المرجع المذكور.

(37) المدعو عبد السلام.

كان قد أُلقي عليه القبض، و ورث بذلك ولاية الشمال و ولاية الشرق و بلجيكا، أي بالإجمال ورث خمس مناطق. و أعطيت له قائمة تحمل أسماء أفراد ليتصل بهم كي يتفادى الالتقاء بأشخاص غير مؤتمنين، لكن تبين أن هذه القائمة غير موثوقة، إذ أن المسؤول الإقليمي الجديد كاد، في العديد من المرات، أن يقع ضحية مؤيدي مصالي. و هكذا دام عمله، المتمثل في التنظيم و إصلاح الوضع، إلى أن جاء عمار بوداود.

من جهة أخرى، عاودت مسألة الخصوصية القبائلية الظهور بشدة أكبر : « كانت احتجاجات مجموعة القبائل التي كان يطلق عليها اسم « أصحاب النزعة البربرية »، و الذين في الواقع لم تكن لهم أي علاقة « بالنزعة البربرية »، عاودت الظهور بقوة أكبر. كان بعض المناضلين في الجزائر، مع غيرهم في فرنسا، قد كُونوا جبهة أطلقوا عليها اسم جبهة التحرير الوطني القبائلية. كانت هذه الجبهة مهمة في الشمال و في سان دوني و في مناطق أخرى. و كانت على صلة مباشرة بالجزائر التي كانت تصلها منها الأوامر، و لكن كانت كذلك على صلة بالقاهرة ؛ مع بن بلة أكثر من آيت أحمد. و كانت تبعث مساهماتها المالية مباشرة إلى الجزائر »³⁸.

وتؤكد شهادة موسى لقبائلي هذا القول عندما يروي ظروف استلامه مسؤولية المنطقة الباريسية : « عندما عُينت قائد ولاية، في نهاية 1956، انصب اهتمامي الأول على وضع حد للخلافات بين الأفراد و عدم التوقف عند مشاكل جهوية [...] كان يتوجب علينا أن ننطلق من رؤية جديدة للأمور دون الاضطرار إلى استذكار النزعة البربرية على سبيل المثال أو غيرها »³⁹.

كانت الأوضاع إذن مشوشة فعلا ؛ و زادت الضغوط المتضافرة للجماعات المصالية و الشرطة الفرنسية الأمور تعقيدا. و في 28 أوت 1956، بعد مشاطي، جاء دور بن سالم و غراس ليقعا ضحية الاعتقالات. و بهذا، فقد بوضياف آخر مسانديه في اللجنة الفيدرالية، و بذلك شلت « جماعة الأربعة » لفيدرالية فرنسا

(38) المرجع نفسه.

(39) موسى لقبائلي، المرجع المذكور. انظر في هذا الصدد الأزمة المسماة بـ « النزعة البربرية » التي هزت صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية في أفريل 1949.

لجبهة التحرير الوطني تقريبا تماما. أما دوم أحمد، آخر الناجين، فقد حاول بكل قواه تنسيق عمل اللجنة مع القيادات المختلفة المسماة داخلية و خارجية، لكنه اعتُقل بدوره و وجد لوانشي نفسه بلا مساندة و لا اتصالات تسمح له بتسيير مختلف القيادات الإقليمية.

حاولت مجموعة مثقفين، بواسطة الطيب بولحروف و طالب أحمد (رئيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من 14 جويلية 1955 إلى 30 مارس 1956 و هو تاريخ انضمامه إلى اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني)⁴⁰، حاولت التدخل لتطوير خط جبهة التحرير الوطني بفرنسا و إضفاء انسجام أكبر عليه.

« لم أكن بعد عضوا في اللجنة الفيدرالية و لكن، برفقة مناضلين آخرين، أردنا فرض نقاش حول مجمل المشاكل المرتبطة بالثورة. حصلنا على الموافقة و كُوت لجنة كانت تضم في البداية : بلحوسين مبروك و ساحلي محمد شريف و أحمد حاج علي و شرشالي محمد حاج و بن ميلود عزيز و أنا. كنت أتولى بها مهمة التنسيق مع اللجنة الفيدرالية [...] كنا نحضر بصفقتنا مناضلين و ليس بصفقتنا طلبة بما أن العديد من الأعضاء كانوا قد شغلوا وظائف سياسية من قبل. كان حاج علي، من قبل، عضوا في المكتب السياسي للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، و كان حاج شرشالي عضوا في اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و كان ساحلي كاتباً و أستاذاً و بلحوسين محامياً. كنا أنا و بن ميلود الوحيدين اللذين كنا ننتمي إلى الحركة الطلابية. حاولنا التفكير لأننا كنا نشهد تصاعدا كبيرا للنزعة النشاطية إلى درجة أن المشاكل لم تعد تُطرح بطريقة سياسية. كان هناك فصل واضح بين « السياسة »، الذي كان من فعل لوانشي، و الذي كان يقتصر على الاتصالات مع جماعات اليسار الفرنسي و الصحافة من جهة ؛ و بين « منظمة » جبهة التحرير الوطني التي كانت تجمع التبرعات و تحاول مواجهة الحركة الوطنية الجزائرية، كانت حياة جنينية، لم يكن من الممكن اعتبارها حياة سياسية

(40) الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي أُسس خلال المؤتمر التأسيسي الذي انعقد ببباريس، نادي المجتمعات العالمية، ساحة موير، من 8 إلى 14 جويلية 1955.

بعد أن عرفنا النشاط المكثف لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، أردنا أن نجعل من الفيدرالية منظمة سياسية حقيقية و ليس مجرد هيئة لجمع التبرعات «⁴¹.

و لقد أثارت اعتقالات النصف الثاني من سنة 1956 الحيرة في صفوف المناضلين، و على المستوى القاعدي، أدت حالة من الاستياء إلى إقامة تجمعات. لم نكن نفهم، من جملة أمور أخرى، كيف ندخل في مفاوضات سرية مع أطراف النزاع في حين أن الضغوط على المناضلين و إطارات جبهة التحرير الوطني كانت تزداد اتساعا. ما هو بالضبط الخط العام لجبهة التحرير الوطني إزاء فرنسا و إزاء الحركة الوطنية الجزائرية ؟

انُعقد اجتماع، قبل نهاية عام 1956 بقليل، بدون جدول معين، و خاصة، بدون علم اللجنة الفيدرالية. تمكن حربي محمد من إقناع قدروج و زروق و مناصرية عبد الله بجمع كافة قادة المناطق، و كان العدلاني من بينهم. جرى هذا الاجتماع بإيفري بمنزل علي يعطه (الأمين العام للحزب الشيوعي المغربي). و في نهاية الاجتماع، تم تبني فكرة إنشاء لجنة تنظيمية، و خلال الاجتماع الثاني للمجموعة الذي انُعقد هذه المرة بليون، أنشأت اللجنة و عُيّن العدلاني على رأسها. أيد لوانشي هذا القرار و قبل كذلك دخول حربي محمد إلى لجنة الإعلام التي يرأسها بولحروف.

هكذا، و بسبب غياب خط واضح و قيادة متجانسة و دائمة، بقي الباب مفتوحا أمام محاولات مختلف المجموعات للاستيلاء على قيادة هذه الفيدرالية التي طمع فيها الكثيرون. من جهة، لدينا الرجال الذين يسيطرون على الهيئة التنظيمية الفيدرالية، و من جهة ثانية، المعتمدون من قبل لجنة التنسيق و التنفيذ القادمون من الجزائر العاصمة. كان بومنجل أحمد، الذي كان على رأس أعضاء الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري القدامى، مؤيدا من قبل عبان الذي كان يحاول تجهيز اللجنة الفيدرالية سياسيا و تمرير خطه. و نظرا إلى المقاومات الداخلية التي تثيرها مبادرة كهذه، بُعث تمام عبد المالك إلى باريس في نوفمبر لتقديم تقرير، و بعد مروره أبعد بولحروف و مومجي و خَلَفَ لبجاوي لوانشي.

(41) م. حربي، المرجع المذكور.

مرحلة لبجاوي القصيرة وإنابة بولحروف

عُيِّن محمد لبجاوي ليحل محل صالح لوانشي . ولضمان السيطرة النهائية على هذه الفيدرالية الهامة . وصل لبجاوي في نهاية ديسمبر 1956 و معه المهداوي حسين⁴² نائبا له ، ولكنه كان مصحوبا كذلك بين سيام بن يوسف و بسيد علي مبارك⁴³ . ولم يمض وقت طويل بعد جمع المسؤولين الإقليميين العدلاني وزروق و « عبد الله » مناصرة و بوخروبة أرزقي و قدروج مسعود، حتى وقعت شهرين من بعد، في 26 و 27 فيفري 1957، كارثة أخرى في صفوف قيادة ج.ت. و بفرنسا، فقد تم القبض على لبجاوي و طالب و مضيفهما ابراهيم سيد علي مبارك بالدائرة السادسة عشر، بشارع أناتول دو لا فورج، ثم التقوا في اليوم الموالي، بشارع سوسي، بين سيام بن يوسف و المهداوي حسين و ياكرا العياشي و حريزي بولعراس و الصغير مالك أحسين (مناضل تونسي) و بن غزال عمور و حمو يوسف حاج⁴⁴ .

تولى الطيب بولحروف، بتزكية من بلقاسم كريم، القيادة المؤقتة للجنة الفيدرالية بانتظار اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ. و تشكلت هذه اللجنة الجديدة من العدلاني و بومنجل و مومجي و سويسبي و « سعيد » بوعزيز.

ابتهجت الصحافة الفرنسية لهذا الخبر، و جعلت خبر الإطاحة بقيادة جبهة التحرير الوطني بفرنسا تتصدر عناوينها. ولذلك كان يجب التصرف لأن المناضلين على المستوى القاعدي بدؤوا يتساءلون حول السهولة التي تحدّد بها هوية المسؤولين، و بالخصوص، حول الأسباب التي تجعل الأموال، التي تم جمعها بعد توضّحات كثيرة، لا تحمى بالقدر الكافي. من جهة أخرى، أدت موجة الاعتقالات هذه إلى انتشار حالة من الذعر في صفوف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، لأنهم أبلغوا أنه وُجد بحوزة لبجاوي قائمة تذكر أسماء رؤساء هذه المنظمة، فاختلفوا جميعهم بين ليلة و ضحاها ؛ منهم من قصد سويسرا و من قصد المغرب على غرار عبد المالك بن حبيلس و مالك رضا و لخديري علي

A. Harou, *Op. cit.*, p. 28 (42)

(43) 1. طالب، المرجع المذكور.

(44) المرجع نفسه، ص 29.

و كثيرين من غيرهم. كانت الأوضاع خطيرة و كان يجب التصرف، فأخذ أحد أعضاء لجنة الإعلام لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني على عاتقه القيام بهذه المهمة.

« حرّرت، في 27 نوفمبر 1957، بيانا أمضيته باسم اللجنة الفيدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا للإيهام، ضمنا، بوجود قيادة جديدة. في البداية، دُعر العدلاني ثم بومنجل و بولحروف اللذان كانا هما نفسيهما قد تواريا عن الأنظار لفترة. أعطيت البيان لهرنو فيليب من جريدة « لا بريس » الذي أشار إليه. و في اليوم الموالي، ذهب بومنجل لمقابلته، فأجابه الصحفي أن ما بيده حيلة لأن البيان قد نُشر. ظن بومنجل أن قيادة جديدة قد شُكّلت و أنه استُبعد منها. قررتُ إذن مقابلته مع بولحروف في مقهى « آباس »، فسّرت لهما موقفني وذكّرت أن أحسن زروق أتى لرؤيتي و كان يائسا لأن الجميع قد اختفوا لفترة طويلة جدا. قررنا إذن بأنه لا بد من القيام برد فعل كي تتمكن الإطارات من التحكم بقواعدهم »⁴⁵.

لم تتبق إلا أشهر قليلة على تعيين لجنة التنسيق و التنفيذ لعمار بوداود على رأس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. تمكنت هذه الأخيرة من الصمود أمام العاصفة التي مرت، بل و تقوّت ليصل عدد مناضليها إلى 20.000 مناضل مع عائد إجمالي شهري يصل إلى 23 مليون فرنك⁴⁶. و لكن الطريق الذي أدى إلى هذه النتيجة لم يكن سهلا.

(45) م. حربي، المرجع المذكور. انظر إلى البيان في الملحق.

A. Haroun, *Op. cit.*, p. 29 (46)

الصراع من أجل السيطرة على المهاجرين الجزائريين

الهيمنة المصالية

خلال السنوات الأولى التي تلت اندلاع الكفاح المسلح في الجزائر، كان موقف المناضلين الوطنيين الجزائريين المتواجدين بفرنسا موقفا مؤيدا بشكل كبير لمصالي الحاج عدا بعض الاستثناءات، من بينها مدينة سوشو. فلقد انحازت جميع فروع حركة انتصار الحريات الديمقراطية لما سيصبح الحركة الوطنية الجزائرية. و بذلك كان حوالي 8000 مناضلا مؤطرا من قبل الهيكل السياسي و الإداري المصالي و كانوا يقدمون مساهماتهم المالية و مساهماتهم الأخرى لحساب هذه الحركة. و يشير ستورا بنيامين في أحد كتبه⁴⁷ إلى أن ولاية شمال بلجيكا، و هي أقوى ولاية من بين الولايات الأربعة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية، كانت تضم 5000 مناضل، أما ولاية شمال ساري فكان لديها 1200 مناضل، و ولايتي الجنوب-وسط و باريس-نورمانديا كانت كل منهما تضم 1000 مناضل.

من الواضح أنه أمام هذا الحشد من المناضلين، فإن المعتني مناضل الذين ينسبون أنفسهم إلى جبهة التحرير الوطني بفرنسا لا يضاهون هذا الحشد. فمهما يُقال، يجب أن نعتزف بشجاعة و - أحيانا - بجسارة المناصرين الأوائل لجبهة التحرير الوطني الذين عملوا، في الكثير من الأحيان مجازفين بحياتهم، على قلب ميزان القوى. و لقد ساعدتنا شهادات البعض منهم، التي نذكرها هنا، على فهم جزء من تاريخ الصراع بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية فهماً أفضل.

B. Stora, *Ils venaient d'Algérie, L'immigration algérienne en France, 1912-1992*, Paris, (47 Fayard, 1992, pp. 152-153.

يروى قبايلي موسى الخطوات الأولى التي قامت بها الخلايا السرية لجبهة التحرير الوطني في وسط معاد بين 1954 و 1956. لقد كان، إلى غاية الإضراب المدرسي، لا يزال طالبا بثانوية سان - مور - دي - فوسي و ناضل في الخلايا الأولى لجبهة التحرير الوطني في المنطقة الباريسية. كانت في ذلك الحين تحت أمر حساني الذي كان أول اتصال له مع المنظمة السرية.

« بين 1954 و 1956، كنا لا نزال أقلية صغيرة في الجالية المهاجرة. كانت هذه الأخيرة منظمة و متعاطفة مع المصاليين، أما نحن فلم نكن إلا نواة منظمة ذات وسائل قليلة. و لقد انطلقنا في ظروف صعبة جدا بدون مناضلين مقتدرين، و أنا لا أتكلم عن المستوى الفكري... فالشرح و الدعاية هما، في الواقع، الجانبان اللذان كانا ينقصان. كان علينا أن نفسر بأي ثمن أن أفراد جبهة التحرير الوطني هم الذين يكافحون في الجزائر من خلال توزيع أدبيات و وثائق؛ لكن الحملة التي كان من المفترض أن نقوم بها نحن قامت بها الصحافة الفرنسية عوضا عنا. [...] كنا أقلية و لكننا كنا أقلية فعالة جدا. عندما كنت أذهب إلى سارجومين كنت واثقا من أن المدينة بين أيدي المصاليين و لكن كان يوجد بها ثلاثة مناضلين أو أربعة لم أرد التخلي عنهم. كنت قادما من فرنسا من أجلهم إذ كان من المرجح أن يعودوا إلى الحركة الوطنية الجزائرية إذا ما تم تركهم لمصيرهم، قدموني على أساس أنني من العائلة و بتّ عندهم. تكلمنا عن كل من تناقشوا معهم و يمكن أن ينضموا إلينا. كان عملا طويلا و شاقا [...] »⁴⁸.

في باريس، تناقش دراجي مع مسؤوله الأول عن استراتيجية توسيع منطقة تأثير جبهة التحرير الوطني في العاصمة.

« كان من المفترض أن نحتل الدائرة الخامسة التي كانت رجع صدى حقيقي. كان جميع العمال المتقدمين، بدرجات متفاوتة، يأتون من جميع الأنحاء ليلتقوا في الدائرة الخامسة. كانوا يأتون، يومي السبت و الأحد، إلى الكارتيي لاتان قاصدين حي الإنتلجنسيا، أين كان يوجد « المتحضرون »، كانوا يذهبون إليه كما يذهبون إلى السوق، مرة في الأسبوع، للتزود بالمعلومات ثم يتفرون في كل الاتجاهات و رؤوسهم مملوءة بالأفكار و الأخبار. فوضعنا هذا ضمن الأولويات

(48) م. قبايلي، المرجع المذكور.

و استحوذنا على اثنين أو ثلاثة مقاهي-مطاعم بـ لا هوشات ؛ بدءا بمقهى الدار البيضاء للشيخ بغلة [...] »⁴⁹.

و من الواضح أنه، مع مرور الوقت، كان التقدم، الذي حققه مناضلو جبهة التحرير الوطني في مناطق يسيطر عليها المصاليون، سيطرح مسألة السيادة. و في هذا المجال، شأنه شأن مجالات أخرى كثيرة، عندما كانت الحجج الخطابية تستنفد فعاليتها لم يكن يبقى سوى اللجوء إلى العنف الجسدي.

« قامت جبهة التحرير الوطني، فيما يخص المصاليين، باتباع مرحلتين. قمنا أولا بتشكيل نواة متينة جدا كان سيني عليها الهرم، ثم بأشرنا بحملة تفسيرية لضم أكبر عدد ممكن إلى قضيتنا. انطلاقا من هنا أصبحنا نشكل عائقا بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية. كلما كنا نتقدم كان يعني ذلك أنهم يتراجعون. بدؤوا عندها بتهديد الناس و قالوا لهم أنه إذا لم يدفعوا مساهماتهم المالية سيقتلونهم. و بالفعل، أطلقوا النار عليهم و قتلوا بعضهم. كان الصراع شاقا جدا في البداية لأنه من الصعب الاعتراف أن جزائريا يقتل جزائريا آخر. و هو ما أدى إلى نقطة اللاعودة. كان هذا رد فعلهم محاولين بذلك إعاقه تقدمنا و نحن كنا مضطرين للدفاع عن أنفسنا. »⁵⁰.

فرق التدخل و انتصار جبهة التحرير الوطني

قررت منظمة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وضع أجهزة دفاع ذاتي أطلقت عليها اسم « فرق التدخل » لمواجهة هذا التصاعد الخطير للعنف المصالي. و يجدر القول أن الأشياء لم تكن في البداية واضحة تمام الوضوح في أذهان القادة. فيما أن التهديد الجسدي كان موجها ضد مناضلي جبهة التحرير الوطني من قبل مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية كان من الأفضل التصدي لهم بالصورة نفسها، حتى أننا لجأنا، في وقت من الأوقات، إلى أفراد أجانب من خارج المنظمة و مجرمين معروفين مثل لو دانف فيليب المختص في سرقة السيارات.

« كانت تلك مهمته الوحيدة، كان يقف أمام سيارة و يفتحها بسهولة ثم يحضرها لنا. أظن أنه كان الوحيد الذي تم استعماله من ذلك الوسط. بعد ذلك،

(49) المرجع نفسه.

(50) المرجع السابق.

منعت هذه الممارسة منعاً باتاً بسبب المخاطر التي كانت تُعرض لها منظمنا، ذلك أننا كنا عرضة للتحويل، في نهاية المطاف، إلى أداة بين أيدي المجرمين و لكن كذلك لأنهم كانوا، على أي حال، منخرطين في نظام آخر. ⁵¹.

فيما بعد، أصبحت الخيارات أكثر تماشياً مع الهدف المنشود. كنا نأخذ من وسط المناضلين أفراداً « أشداء » و نجعلهم يحلفون على القرآن. و كانوا يُدرجون في هذا الهيكل الذي من المفترض أن يكون منقطعاً تماماً عن المنظمة الأم. كانت تتمثل مهمتهم، و هي مهمة ليست واضحة تمام الوضوح، في جمع المساهمات المالية من عند المهاجرين المعاندين، عمالاً و متاجرين، باستخدام القوة ؛ و لكنها كانت تتمثل كذلك في الدفاع عن المناطق المكتسبة و في الانتقام الجسدي من المناضلين و الإطارات المصاليين. كانت تظهر أحياناً في شكل حملات تطهير الأخلاق و هي حملات تشبه ما كان يقوم به حزب الشعب الجزائري في الفترات المجيدة من عمر حزب الشعب الجزائري في الجزائر.

« كان اتصالي الأول في الدائرة الثالثة مع تواتي دريس (بومدين) الذي بُعث إليه من مدينة سورين، و لقد كان أول من أعطاني تعليمات ثم استبعد و حل محله « صابر » [سعداوي محند أورمضان المسؤول عن فرق التدخل للمنطقة الباريسية] الذي تلقى تدريبه في معسكر العرايش بالمغرب. باشرنا بتنظيم الأحياء و كانت فرق التدخل مكلفة بإلزام المتمردين، الذين يتناولون الكحول أو يرفضون الانتساب إلى الجبهة، باحترام الأوامر. كانت كذلك الفترة التي كان يقوم فيها المصاليون بمهاجمة مقاهي جبهة التحرير الوطني. كنا مصممين على المقاومة و كنا نطلب الحصول على الأسلحة فقط. بعد لقائي بدريس تواتي و بشخص يدعى أنصار مولود أصبحت عضواً دائماً و بدأت أقتاضى راتباً. كنت أترأس فرقة من فرق التدخل و كانوا يشرحون لنا بأن مهمتنا تتمثل في القضاء على المسؤولين المصاليين و الخونة ⁵² ».

و يشهد مناضل آخر على هذه الفترة المضطربة التي كانت عليها سنة 1956. و لقد كان أوراعي مولود ملاكماً شاباً موهوباً ثم عاملاً لدى شركة ستروين ثم

(51) المرجع نفسه.

(52) عمار سعداوي، شهادة.

مدير فندق زبائنه من المهاجرين حصرا قبل أن يقرر الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني .

« في هذا الوقت قررت الالتحاق بالمنظمة . تطوعت أمام مسؤولي جبهة التحرير الوطني . و لقد أصبح الأمر جادا و تحول الصراع بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية إلى مواجهات مسلحة، و بدأ الجانبان يتبادلان إطلاق النار بالأسلحة النارية بهدف القتل .

كانوا يطلبون منا، في البداية، بأن نوزع المنششير أو بأن نحمل البريد، لكن بحلول عام 1956، كنت مطلوبا أكثر. كنت أخرج إذن لأقوم بعمليات فدائية . لم يكن لدينا، للإدارة الثالثة عشر بأكملها، سوى سلاحا ناريا واحدا و مسدسا صغيرا من عيار 7.65 ملم . كان هذا السلاح يمرر من مجموعة إلى أخرى كلما كانت هناك مهمة أو حملة في أحد الأحياء ذات كثافة عالية من المهاجرين . كانت الأهداف أفرادا معظمهم ينتمون إلى الحركة الوطنية الجزائرية . »⁵³.

و في الجنوب، لم تكن الأمور تجري، على ما يبدو، بشكل مختلف . ففي منطقة مارسيليا، التي كانت حينها تحت سيطرة « سي عبد الله »⁵⁴، سمح التحاق الشيخ بن دالي، رئيس جمعية العلماء بمنطقة الإستاك، لجبهة التحرير الوطني بالتقدم بوتيرة سريعة في الضواحي الكبيرة الصناعية لمرسيليا على حساب الحركة الوطنية الجزائرية . و لكن في أواخر 1956، اشتدت الأمور و كان سي محي الدين، و هو مسؤول بجبهة التحرير الوطني، من بين أهم ضحايا اعتداءات المصاليين .

و بدورها عرفت المدينة الكبيرة الأخرى، المتمثلة في ليون و منطقتها، حصتها من المجابهات للسيطرة على المهاجرين الجزائريين، و لكن الأمور كانت هنا أعنف بكثير مما كانت في مرسيليا .

« بدأت المعركة ضد الحركة الوطنية الجزائرية . كانت جبهة التحرير الوطني قد أعطت تعليمات واضحة : لا يجب أن تكون هناك أعمال عنف ما بين الجزائريين . و بعد حوالي أسبوع من الاجتماع التفسيري، قامت الحركة الوطنية الجزائرية بمهاجمة معسكر عمال بفرميني و أطلقت النار عشوائيا على الحشد

(53) أوراعي مولود ، شهادة .

(54) اسمه الحقيقي عثمان، وهو بائع خضر من وهران .

بالرشاش و مات إثر ذلك عشرات الجزائريين. و كانت الفترة لمدة سنتين، من بداية سنة 1955 إلى غاية سنة 1957، فترة صعبة جدا. كانت هناك حوادث تندلع كل يوم تقريبا في المنطقة بأكملها من ليون إلى سانت إتيان مرورا بفيرميني. كانت المقاهي ترمى بالرشاش و كان الناس يتعرضون للاختطاف و يُعثر عليهم مقتولين.

في البداية، نظرا للتعليمات التي ذكرناها، كان العنف يصدر من الحركة الوطنية الجزائرية وحدها. و لكن الوضعية كانت تتفاقم إذ كان الضحايا يسقطون كل يوم و يقتلون أحيانا بطريقة وحشية. [...] هذا هو الوقت الذي قرر فيه مسؤولو المناطق مناشدة اللجنة الفدرالية لتغير موقفها. [...] قصد العديد من المسؤولين مدينة غرونوبل، قادمين من ليون و منطقتها، و أعدوا الرد. و لقد استمر الصراع إلى غاية بداية سنة 1957 ثم انقلبت المنطقة بأكملها لصالح جبهة التحرير الوطني و هاجر المصاليون إلى الشمال. ⁵⁵.

و لإيفاء الموضوع حقه، يجب كذلك ذكر الحالة الخاصة جدا لإحدى أولى مناضلات جبهة التحرير الوطني، وهي من مدينة صغيرة بالحدود الفرنسية - البلجيكية، و التي تم تجنيدها في نهاية المطاف، بعد محاولات عديدة، من قبل خلية جبهة التحرير الوطني. و لقد خضعت عائشة، مثل غيرها من المناضلين، للاختبارات التي يخضع لها كل عضو جديد.

« قام عندها علي، المسؤول عن المنطقة، بضمي إلى فرقة « التدخل - الريفي » تحت أوامر مكّي الذي شاركت معه في أول عملية قمت بها برفقة مناضل ثالث يدعى « بوبول » قاسي. اضطررت إلى العمل كخادمة في ثلاثة مقاه مختلفة لتحديد قادة الحركة الوطنية الجزائرية الذين كانوا يدلونني عليهم، عادة بواسطة صورة لهم. جرت العملية الأولى في محل بقالة صغير ببويني [...] كان أحد قادة الحركة الوطنية الجزائرية يلعب الدومينو [...] وصل « بوبول » و مكّي، و في هذه اللحظة، ذهبت إليه و سألته إن كان يفوز و وضعت يدي على كتفه. كانت هذه هي الإشارة الذي سمحت للمتدخلين ⁵⁶ بالتعرف إليه. أخذت الطلب

(55) حرايف زينة، شهادة.

(56) أعضاء مجموعات التدخل.

و ابتعدت، عندها سمعت طلقات النار، و بالكاد تسنى لي الوقت لأستدير حتى وجدت جميع الرجال أرضا تحت الطاولات. قام « بوبول » قاسي و مكّي بقذف المسدس نحوي قبل أن يلوذا بالفرار. حدث ذلك في ثوان فقط. [...] استأنفت عملي كمناضلة تحت قيادة « سبوتنيك » (مناع اسماعيل) الذي كنت أزوده بالأسلحة. كنت أشارك في عمليات القوات الخاصة [...] كان ذلك سنة 1956، و لقد كانت فترة صعبة جدا حيث كنا نذهب تقريبا كل مساء للقيام بعملية. لم أكن أعلم أبدا بمكان قيام العملية ثم كانوا ينزلونني من السيارة و كان علي أن أقصد مكانا آخر لأختبئ فيه أو أبحث عن الذخيرة»⁵⁷.

كانت الفترة ما بين 1955 و 1956، بإجماع مناضلي جبهة التحرير الوطني، تجربة رهيبة. و يذكر ستورا بنيامين، مرتكزا على التقرير الذي قدمته وزارة لويس جوكس أمام مجلس النواب الفرنسي في 13 جانفي 1962، يذكر حصيلة 76 مقتولا و 510 جريحا لسنة 1956، و 817 مقتولا و 3088 جريحا لسنة 1957⁵⁸. في نهاية المطاف، خرجت جبهة التحرير الوطني، كما أشرنا إليه سابقا، منتصرة في الصراع من أجل السيطرة على المهاجرين. لكن هذا الانتصار يعود إلى التداعيات السياسية لعمليات جبهة التحرير الوطني في الجزائر و على الساحة الدولية أكثر منه إلى المجابهات الجسدية المحضنة على التراب الفرنسي بين الحزبين. و لقد كان الصدى الذي خلفه إضراب الثمانية أيام ليوم 20 جانفي 1957 هو نقطة التحول الكبيرة الحقيقية. ففي غداة هذه العملية المذهلة، انتقل جزء كبير من المهاجرين إلى منطقة نفوذ جبهة التحرير الوطني.

« في مرحلة ما، كان الجميع مؤطرا لم يترك أي جزائري جانبا حتى و لو كان يقطن بنويي. أخبرني صديق أنه كلما كان يغير سكنه كان يأتي أحد ليطلق بابه. »⁵⁹.

و على أي حال، ارتفع عدد المنتميين لجبهة التحرير الوطني من 8000 عضو في جوان 1956 إلى 15000 عضو في منتصف 1957. و بذلك فإن الحركة

(57) عائشة عليوات، شهادة.

B. Stora, *Op.cit.*, p.206 (58)

(59) م. قبائلي، المرجع المذكور.

السياق التاريخي و السياسي

نحو السيطرة الكاملة على المهاجرين الجزائريين من قبل فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني كانت قد بدأت على نحو واسع. ولقد اكتملت في خريف 1957 بمضاعفة التصفيات الجسدية لقادة الحركة الوطنية الجزائرية. وبهذا، سقط بالرصاص كل من أحمد سمّاش، وهو مسؤول الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين⁶⁰ (20 سبتمبر)، وفيلالي عبد الله المدعو « لخفيف »، وهو ملازم مصالي وقائد سابق لحزب الشعب الجزائري (23 سبتمبر)، وملولي سعيد، وهو مسؤول بالاتحاد النقابي للعمال الجزائريين بشركة رونو (24 سبتمبر)، وحسين مّروك، وهو قائد سابق لحزب الشعب الجزائري (7 أكتوبر)، وأحمد بّكات الأمين العام للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين وقائد الحركة الوطنية الجزائرية بباريس (26 أكتوبر)⁶¹.

موقف المثقفين و الطلبة الجزائريين

الطلبة أولا

حتى قبل الفاتح من نوفمبر 1954، اهتز الوسط الطلابي جراء أزمات كثيرة و خلافات كانت تعكس، في نهاية المطاف، الأزمات و الخلافات التي كانت تعرفها الحركة الوطنية بمجملها. كان الوسط الطلابي، كونه يتكون أساسا من أفراد من البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة، لا يميل كثيرا إلى الاتجاه الوطني الراديكالي. كان ممثلو حركة انتصار الحريات الديمقراطية أقلية ضمن المنظمات الطلابية بالمقارنة مع ممثلي منظمات أكثر اعتدالا (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و الحزب الشيوعي على وجه الخصوص)، و لكن نزعتهم النشاطية كانت تعوض عن صغر عددهم و نجد في الكثير من الأحيان عناصر هذه الحركة على رأس بعض الجمعيات (و لقد رأس بلعيد عبد السلام، الذي كان مسؤولا عن الطلبة باللجنة المركزية للحركة، لفترة محددة جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا)⁶².

(60) الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين الخاضع للمصاليين.

(61) Messaoud Maadad, *guerre d'Algérie : chronologie et commentaires*, ENAG, Alger, 1992.

(62) جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (1919 – 1955) انظر : Pervillé. G. المرجع المذكور.

لكن المشكل الأكثر جدية يتمثل في الحقيقة في تحديد أسس الاتجاه الوطني الجزائري، و بالتالي، في الأهداف الإستراتيجية و في وظائف المنظمة الطلابية. ففيما يتعلق بعناصرها أولا : هل كان عليها أن تكون مفتوحة لجميع طلبة الجزائر دون تمييز عرقي أو ديني (و هو موقف الشيوعيين و الوطنيين الذين تطلق عليهم تسمية المعتدلين)⁶³ أم كان عليها أن تكون منظمة الطلبة الجزائريين المسلمين وحدهم ؟ (و هو موقف عبد السلام بلعيد و محمد صديق بن يحيى من حركة انتصار الحريات الديمقراطية، موقف سيعززه فيما بعد طالب أحمد باسم جمعية العلماء). تم الفصل في المسألة خلال المؤتمر التمهيدي الذي انعقد بباريس من 4 إلى 7 أبريل 1955. و هنا قام ممثلو حركة انتصار الحريات الديمقراطية (عبد السلام بلعيد و محمد صديق بن يحيى و لمين خان) بالتحالف مع طالب أحمد لإضافة الـ « م » الشهير لاسم الاتحاد العام للطلبة الجزائريين الذي كان الجميع يخططون لتأسيسه⁶⁴.

كان من شأن هذا التيار، المؤيد لتأكيد الهوية و الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، أن يسمح بتحقيق « مجتمع فكري يجمع المثقفين و الطبقات العميقة [لـ] الشعب » كان من شأنه كذلك أن يعطي فرصة لـ « الشخصية الجزائرية [التي] لطالما تعرضت للمضايقات و الدوس و الإهانة [...] بأن تفرض نفسها أي، باختصار، بأن يكون لها وجود، لأنه قبل التعايش يجب أولا التواجد. »⁶⁵.

لكن هذا الموقف المبدئي الذي يشكل المبدأ السياسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لم يساعد مع ذلك في جعل الطلبة ينضوون تحت لواء جبهة التحرير الوطني. و كان يجب انتظار مؤتمر مارس 1956 ليقوم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين باعتماد قرار يعلن فيه بوضوح بأنه يؤيد استقلال الجزائر⁶⁶. و بصورة عامة، كان أعضاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يميلون

63) كان هذا الموقف مدعوما من قبل إدارة اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس و من بينهم : أحمد إنال و جمال رحال و بن ميلود عزيز و حربي محمد.

64) انظر : G. Pervillé, *Op.cit.*, p. 119.

65) تصريح طالب أحمد الذي تبنته الجمعية العامة لأفريل 1955. انظر :

G. Pervillé. *Cp.cit.*, p. 119.

66) في هذا المؤتمر عُيِّن خمستي محمد ليرأس الاتحاد.

إلى الاستقلال نوعا ما عن المنظمة السياسية السرية و حتى، في بعض الأحيان، إلى حرية الانتقاد. و لقد أزعج هذا الأمر، بطبيعة الحال، إدارات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الذين ضغطوا من أجل تشكيل فروع جامعية تضم مباشرة إلى المنظمة. و هذا هو الحال، من بين حالات أخرى، بالنسبة لبن عدودة عمار (عضو اللجنة المسيرة للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين)⁶⁷ بمونبولي و قبايلي موسى بباريس. يشهد هذا الأخير على الصعوبات التي واجهها في العمل في هذا الوسط.

« كنت أشارك في الاجتماعات الطلابية لكن لم أعلم أحد يوما أنه كان لدي مسؤوليات في جبهة التحرير الوطني. كانت توجد بيننا و بين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلافات خطيرة. كنت أواجه، من بين أمور أخرى، مشاكل فيما يخص آلات نسخ الرسائل التي كنت أستخرج بها المناشير لحساب المنظمة. و الوحيد الذي ضمته من هذا الوسط كان كرامان عبد الحفيظ، و لكنه لم يكن يُعتبر طالبا نظرا إلى أنه كان معلما في الجزائر. [...] و هو المشكل الذي واجهناه عندما قررنا إنشاء الفرع الجامعي لجبهة التحرير الوطني. و لقد اتخذنا هذا القرار باقتراح مني لأننا وجدنا أنفسنا نواجه اتحادا عاما للطلبة المسلمين الجزائريين ينشط خارج جبهة التحرير الوطني. أنشئ الفرع الأول بهدف ضمّه إلى المنظمة. و لقد كانت منظمة جبهة التحرير الوطني بالنسبة لنا التتويج و المخرج من الطريق المسدود الذي وجدت الحركة الوطنية نفسها أمامه. و لقد قررت الحركة وضع أساليب ثورية للمقاومة : و كان على كل من يؤمن بالتحرر من الاستعمار أن يندرج ضمن هذه العملية. و من الممكن أن يأتي بتحليل و بماض مختلفين و لكن عليه أن يذوب في هذه البوتقة. لم يكن هناك بديل آخر. »⁶⁸.

تختلف هذه الشهادة، على أي حال، عن أقوال هارون علي⁶⁹ الذي يحدد تاريخ تأسيس الفرع الجامعي لجبهة التحرير الوطني في أوائل سنة 1958 بقرار من

(67) متمرّد و مطلوب من قبل الشرطة الفرنسية، انتقل إلى العمل في السرية قبل أن يُعيّن بمكتب جبهة التحرير الوطني بمدرّيد كمساعد لمحمد يوسف.

(68) م. قبايلي، المرجع المذكور.

(69) A. Haroun, *Op. cit.*, p. 75 – 76

اللجنة الفيدرالية التي اجتمعت عند حمداني لحبيب⁷⁰، و هي تبتعد كذلك عن شهادة طالب أحمد الذي يعتبر أن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، شأنه شأن الاتحاد العام للعمال الجزائريين و الاتحاد العام للتجار الجزائريين هم من صنع جبهة التحرير الوطني⁷¹.

في 18 ماي 1956، و كَرَدَّ على تضاعف جرائم القتل و الاغتيالات التي طالت الطلبة و المثقفين من قبل قوات الاحتلال، اجتمع أعضاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لفرع الجزائر العاصمة بحلقة الطيب سعدان و قاموا باعتماد قرار يدعون فيه إلى الإضراب عن الدروس و الامتحانات إضرابا عاما و مفتوحا و إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني و جبهة التحرير الوطني⁷². هذا القرار الذي أيدته، بعد بعض المراوغات، اللجنة المسيرة التي أخذت على حين غرة، لم يُستجب له في باريس بالحماس نفسه الذي استُجيب له في الجزائر العاصمة. أما الإضراب، الذي تبعه العديد من الطلبة المهاجرين، فلم يكن لا عاما ولا مفتوحا.

يتذكر علي مقران هذه الفترة التي كان يقوم فيها، و هو يزاول في الوقت نفسه دراسته في الطب، بلصق ملصقات لكسب عيشه.

« كان الجميع يؤيد الإضراب و لكن بعض الطلبة كانوا يطالبون بتوضيحات لأنهم لم يكونوا مقتنعين بضرورتها الملحة. و لقد قام براح، الذي كان مسؤولا عن فرع باريس، بمهاجمة أحد هؤلاء المترددين على وجه الخصوص. و لقد كنا، في الحقيقة، منقسمين إلى مجموعتين : مجموعة الوافدين الجدد و مجموعة القدماء. في مجموعة القدماء، الذين كانوا في معظمهم قادة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كان البعض منهم قد وصل إلى السنة الرابعة طب، أي على أبواب التريض الداخلي، فلم يصمدوا حتى نهاية الإضراب. و يا لسخرية القدر الذي أراد أن يكون من بين هؤلاء، بعد 1962، من أصبح يقرر في مسألة منح المعاشات إلى المجاهدين السابقين »⁷³.

(70) قد يكون الأمر بالأحرى إضفاء للطابع الرسمي على المبادرات المتخذة في القاعدة من قبل إدارات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني منذ 1956.

(71) 1. طالب، المرجع المذكور.

(72) G. Pervillé, *Op.cit.*, p. 127

(73) آيت مختار نصر الدين، شهادة.

و يشير برفيلي غي، مستعينا بالإحصائيات الجامعية، إلى أن مجمل عدد الجزائريين، من مختلف الأصول، تراجع في فرنسا من 2080 إلى 1811 طالب، أي ما يعادل 269 طالبا ناقصا⁷⁴. و لكي نكون متأكدين من العدد الفعلي للملتحقين بالمقاومة في الجبال ينبغي ربما أن نقارن هذه الأرقام بأرقام السنوات الماضية.

أما مؤيدو التعايش، من جهتهم، فلم يستسلموا. ولقد قاموا في الفاتح من ديسمبر 1955 بتعيين عكون بول على رأس الجمعية العامة لطلبة الجزائر العاصمة، و هو ممثل مجموعة طلبة يساريين كاثوليكين و شيوعيين و يهود و مسلمين. و لقد التحق بعضهم، بعد أن هزموا بأغلبية الأصوات في جمعياتهم، بصفوف جبهة التحرير الوطني أو بصفوف جيش التحرير الوطني، و كانوا غالبا ما يصطفون مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين فيما يخص حقوق الأسرى السياسيين، و مناهضة التعذيب و الشرطة، و حماية الشخصيات المؤيدة للاستقلال مثل البروفيسور ماندوز.

و نجد، في هذه المجموعة، أن شخصية حربي محمد شخصية غير نمطية بما أنه كان هو نفسه مناضلا سابقا في حزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية و مقربا من فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني التي كان على اتصال دائم بها منذ 1954. و لقد جعلته أصوله الاجتماعية (فهو ينحدر من عائلة أرستقراطية و أخوية بمنطقة العروش التي خضعت لقمع الإدارة الاستعمارية و مصادرة جزء كبير من أراضيها) ؛ و تكوينه السياسي الوطني و الاشتراكي المناهض للستالينية (كان عضوا لبعض الوقت في مجموعة « الاشتراكية أو البربرية ») جعلته يظهر بسرعة كمنظر شاب للثورة. و لقد جعلته راديكاليته اليسارية يهتم بالفتح الديمقراطي و باستقلالية القاعدة. و جعله التأثير الذي يتمتع به في الوسط الطلابي، في الحركات الدولية و السلمية، بفرنسا و بلجيكا على وجه الخصوص، جعله يظهر بسرعة كاتصال موثوق لا يمكن الاستغناء عنه من أجل سياسة انفتاحية، و هو نفسه كان يحاول التدخل في الجدل الداخلي لجبهة التحرير الوطني (في فرنسا على أي حال) ليؤثر في قراراتها و توجهاتها.

G. Pervillé, *Op.cit.*, p. 132-133 (74)

المثقفون خاصة

كما ذكرنا أعلاه، بعد أن مرت فترة الانتقال من حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى جبهة التحرير الوطني، كان لا بد من اتخاذ قرار اتباع استراتيجية واضحة. كانت التعليمات المنتظرة من الجزائر لا تصل بالسرعة اللازمة، نظرا لصعوبات التواصل بين مختلف مناطق البلاد وبين هذه المناطق وفرنسا. وعندما كانت تصل أخيرا، كانت تتناقض، على ما يبدو، مع تلك التي تصدر من القاهرة أو الرباط أو تونس. وحتى في فرنسا كانت مدة دوام اللجان الفيدرالية القصيرة جدا لا تسمح بالتفكير على المدى البعيد. ولقد أرغمت الضغوطات المتضاربة لهجومات المصاليين وللاعتقالات الفيدرالية على تبني خط دفاعي ونشاطوي. من جهة أخرى، لم يتمكن مناضلو القاعدة، شأنهم شأن الإطارات الوسطاء، من تبيان خط الجبهة بوضوح. كانت هناك إشاعات تفيد بجريان محادثات سرية بين مبعوثين من الحكومة الفرنسية وممثلي جبهة التحرير الوطني. ما العمل إذن؟ من جهة، كان يُطلب منهم القيام بمبادرات اتجاه الرأي العام الفرنسي؛ ومن جهة أخرى، كانوا يتكلمون عن فتح جبهة في فرنسا. هل يجب رد الكيد إلى النحر بالرد على هجمات الشرطة والمصاليين أم يجب التحمل والصبر لكسب تعاطف الرأي العام الفرنسي العدائي أو غير المبالي لمصير الجزائريين؟

وفي هذه الظروف، قامت مجموعة من المثقفين بالتدخل في النقاش السياسي الذي كان يدور في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. وبعد أن هزم حربي في الحركة الطلابية بأكثرية الأصوات، قام بإثارة الجدل داخل المنظمة السياسية نفسها. وكان لديه بداخلها اتصالات موثوقة: الطيب بولحروف في اللجنة الفيدرالية وإثنان أو ثلاثة مسؤولين إقليميين. وقام حربي، وهو يعمل في الوقت نفسه على إعادة تنظيم اللجنة الفيدرالية وعلى التحريض على إنشاء لجان فيدرالية للتنظيم (ك. عدلاني) وللإعلام (ت. بولحروف)، بإثارة مشكل تحديد استراتيجية عامة لجبهة التحرير الوطني بفرنسا.

« كان يوجد وقتها ميل كبير جدا إلى النزعة النشاطية مع رؤية للكفاح على أنه يجب أن يكون كفاح شعب ضد شعب. لم تترك هذه المقاربة مجالا لأي تحليل اجتماعي أو طرح مسألة التحالف [...] . أما نحن فكنا نعتبر هذه الطريقة في

النظر إلى الكفاح على أنها توجه خاطئ. فلقد كانت تحجب مسألة التحالفات مع ممثلي الشعب الفرنسي المؤيدين لاستقلال الجزائر. كان هذا الجزء الثاني من المشكلة معقدا لأن حركة العمال الفرنسيين كانت تمتنع عن تناول مسألة إنهاء الاستعمار بصورة نهائية. و بالتالي كنا، في مقاربة مسألة التحالفات، محصورين بين النزعة النشاطية لذوينا و الاتجاه نحو التعاون الطبقي في الحركة العمالية الفرنسية. و بذلك فالحامش الذي ترك لنا لفسح الطريق لعملية تسييس المنظمة كان ضيقا. ⁷⁵.

و لقد قاموا منذ الأشهر الأولى للكفاح المسلح، بمشاركة بن مهل وبولحروف، بإطلاق مجلة موسومة بـ لاكسيون التي كانوا يحاولون من خلالها تنبيه الرأي العام ضد القمع و الحمل على التفاوض مع ممثلي الشعب الجزائري المؤهلين. كانوا يطمحون في توحيد القوى حول جبهة واسعة قدر المستطاع تضم بما في ذلك المسؤولين عن اندلاع الكفاح المسلح. و يدخل هذا ضمن منطق يرجع إلى ما قبل الفاتح من نوفمبر، و كذلك قبل أن تؤسس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بصفة نهائية. و مع مرور الوقت، بقيت فكرة إقامة تحالف واسع إلى أقصى حد ممكن قائمة. و كان مؤيدوها داخل المنظمة لا يزالون يملكون نفوذا، و لكن كان عليهم أن يأخذوا في الاعتبار توسع رقعة جبهة التحرير الوطني و تنامي قوة خط عبان و وجود ممثلين في اللجنة الفيدرالية معادين لفكرة الانفتاح. و بذلك، فالجدال الذي أثارته الحركة الطلابية امتدّ حتى داخل منظمة جبهة التحرير الوطني بفرنسا في حد ذاتها.

لم يكن موقف حربي و أصدقائه يقتصر على مسألة التحالفات فحسب و إنما كان يشمل أيضا مشكلة الصراع الأخوي الذي شنته كل من جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية ضد بعضهما البعض، في فرنسا و في الجزائر. و هنا كذلك كانت معارضة مؤيدي المواجهة أمرا صعبا نظرا إلى أن الأمر يتعلق بالامتثال للخط الذي وضعه رمضان و قيادة جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية بالجزائر. و لقد قام كل من حربي و عزيز بن ميلود بمبادرات فردية صوب بلجيكا أين كانت المواجهات بين الجزائريين قد خرجت عن السيطرة. فالمثقف الجزائري

(75) م. حربي. شهادة.

الشباب تتوفر لديه، في هذا البلد، مصادر دعم متعددة سمحت لفدروج مسعود، عندما كان يقود ولاية الشمال، بإقامة قاعدة لوجستية و قاعدة انسحاب لمناضلي وإطارات جبهة التحرير الوطني المطلوبين في فرنسا. وفي الألفية الرابعة، كان التيار المسمى بالتيار اللومبرتي يؤيد الحركة الوطنية الجزائرية، في حين أنه، في بلجيكا، كان التيار، الذي يمثله مانديل إرنست و بيير لاغريف يؤيد جبهة التحرير الوطني كما كان يفعل الحزب الشيوعي الألفي⁷⁶ بفرنسا. و لقد تولى فيما بعد الفرع البلجيكي للحزب الشيوعي الألفي نشر جريدة المقاومة الجزائرية بفرنسا. إضافة إلى ذلك، قامت أيضا شبكات اليسار المتطرف و اليسار المسيحي، المقرب من المجلة الفرنسية إسبري، بفتح أبوابها إلى اللاجئين السياسيين الأوائل لجبهة التحرير الوطني و للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ببلجيكا.

« كنت أعارض العمل المسلح ضد المصاليين، و أبدت رأيي علنا ذات مرة بعد نقاش ساخن دار في اللجنة الفيدرالية. أخذت على عاتقي الإدلاء ببيان حول الهجمات التي كانت تستهدف المصاليين ببلجيكا. و لقد أثارت هذه الهجمات رد فعل معاد في الصحافة البلجيكية. أما التلفزيون فقد خصص تغطية واسعة للتصريح الذي يضع لها حدا. و تمكن عزيز بن ميلود، الذي أرسلته إلى بلجيكا، من لقاء وزير الداخلية البلجيكي فرملين غي بوساطة معارفي داخل الحزب الاشتراكي و اليسار التروتسكي. و لقد قام النائب كودال غي بتأدية دور الوسيط في هذه المناسبة. و عبّر الوزير البلجيكي عن موقفه بهذه العبارات : « عملكم المسلح يضايقنا، أنتم في حرب مع فرنسا، إنها البلد الذي تحاربونه، بلجيكا ليس لها أي علاقة بالأمر ». كنت أوافق تماما على هذا الموقف و طرحت المشكل أمام اللجنة الفيدرالية. في الحقيقة، كنت قد وضعتها أمام الأمر الواقع مع البيان »⁷⁷.

في غضون ذلك، أخذ البلجيكيون المؤيدون للقضية الجزائرية صورا لجمارك يطردون الجزائريين إلى فرنسا و شرطين فرنسيين يقومون باعتقالهم من

(76) في المؤتمر السري الذي عقده الحزب الشيوعي الدولي في نوفمبر 1955، حضر مندوبا من جبهة التحرير الوطني بصفته كذلك. و أعهدت طبعة Résistance Algérienne إلى هذه المنظمة لفترة من الوقت.

(77) م. حربي، المرجع المذكور.

الجهة الأخرى للحدود. و لقد أرغمت هذه الوثائق، التي نُشرت في الصحافة، الاشتراكيين و الوزارة الداخلية البلجيكيين على التصرف. و هذا ما أدى نوعا ما إلى كسر التعاون الذي بدأ بين الشرطتين.

و يشهد كاتبان بلجيكيان على هذه المرحلة في كتاب متواضع بقدر ما هو مهم لمعرفة هذه الفترة من تاريخنا.

« في بلجيكا كذلك كان الصراع حول الظفر بالقيادة بين الحركة الوطنية و جبهة التحرير الوطني صراعا داميا. هناك عناصر تقييم مهمة تشير إلى أن الروابط التي سرعان ما أُقيمت بين جبهة التحرير الوطني و البلجيكيين سمحت بالحد من ضريبة الدم إلى أقصى حد، و هو ما يشهد عليه بيان أصدرته جبهة التحرير الوطني تخاطب فيه بلجيكا، الأمر الذي أعطى نتيجة من جهة هذه الأخيرة. »⁷⁸.

و لقد أشارا في هذا الكتاب نفسه إلى مرور حربي و بن ميلود بلجيكا سنة 1955 على ما يبدو⁷⁹.

في الحقيقة، فإن منطق المواجهات مع المصاليين جعل بعض الإطارات السياسية يخشون أن يطغى هذا المنطق نهائيا على المنظمة و أن تنتهي، في آخر المطاف، بالانعكاس عليها و تصبح وسيلة لحل المشاكل الداخلية. هل كانت مخاوفهم هذه تماما في غير محلها ؟

ولقد كانت هناك حجرة عثرة أخيرة تتناول مسألة توحيد القيادة و نمط التسيير في اللجنة الفيدرالية نفسها. في هذا المجال الحساس جدا، تجابهت المواقف الجماعية لحربي و مؤيديه ضمن اللجنة الفيدرالية مع مواقف مناوئتهم. و اشتدت حدّة الخلافات انطلاقا من شهر جوان 1977 مع وصول بوداود عمر على رأس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني.

« بعد انضمامي إلى اللجنة الفيدرالية، كان الهدف إعداد خط سياسي و دار النقاش حول أربعة نقاط :

— مناقشة صلاحيات اللجنة الفيدرالية و الدور الذي يؤديه كل واحد فيها.

Jean L. Doneux, Hugues Le Paige, *Le Front du Nord, Des Belges dans la guerre (78 d'Algérie (1954 – 1962)*, Pol – His, RTBF éd. Bruxelles, 1992, p. 78.

(79) المرجع نفسه، ص 87 – 88.

– طرح مشكل الجالية الجزائرية و دورها في الثورة .

– توسيع المنظمة .

– و كان هناك خلاف أساسي في كل هذه المسائل .⁸⁰

و بالفعل، كان حربي يؤيد فكرة القيادة الجماعية في حين وصل بوداود مع أمر نقل أمضاه عبان رمضان نيابة عن لجنة التنسيق و التنفيذ . و بما أنه كان قائد جيش التحرير الوطني فقد كان يتمتع بالسلطة الكاملة إذ لم يكن يقبل الاكتفاء بأداء دور المنسق فقط، خاصة و أن مسألة نقل الحرب إلى فرنسا، التي تلوح في الأفق، كانت مطروحة عليه .

« كان تمثيل لجنة التنسيق و التنفيذ في اللجنة الفيدرالية يذكّرني بالنظام القائدي . كنت و كأنني أمثل القبائل داخل السلطة و تمثل هي السلطة داخل القبائل . لم أكن موافقا على ذلك، كان يجب أن يكون لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني صوتها الخاص بها في الثورة .⁸¹ »

و كان حربي يؤيد كذلك فكرة مراجعة دور الجالية الجزائرية إذ أراد أن يجعل منها قوة سياسية قادرة على شلّ مجهودات فرنسا الحربية، تكون قوة منظمة بصورة انتقائية مع مدرسة لتكوين إطارات سياسية لتنظم إلى المقاومة في الجبال، و أخيرا تكون قوة مالية .

كل هذا كثير جدا بالنسبة لمن سيجيء لإصلاح الأمور في فيدرالية فرنسا و التي صحيح أنها قد ربحت المعركة لبسط النفوذ على المهاجرين الجزائريين، و لكنها تبقى متمردة و ذات نزعة احتجاجية بعض الشيء . و هذه ستكون مهمة بوداود الأولى .

(80) م . حربي، المرجع المذكور .

(81) المرجع السابق .

التنظيم السياسي لفيدرالية فرنسا و الخط العام لجبهة التحرير الوطني

إلزام المتمردين باحترام الأوامر و مجانسة الصفوف

إدماج الطلبة

كما رأينا، بقي الطلبة الجزائريون و منظماتهم المتمثلة في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، رغم المصادرات على المطلوب، متحفظين بعض الشيء لفكرة إدماجهم في صفوف جبهة التحرير الوطني . و لم يلبث هذا الموقف أن أثار غضب، إن لم يكن حقد، بعض إطارات المنظمة و على وجه الخصوص أولئك الذين اضطروا إلى التوقف عن الدراسة للنضال من أجل الاستقلال . و بعد أن مرت الأوقات الصعبة : فترة وضع الهياكل و المواجهات مع قوى الحركة الوطنية الجزائرية و الشرطة الفرنسية، بدأ التفكير في دمج العنصر الطلابي و الثقافي دمجا أفضل . و طوال المرحلة الأولى، حتى بعد 25 ماي 1956، بقي موقف الفيدرالية غير واضح . كانت تسعى، من جهة، إلى تشجيع منظمة الطلبة الجزائريين إلى إقامة هيكل واسع و مستقل قدر الإمكان، و لكنها كانت، من جهة أخرى، تسعى إلى ضمه مباشرة، إلى هذا الحد أو ذاك، إلى نظام القيادة الوحيدة لجبهة التحرير الوطني . و يذهب إدماج المثقفين للجنة الفيدرالية في هذا الاتجاه، و لكن الهدف الأساسي هو، في الحقيقة، جعل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين « وحدة قتال » للجبهة كي تستعمل كوسيط لبعث الشباب المتعلمين إلى الحدود إلى حين يتم ضمهم إلى المقاومة في الجبال . و هو الحال بالنسبة لفرع مونبولي

الذي قام، تحت قيادة بن عدودة، بإرسال عشرة من أعضائها إلى الجبهة، و هو رقم قياسي. لكن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يجب أن يقوم مقام رجع الصدى لدى الرأي العام الفرنسي و الدولي كما هو منصوص عليه في أرضية مؤتمر الصومام.

و لقد شهد وصول محمد ليجاوي تعزيزا للعمل في اتجاه الطلبة و المثقفين. و الهدف مزدوج هنا كذلك « جعلهم يستوعبون مبادئ سياسة جبهة التحرير الوطني و اكتشاف إطارات لتعزيز المنظمة ». و بذلك، فمسألة استقلالية الهياكل التنظيمية الطلابية و الثقافية هي، بطريقة أو بأخرى، أمر غير وارد. و لقد شُرع، في الجزائر، بتأسيس ما أطلق عليها فيما بعد بالمنظمات التابعة لجبهة التحرير الوطني. و لصد مبادرات الحركة الوطنية الجزائرية، قام العمال و التجار ببناء منظمات مهنية تخصصهم تابعة لجبهة التحرير الوطني. و لقد كان المسؤول الجديد عن اللجنة الفيدرالية عازما على إدماج الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الصفوف و جعله يحذو حذو الاتحاد العام للتجار الجزائريين و الاتحاد العام للعمال الجزائريين، و قام، في غرفة بحي باريس الجامعي، بجمع مولود بلهوان و خميستي محمد و مالك رضا و عبد المالك بن حبيلس و لخديري علي و قاموا بعرض معطيات المشكلة بوضوح. و لإتمام العملية فُتحت أبواب اللجنة الفيدرالية لطالب أحمد (مارس 1956) و بومنجل أحمد (ديسمبر 1956) و حربي محمد (جوان 1957) بينما جاء كل من ساحلي محمد شريف و مالك رضا لتعزيز اللجان⁸².

و في نهاية المطاف، لم يصمد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أمام صدمة الإضراب عن الدروس و عن الامتحانات، ففترّق أعضاء قيادته، المطلوبون من قبل الشرطة، قبل أن يُحل الاتحاد بقرار من مجلس وزراء غايار فيليكس في 28 جانفي 1958.

استأنفت جبهة التحرير الوطني عندها مباردتها و تم رسميا إنشاء الفرع الجامعي (ف.ج) في غرفة حمداني لحبيب (طالب بمدرسة اللغات الشرقية)، الوفي دائما.

Mohammed Lejjaoui, *Vérités sur la Révolution algérienne*, Gallimard, Paris, 1970 (82

- استشهد به G. Pervillé, *Op.cit.*, p. 143

السياق التاريخي و السياسي

و خلال هذا الاجتماع، الذي رأسه بوداود عمر و العدلاني قدور و قبائلي موسى، عُهدت المسؤولية العامة عن الفرع الجامعي لسعيد حاج دريس و كلف حمداني لحبيب بمسؤولية الصحافة و الإعلام و كُلف سواليبي الهاشمي بالتنظيم و كلف محمد مقران بالتمثيل الخارجي .

من الواضح أن اللجنة التنفيذية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، التي عين أعضاؤها من قبل مؤتمر، كانت لا تزال تعتقد أنها الهيئة التمثيلية الوحيدة للطلاب الجزائريين . و استلزم الأمر دعوتها إلى الانصياع للأوامر . و في 4 جوان 1958، قدم أعضاؤها استقالتهم الجماعية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . و لوضع حد نهائي لمحاولات إعادة تشكيل مستقل للاتحاد، دعت جبهة التحرير الوطني إلى اجتماع اللجنة التوجيهية الموسعة بـكولوني في أوت 1958 . و لقد حضر جميع أعضاء اللجنة التنفيذية (آيت شعلال مسعود رئيسها، شايب طالب، حمدي طاهر، باغلي جلول) بما في ذلك برهان براح و بوصالح أحمد و سواليبي الهاشمي و سعيد حاج دريس . أما من جهة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني فقد حضر بوداود عمر و العدلاني قدور و هارون علي، الذي كان قد عُيّن حديثا في لجنة الصحافة و الإعلام، و حربي محمد⁸³ .

و في الأخير، اتُخذ قرار الحفاظ على رمز إ.ع.ط.م.ج⁸⁴ لأغراض التمثيل الخارجي لدى المنظمات الدولية، أما على الصعيد الداخلي، فلقد تحول إ.ع.ط.م.ج إلى فرع جامعي تابع لجبهة التحرير الوطني .

شَلّ المعارضة الداخلية

خلال المرحلة الانتقالية التي أشرف عليها الطيب بولحروف، بين فيفري - مارس و جوان - جويلية 1957، أصبحت مجموعة المثقفين في المنظمة أكثر نشاطا . و كانت تهدد بزعة وحدة الصفوف بالتشكيك في ملائمة الخيارات الاستراتيجية التي تملّيها الجزائر و تونس و القاهرة .

A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 76 -77 (83)

(84) ملاحظة المترجم : الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

كانت مهمة بوداود عمر إذن تتمثل في إحلال النظام. لكن لما كان الجدل داخل المنظمة لا زال شديدا، كان يجب أن يبدأ إذن من ترتيب الأوضاع على هذا المستوى أولا.

كلف العدلاني قدور، المسؤول عن اللجنة التنظيمية في اللجنة الفيدرالية، بهذه المهمة. و كان قدروج أول من أرسل إلى المغرب و معه أمر بالقبض مختوم، و هناك سجن في معسكر. و لقد شكل وصول عمر بوداود، كما رأينا، مشكلة في فيدرالية فرنسا التي كانت تستاء مما كانت تعتبره تعيينات فوقية. كان قدروج مسعود من المعترضين، الذين ينتمون عادة إلى الشرق الجزائري، و لقد كان يرى أن بوداود يتبع سياسة نوعا ما جهوية في تعيينه للمسؤولين. و لقد انفجر الصراع الذي كان كامنا عندما اقترح عليه المسؤول الجديد عن الفيدرالية اسم شخص ليحل محل إطار ولاية كان قد ألقى عليه القبض، و هو أمر رفضه قدروج رفضا قاطعا : « لن أقبل هذا بأي حال من الأحوال، أنا أضع شخصا محليا يعرف المنطقة و رجالها. »

كانت المواجهة قاسية، و اتخذ القرار بتحويل قدروج إلى ليون مكان مسؤول الجنوب الذي حوّل بدوره إلى باريس، و بعد ثمانية أشهر طُلب منه الالتحاق باللجنة الفيدرالية أين تم تعيينه مسؤولا عن اللجنة اللوجستية.

« كان طريقا جانبيا. لم نقم بالإجمال إلا برحلة واحدة بإيطاليا، إلى ميلان، للاتصال ببعض الأشخاص و شراء الأسلحة. فيما بعد انطلقنا إلى إسبانيا دائما، من حيث المبدأ، في إطار اللوجستية. في الحقيقة، أرسلت إلى هناك مع أمر بالقبض مختوم. بقيت في مدريد شهرا دون الالتقاء لا ببوداود و لا ببوقدوم، ممثل جبهة التحرير الوطني بإسبانيا. و عند وصولي إلى طنجة، أرسلت إلى تطوان و من هناك إلى العرايش [إحدى المعسكرات الرئيسية بالمغرب لجبهة التحرير الوطني]. و الأسوأ من ذلك أنني كنت مصحوبا بعائلتي، ثم ذات يوم طلب مني ملازم، يدعى عثمان، ضفر الحلفاء مع الرجال المسخّرين. و كلفني رفضي الحبس. بعد يومين، قام يوسف⁸⁵، الذي كان مارا على المعسكر، بإخراجي من هذه الورطة. »⁸⁶.

(85) محمد يوسف هو إطار سابق في المنظمة السرية من 1947 إلى 1951 ثم أصبح عضوا في اللجنة المركزية لحزب انتصار الحريات المركزية. أصبح مندوبا لجبهة التحرير الوطني بـمدريد من 1956 إلى 1957 ثم أحد المسؤولين بلجنة وزارة التسليح و العلاقات العامة بأوروبا بعد سبتمبر 1958.

(86) م. قدروج، شهادة.

وفي وقت لاحق، خضع منصوري عمارة إلى نفس مصير قدروج، أما أحسن زروق فقد تخلّى، في هذا المسار، عن قيادة المنطقة الباريسية لصالح قبائلي موسى . يروي هارون علي أحداث هذه المرحلة بإيجاز شديد و يجب أن يكون الفرد حقا على علم بخبايا القضية كي يتمكن من فك شفرات روايته .

« اعتبارا أنه من الضروري طمأنة إطاراته بالمقاطعات و تشجيعهم بحضوره و إقناعهم بأن الفيدرالية بعيدة كل البعد عن البقاء دون قيادة، بدأ قائد المنظمة الجديد [دوم أحمد] رحلته . والأمر كان أكثر من ملح لأن قائد قسمة من الشمال، الذي كان يشغل مكانه جيدا، اغتنم فرصة اعتقال مسؤوله المباشر، بن سالم، لينسب إلى نفسه، أمام المسؤولين المحليين، صفة « الفدرالي » . و قام بإقامة منظمة موازية حقيقية، متذرعا بحجج جهوية، و حرض المناضلين على المطالبة بتأكيد الفيدرالية على رتبته الجديدة . و قد تطلب إحباط هذه المؤامرة الصغيرة التي كانت ستؤدي إلى نتائج كارثية التحلي بصبر شديد و بحزم كبير [...] » .⁸⁷

و هذه هي الطريقة نفسها التي علمنا بها أن مناع اسماعيل المدعو « سبوتنيك » قد استبعد من قيادة الولاية الرابعة لأنه « كان يجرجر خطاه على ما يبدو » عشية شن الهجوم الثاني في أوت 1958⁸⁸ .

و بعد أن حرم من مسانديه ضمن المنظمة، سرعان ما هزم حربي بأغلبية الأصوات . و في جوان 1958، قبل بدوره أن يتولى اللوجستية، أي، بعبارة أخرى، شراء الأسلحة . و لم يكلف إلا بعملية واحدة و هي شراء 200 مسدس من نوع « هرستال » اقتناها باسم اللجنة الفيدرالية .

و بسبب انشغال باله لما حدث لقدروج و منصوري و الصدمة التي حصلت له إثر وفاة عبان المشبوهة بالمغرب، قرر حربي تقديم استقالته (و هو أمر غير معهود كثيرا في جبهة التحرير الوطني) في 23 جويلية 1958 خلال اجتماع للجنة المركزية التي استدعت بכולوني، بألمانيا، جميع قادة الولاية . و تناول جدول أعمال هذا الاجتماع مسألة فتح جبهة ثانية على التراب الفرنسي .

A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 27 (87)

Id. p. 91 (88)

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

و بذلك، بين جانفي و أوت 1958، تمت هزيمة قوى المعارضة المناهضة لخط لجنة التنسيق و التنفيذ السياسي و لتوحيد القيادة في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني .

و في أوت 1958، حُسم الأمر . لم تعد هناك معارضة داخلية سواء تنظيمية أو إيدولوجية أو سياسية في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . و أصبحت أخيرا اللجنة الجديدة المؤلفة من عمار بوداود و العدلاني قدور و بوعزيز رابح و سويسي عبد الكريم و هارون علي، أداة متجانسة على استعداد لأن تخوض مغامرة الحرب في التراب الفرنسي .

مسألة فتح جبهة ثانية

نقل الحرب إلى فرنسا لحملها على التفاوض (1955 - 1957)

تبعاً للشهادات المستقاة، ثبت الآن أن قرار فتح جبهة ثانية بفرنسا اتخذ لأول مرة سنة 1956، في زمن سيادة عبان رمضان، لكن هارون علي، الذي قدّم عملاً قيّماً حول تاريخ فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، نادراً ما يتكلم عن هذا و عندما يفعل ذلك فخارج السياق التاريخي و السياسي .

كان من المفترض أن يشكل الهجوم الأول لسنة 1956 - 1957، الذي شن في الجزائر و في فرنسا في الوقت نفسه، بالنسبة للجنة التنسيق و التنفيذ وسيلة لإرغام الحكومة الفرنسية على التفاوض و إيجاد حل سريع للحرب . كانت أيضاً طريقة للبرهنة على أرض الواقع على قدرة جبهة التحرير الوطني و صفتها التمثيلية للجماهير . و حول مسألة استراتيجية الثورة هذه، قليل هم المؤرخون الذين تمكنوا من التوسع في الموضوع نظراً لندرة المصادر المكتوبة و الوفاة المبكرة لعدد من فاعليها و الشهود عليها .

في الحقيقة، أثّرت مسألة الخيارات الاستراتيجية في أعلى مستويات التسلسل الهرمي لجبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني في مرحلة مبكرة جداً . فبين الفاتح من نوفمبر 1954 و 20 أوت 1956، قامت المناطق الخمس لأول تقطيع جغرافي وضعته قيادة الثورة بخوض الكفاح المسلح ضد الاستعمار وفقاً للظروف

الخاصة بكل منطقة. لم تسمح، صعوبات الاتصال و الخسائر البشرية التي تكبدتها المجموعة المُبادِرة، لرجال الفاتح من نوفمبر من تنسيق كفاحهم، كما تمنوا في لقاءهم الأول، بالجودة التي أرادوها و كلما رغبوا في ذلك. و بالتالي، فالضغوطات الاجتماعية و التاريخية و حتى، أحيانا، الثقافية هي التي أثرت على الطرائق و الوسائل التي كانت تختارها كل منطقة متمردة.

من الواضح أن أشكال الكفاح المسلح اختلفت من منطقة إلى أخرى، فلم تكن و لا كان من الممكن أن تكتسي الشكل نفسه. ذلك أن الظروف التي كانت تحكم العمل المسلح في المناطق الحضرية أو الريفية، في السهول ذات الكثافة الأوروبية العالية أو في الجبال، لم تكن الظروف نفسها. إضافة إلى ذلك، فميزات القادة و تكوينهم السياسي و العسكري كل هذا يمكنه أن يكون حاسما. لكن هذا ليس كل شيء، فأهم شيء كان تحديد الأهداف الاستراتيجية للحرب و الغايات التكتيكية التي يمكنها أن تُسرّع النصر الأخير تحديدا واضحا و بصورة موحدة. و في هذا المجال، يمكننا القول الآن بأن هناك مشاكل حقيقية قد طُرحت سنة 1955 و 1956. و باختصار، لنقل أن خطين عامين قسما قيادة جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني. كان بن مهدي العربي و عبان رمضان يمثلان الخط الأول الذي كان يعتمد على تحليل الوضعية الداخلية و الخارجية التي تسمح بافتراض أن فرنسا مستعدة للتفاوض حول شروط استقلال الجزائر، و أن الحرب تقارب على نهايتها، و أن أفضل وسيلة لتسريعها هو القيام بعمليات بارزة واسعة النطاق من نوع إضراب عصياني في المدن و انتفاضة جماعية في القرى، أي باختصار، ثورة وطنية تقودها نخبة راديكالية لكنها منفتحة على التحالفات.

أما الخط الآخر، الممثل من قبل قادة المقاومة في الجبال بالشمال القسنطيني، فكان يقول أن الشروط اللازمة لنصر سريع ليست مُجمِعة لأن جماهير المدن و القرى لم تكن منحازة تماما لفكرة الاستقلال، خاصة فكرة استقلال البلاد بالكفاح المسلح. فبالنسبة لأصحاب هذا الخط، و هم الأوفياء لتعاليم ديدوش مراد، كان على كفاح التحرير أن يكون كفاحا طويل النفس، أي تعلم الشعب، بطريقة ما، للشروط التي قد تسمح له بقيادة الثورة بنفسه. ثورة شعبية تقودها نخبة لا تهادن.

كانت نتائج هذين الخطين على الاستراتيجية السياسية و التكتيكية ضخمة . في الجزائر العاصمة، تم تمهيد الطريق لإدراج النخب السياسية القديمة، المسماة بالمعتدلة، في قيادات جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني . و في الشرق الجزائري، أُعِدِم بعض ممثلي هذه النزعات لأنه كان يشتهب فيهم أنهم مترددون كثيرا أو حتى أنهم يعارضون الكفاح المسلح . أما في الجزائر العاصمة، فقد شنت إضرابات عامة لاستعراض قوة و تمثيلية جبهة التحرير الوطني وصولا للتفاوض، على المدى القصير، على اتفاق سلام مع فرنسا . و في الشمال القسنطيني، أطلق زيجوت يوسف، في 20 أوت 1955، انتفاضة عامة في القرى لجعل الشعب يشارك تماما في الكفاح المسلح و ليقطع الطريق نهائيا لأية محاولة تفاهم فرنسي - جزائري .

كلما كان الوقت يمر كلما أصبح من المستعجل توحيد الاستراتيجية و التكتيك . عُقد المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني في 20 أوت 1956 . و في نهاية أعمال المؤتمر، فرض الاتجاه، الذي يمثله بن مهيدي و عبان، نفسه . أما الاتجاه الذي يمثله زيجوت يوسف فقد هُزم بأغلبية الأصوات . و الأمر نفسه، على ما يبدو، في فرنسا و لكن لأسباب أخرى تماما، إذ أن جزءا من اللجنة الفيدرالية، على الأقل، لم يوافق على هذه الاستراتيجية . و يشهد على هذا نص متحفظ إلى حد ما أصدرته لجنة الصحافة و الإعلام في فيفري 1957⁸⁹ . و بعد بضعة أشهر، ساهم وصول بوداود في وضع حد للخلافات الداخلية و تمهيد الطريق لهجوم أوت 1958 الكبير .

نقل الحرب إلى فرنسا لاستعادة الأنفاس (1958 - 1959)

مرّ الزمن و أُعْزِيت الأوقات الصعبة التي مرت بها الثورة إلى خط بن مهيدي و عبان . و في أوت 1957، خلال انعقاد أول مجلس وطني للثورة الجزائرية تم تعديل لجنة التنسيق و التنفيذ و اختُصر دور عبان في دور المعارض من الأقلية . على الرغم من هذا، شهدت نهاية 1957 و بداية 1958 نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ حرب التحرير .

في فرنسا، كان لاستمرار الحرب آثار كارثية على الاقتصاد . و في فيفري 1958، سمحت دراسة، أجرتها وزارة الجزائر، لبير شوساد، مسؤول الالتماسات بمجلس

(89) انظر : مقتطف من تقرير اللجنة في المرفق 2 .

الدولة و أمين عام بهذه الوزارة، بتقدير كُلفة حرب الجزائر بالنسبة لفرنسا⁹⁰.
و لأن تقديراته تستند على مصادر متناقضة فقد لخص الوضعية بالأرقام التالية :
« - من 0 إلى 678 مليار نفقات الميزانية،
خسائر في الإنتاج تقدر بـ 700 مليار،

250 مليار الحد الأدنى من التأثير على ميزان المدفوعات [...] . »

في الواقع، حاول بيير شوساد، في هذه الدراسة، التقليل من أهمية الآثار السياسية لتقرير أُعدّ في أكتوبر 1957 من قبل مجموعة موظفين في مجلس الدولة⁹¹، و التي أعطت استنتاجا واضحا أتمّ الوضوح : « لن تتمكن فرنسا من الإبقاء على سيادتها [على الجزائر] إلا برّد قوات تمرد مستعدة دائما لأن تبعث من جديد، أي بالقيام بمجهودات عسكرية و مالية ستتطلب تجنيدا، دائما تقريبا، للأمة . »⁹².

و لقد أكدت، العديد من الدراسات، هذه النظرة التشاؤمية التي أذاعتها مجلة فرنسية يسارية. و كان أصحاب المقال يرون حينها أنّ مجرد استمرار الحرب يكلف فرنسا 80 مليارا إضافية مقابل عجز ميزاني يصل إلى مليار فرنك فرنسي⁹³.
في حين أنه، في بداية سنة 1958، كان قد تم اقتراض 600 مليون دولار من السوق الدولي⁹⁴، و كان يبدو عندها أنه مبلغ غير كاف لمنع استنزاف احتياطي العملة قبل نهاية السنة.

أشار مختص في الجمهورية الرابعة، و هو يتكلم عن الفوضى الاقتصادية لفرنسا، إلى الإجراءات التي على غايار فيليكس⁹⁵ أن يتخذها لمواجهة الكارثة

(90) *Que représente l'Algérie pour les finances et l'économie de la Métropole*, ministère de l'Algérie, Février 1958.

(91) ترأسها ماسبيتول رولاند، و هي لجنة كلفت في أكتوبر 1957 بـ « تقييم بعض العناصر حول ما يمكن أن يصبح عليه مستقبل الجزائر ».

(92) المرجع نفسه.

S. Chatel et P. Canjuers, « *La crise de la République bourgeoise* », Socialisme ou Barbarie, n°25, juillet-août 1958, pp. 2-3.

(94) في 30 جانفي 1958، أقرضت الحكومة الأمريكية و المؤسسات المالية الدولية 655 مليون دولار إلى فرنسا.

(95) وزير الدولة للشؤون المالية و الشؤون الاقتصادية و المخطط (13 جوان - 6 نوفمبر 1957). رئيس المجلس (6 نوفمبر 1957 - 14 ماي 1958).

المالية التي تنتظر البلد : « تخفيض قيمة العملة بـ 20% لجعل الدولار يقابل 420 فرنك فرنسي [...] و اللجوء للقروض الخارجية و رفع الأسعار و التعريفات و زيادة الضرائب ؛ لخفض العجز إلى 600 مليار، و زيادة سعر الخصم. لكن هذه القرارات لم تُستكمل بتحرير التجارة الخارجية و يبدو أن التوازن المحقق هش جدا بحيث كان الدولار يصرف بصورة شبه رسمية مقابل 434 فرنكا فرنسيا ابتداء من منتصف الربيع [...] و انتقل مؤشر الإنتاج، تحت تأثير ارتفاع هائل للطلب العام و الخاص، إلى 140، سنة 1956، ثم إلى 149 سنة 1957. [...] و ارتفع الاستهلاك الحكومي من 100، سنة 1954، إلى 118، سنة 1956 ثم إلى 133 سنة 1957 و 1958. و قد وصل العجز في الميزانية 925 مليار، سنة 1956، و ما يقارب 1000 مليار، سنة 1957. [...] و انتقل العجز في الميزان التجاري من 808 مليون دولار، سنة 1956، إلى 950 مليون في 1957 ثم إلى حوالي 300 مليون، سنة 1958. تقلصت الاحتياطات النقدية و زادت الديون. ارتفعت مشتريات المعدات العسكرية الأجنبية من 100 مليون دولار في 1955 إلى 280 مليون دولار، سنة 1956، ثم إلى 250 مليون دولار، سنة 1957، و إلى 200 مليون دولار، سنة 1958. [...] وواجه هذا الأخير [ميزان المدفوعات] عجزا، سنة 1956، بـ 1.25 مليار دولار و بـ 1.63 مليار دولار سنة 1957. عندما انهار النظام، في ماي 1958، كانت استدانة فرنسا معتبرة و لم يبق من الاحتياطات النقدية إلا 80 مليارا، في حين أن شهرا من الاستيراد يكلف 120 مليارا.

و لقد رجّح الرأي العام الفرنسي، أكثر فأكثر، أن الفوضى الاقتصادية و المالية سببها حرب الجزائر. ⁹⁶

كانت اللحظة مهمة بالنسبة لفرنسا سواء من وجهة نظر الأوضاع الاقتصادية الدولية أو من وجهة نظر مستقبلها على المدى البعيد. فقد فُتحت الحدود التجارية الأوروبية بموجب معاهدة روما التي أقامت السوق المشتركة و منافسة القوى القارية الأخرى (الألمانية على وجه الخصوص)، و جعلت تهدد مصالح أوساط الأعمال الفرنسية.

Paul-Marie de La Gorce, *Apogée et mort de la IV^{ème} République*, éd. Grasset, Paris, (96 1979, p. 506.

و لقد أدى ثقل حرب الجزائر المعتبر على المصالح الاستراتيجية الفرنسية إلى أزمة سياسية خطيرة. فقد تضاءلت مدة دوام الحكومات أكثر فأكثر و أصبحت أيام الجمهورية الرابعة معدودة، و لمواجهة الأزمة قامت الحكومات المتتالية بمضاعفة الإجراءات التي ترمي إلى تعزيز مجهودات الحرب على أرض الواقع : زيادة التعداد و النفقات العسكرية، زيادة النسب الضريبية، التصويت على السلطات الخاصة و توسيعها لتشمل الأراضي الفرنسية.

أما في الجزائر، فقد شهد شهرا أوت و سبتمبر 1957 تشييد خط موريس و إنهاءه، و كان هذا الخط يهدف إلى خنق المقاومة في الجبال إذ يحول دون وصول أي تموين في السلاح أو الذخيرة من الحدود التونسية أو المغربية. و بالتوازي، تم وضع مخطط شال الذي تمثل هدفه الاستراتيجي في سحق وحدات جيش التحرير الوطني جسديا و معنويا. و بدأ كوماندوز المظليين التابعين للجنرال بيجار بعمليات تمشيط « التهذئة » في الجنوب - الغربي (البيض و سعيدة)، و كانوا يستعدون لتمديدتها إلى وسط الجزائر و غربها. و في 7 فيفري 1958، أعلن لاکوست روبير، بقسنطينة، أن « حرب الحدود سيتم ربحها » و أقر لأول مرة « حق المطاردة » الذي طالب به العسكريون و وُضع موضع التطبيق في 8 فيفري بقصف قرية ساقية سيدي يوسف بالأراضي التونسية.

و بعد تاريخ 13 ماي 1958 و إنشاء « لجنة الخلاص العام » بالجزائر من قبل الجنرال ماسو، عرف وصول الجنرال دي غول على رأس الحكومة الفرنسية، حسب رأي قادة جيش التحرير الوطني بالإجماع، البداية الحقيقية لحرب الجزائر.

« تغير الوضع [داخل البلاد] في غير صالحنا [...] حتى ذلك الحين، كانت الحملات العسكرية الفرنسية تُسَيَّر انطلاقا من مركز القيادة الذي كان يلتحق به الجنود مباشرة بعد نهاية التمشيط. و لكن مع بيجار و مخطط شال، كانت جميع الوحدات تخرج موضعيا برفقة ضباطها ثم تنقسم بعدها، على طريقتنا، إلى مجموعات صغيرة سريعة الحركة. لم تعد تطلب دعم الأساطيل المصفحة أو المعدات الثقيلة التي لم تكن قط تمسنا بأذى لأنها كانت غير قادرة على اجتياز الطرق شديدة الانحدار. و عندما يحل الليل كانوا يقيمون معسكرا في عين المكان و لا يبرحون مكان العمليات.

من جهتنا، كانت الأمور قد تغيرت كذلك [...] فلأول مرة منذ بداية الكفاح المسلح، رأينا جنوداً أُسروا يقبلون الانضمام إلى العدو [...] و كان السكان أنفسهم قد بدؤوا يشكلون مجموعات للدفاع الذاتي لمنع دخول عناصر جيش التحرير الوطني إلى دواويرهم [...].

انقسمت عندها وحدات جيش التحرير إلى مجموعات صغيرة، و كان نشاطها يقتصر على ضمان بقائها. و بعد أن كنا نقوم بعمليات عسكرية واسعة النطاق، أصبحنا نقوم بأعمال فدائية متفرقة تتمثل في القيام بعمليات اعتداء فردية في المدن للقضاء على الخونة أو لبلوغ هدف عسكري ما. كانت أغلب قوات جيش التحرير، المتمركز في الحدود، تستغرق في نوع من الكسل تاركة المجال فسيحاً للنزاعات الداخلية.⁹⁷

عرفت الثورة عندها أصعب لحظاتها. كانت أزمات متتابة تهر القيادة السياسية و فسحت المجال لإدانات و إعدامات أشهرها قضية عبان رمضان (22 - 27 ديسمبر 1957). و لمواجهة خطر الموت الذي كان يهدد وحدة صفوف الثورة، توجب على القيادة السياسية استئناف المبادرة، و هنا قرّرت شن هجوم مزدوج.

« تحولت المشاكل الأساسية إلى مشاكل أفراد، إذ أن الفتنة بلغت أوجها و لم تكن الحلول، في الحقيقة، إلا علاجا مسكنا. و هي الفترة التي قررنا فيها شن حملة دبلوماسية كبيرة [...] أردنا بهذا التلميح إلى أن القضية الجزائرية كانت تسجل مكاسب على المستوى الدولي و أن هذه المشكلة ستُحل عن قريب. كنا نحاول طمأنة الداخل و رفع المعنويات. و كنا نريد الإقناع بأننا سنحصل على أسلحة جديدة و بكميات كبيرة.

كانت كذلك اللحظة التي قررنا فيها نقل الحرب إلى الأراضي الفرنسية للأسباب نفسها على الدوام⁹⁸. و حسب هذه الشهادة التي أدلى بها أحد أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ الأكثر نفوذاً، فقد اتُخذ إذن قرار فتح جبهة ثانية على التراب الفرنسي للمرة الثانية في بداية سنة 1958 لكن لأسباب متعلقة ببقاء الثورة هذه المرة.

(97) مذكرات سليمان (عبد الله) بن طوبال، عقيد بجيش التحرير الوطني و قائد الولاية الثانية و عضو بلجنة التنسيق و التنفيذ الثانية. مخطوط.

(98) المرجع نفسه.

الجزء الثاني

المنظمة الخاصة

المحاولة الأولى (1956 - 1957)

المحاولات الأولى

عندما اتخذ قرار فتح جبهة ثانية بفرنسا لأول مرة، تناسب هذا القرار مع ذهنيات مؤيدة للمبادرة العسكرية أي، على الأقل، بالنسبة لجزء من إطارات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، بينما بقي جزء آخر معارض تماما لهذه الفكرة⁹⁹.

يبدو، حسب الشهادات المنقولة في الفصول السابقة، أن الفكرة كانت قد بدأت تنبت في ذهني ديدوش مراد وبوضياف منذ 1954 و أن طربوش كان قد حاول تطبيقها. غير أن قبائلي موسى الذي يستعيد أقوال هذا الأخير، الذي تشارك معه لوقت طويل ظروف الاعتقال، يؤكد أن أول مهمة كلفت بها المنظمة هي في أن يكون لها وجود بصفتها جبهة التحرير الوطني في مواجهة الحركة الوطنية الجزائرية و قوى القمع الفرنسية. فبالنسبة له، كان يجب أولا مصدر خلق إشعاع و نشر أفكاره. و لم تطرح مسألة الكفاح المسلح ضد أهداف فرنسية حصرا إلا بعد أن أصبحت المنظمة متينة و تملك هيكلًا و وسائل مهمة.

« انتقلنا إلى المرحلة النهائية، بعد إضراب الثمانية أيام¹⁰⁰، و هي مرحلة تأطير الجالية المهاجرة [...] و هي المرحلة التي بلغناها في نهاية 1957، و في هذه المرحلة أثّرت لدى قيادة جبهة التحرير الوطني مسألة وضع هيكل عسكري سُمّي فيما بعد بالمنظمة الخاصة. »¹⁰¹

(99) انظر : الفصل المخصص لموقف المثقفين.

(100) في 28 جانفي 1957.

(101) قبائلي موسى، شهادة.

تبقى مسألة أسباب تعيين بوعزيز رابح عضوا في اللجنة الفيدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا. يحدّد هارون علي وشهود آخرون زمن هذا الحدث في بداية سنة 1957، إذ يبدو أن مسألة تعيينه جاءت بأمر تحويل أصدره العقيد دحيلس صادق، قائد الولاية الرابعة و صديق مقرب لعبان رمضان. لكن أهداف هذا التحويل تبقى غامضة.

في 1957، كان يبدو أن مهمة بوعزيز، حسب هارون دائما، تتمثل في تعزيز اللجنة الفيدرالية، التي أضعفتها اعتقالات إطاراتها، وفي إعداد جهاز شبه عسكري حقيقي. في الواقع، كان وجوده يهدف أساسا إلى تطبيق الإستراتيجية العسكرية في فرنسا التي أعدتها لجنة التنسيق والتنفيذ و وضعتها موضع التنفيذ في الجزائر.

و لقد شهدت بداية سنة 1957، حقيقة، تجذيرا للكفاح المسلح و إضرابات لافئة تهدف إلى تكريس صفة جبهة التحرير الوطني التمثيلية، وهو ما مهّد لهجوم غير مسبوق لقوات القمع الاستعمارية. فخلال نقاشات الأمم المتحدة حول القضية الجزائرية، أُعدم ثلاثون محكوما عليه بالإعدام، واعتُقل المئات الذين خضعوا فيما بعد للتعذيب والإعدام دون محاكمة. و كان بن مهيدي العربي من أشهر ضحاياها. و في هذا السياق بالذات، أرسل بوعزيز إلى فرنسا و تكفل بـ « فرق التدخل » والمنظمة شبه العسكرية الجينية، التي وضعها دوم أحمد و سويسبي عبد الكريم سنة 1956، ليجعل منها وحدات قتال. و كان هدف بوعزيز الرئيسي هو تطوير العمليات المسلحة بفرنسا بغرض حمل الحكومة الفرنسية على التفاوض مع جبهة التحرير الوطني فحسب.

« التقيت به [بوعزيز] في ربيع 1957 مع العدلاني، الذي كان مسؤولي المباشر، و ناقشنا المشكلة. ما كان تصوره و ما ينبغي أن تكون عليه استراتيجية هذه المنظمة و ما هي الموارد البشرية اللازمة... إلخ. و لقد حددنا، خلال نفس الاجتماع، نوعية الرجال اللّازمين لمثل العمليات المخطط لها. و هكذا، حُمِلت على الاتصال بالمناضلين الأوائل لـ « فرق التدخل ». و لم يكن الأمر المهم هو العثور على رجال و إنما اختبار الرجال الذين كانوا سيضعون بأنفسهم الهياكل و يصبحون مسؤولين عنها. »¹⁰²

(102) م. قبائلي، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة

في نهاية 1956 و بداية 1957، بدأ الصراع للإشراف على المهاجرين الجزائريين يتحول لصالح جبهة التحرير الوطني التي أصبحت « فرق التدخل » التابعة لها أكثر فعالية يوما بعد يوم. و يُرجع العديد من مناضلي و إطارات المنظمة لحظة إنشاء المنظمة الخاصة لجبهة التحرير الوطني في فرنسا، للمرة الأولى، إلى هذه الفترة.

وصل بن صدوق محمد، بعد أن فرّ من منطقة الألزاس غير المضيفة، إلى باريس في صيف 1956. و بعد أن خاب أمله في النشاطات الروتينية للخلايا السياسية السرية لجبهة التحرير الوطني، سعى إلى الانخراط في نشاط « ملموس أكثر ». كان يرغب في الالتحاق بالمقاومة في الجبال ولكنه كان يعلم أنه لتحقيق ذلك يجب أن يحظى بتوصية جيدة. صادف أنه، يوجد من بين معارفه، سويسي عبد الكريم الذي كان يشغل مناصب عالية في المنظمة. و كانا قد تعارفا بالثانوية التقنية بعنابة حيث كان سويسي يبيع جريدة لالجيري ليبر، و كانا كذلك عضوين بالمجموعة نفسها للكشافة المسلمين الجزائريين بمدينة عنابة.

« خلال لقائنا الأول، أبلغني أنه سيتم تأسيس منظمة خاصة و وضعني على صلة بأحد من عنابة. كانت القاعدة أن تبقى هوية المناضلين مجهولة. و لقد أبدى الرجل الذي قدمه إليّ استغرابه لأننا كنا نعرف بعضنا، هذا الرجل هو عمراني أحمد. وضعني هذا الأخير على اتصال بعيساوي أوحمد و حذرني أنه بعد انخراطي في هذا العمل، فإن أسوأ ما يمكن أن يحصل لي هو الموت، و أهون الشرين هو السجن. فإذا كنت مصمما و إذا لم أكن أخشى العواقب فإنهم سيقبلوني بالمنظمة. جعلني بعد ذلك أؤدي القسم ثم عيّني في إحدى الفرق. »¹⁰³.

حدث هذا بعد شهر جانفي 1957 بما أن بن صدوق نفسه يصرح أنه، في تلك الفترة، كان على وشك أن يُدرج ضمن الفريق.

و يذكر عيساوي¹⁰⁴، من جهته، في توضيح قدّمه بجريدة المجاهد بأن : « المنظمة الخاصة ولدت سنة 1956 و ليس سنة 1957 كما ذكرتم [...] فمنذ تلك الفترة، حققت المنظمة عددا من العمليات اللافتة بالعاصمة الفرنسية قبل تلك العمليات الشاملة سنة 1958، بفترة طويلة »¹⁰⁵.

(103) بن صدوق محمد، شهادة.

(104) المسؤول عن العمليات المسلحة للمنطقة الباريسية.

(105) توضيح في « المجاهد » نوفمبر 1972، غير منشور.

و يؤكد آيت مختار نصر الدين الأمر الذي حدّد هو بدوره مسألة تأسيس المنظمة الخاصة في نهاية سنة 1956¹⁰⁶. يبقى أن الالتباس لا يزال قائما، في ذاكرة العديد من المناضلين، بين النسخة الأولى للمنظمة الخاصة و النسخة الثانية لها، بين الهجوم الأول و الثاني في الأراضي الفرنسية.

خلال الفترة الأولى، شكلت « فرق التدخل » نفسها الاحتياطي الرئيسي الذي لجأ إليه دوم و سويسري لإنجاز المهمة الجديدة التي كلفتهم بها قيادة جبهة التحرير الوطني السياسية على أتم وجه. لم تكن الحدود التي تفصل الهيكلين، السياسي و شبه العسكري، واضحة تماما بعد و غالبا ما كان قائد الولاية أو مسؤول المنطقة، التابعان لجبهة التحرير الوطني بفرنسا، هو الذي يُعين قادة الفرق و يحدّد لهم الأهداف التي ينبغي بلوغها. و كانت القرارات تؤخذ أحيانا على مستوى أدنى مما يعني زيادة التداخلات بين المنظمة السياسية و المنظمة شبه العسكرية.

و يشير قبايلي موسى إلى هذا الجانب في شهادته قائلا : « من المحتمل أنه كانت هناك تداخلات بين المنظمة السياسية و المنظمة الخاصة، فالوقت ليس للرومانسية الثورية. كان يمكن العثور على بعض العناصر من خلال اتصالاتهم مع المنظمة السياسية، و لكن كان من المفترض، مبدئيا، أن يعمل بنظام الفصل. أظن أننا وصلنا إليه في وقت من الأوقات، بباريس، لأننا كنا نملك الوسائل لذلك و لأن وجود مسؤولين على الصعيد الوطني كان يسمح بمراقبة منظمة. كان المناضلون، بليون و بمرسيليا، يميلون إلى الذهاب لرؤية مسؤولهم القديم لأنهم كانوا جميعهم ينتمون إلى جبهة التحرير الوطني. و لم يتمكنوا، مع ذلك، من قبول فكرة أنهم مقطوعون عن هيكلهم السياسي و أنهم لم يصبحوا يتلقون تعليمات من هذا الجانب. »¹⁰⁷.

يظهر على ما يبدو أنه، خلال هذا التأسيس الأول لمنظمة خاصة، تمت مواصلة نفس الأساليب القديمة التي كان يتبعها حزب الشعب الجزائري، فكان كل مناضل، يُعين من قبل مسؤول ولاية أو منطقة، يقوم بتشكيل خليتين تضمان

N. Ait Mokhtar, *L'Organisation Spéciale de l'ALN en France*, Manuscrit inédit, p.1. (106)

(107) م. قبايلي، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة

شخصين ليشكل فرقة يتولى قيادتها. كانت الأسماء لا تُكشف و كان على نظام الفصل الأفقي أن يكون كاملا، و حالما ينضم المناضل إلى هذا الهيكل السري عليه أن يقطع كل صلة مع وسطه القديم.

« بالإضافة إلى تعليمات الأمان، كنا قد تلقينا عددا من التعليمات لنغير من تصرفاتنا. فلم يعد مسموحا لنا أن نتردد على الأحياء الشمال إفريقية و لا أن نُميّز أنفسنا عن بقية الجزائريين. كان هذا من شأنه أن يسمح لنا بأن نفلت من شبك الشرطة بسهولة أكبر. كان علينا أن نرتدي دائما بدلة كاملة و نتأق في ملابسنا و أن نحصل على وظيفة دائمة و أن يكون لدينا أوراق مستوفاة. كُنَّا نُنصح حتى بتعاطي الكحول و التدخين في حين كانت المحظورات تُثقل بكل ثقلها على بقية المهاجرين الجزائريين. »¹⁰⁸.

فُتحت الجبهة الثانية إذن لأول مرة سنة 1956 - 1957 مع مناضلين مصممين لكنهم قليلو الخبرة، لا يعرفون جيدا استعمال الأسلحة و لا هم مطلعون على أساليب الحرب التخريبية في أرض العدو. كانت الأسلحة، فعلا، تنقص بشدة هذا في حالة إذا ما لم تكن بالية تماما، و كانت روح التضحية عند رجال و نساء هذه « المنظمة » الأولى نادرا ما تتمكن من التعويض عن نقص التحضير و الاحترافية على المستوى الإقليمي أو حتى الفيدرالي.

« في البداية، لم نكن مسلحين. كانت « المنظمة الخاصة » قد نجحت في استقبال الكثير من الأسلحة التي صُودرت في النهاية، عند الحدود الألمانية. [...] كانت الدفعة الأولى التي وصلتنا تضم بندقية أمريكية احتفظت بها لنفسى، و فردين صدئين من دون ذخيرة و بعض المسدسات الأخرى. »¹⁰⁹.

العمليات

في احتجاجه على الحقائق المشوهة التي قرأها بصحيفة المجاهد في نوفمبر 1972، كان محمد أو محمد عيسى محقا، من بين أمور أخرى، في نقطة أساسية : و هو أن العمليات الأولى في الأراضي الفرنسية ضد أهداف مدنية و عسكرية من

(108) م. بن صدوق، شهادة.

(109) المرجع نفسه.

قبل كومندوس مكون خصيصا لهذا الهدف، قد انطلقت فعلا منذ نهاية سنة 1956. كان هؤلاء متأكدين من أنهم ينتمون إلى منظمة من نوع المنظمات العسكرية و كانوا يعلمون أن الأهداف التي تحدد لنا كانت مختلفة عن تلك التي كانت تهاجمها عادة « فرق التدخل ». لم يكن لديهم تكوين خاص و لذلك كان عليهم التعويض عن هذا النقص باستعمال إبداعهم و شجاعتهم و روح التضحية لديهم.

« شاركت في مهمات جماعية و في مهمات فردية. كان أول اختبار لي يتمثل في حرق مكتب سوستيل، أخذت صفيحة بنزين و دسست خرطوما تحت الباب. قابلت مسؤولي مجددا من أجل مهمتي الثانية، كنا مارّين أمام محطة تابعة لشركة إيسو و طرح عليّ سؤالاً غير متوقع : « من أين يأتي بنزين هذه المحطة ؟ ». تبعت السلسلة إلى غابة مصفاة روان، كنت قد ركبت القطار و مرّة هناك رسمت مخططا للموقع.

أعدّدت بعض المهمات بطريقة سيئة جدا. لم يكن التنسيق بين الفيدرالية و « المنظمة الخاصة » تنسيقا مثاليا. كنا قد تلقينا، بالنسبة لمجموعة كاملة، أمر الهجوم على فندق كان سيجمع فيه رؤساء بلديات الجزائر. و في الصباح الباكر، بساعات فقط قبل الهجوم المخطط له، أدركت أن هناك مجموعة أخرى قد طوقت الفندق لتنفيذ العملية نفسها. [...] كانت مهماتنا الأولى تتمثل في عمليات انتحارية، كان علينا أن نهجم بأسلحة بالية على مطاعم - حانات يتردّد عليها المظليون. كان علينا أن نحدّد، لعدّة أسابيع، موقع الحانة الصغيرة و أهدافنا قبل الهجوم. و الحقيقة أن قطعة الخرقة التي كانت بين أيدينا هي التي كانت تزودنا بالشجاعة. كان الهدف هو أساسا أن نصدر ضجّة و أن نُشعر بوجودنا أكثر منه أن نكون فعالين حقاً. »¹¹⁰.

كان هذا هو فتح الجبهة الثانية. كانت مهمتها تتمثل في الضرب دون تمييز في اثنين أو ثلاثة مقاه مستهدفة و ترك وسائل الإعلام تقوم بالباقي. كانت الأسلحة توزّع في محطات الميترو، و لم يكن يُحدّد أي مكان للانسحاب.

هذه الملاحظات الناقدة إلى هذا الحد أو ذاك قد لا يكون لها أي معنى إذا ما لم توضع في سياق. في الوقت الذي حصلت فيه هذه الوقائع، كانت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، كما رأينا سابقا، تخضع لضغوط رهيبية من قبل الجماعات

المنظمة الخاصة

المسلحة للحركة الوطنية الجزائرية و قوات الشرطة الفرنسية التي لم تكن تترك لها دقيقة راحة. في الوقت نفسه، كان عليها أن تقوم بتأطير المهاجرين و أن تنظم المناضلين و تكونهم و أن تقوم بعمل سياسي للتأثير في الرأي العام. كل هذا برنامج كامل بالنسبة لمنظمة سرية تنشط بأرض غريبة.

ولقد تم اتخاذ قرار فتح جبهة ثانية في فرنسا، في ذلك الوقت، من قبل لجنة التنسيق و التنفيذ. و تعتبر محاولة قادة تلك الفترة التكيف مع استراتيجية هجومية في حين كان خطهم لا يزال خطأ دفاعيا أمرا جديرا بالثناء. بقي هناك إذن دمج بين الأعمال التي تدخل في هذا المنظور و بين الأعمال الأخرى للخلايا السرية التابعة للمنظمة السياسية. و لم تدرج جميعها ضمن العمليات التي أحدثت ضجة كبيرة و التي تصدرت عناوين الصحف، لكن، على الأقل، جرت المحاولة.

و لقد فشلت محاولة اغتيال بورجو لويس بجادة سوشي بسبب قلة خبرة الفريق الذي قام بالكمين و لكن كذلك بسبب نقص الوسائل. و لقد بدأ المناضلون يطلقون النار قبل وصول السيارة على مستواهم و هو ما سمح للسائق بالضغط على دواسة السرعة و الإفلات من الطلقات التي كانت تستهدفهم. و بالرغم من ذلك، تصدّر هذا الحدث العناوين الأولى في الصحافة و هو ما سمح على الأقل بالترويج الدعائي للعملية. و لقد فشلت كذلك محاولة اغتيال دو سريني آلان، و بالنسبة لهذه المحاولات لدينا شهادة أحد قادة الكومندوس المكلف بهذه العملية.

« ثم حل اليوم الذي كلفت فيه بمهمة خاصة. كان علينا أن نقتل آلان دو سريني. حُدد تاريخ العملية ليلة عيد الميلاد سنة 1957. كان علينا أن نذهب إلى قُداس منتصف الليل بمدينة بلوا الصغيرة حيث كان يوجد قصر هذه الشخصية الشهيرة. و قبل ذلك كان يجب أن نستطلع المكان أولا فُحِّد الانطلاق الأول لبلوا في المساء نفسه. قطعنا المسافة ثلاث مرات متتالية كي نألف المكان قدر المستطاع. كرّسنا الزيارة الأولى لاستطلاع المكان، أما الزيارات التالية فقمنا بها مسلحين. كان برفقتي سعداني و مناضلان آخران، و خلال الليلة المنشودة، ليلة عيد الميلاد لسنة 1957، ذهبنا إلى المدينة الصغيرة في سيارة مسروقة من نوع 403 حاملين معنا صورة تسمح لنا بالتعرف على هدفنا. لم يكن من السهل لأربعة شمال إفريقيين النزول من سيارة 403 و التجوّل و كأن شيئا لم يكن في مدينة صغيرة ليست مدينتهم. لكننا مع ذلك تظاهرنّا بأننا نتجوّل كما

لو كنا عمالا ينتظرون حلول الليل ليلتحقوا بمخيمهم. و في اللحظة المنشودة، استعرضنا جميع الحاضرين في القدّاس لكن سريني لم يكن موجودا فاتجهنا إذن إلى القصر، تسلقنا السور و اقتربنا من البناية. انتظرنا قرب المسكن و لكن سرعان ما تنبّهت كلاب الحراسة لوجودنا و أرغمتنا على أن نرجع أدراجنا. لكننا مع ذلك حرصنا على البقاء على مقربة لترقب خروج المدعوّين. و مع طلوع الفجر، كان الجميع قد خرج ما عدا دو سريني. اضطررنا إلى العودة دون أن نتمكن من إتمام مهمتنا. أخبرني « مجيد » فيما بعد أن دو سريني ذهب في ذلك المساء لحضور القداس بكاتدرائية باريس. ¹¹¹.

كانت عناصر « المنظمة الخاصة » تستهدف شخصية سياسية فرنسية أخرى : لاکوست روبير¹¹²، و لكن المحاولات الثلاث لإيقاعه في كمين باءت بالفشل. جرت المحاولة الأولى خلال مؤتمر الفرع الفرنسي للدولية العمالية¹¹³ بنونتيير، أما المحاولة الثانية فكانت بليون Lyon خلال اجتماع للحزب و المحاولة الثالثة جرت بتولوز و شارك فيها كلّو حميد فدائيّ لكنها أجهضت بدورها. و لقد أدّى الاعتقال المبكر لأعضاء منظمة هذه المدينة و اعتقال الطالب رزوق محمد إلى تقليص التعداد و الوسائل المتوفرة، و أقنع، نشر قوى الأمن حول سيارة هذا الرجل السياسي و على طول المسافة التي كان عليهم سلوكها، أقنع المسؤولين بإلغاء العملية.

فشلت جميع هذه العمليات، ووجب حدوث عملية لافته أو اثنتين كي تُنسى هذه الحلقة المظلمة التي توضع على حساب فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و المنظمة الخاصة.

عملية اغتيال شكال علي

في صبيحة 26 ماي 1956، قام عيساوي بإبلاغ بن صدوق عن مهمته الجديدة و كان يجب إتمام العملية في العشية نفسها. كان الهدف هو شكال علي نائب رئيس سابق بمجلس النواب الجزائري.

(111) أوراغي مولود ، شهادة.

(112) وزير سابق قاطن بالجزائر.

(113) الفرع الفرنسي للدولية العمالية أب الحزب الاشتراكي الفرنسي.

منذ فيفري 1955، سعى المحافظ العام للجزائر جاك سوستيل إلى تنفيذ السياسة المسماة بسياسة إدماج الشعب الجزائري في فرنسا. من الواضح أن هذه السياسة تهدف إلى قطع الطريق على الوطنيين الجزائريين و ضمان حضور مُحاورين يمكنهم تقديم بديل للحلول القصوى التي تشق طريقها عبر مدن و جبال الجزائر العميقة. منذ ربيع 1955، تم القيام بمساع بوساطة مونتاي فانست و تيون جرمان اتجاه المكونات المختلفة للمجال السياسي الوطني الجزائري، بما في ذلك جبهة التحرير الوطني، و لكن هذا المسعى الأول قتل في مهده من قبل الخط الراديكالي لعبان رمضان الذي استفاد، في الوقت ذاته، من انضمام التيارات الوطنية الأخرى إلى جبهة التحرير الوطني. غير أن هناك بعض الشخصيات من بين « ممثلي الجزائر المسلمين » التي كانت متأكدة من أن هناك إمكانية وجود « طريق ثالث » و، بعبارة أخرى، طريق عدم إنكار فرنسا.

و عندما أعلن هؤلاء الممثلون، في سبتمبر 1955، بعد اجتماع، تمسكهم بفكرة الأمة الجزائرية، بأغلبية الأصوات (61 صوتا من أصل 90)، بقيت هناك أقلية تؤيد بشدة فكرة الإدماج. و من بين هؤلاء « الممثلين » بن سونة الطبيب من تيارت و نقيب المحامين شكال علي و جبور أحمد و الطيب سيد قارا و بركروك عبد القادر كاتب دولة بالشؤون الخارجية¹¹⁴. و قد شكل هؤلاء عددا من الأهداف المثالية بالنسبة لمنظمة خاصة عازمة على نقل الحرب إلى فرنسا و على تحقيق المسار الذي رسمه عبان و لجنة التنسيق و التنفيذ : سد الطريق على عملية إنشاء قوة ثالثة و فرض حزب جبهة التحرير الوطني على أنه الممثل الوحيد للشعب الجزائري.

كان عيساوي قد أعطى رقم تسجيل سيارة شكال علي و رقم المكان الذي كان سيجلس فيه بملعب كولومب حيث كان سيحضر مباراة في كرة القدم برفقة الرئيس روني كوتي.

في القطار الذي استقله قاصدا الملعب، تولى بن صدوق بعناية كبيرة تدمير جميع الوثائق المثيرة للشبهات و لم يحتفظ إلا ببطاقة هويته، أو هذا ما كان يظنه على كل حال... لم يكن قد دخل ملعبا من قبل. كان يوجد جمع غفير

(114) انظر : G. Pervillé, *Op.cit.*, p. 220

في ذلك اليوم ليحضر نهائيّ كأس فرنسا لكرة القدم بين تولوز و آنجوير. كان عليه أن يتتبع المباراة من البداية إلى النهاية و كان جالسا في مدرج على يسار المدرج الذي كان يجلس فيه الرسميّون. و في نهاية المباراة، سهّل الازدحام الأمور، إذ تجمع الناس لرؤية رئيس الجمهورية الفرنسية يمرّ. و في هذه اللحظة لمح بن صدّوق رجلا يرتدي طربوشا و نظارات قد يكون شكّال، و بعد لحظة تردّد، نظرا لوجود ذلك الحشد من الناس، جاءت اللحظة المناسبة. كان الرئيس كوتي قد التحق بسيارته و ابتعد برفقة حراسه، و بقي شكّال علي هناك ينتظر سيارته محاطا بمفوّض في لباسه الرسمي و المحافظ بابون مورييس¹¹⁵. كان الحارس الخاص قد ذهب لإحضار السيارة التي كانت ستقلهم بينما كانوا يقتربون إلى أن أصبحوا في متناول كوماندوس « المنظمة الخاصة »¹¹⁶، تنحى هذا الأخير جانبا لتركهم يمرون و يتبعدون قليلا و عندما وصلوا على بعد مترين منه أطلق النار على هدفه من خلال جيب سترته. انطلقت رصاصة واحدة ثم تعطل المسدس. مرت الرصاصة عبر كوع شكّال واستقرت في نهاية مسارها في منطقة القلب، سقطت الضحية و أثار سقوطها القاتل ضجة في الصحافة الفرنسية و الدولية. و بهذا تمكن قادة الثورة من تحقيق هدفهم المنشود أخيرا¹¹⁷.

(115) كان بابون مورييس، بهذا التاريخ، محافظا (مفتشا عاما للإدارة في مهام استثنائية) بمنطقة قسنطينة.

(116) كان أعضاء « المنظمة الخاصة » يعتبرون أنفسهم، بشكل فردي و جماعي، على أنهم « كوماندوس » كونهم دُرّبوا على هذا الأساس خلال المرحلة التحضيرية لهجوم أوت 1958 بالأراضي الفرنسية.

(117) يمكننا أن نقرأ رواية أخرى لهذا الحدث من منظور الجانب الآخر بقلم رايموند مويل في :

La guerre d'Algérie en France 1954-1962, Presses de la Cité, Paris, 1994.

المعطى الجديد (1957 - 1958)

منظمة خاصة جديدة

أثار الارتجال ونقص الفعالية المستمران للعمليات التي شنت في فرنسا ضد أهداف مدنية وعسكرية رد فعل قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ بالجزائر العاصمة. فقد فتكت الاعتقالات المتتالية، جزئيا، بقيادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني في الوقت نفسه الذي كانت الثورة تمرّ فيه بمرحلة صعبة في الجزائر، و جاء تعيين « سعيد » بوعزيز، الذي تمّ أغلب الظن في فيفري أو في مارس 1957، ليعزز التنظيم و ليؤسس خاصة منظمة شبه عسكرية حقيقية.

وُضع بوعزيز في أعلى مستوى من مستويات السلم الهرمي، و هو ما أعطاه سلطة كافية ليتصرف. بدأ هذا الأخير بدعوة سويسبي، من اللجنة الفيدرالية، و مسؤولي المناطق من أجل نقل السلطات، و على وجه الخصوص، من أجل وضع النوى الأولى لـ « المنظمة الخاصة » تحت تصرفه.

أصبح قبايلي موسى، منذ نهاية 1956، مسؤولا عن المنطقة الباريسية. بعد أن عينه دوم أحمد، كان يجمع بين منصبي « أحسن » زروق و « عبد الله » مناصرية، أي الضفة اليسرى و الضفة اليمنى لباريس. كان هو الذي أشرف، بأمر من رئيسيه دوم و سويسبي، على العمليات المسلحة الأولى ضد أهداف فرنسية. و في ربيع 1957، عندما التقى ببوعزيز في حضور العدلاني قدور، أدرك عندها أن هدف القيادة السياسية هو، هذه المرة، تأسيس هيكل عسكري حقيقي مختلف تماما عن هيكل « المنظمة الخاصة » الأولى.

كان يجب على هذا الهيكل الجديد أن يكون خارج المنظمة السياسية و أن يتشكل من مناضلين مستعدين، رجال نشطاء شجعان و يملكون وعيا سياسيا عاليا. و كان يجب توفر كل هذا للتفكير في عمليات الاغتيال و عمليات التخريب و العمليات الأخرى ذات الصدى السياسي. يجب تأسيس هيكل شبه مستقل و فعال يمكنه أن يقوم بعمليات منسقة ضخمة.

كان « دراجي » قد وضع نصب عينيه نوع الرجال اللازمين لـ « المنظمة الخاصة »، و كان آيت مختار نصر الدين و عمار بن عدود، و هما طالبان في الطب، من بين هؤلاء الرجال.

« كنت أعرف آيت مختار منذ أيام الدراسة بثنائية سطيف، كنت أعرف ما يميزه من استقامة و ديناميكية، و كنت أعلم أنه لم يكن منخرطا في النضال السياسي لكنه كان يملك علاقات كثيرة في مختلف الأوساط الباريسية. أما الرجل الثاني فكان بن عدودة الذي كنت أعرفه كذلك في الإطار الطلابي¹¹⁸. و كان الإثنان قد طلبا الالتحاق بالمنظمة. حددنا موعدا و ناقشنا أمور العمل و السياق و ما ينبغي فعله. »¹¹⁹.

كان آيت مختار نصر الدين، الذي كان قد انتُخب بمكاتب جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا و اتحاد الطلبة الجزائريين لباريس و الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أحد الذين تبعوا شعار الإضراب العام عن الدروس و الامتحانات حتى النهاية. و بعد أن خاب ظنه بسبب ماطلة الوسط الطلابي و عدم جدوى السياسة السياسية، قرر اختيار العمل المباشر. و لما كان قد رفض أن يستجيب إلى نداء الخدمة في الجيش الفرنسي فقد أخبر دراجي، زميله السابق بثنائية سطيف، عن رغبته في الالتحاق بالمقاومة في الجبال حيث سيكون مفيدا أكثر نظرا للمعرفة التي اكتسبها في التكوين العسكري و تعقب الأفراد. و كان، مثل قبائلي، قد تبع لسنوات التدريب العسكري الابتدائي و التدريب العسكري العالي الذي نظم لطلاب المدارس الثانوية بهدف تجنيدهم برتبة ضابط صف أو

(118) كان بن عدودة عمار أحد أول المسؤولين عن خلايا جبهة التحرير الوطني في الوسط الطلابي بمنطقة مونيولي.

(119) شهادة قبائلي موسى.

المنظمة الخاصة

ضابط احتياطي، و تابع هذا التكوين في 1954 و 1955 بملون. من ناحية أخرى، كان آيت مختار يعرف، بفضل علاقاته الأسرية، أوساط الشرطة الفرنسية. ولم يرغب في الذهاب لا إلى المغرب ولا إلى تونس، وحدها المقاومة في جبال الجزائر كانت تهمه. لكن « دراجي » أقنعه بتغيير خططه و بالبقاء بفرنسا لأن أمرا في غاية الأهمية كان في طور الإعداد. حدث هذا في 1956. و في نهاية العام نفسه، وضعه قبايلي على صلة ببن عدودة، و هو عضو سابق بالكشافة الإسلامية الجزائرية لحي بلكور الشعبي بالجزائر العاصمة. و كان قد غادر الجزائر في 1952 لمواصلة دراسته بمونبولي بفرنسا، و أصبح عندها عضوا بمكتب جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا لهذه المدينة. و في ماي 1956، خلال إضراب الطلبة، عاد إلى الجزائر العاصمة و انخرط في جبهة التحرير الوطني. و في جويلية 1956، عاد إلى مونبولي. و بعد بضعة أشهر، اتصل بـ « سعيد » بوعزيز الذي كلفه بتكوين هياكل المنظمة الخاصة. و في هذه الظروف التقى بـ « مجيد » و انكبّا على العمل لتشييد هيكل عمليّاتي. و في نهاية الربع الأول لعام 1957، أخطر بن عدودة زميله عن مهمته الجديدة.

« كان قرار الإخوة المسؤولين و « سعيد »، من جانب جيش التحرير الوطني، يتمثل في وجوب إعداد خطة عمل و هيكل جديد لـ « المنظمة الخاصة ». من الوهلة الأولى، و لأسباب أمنية، كان من الواضح أنه يجب أن يكون الهيكل و التقسيم مختلفين عن هيكل و تقسيم المنظمة - الأم. و لهذا، كان يجب علينا أن نقدم خطة لتنظيم هيكل ذي طابع عسكري بهدف الانتقال إلى الكفاح المسلح في الأراضي الفرنسية. »¹²⁰

يمكننا إذن أن نقول أنه، انطلاقا من ربيع 1957، تقلّد الثنائي بوعزيز، آيت مختار قيادة المنظمة الخاصة بدلا من الثنائي سويس، قبايلي.

قام آيت مختار، الذي أصبح يدعى « مجيد » لمتطلبات السرية، بمباشرة العمل لكنه اشترط أولا التعرض للمصالح الفرنسية فقط. في الواقع، شهادة قبايلي موسى نفسه، كان آيت مختار مصمّم و صانع عمل تنظيم و اختيار و نقل السلطات بين الهيكلين.

N. Aït Mokhtar, *Cp.cit.*, p. 2 (120)

« المشكل الوحيد هو أنه كان عليه أن يسرع. و لأن المنظمة الخاصة لم تثر هياكل تخصصها انطلقت مما كان يمكن للمنظمة السياسية أن تقدمه لها و كانت تحوّل ذلك شيئا فشيئا حسب تقدمها. فكانت تُهيكل نفسها و في الوقت نفسه تنشيط لأن عامل الوقت كان أساسيا. »¹²¹.

سيُحوّل إليها أولا الناجون من « المنظمة الخاصة » الأولى من قبل سويسبي عبد الكريم، عضو اللجنة الفيدرالية. وهكذا، تعرّف آيت مختار على عمراني أحمد و عيساوي محمد أو محمد و بن صدوق محمد، بالنسبة للمنطقة الباريسية، و حرايف عمر و بن دالي حسين، بالنسبة لجنوب فرنسا، و سرعان ما استدعي هؤلاء الرجال الأولون ليرسوا هياكل جديدة و يختاروا منتسبين جددا.

و لقد كوّنّت خلايا مؤلفة من مناضلين توضع كل منها تحت قيادة رجل ثالث. و تشكل كل خليتين فرقة مع رجل سابع يرأسها، و تكوّن كل فرقتين فصيلة. و يجب أن يكون الهيكل سريع الحركة و على استعداد دائم.

و أصبح « سعيد » بوعزيز الاتصال الوحيد، على رأس الهرم، مع « مجيد » في المنظمة. و من ثم، أصبحت كل الجسور التي تربط المنظمة السياسية بـ « المنظمة الخاصة »، مبدئيا، منقطعة على المستويات الوسيطة و القاعدية، و أصبحت المنظمة الخاصة فرعا من فروع جيش التحرير الوطني في فرنسا.

تقطيع جغرافي جديد

إن التقطيع الجغرافي الجديد الذي يجب أن تخضع له « المنظمة الخاصة » يستند، على عكس الهيكل السابق، على موقع الأهداف العسكرية المستهدفة و على أهمية البنية التحتية المحلية لجبهة التحرير الوطني. خلال المرحلة الأولى، التي دامت حتى شهر أفريل 1958، تم تركيز المجهودات على باريس و منطقتها، و كذلك وسط فرنسا و جنوبها. أما قيادة الفرق فقد كانوا معروفين مسبقا أساسا بما أنهم كانوا قد كُلفوا من قُبل بعمليات الهجوم الأول الذي فشل إلى حد ما، و هم عمراني أحمد و محمد عيساوي المدعو « ساكت » و محمد بن صدوق بالنسبة لمنطقة وسط باريس و ضواحيها. و لقد تمّ استبدال هذه الإطارات جزئيا،

(121) م. قبائلي، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة

بين ماي و جويلية 1957، ب : العربي حميد المدعو « عمار » و ديافي محمد و الطيب إدريس و عمار سعداوي المدعو « بوعلام » بالنسبة لباريس و ضواحيها (الضفة اليمينية و الضفة اليسارية). يتذكر هذا الأخير اليوم الذي جاء فيه مسؤولون مميزون لرؤيتي :

« [...] طلبوا مني بعد ذلك الانتقال إلى المنظمة الخاصة، و باعتباري عضوا دائما و مسؤولا ، كان علي أن أكون تحت الطلب في جميع الأوقات . اضطرت إلى ترك عملي في حين لم يكن ذلك هو الحال بالنسبة لمناضلي المنظمة الخاصة الذين كانوا يحتفظون بعملهم كتغطية . كانت التعليمات مشددة . كان يجب الحفاظ على السرية المطلقة و الالتزام بدقة المواعيد التزاما صارما و التحلي بالشجاعة في جميع الظروف . كان أحد الشروط أن يكون الفرد قد شارك من قبل في عمليات و أظهر تحليّه ببرودة الأعصاب . كنا عشرة مناضلين مجتمعين و كنت أليس قناعا كما تنص عليه التعليمات عندما وصل « صابر » و « مجيد » و كانا مقتنعين بدورهما . و أعلمانا بأن عملية واسعة النطاق كانت تُعدّ ضد مصالح فرنسا الاقتصادية ، بالإضافة إلى سلسلة اغتالات تستهدف شخصيات سياسية فرنسية من الحزب الاستعماري . »¹²².

كان آيت مختار إذن هو الذي يرأس ، لبعض الوقت ، الهيكل شبه العسكري ، بالنسبة للمنطقة الباريسية ، و في الوسط ، أي منطقتي ليون – سانت إتيان ، تم تعيين عمار حرايف في حين وُضعت مرسيليا و منطقتها تحت مسؤولية بن دالي حسين ، و هو يتذكر كذلك اليوم الذي جاء فيه أحد ليزوره .

« [...] بقيت في المنظمة إلى غاية بداية 1957 ، و هو التاريخ الذي تقدّم فيه آيت مختار إلى منزل والدي ليتصل بي على وجه الخصوص . لا أعرف من أرشده إلى مكان إقامتي ، لكنه الشخص الأول الذي جاء إليّ ليطلب مني الالتحاق بالمنظمة الخاصة . كنت سعيدا جدا لاستقبال آيت مختار و كنت أحسّ بشيء من الفخر لأنه تم اختياري ، و على وجه الخصوص ، لأنني كنت أول من استدعي لجنوب فرنسا . سُحِبَت إذن من المنظمة السياسية . »¹²³.

(122) عمار سعداوي ، شهادة .

(123) بن دالي حسين ، شهادة .

بعد بضعة أسابيع، التقى به بوعزيز نفسه ليعطيه التعليمات المحددة. كان يجب الاحتراس احتراسا تاما و التقيد بتعليمات الأمن مثل معايير الاختيار و نظام الفصل تقيدا حريا. قام بن دالي، الذي كان على اتصال بمسؤول إقليمي يدعى مجيد، باختيار المناضلين الذين يستجيبون إلى المعايير الموضوعية و فصلهم عن المنظمة السياسية و قلل من نشاطهم ؛ و هم، من بين آخرين، عراب (س) و بلحوسين علي و بلحواس عبد الغاني و بريمة أحمد و سلمى (س). و ليتفادى الكشف المتوقع لمناضلين معروفين لدى الشرطة، كان يعمل كثيرا باتجاه مجندين جدد لا يمتون بصلة لجبهة التحرير الوطني. كان يجب عليه فيما بعد أن يجرد جميع الأهداف ذات الطابع العسكري و الاقتصادي التي على المسؤولين تصنيفها حسب أهميتها.

كُرست إذن سنة 1957 كلها لتحديد الأهداف، و استُعملت جميع الوسائل التي من شأنها أن تساعد في تأدية هذه المهمة : معلومات عامة، معلومات يقدمها موظفون يعملون في الموقع، جمع الوثائق التي تسمح بتحديد أهمية الهدف تحديدا أفضل، مخطط مفصل... إلخ. و هكذا، بفضل هذا العمل المتواصل، تمكنت المنظمة من الحصول، انطلاقا من نهاية 1957 و بداية 1958، على قائمة أهداف من بينها : موربيان و لاكارتورشيوار و ليتون دو بار.

و تمثلت المهمة الثالثة لمسؤول مارسيليا في إيجاد مآو و الحصول على أسلحة. و في هذا المجال الحساس جدا، كان يجب عليه أن يحترز من العملاء المزدوجين و من مخبري الشرطة. لكنه توصل، مع ذلك، إلى وضع قائمة كاملة لمآو و لعائلات يمكنها أن تأوي الكومندوس. و كانت هذه المآوي تخص المنظمة الخاصة و تجهلها المنظمة السياسية بالرغم من ترسخها الجيد بالمنطقة. أما فيما يخص المتفجرات البلاستيكية فكان يوفرها عمال المناجم و المحاجر الجزائريون.

و عشية الهجوم العام لأوت 1958، تكفلت قيادة باريس، لبعض الوقت، بعملية التنسيق قبل تعيين محمد. أ. عيسى، إذ اضطر حرايف عمر على مغادرة المنطقة لأنه كان مطالبا من قبل شرطة فرنسا بأكملها و محكوم عليه، لمرات عديدة، غيابا، بالإعدام. في حين استدعي بن دالي حسين، الذي كان بدوره مطالبا بسبب الإضرابات و العصيان، لتعزيز خلايا العاصمة.

المنظمة الخاصة

و خلال كامل الفترة التي تمتد من أبريل 1957 إلى أبريل 1958، سمحت متابعة القيام بعمليات متفرقة ضد أهداف ذات طابع سياسي سمحت لـ « سعيد » و « مجيد » بأن يُدَقَّقا تحليلهما و بأن يحسنا تنظيم المنظمة الخاصة، و تم وقتها تحديد الأهداف و مخططات التخريب خلال تنقلاتهما بباريس و ليون ثم بمرسيليا و مونبوليي و بوردو.

و بهذا، كان قادة المناطق العسكرية و الكوماندوس الذين وصلوا حديثا لإنجاز مهامهم، يعرفون طبيعة الأهداف و مكانها و وظيفة كل واحد و مواقع الانسحاب.

و تطوّر الهيكل ليتكيّف بشكل أفضل مع الأهداف التي يجب بلوغها. و حسب آيت مختار كانت المنظمة في جويلية وأوت 1958 قد شكّلت حسب التقطيع الجغرافي التالي :

1 - باريس : ثلاث مناطق

المنطقة العسكرية الأولى (الضفة اليسارية).

المسؤولون : حميدي العربي، محمد ديافي .

المنطقة العسكرية الثانية (الوسط).

قائد فرقة كوماندوس « المهمة الخاصة » أوراغي مولود .

المنطقة العسكرية الثالثة (الضفة اليمينية). المسؤول : سداوي محند

أورمضان المدعو « صابر ». كان سداوي عمر المدعو « بوعلام » نائب رئيس هذه المنطقة و في الوقت نفسه مكلف بالتفتيش ما بين المناطق .

2 - الجنوب : خمس مناطق

المنطقة العسكرية الأولى : مرسيليا - وسط .

قائد المجموعة : عبد الرحمن مزيان شريف المدعو « علاوة » .

المنطقة العسكرية الثانية : مرسيليا - شرق .

قائد المجموعة : بوشينة علي .

المنطقة العسكرية الثالثة : مرسيليا - غرب .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

قائد المجموعة : بلحوسين علي .

المنطقة العسكرية الرابعة : بوردو - لاروشيل - تولوز .

قائد المجموعة : بطروني علي المدعو « عبد العزيز » .

المنطقة العسكرية الخامسة : ليون - غرنوبل - سانت إتيان .

القائد عمار (غزالي علي الأرجح)¹²⁴ .

و في ماي - جوان ، عُوِّضَ عمار حرايف ، المسؤول عن منطقة الجنوب بأكملها ، بعبساوي محمد أو محمد المدعو « فاسي » بالنسبة لمناضلي مرسيليا .
و لقد عرض علينا محمد أوزاني ، المتخصص في المتفجرات ، و الذي حوّل في 14 جويلية 1958 إلى الجنوب برفقة عبساوي ، تقسيما آخر يكونا قد وضعاه عندما استلما وظيفتيهما .

المنطقة العسكرية الأولى : مدينة مرسيليا و ضاحيتها .

قائد الفرقة : عبد الرحمن مزيان شريف .

المنطقة العسكرية الثانية : بور - دو - بوك و منطقته .

قائد الفرقة : بلحوسين علي .

المنطقة العسكرية الثالثة : آلاس و منطقتها .

قائد الفرقة : « مستاش » [س] « مقاتل سابق بالهند الصينية » .

المنطقة العسكرية الرابعة : ليون - غرنوبل - سانت إتيان .

قائد الفرقة : لدغم علي .

المنطقة العسكرية الخامسة : بوردو - لاروشيل .

قائد الفرقة : ثامي عبد العزيز .

3 - نورمانديا : منطقة واحدة

حولت نورمانديا إلى منطقة عسكرية عشية اندلاع هجوم أوت ، و وضعت تحت قيادة تازبينت أعومار المدعو « عبدو » و نائبه عينوز أعراب . و تضم :

قطاع هافر : فصيلة

قطاع إلبوف : فرقة

(124) شهادة آيت مختار نصر الدين .

قطاع روان : فصيلة

قطاع إفرو : فرقة

قطاع بتي و غراند كوفيي : فرقة

4 - الشمال - الشرقي : منطقة واحدة

تضم مورث و موزيل، و الألزاس و اللورين. المسؤول عنها بن علي علي .
كان آيت مختار نصر الدين يتولى الإشراف المباشر على كل شيء و ينسق
العمليات مع « سعيد » بوعزيز من اللجنة الفيدرالية .

الاستعلام

تعلم آيت مختار، نظرا لتكوينه المُمَيِّز، أن العنصر الأساسي لأي جيش هو
شبكة الاستعلام التي يملكها. و فور تعيينه كمسؤول عن عمليات المنظمة
الخاصة، انكبَّ على هذه المهمة بالاستفادة، إلى أقصى حد، من علاقاته الأسرية
و الإمكانيات التي وضعتها المنظمة الفيدرالية تحت تصرفه .

شبكة « أبولكر »

في نهاية 1956 و بداية 1957، أقام « مجيد » في 16 شارع بيراميد عند خاله
سطمبولي بوعلام. كان لا يزال طالبا في الطب و كان، لدى عودته من الجامعة،
يقوم بتنظيف المكاتب الثلاثة عشر التي يضمها هذا المقر، بما في ذلك دورات
المياه. لم يكن يملك لا منحة و لا ثروة شخصية، و لذلك كان مضطرا لأن يقوم
بهذا مقابل 100 فرنك للشهر.

و قد وُفِّر له عمله هذا، في الواقع، مركز مراقبة مثالي بما أنه كان يتواجد
بالمقر ذاته لـ « القوة الثالثة » الشهيرة التي كان يرأسها شكال علي، و كان خاله
سطنبولي أمين « جمعية المنتخبين الفرنسيين - المسلمين » هذه .

و بفعل مصادفات غريبة، كُلف آيت مختار نفسه، باسم فيدرالية فرنسا لجبهة
التحرير الوطني، بأن يتصل بفارس عبد الرحمن، الرئيس السابق لمجلس النواب
الجزائريين. و الحال أن هذا الأخير أصبح منذ 1939، بعد الزواج الثاني لآيت
مختار الأب، خالا جديدا. قبل فارس المهمة التي كلفته بها جبهة التحرير الوطني

وانتحل الاسم المستعار « أبولكر »، وهو الاسم الذي أُطلق على الشبكة. في الواقع، حدث كل شيء بفعل المصادفة، وبفضل هذه العلاقات الأسرية، أصبحت المنظمة الخاصة تملك، منذ نهاية 1956 و بداية 1957، مركز مراقبة لا مثيل له وإمكانية الحصول على المعلومات عن جميع الأوساط السياسية المرتبطة بالحزب الاستعماري.

وسرعان ما بدأت الشبكة تنشط. وكانت المعلومات التي تسمح برصد روّحات و غدوات شخصيات سياسية معينة من اللوبي الاستعماري تمرّ من خلالها :

« لنعد ما لقيصر لقيصر. لقد كان فارس عبد الرحمن¹²⁵ هو، بنفسه، الذي كان يترصدّهم مثل أي مناضل قاعديّ و كان يُعلمنا عن روّحات و غدوات بورجو لويس¹²⁶ و عن مكان إقامته بجادة سولت و أحيانا عن مشاريع تنقلاته. »¹²⁷.

هذه الشبكة هي كذلك التي كانت تُعلم فرق المنظمة الخاصة عن تنقلات دو سريني آلان¹²⁸ و أماكن إقامته. و في الأخير، هي التي سمحت بإعداد عملية اغتيال شكال علي إعدادا دقيقا.

من المهم في هذه المرحلة رفع التشويهات التي أُدخلت في سرد الحقائق اعتمادا على ما إذا كنا من هذا الجانب أو من الجانب الآخر لفرقاء القصة. فلقد شكّل فارس عبد الرحمن، بصفته رئيسا سابقا لمجلس النواب الجزائري، عنصرا مهما على مسرح السياسة الجزائرية. و بما أنه كان مؤيدا لسياسة الإدماج في فرنسا¹²⁹، كان على اتصال بـ « المنتخبين الفرنسيين – المسلمين من الجزائر » و نظرائهم الأوروبيين بمجلس النواب الجزائري. كان يتمتع بحق امتياز الدخول إلى

(125) اسمه المنتحل « أبولكر » هو الاسم الذي استعمل لتسمية الشبكة.

(126) مستوطن كبير وزعيم الحزب الاستعماري بمجلس النواب الفرنسي وعضو بمكتب مجلس النواب الجزائري في زمن رئاسة ع. فارس.

(127) ن. آيت مختار، شهادة.

(128) مدير جريدة « ليكو دالجي » وداع ضار لـ « الجزائر الفرنسية ».

(129) في إجتماع 26 سبتمبر 1955، كان كان على 61 نائبا وعضوا بمجلس الشيوخ و مندوبا بالبرلمان الجزائري أن يحدّدوا موقفهم فيما يخص المسألة الجزائرية. ولقد هُزم الاقتراح الذي يدافع عنه ع. فارس الذي يؤيد « الإدماج » بأغلبية الأصوات لصالح اقتراح عباس فرحات الذي يؤيد الاعتراف بالأمة الجزائرية. واشتهر هذا الاقتراح في التاريخ تحت اسم « لائححة الـ 61 ». انظر :

المكاتب الوزارية و كانت لديه علاقات عديدة مع نواب و أعضاء مجلس الشيوخ بالجمعية الوطنية الفرنسية . و هكذا، تحادث مع جاك سوستيل و فور إدغار و مولي غي و لاكوست روبيير، ما بين 1955 و 1957، في زمن الجمهورية الرابعة، و مع دي غول شارل عندما استقرّ هذا الأخير بماتينيون بماي 1958 . فضلا عن ذلك، التقى به سرا، بالجزائر العاصمة و ضواحيها، عدد كبير من قادة جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني : سعدي ياسف و علي لابوانت بعد البيان الذي أصدره في سبتمبر 1955، و العقيد دحيلس صادق في جوان 1956، و العقيد أوعمران في جويلية 1956 و بن يوسف بن خدة في سبتمبر من السنة نفسها، و في أكتوبر التقى بعبان رمضان و بن مهدي العربي¹³⁰ .

استقر بباريس في بداية 1957 هربا من تهديدات المتطرفين التي كانت تستهدفه . و في فرنسا، تابع محاولات التوسط التي بدأها في الجزائر . و لقد قصده الملازم الأول رحماني و المرشح لرتبة ضابط زرقيني للحصول على مقابلة مع الرئيس كوتي، و من المرجح أنه استخدم كوسيط لتسهيل ذهاب ضباط جزائريين فارين من الجيش الفرنسي إلى تونس، و دائما في 1957، استلم رئاسة لجنة دعم الطلبة الجزائريين بفرنسا و التي كان يتمثل أحد أعمالها في الدفاع عن الطلبة الجزائريين ضحايا قمع الشرطة (انظر لاحقا قضية الطالب رزوف من تولوز) .

و هكذا، استفاد من اتصالاته مع مختلف فرقاء حرب الجزائر، و أصبح هو الذي تمرّ عبره الرسائل شبه الرسمية الصادرة عن أعلى مستوى من مستويات التسلسل الهرمي السياسي . و في ماي 1958، بعد لقاء مع الجنرال دي غول، ذهب إلى مونترلو ليُطلع عباس فرحات¹³¹ على ما قيل له . و لدى عودته من سويسرا، في 12 جوان 1958، عرض عليه الرئيس الفرنسي منصب وزير الدولة و هو العرض الذي أمره مجلس التنسيق و التنفيذ برفضه .

و لقد قام قادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بالاقتراب منه للأسباب نفسها . و يكون أعضاء مجلس التنسيق و التنفيذ قد أطلعوا محمد لبحاوي عن

A. Farès, *Op.cit.*, p. 62 et suiv (130)

(131) أصبح عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية بعد مؤتمر أوت 1956 و بمجلس التنسيق و التنفيذ بعد مؤتمر أوت 1957 .

إمكانيات الاقتراب من هذا الشخص، فعرض عليه، في 10 جانفي 1957، أن يضع علاقاته السياسية في خدمة جبهة التحرير الوطني بفرنسا. فكان بذلك يحيل إلى اللجنة الفيدرالية، بانتظام، قائمة الشخصيات الفرنسية التي كانت تقبل مقابلة قائد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني¹³² سرا. وعلى إثر موجة الاعتقالات التي أجهزت على قيادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، كلفت القيادة الجديدة آيت مختار بوصله ببوعزيز رابح الذي حوَّله بدوره إلى هارون علي بشتوتغارت. وهكذا، في فيفري - مارس 1957، أوكلت اللجنة الفيدرالية رسميا فارس عبد الرحمن بمهمة الاهتمام بالمعلومات العامة.

و يكون هارون علي قد قال له : « [...] ابعث لنا، ولو في أسلوب البرقية، معلومات دقيقة و مُهمّة، سياسية و اقتصادية. »¹³³.

في الواقع، بدل إرسال معلومات عامة، فقد تعلق الأمر، حقيقة، بمصلحة استخبارات استدعي فارس عبد الرحمن إلى إرسائها لصالح فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. و ضم إلى نواة الشبكة الأولى هذه : خميسي محمد (رئيس سابق في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين) ؛ و « شابة حاصلة على الليسانس في علوم الاقتصاد من أصل برتغالي و مناضلة ناشطة جدا بجبهة التحرير الوطني » ؛ و عمروش جون¹³⁴.

و بهذا، و حسب التوضع من جهة آيت مختار نصر الدين أو من جهة فارس عبد الرحمن فالروايتان تلتقيان دون أن تتناقضا. و يتكلم رئيس مجلس البرلمان الجزائري، في مذكراته، بكلام مبطن، عن مهمة الاستخبارات التي كلف بها. لكنه لم يذكر قط لا شبكة « أبولكر » التي تكلم عنها آيت مختار و لا الخدمات التي قدمها لها منذ بداية 1957. و من جهته، لم يذكر نائب مسؤول المنظمة الخاصة المهمة التي يكون قد أداها كوسيط اللجنة الفيدرالية لدى خاله. ففي شهادته، يبدو فقط أن الرجل السياسي يكون قد ساهم مساهمة كبيرة في اقتفاء أثر زملائه السابقين بمجلس النواب الجزائري و تحديد مكانهم لحساب المنظمة الخاصة.

A. Farès, p. 80 (132)

(133) المرجع نفسه، ص 81.

(134) المرجع نفسه.

المنظمة الخاصة

و مهما يكن، يمكننا أن نستخلص أن فارس عبد الرحمن استُدعي، انطلاقاً من جانفي 1957، في الوقت نفسه، من قبل السياسة التي كانت تبحث عن قنوات غير رسمية للتفاوض و من قبل شبكات الكفاح المسلح المتواجدة بالأراضي الفرنسية التي كانت تجمع معلومات للتّيل من سياسيين تستهدفهم.

و مع مرور الزمن، انضم إلى شبكة « أبوالكر » بن تونس أحمد، مفوض لدى مجلس النواب الجزائري، و المحامي بومنجل أحمد و شخصيات أخرى تمثل نشاطهم في الاستعلام السياسي و العسكري و القضائي، و انضم إليهم شريف فارس في الثلاثي الثاني من سنة 1959. أما زهير فارس فانضم سنة 1960. و بالتوازي مع هذا، تعززت الفرقة المكلفة بالاتصال بالأوساط الصحفية و الكاثوليكية و النقابية بانضمام عمروش جون و خميستي محمد و بوطالب و محمد فارس و بن تونس أحمد و مصباح و ولد عودية أمقران و إيملاحين¹³⁵.

و لقد أضيف إلى الفرق المكلفة بالاستعلام شبكة مراقبة مكونة من طلبة تضم كلّو حميد و سعيد بلحوسين و هاشمي سوالي، و هم أعضاء الفرع الجامعي لجبهة التحرير الوطني، و أدمجوا جميعهم في « المنظمة الخاصة » من قبل دراجي، بالإضافة إلى اثنين أو ثلاثة عناصر نسوية ليتم الاتصال بـ « سعيد » من خلالهن و كانت إحدهن صحراوي سليمة المدعوة « نادية »¹³⁶.

و لضمان الأمن و الفاعلية، طُبقت على شبكة الاستعلامات مبادئ السرية التامة، التي كانت تسود في القطاعات الأخرى للمنظمة، طبقت بصرامة أكبر: نوى صغيرة مبعثرة و لا تتعارف فيما بينها، أي نظام فصل تام. و هكذا، اجتذب « مجيد » خلية شرطين جزائريين، كانت قد تسللت داخل الشرطة القضائية نفسها و كانت تعمل لحساب المنظمة السياسية، و هما بويحي محمود¹³⁷ و شريف آيت مختار (أخ « مجيد »). و أصبحت هذه الخلية هي الشبكة الثانية التي أُضيف إليها عنصر.

(135) المرجع السابق، ص 28، أضاف أعضاء اللجنة الفيدرالية أسماء برلمانين جزائريين يشغلون مقاعد بالبرلمان الفرنسي: معلوم (من باتنة) و بن تشيكو (من قسنطينة) و خيرات (من وهران)، شهادة.

(136) تكون صحراوي سليمة قد استُدعيت مباشرة من قبل كرامان عبد الحفيظ لتلتحق بالمنظمة الخاصة (توضيح المعنية).

(137) توفي بعد 1962 في تجاهل تام دون أن يحصل على شهادة عرفان على الخدمات التي قدّمها.

كان الملازم سوامي سالم، الناشط داخل الجيش الفرنسي، يعمل، منذ بداية 1959، على تزويد المنظمة الخاصة بمعلومات عن الوضعية العسكرية و معنويات الجنود. و كان يقدّم تقاريره، عن طريق « سعيد »، حول أثر العمليات على الجيش الفرنسي بانتظام كي تستغلها اللجنة الفيدرالية.

مع ذلك، جاءت المساهمة التي قد تبدو حاسمة في بداية 1958 عندما استدعي بن دالي حسين إلى باريس ليهتم بإقامة شبكة استخبارات ثالثة مكونة من نواب وعناصر خاصة و طلبة. و كانت هذه الشبكات تهتم، من بين مهام أخرى، بإثارة الفتنة في أوساط الطلبة الأفارقة و تزويد ممثلي هذه القارة، الملتزمين في الكفاح ضد الاحتلال، بالأسلحة.

شبكة « صادق »

استقبل بن دالي حسين، عندما وصل إلى باريس في مطلع سنة 1958، من قبل « مجيد » و « سعيد » اللذين أعلماه بمهمته الجديدة و أعفي من وظائفه الأخرى التي كان يشغلها في المنظمة الخاصة، و أصبح يدعى « صادق ». أُرشدوه إلى مأوى أول، غرفة بالحي الطلابي أنطوني التي كان يشغلها رسمياً كرامان ندير، و هو طالب في الطب. و أصبح هذا المأوى سريعا خطرا على أمنه، لأن الحكومة الفرنسية كانت قد قامت بحل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، و كان من المحتمل أن تقوم الشرطة بعمليات مدهامة، و اتفق أن عناصر من الشبكة هم الذين نقلوا المعلومة قبل ساعات قليلة مما سمح له أن يفلت من حملة كبيرة قامت بها الشرطة في الحرم الجامعي للقبض على الطلبة المناضلين المطلوبين.

رجع بسرعة لمباشرة العمل، و اتصل بجميع المناضلين الذين أُعطيت له أسماءهم. لم يكن هؤلاء الأفراد، عموما، ينشطون فكان يجب الاستعانة بهم و ضمان استمرار مشاركتهم. و بما أنهم كانوا حديثين في المنظمة، كان يجب اختبار قيمتهم و الاستقصاء عنهم لمعرفة ما يمكن أن يقدموه، فيمكن استغلال كل شيء : ميّزاتهم الشخصية، معارفهم، علاقاتهم المهنية. و من بين هؤلاء الرجال يجب ذكر كلال محمد. كان هذا الأخير مفتشا لدى إدارة البرق و البريد و الهاتف الفرنسية و عضوا في نقابة سعاة البريد و عضوا في الفرع الفرنسي للدولية

المنظمة الخاصة

العملية. و فور التحاقه بالشبكة، وضع تحت تصرف المنظمة الخاصة سيارة رسمية لإدارة البريد مع سائقها (عبادة) و أوراقا معنونة و كشف الرواتب. و لم يكن المنتسبون الجدد على اتصال كبير بالمنظمة السياسية و كانوا، أحيانا، مجهولين تماما لديها. و بما أن معظمهم لم يناضلوا من قبل فقد كانت مصالح الشرطة تجهل كذلك وجودهم.

و كان يوجد، من بين المخبرين، أشخاص متميزون مثل رجل الأعمال الجزائري الذي كان يدعى « ويسكي ». كان هذا الأخير يقدّم معلومات مهمة جدا لدرجة دفعت مسؤولي المنظمة الخاصة إلى الشك في أنه عميل مزدوج. كان في الخمسينات من عمره و كان يتمتع بجرأة بالغة و يدّعي بأن لديه علاقات مهمة وسط الاستخبارات الفرنسية و في الأوساط السياسية و أوساط الأعمال.

« سأذكر دائما محفظة مملوءة بالوثائق التي تمكن من اختلاسها من أحد أصدقائه الذي يحتل مكانة بالغة الأهمية في عالم الأعمال. كانت أمامنا 24 ساعة لاستغلالها لأنه كان يجب أن يعيدها إلى مكانها قبل أن يتفطن صاحبها إلى اختفائها. كلّمت « مجيد » عن هذا فحصل لي على آلة تصوير من نوع مينوكس لم أستعملها من قبل.

و بعد أن علمني كيفية استعمالها، قضيت الليلة في تصوير الوثائق بغرفة بحى أنتوني الجامعي. كانت مُراسلة تتمحور حول شركة أرامكو¹³⁸. كانت الشركة الفرعية الفرنسية التابعة لها مسيرة من قبل شخص على علاقة مباشرة بأجهزة الاستخبارات الفرنسية. »¹³⁹.

كانت المنظمة الخاصة تهتم كذلك بالسياسيين، بآرائهم و بوجهات نظرهم حول الثورة الجزائرية. و أقامت سجلا حول كل من هؤلاء الأفراد يتضمن مراقبة مخالطاتهم و تنقلاتهم و إقامتهم. و لقد كان هذا هو الحال بالنسبة لبورجو و ساريني و بعض أعضاء مجلس الشيوخ و النواب الجزائريين الذي كان عدد كبير منهم يقطن بباريس مثل بركوك عبد القادر¹⁴⁰. و في هذا المجال، كان

(138) شركة أمريكية عضوة بالكارترل النفطي.

(139) بن دالي حسين، شهادة.

(140) ولقد نجا من محاولة اغتيال بجادة سوفرن في 29 نوفمبر 1957.

هناك رجل قدّم خدمات قيّمة وهو بن هارون عبد المالك الذي كان وكيل أعمال في الخمسينات. كان لديه مكتب بشارع جون جوريس قرب هال. وكانت له علاقات وثيقة بالبرلمانيين الفرنسيين - الجزائريين لباريس. ولقد ساعدت معارفه على وضع سجل المعلومات هذا. كان متزوجا من فرنسية و يقطن بحي أنيق بالدائرة السادسة عشر و وضع مسكنه، بصورة دائمة، تحت تصرف المنظمة.

كانت المعلومات، في المجمل، تتعلق مباشرة بالمنظمة، وعلى وجه الخصوص تلك التي ترتبط بأمن المناضلين ومسؤولي اللجنة الفيدرالية. كانت شبكة « صادق » تستلم، بانتظام، أسماء المناضلين المعروفين لدى أجهزة الشرطة وأماكن إقامتهم، مما يسمح للشبكة بتمرير المعلومة فورا للأفراد المعنيين بالأمر. وكان الأمر يتعلق أحيانا بقوائم كاملة لأسماء المناضلين الذين اكتُشف أمرهم. وفي معظم الحالات، كانت المعلومات من هذا النوع تستغل في الساعات الموالية عندما يرتبط الأمر بمآو مكتشفة أو اعتقالات مُبرمجة، وكانت هذه المعلومات تصدر، في معظمها، عن عملاء خارج الأجهزة لكن تربطهم علاقات شخصية مع أعضاء من الشرطة ومسؤولين سياسيين وحتى أفراد من الاستخبارات الفرنسية.

وهكذا، كان يمكن للشبكة أن تحصل على معلومات حول مسؤولي أجهزة التجسس و وثائق تخصّ الثورة الجزائرية أو ملاحظات مدوّنة عن شخصيات جزائرية أو قادة جبهة التحرير الوطني.

لكن المهمة كانت مهمة طويلة النفس لأنها كانت تتطلب التدريب و تدريب المناضلين على جمع المعلومات :

« قمنا بعمل ضخم و شيق يبقى بالنسبة لي إحدى أفضل فترات الحرب. كنا مشغوفين بالحصول على معلومات مباشرة، وخاصة، الاستفادة منها. وعندما كنا ننجح في إنقاذ مسؤول كان على وشك أن يلقي عليه القبض أو عندما كنا نحصل على معلومة أساسية حول السياسة الفرنسية. فقد كنا نجد ذلك أمرا رائعا. »¹⁴¹.

و لقد لعب بعض الرجال دورا حاسما في هذا العمل و يحمل عنهم بن دالي ذكرى بارزة :

(141) بن دالي حسين، المرجع المذكور.

« قام طيار شريف في هذا المجال بعمل رائع . اختلق عن نفسه صورة رجل مضطهد من قبل جبهة التحرير الوطني و الذي اضطر إلى مغادرة الجزائر لهذا السبب . كان من منطقة ميلة و كان قد عرف بن طوبال و بوصوف . كان رجلا متفانيا تفانيا مثاليا و أعطى معلومات بالغة الأهمية حصل عليها من أصدقائه السياسيين و الشرطيين . فقد كان هو الذي يزودنا بقوائم المناضلين المراقبين و بتواريخ الداهمات المبرمجة . »¹⁴² .

و بخصوص هذا الشخص ، سمح لنا عملنا ، بفعل مصادفة غريبة ، بتسجيل شهادة لخضر بن طوبال . في البداية ، لم يكن الأمر يتعلق مطلقا بالتحقيق في تاريخ المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ، وإنما تعلق الأمر بتاريخ الشمال القسنطيني لسنة 1954 ، وخلال سرده للأعمال البطولية التي سجلتها البدايات الأولى لكفاح التحرير بهذه المنطقة ، تحدث بن طوبال عن العملية الأولى التي استهدفت « الخائن المسمى طيار شريف » . و قد أطلق عليه الجنود النار ثلاث مرات على التوالي عن كثب لكن الخراطيش لم تنطلق .

« في النهاية ، ضربوه بأعقاب البنادق ليحاولوا القضاء عليه [...] و لأنه قد وقع ضحية العمل المسلح الأول للحرب و ترك على أساس أنه مات ، فقد أصبح رجلا تاريخيا نوعا ما . و هناك أشخاص آخرون خانوا بعده ، و بصورة أخطر ، لكن لم يكن لهم الشرف أن يبلغوا شهرته [...] أما طيار ، فقد أصبح مفتشا بمديرية الاستعلامات بفرنسا . و قد شارف على سن التقاعد ، و عاد ، منذ عامين ، إلى ميلة ليؤدي نوعا من الحج . »¹⁴³ .

لكن السخرية في القصة هي أن طيار لم « يختلق » صورة المضطهد من قبل جبهة التحرير الوطني كما كان بن دالي يعتقد ، لأنه نجا حقيقة من محاولة إعدام أمر بها قائد الوحدات الأولى لجيش التحرير الوطني لمنطقة ميلة ، و اضطر حقا إلى مغادرة الجزائر منذ نوفمبر 1954 . و لكن من جهة أخرى ، فإن بن طوبال الذي أصبح في 1958 وزير الداخلية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، و بهذا مسؤولا ساميا بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ، لم يكن يملك أدنى فكرة

(142) المرجع نفسه .

(143) عبد الله بن طوبال ، المرجع المذكور .

عن الخدمات التي قدّمها الرجل الذي كان، في نظره، الخائن الأكثر شهرة لحرب الجزائر. هل نستنتج من ذلك أنه كان يوجد عميل مزدوج في المنظمة أم أنه كان جزائريا حاول التكفير عن أفعاله بتحوّله إلى عميل استعلامات لدى جبهة التحرير الوطني بفرنسا؟ ستتضح لنا الأمور أكثر حول هذه الشخصية في الصفحات القادمة.

كان طيار سيد علي طالبا يدرس قانون الحقوق الدولية وأخ طيار شريف، وكان سيد علي طيار على اتصال بضباط جزائريين متمركزين بشككات بشمال فرنسا. ولقد شارك بشكل كبير في مساعدة هؤلاء العسكريين أو الضباط أو الجنود العاديين على الفرار من الجيش الفرنسي والذين انضموا، في أغلبهم، إلى جيش التحرير الوطني. وكان كذلك على علاقة بأستاذ من جامعة باريس من أصل أفغاني وقدّمه لـ «صادق» من أجل مناقشات أولية، ثم طلب بوعزيز بنفسه أن يلتقي بهذا الشخص، وهو أمر غير مألوف. وبعد مقابلة أو اثنين حصل خلالهما على كتاب موقع منه، تولى مسؤول المنظمة الخاصة الأمور بنفسه ولم نعد نسمع بعد ذلك عن هذا الأستاذ.

لم يكن بن دالي حسين يملك مساعدا يعينه على القيام بكل هذا العمل ولا كان يملك عملاء خارج باريس. كان سيد علي طيار الوحيد الذي كان يقطن بريمس. كانت الاتصالات يومية وكان يتم، أحيانا، استدعاء نفس الأفراد مرتين أو ثلاث مرات في اليوم نفسه، وكانت اللقاءات تجري في أماكن عامة أو في شقق خاصة مثل منزل الصناعي الجزائري. أما تواتر الاتصالات فكان يتوقف على العميل وقدراته والوسط الذي كان يتحرك فيه، وبهذا كان البعض يتمكن من تقديم تقارير يومية في حين كان البعض الآخر يحتاج إلى وقت أكثر لجمع معلومات قابلة للاستغلال.

كان «صادق» يقدم بعدها حصيلة أو تُحال الوثائق المستلمة كما هي إلى بوعزيز كي يستغلها. فبالفعل، كانت الكثافة الكبيرة للمعلومات الواردة من مصادر متعددة بهذا القدر من التعدّد لا تسمح بغربلتها أو بانتقائها يوميا. يبقى أنه، إن لم تكن بعض هذه المعلومات تتعلق مباشرة بالثورة الجزائرية، إلا أنه كان من المحتمل أن تهّم بلدا إفريقيا أو حركة إفريقية من أصدقاء الجزائر.

و لقد حدثنا بن دالي عن هذا الجانب المتفرد من عمله الذي كان يتجاوز مجال الاستعلام المحض ليمس أبعاد التضامن ما بين حركات التحرير الوطني .

« كنت مكلفا بإقامة علاقات مع طلبة من بلدان إفريقيا السوداء لكنني لم أكن مرخصا لتدبير أي خطة مهما كانت . أظن أن جبهة التحرير الوطني كانت تحاول دفع بعض البلدان الإفريقية لتثور على فرنسا و تحمل هذه الأخيرة على توزيع قواتها . و لقد حدث أن قمنا بتموين هؤلاء الطلبة بأسلحة كان قد قدمها لي « مجيد » . كانت حقيبة مملوءة إلى درجة أن المسؤول عن العمليات كان يجد صعوبة في رفعها . في هذه الحالة بالذات، لم يكن الأمر يتعلق بالاستعلام وإنما بالتحرير كي تنتقل البلدان الإفريقية إلى العمل المسلح . »¹⁴⁴

انطلاقا من شهر أوت 1958، اضطر الجهاز إلى مضاعفة نشاطاته أمام موجة القمع التي كانت تضرب جبهة التحرير الوطني بفرنسا . كان يجب ضمان أقصى حماية لمناضلي المنظمة الخاصة و مسؤولي المنظمة السياسية، و كان يجب كذلك أن نحترز نحن أيضا من أي تسرب محتمل أو تبليغ .

« بقيت أنشط إلى غاية مطلع 1959 . يمكنني القول أن بقائي كل هذه المدة يعود إلى تمتعي بحظ كبير إذ لم أكن أملك أي غطاء . كانت لدي بطاقة تعريف فرنسية فقط، بطاقة حقيقية تحمل اسمي . لم أكن أملك لا أوراقا مزيفة ولا شهادة عمل . كنت تحت رحمة مجرد تفتيش عادي للشرطة . و إنه لأمر خارق أن يصمد المرء في باريس عاما كاملا عندما يكون مسؤولا عن هذه المقاطعة الحساسة جدا . و من المؤكد أنني كنت محظوظا جدا لكن، من جهة أخرى، كوّنني آيت مختار و بوعزيز تكويننا جيدا، فهما اللذان علماني مبادئ الأمن الأولية . كنت، على سبيل المثال، أجيء من مرسيليا لكنني لم أكن أبلغ عائلتي بذلك أو أتصل بها قطعا . اعتُقل أبي في 1958 لكنني لم أعلم بذلك إلا سنوات من بعد [...] في باريس، لم أكن أختلط بجماعات العمال الجزائريين و لم أكن أتردد على أحيائهم . كان يجب أن أتصرف كالغريب مع الجزائريين الآخرين حتى أنه فُرض عليّ تقريبا أن أدخن وأن أتعاطى الخمر، كنت، على اتصال دائم بالعملاء و كنت، في نهاية اليوم، أعود إلى الغرفة التي وضعتها المنظمة تحت

(144) شهادة بن دالي حسين .

تصرفي، وسط باريس، ولم أكن حتى أذهب إلى مطعم لأنني لم أكن أملك، على أي حال، النقود لذلك»¹⁴⁵.

وجاءت اللحظة المصيرية، عندما تسربت معلومة أبلغت الشرطة بنشاطات قائد شبكة «صادق» وشك هذا الأخير في أن طيار هو مصدر هذا التسرب لأنه أصبح من الواضح أن الشرطة، التي كانت تزود جاسوسها بالمعلومات، كانت تنتظر منه أمرا في المقابل.

«لم يكن يمكنه الادعاء إلى ما لا نهاية بأنه ضد الجزائريين دون أن يزودهم بمعلومات. كان عليه، من دون شك، أن يثبت أنه حقا مؤيد للفرنسيين و أفترض أنه أعطى اسمي لهذا السبب. ولحسن الحظ أنه كان يجهل مكان اختبائي ولكن، بعد لقاء معه، تبعني شرطي ثم اقترب و طلب مني أوراق الشخصية، وبعد مشادة صغيرة تمكنت من التخلص منه و الالتحاق بقاعدتي. نقلت الحادثة لـ «مجيد» الذي كنت ألتقي به يوميا. و قام مع «سعيد» باتخاذ قرار تحويلي إلى ألمانيا.»¹⁴⁶.

و ذات يوم، جاءت شابتان لتنقلا، على متن سيارة، كلا من بن دالي و رفيقه محمد بلحواس من مرسيليا حتى حدود سويسرا ثم وُجِّها بعد ذلك إلى كولوني في ألمانيا.

الإيواء

في دراسة من هذا النوع، لا يمكننا أن نمر مرور الكرام على أولئك الذين قبلوا فتح أبواب منازلهم للمناضلين المطلوبين.

عندما لم يكونوا يتمكنون من إعطاء معلومات، كان أعضاء شبكة «الاستعلامات» يعيرون منازلهم، التي كانت تتحول عندها إلى مأو لأعضاء المنظمة الخاصة أو إلى مخابئ للوثائق والأسلحة. وهو الحال بالنسبة للوناس نور، موظف بمؤسسة برلitz، وزوجته بلوميهوف كوليت اللذين أُلقي عليهما القبض سنة 1958 بعد أن قاما بإيواء أوراعي مولود. و قام مناضلون آخرون كذلك

(145) ح. بن دالي، المرجع المذكور.

(146) المرجع نفسه.

المنظمة الخاصة

بأيواء أعضاء المنظمة الخاصة مثل ذلك التونسي، الذي كان يدرس الطب، و كان عضوا بالـ « نيو-دستور » و بجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، أو أيضا حرقاص أحمد. و قد اعتقلا بدورهما سنة 1958. و ضمن هذه الشبكة، كانت توجد كذلك عائلة صحراوي التي قد يكون والدها « ويسكي » على علاقة بالمديرية الفرعية للتجسس و التجسس المضاد و مديرية مراقبة الإقليم.

و لقد استُعملت بعض الفنادق كموقع للتقاء للكونندوس العائدين من المغرب. و نجد، من بين هذه الفنادق، فندق لو كس هوتيل، الذي كان يملكه الأخوان بودينار، أو فندق جادة بيرير، الذي كان يملكه زينات. أما فندق شارع هوشيت قرب حانة « الجزائر » فقد كان يستخدم كمكان لتمرير و إخفاء الأسلحة.

و إضافة إلى هذه الشبكة، نضيف العديد من غرف حي أنطوني الجامعي التي قدمت هي كذلك خدمات كبيرة. لكن غرف الأحياء الجامعية، شأنها شأن منازل الأفراد و الفنادق، ليست أماكن آمنة تماما و يمكن أن تؤدي، بسهولة، اعتقالات مناضلين تمّ تعذيبهم، إلى تحديد هذه الأماكن و التسبب في اعتقالات جديدة.

اللوجستية

في هذا المجال كما في مجال التقطيع الإقليمي و في مجال الاستعلامات، لا يمكن للمقاربة التیمیّة أن تستغني عن الاستعانة بالكرونولوجيا لأن الوقائع التي تمس بهذا الجانب المميّز جدا للمنظمة قد تطوّرت و تغيّرت طبيعتها بسبب مجرى الأحداث. من جهة أخرى، اشتدت، مع مرور الوقت، التداخلات بين مختلف مستويات المنظمة السياسية و المنظمة العسكرية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا، إلى درجة حدوث تداخل بين سلطة اللجنة الفيدرالية و هيكلها و سلطة وزارة التسليح و العلاقات العامة التي كان يديرها عبد الحفيظ بوصوف¹⁴⁷. سنتعمق، في الصفحات القادمة، في هذا الجانب المهم جدا لمشكل تداخل المستويات، الذي أثر أيضا في الأقسام الأخرى لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بألمانيا. أما الآن فسنكتفي بمتابعة الإنشاء التدريجي لشبكات المنظمة الخاصة اللوجستية و دورها في تطوير الكفاح المسلح بفرنسا.

(147) وزير الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و عضو بالمجلس المشترك بين الوزارات للحرب.

عندما انطلقت، في 1957، العمليات الأولى ضد أهداف مدنية وعسكرية في الأراضي الفرنسية، كانت الإمدادات في الأسلحة لا تزال في بدايتها. ومن خلال شهادات الذين تعاقبوا، ما بين 1956 و 1958، على رأس اللجنة « اللوجستية » رأينا كيف جرت الأمور على أرض الواقع : اتصالات غير آمنة، اتصالات متقطعة، معدات قديمة أو غير ملائمة و هيكل متابعة يكاد يكون منعزلا تقريبا. كانت الأسلحة القليلة الموضوعة تحت تصرف « المنظمة الخاصة » تأتي من المنظمة الأم أو من « فرق التدخل » التي كانت تستعملها هي كذلك ولكن لأغراض أخرى. في الأساس، وإلى غاية اندلاع هجوم أوت 1958، كان كل قسم من أقسام المنظمة الخاصة يتدبر أموره كما يستطيع للحصول على الأسلحة : متفجرات و صواعق، وسائل النقل، مخابئ و مآوي.

و حسب عمار سعداوي : « الأسلحة الوحيدة التي كانت بحوزتنا في البداية هي أسلحة بيريتا و مسدسات كولت أمريكية حصلنا عليها من عند بعض التجار. ولكن جبهة التحرير الوطني وفرت لنا، فيما بعد، مدافع رشاشة من نوع ستان من أصل إنجليزي و أخرى فرنسية من نوع مات. كنا مدججين بالأسلحة استعدادا ليوم 25 أوت. »¹⁴⁸.

أكد علي مختار أنّ بذرة منظمة لوجستية لم تتكون إلا في 1958 مع تعيين الطبيب إدريس كمسؤول عن تخزين الأسلحة و إصلاحها. كان يساعده في مهمته هذه أنموثان أحمد و محمد سعيد بابي اللذان سيحتلان مكانه بعد اعتقاله في 25 أوت 1958.

و مرة أخرى قامت المنظمة السياسية بتزويدهم بالمخزونات الأولى : بعض المسدسات من نوع أسترا و مدافع رشاشة من نوع ستان، و هي أسلحة ثقيلة جدا لتستعمل في المناطق الحضرية. لم تكن لديهم بعد لا قنابل يدوية، هجومية أو دفاعية، و لا عبوات ناسفة، وإنما فقط متفجرات شديت القديمة و فتائل متفجرات من نوع بيكفوردر غالبا ما تكون رطبة و بذلك غير فعالة.

و انطلاقا من الأشهر الأولى لتعيينهما على رأس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و المنظمة الخاصة، انكبّ عمار بوداود و بوعزيز رابح في إرساء المعالم الأولى للشبكة اللوجستية بحصر المعنى. و كان هدفهما الرئيسي التزود بالأسلحة

(148) ع. سعداوي، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة

و تكوين كومندوس من أجل الهجوم المخطط له. ولهذا كانا على اتصال مع قناتين لجبهة التحرير الوطني، واحدة بإسبانيا (محمد يوسف) و الثانية بألمانيا (كرامان عبد الحفيظ المدعو «مالك»). و كانت المدة التي تفصلهما عن شهر أوت قصيرة جدا بحيث لا تسمح بالحصول حقا على نتائج مُرضية، يجب أيضا أن يؤخذ بالاعتبار أنهما كانا يعملان في جو، إن لم يكن عدائيا، فهو على الأقل لا يميل كثيرا إلى التعاون.

كان عمار بوداود، و قد مرّ بالمغرب، يعرف أقسام اللوجستية و التسليح حيث كان أخوه منصور يلعب دورا رائدا، و كان كذلك على علم بالتفجيرات التي نُظِّمت انطلاقا من هذه القاعدة الخلفية و التي استهدفت القطارات و الطائرات بمنطقة وهران، في الجبهة الغربية. فقام إذن بالاستنجاد بالولاية الخامسة كي تساعد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني على تحقيق الهدف الذي كانت تصبو إليه لجنة التنسيق و التنفيذ. فتم التركيز على مشروعين رئيسيين : تكوين المختصين في المتفجرات و تسليم الأسلحة.

القاعدة الخلفية المغربية

علينا هنا أن نستطرد لنتكلم عما حدث بالمغرب لنفهم فهما أفضل الصلة التي ربطت أجهزة بوصوف بالمنظمة السياسية و العسكرية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا.

قبل 1955، لم تكن جبهة التحرير الوطني تملك هيكلًا رسميًا بالمغرب. كانت توجد رابطة جزائريين يقودها بن عيسى عيسى و سعيد توتاح¹⁴⁹ و إسعد¹⁵⁰ لكنها كانت تكتفي بنصح أعضائها بأن يلتحقوا بالمقاومة في الجبال. و بعد قيامه برحلة أولى إلى الجزائر، حيث التقى، على ما يبدو، ببن مهدي و بن خدة، عاد بن عيسى مكلفا بمهمة تنظيم المساعدة المادية و جمع المساهمات المالية اللازمة لتمويل الثورة الجزائرية.

و بالموازاة مع هذه الاتصالات، قامت الولاية الخامسة، التي كان يقودها آنذاك بن مهدي العربي، بإقامة مقرها بالناظور بمنطقة الريف حيث كانت توجد

(149) مناضل سابق بحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

(150) موظف بالدائرة المغربية شارك في المقاومة الوطنية لهذا البلد ضد الاستعمار الفرنسي.

معسكرات جيش التحرير المغربي . و لقد قام أحد قادة هذا الجيش، و هو العقيد بن ميلود، بتسليم معسكر خميسات¹⁵¹ لـ « المحاربين الجزائريين » . و بهذا المكان، من بين أماكن أخرى، نشأت فكرة مشروع إقامة جيش تحريري لإفريقيا الشمالية، بتوسط كل من آهردان¹⁵² و الطبيب خطيب¹⁵³ .

في أبريل 1955، عاود بوضياف، بصفة رسمية، باسم قيادة جبهة التحرير الوطني، الاتصال بالجالية الجزائرية . ثم وُحِدَ هياكل المقاومة الجزائرية بالمغرب و كَلَّفَ بن عيسى بالاهتمام بالجانب السياسي . أمّا إِسْعَدُ فُعَيْنَ على رأس مصلحة الاستعادة الذي تحول فيما بعد إلى مصلحة اللوجستية . و تحوّل عندها هيكل الودادية القديم إلى فيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب ثم انقسمت، في الحال، إلى خلايا سرية لأن البلد الشقيق كان لا يزال تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، و أصبح الاتصال بقيادة الجبهة يتم عن طريق إِسْعَدُ الذي كان يلتقي، بانتظام، بمحمد بوضياف الذي كان مستقرا بتيطوان . و يشير هارون علي، في هذه المسألة، إلى انتخاب الطبيب دامرجي رئيسا لودادية جزائريي المغرب، و كان عندها هو نفسه مسؤولا، تحت اسم « ثامي »، عن فرع مدينة فاس . و في ربيع 1956، قام بوضياف و بن بلة و دباغين لمين بتعيين ثعاليي الطبيب، المدعو « سي علال »، على رأس فيدرالية المغرب لجبهة التحرير الوطني¹⁵⁴ .

باشِرُ إِسْعَدُ العمل في الحال و بدأ بالتزود بالأسلحة و الألبسة و الأحذية و كل ما يحتاجه الجندي الجيد . و اهتم كذلك بتجنيد أفراد ليلتحقوا بجيش التحرير الوطني في الجبال، و هكذا تعرّف بعيسى عبد الصمد¹⁵⁵ . كان هذا الأخير قد تكوّن تكويننا تقنيا في مكان عمله بأحد معسكرات القوات الجوية الأمريكية

A. Haroun, *Op. cit.*, p. 42 (151)

(152) مناضل مغربي من أصحاب النزعة الوطنية . أخذ موقفا ضد فلاوي في 1953 والتحق بالمجلس الوطني للمقاومة . أسس، في 1957، مع الطبيب خطيب وقياديين وطنيين آخرين، الحركة الشعبية . أصبح فيما بعد وزير القوات المسلحة للحكومة المغربية .

(153) عبد الكريم الخطيب هو مناضل وطني مغربي، كان عضوا بحزب الاستقلال قبل أن يؤسس الحركة الشعبية سنة 1957 . وهو أحد المساندين الرئيسيين لجبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني بالمغرب .

Ali Haroun, *La 7^{ème} wilaya, La guerre du FLN en France, 1954-1962*, Paris, Le Seuil, (154) 1986, p. 13.

(155) بفضلته تم جمع جميع المعلومات المتعلقة باللوجستية .

بالمغرب¹⁵⁶. عندما جاء ليتجنّد و ينضم إلى مقاومة الولاية الخامسة بالجبال، أثار ملمحه بشدّة اهتمام مسؤول اللوجستية، الذي كان في غاية السعادة لحيازته على شخص يزعم بأنه عمل في مصلحة الهندسة العسكرية الأمريكية، و أُدمج مباشرة في مصلحة اللوجستية و التسليح و أُبقي في منطقة الحدود للحاجة. كانت مهمته الأولى تتمثل في جمع العتاد و التجهيزات العسكرية ثم سرعان ما كلف بمهمة أخرى تفوق مهمته الأولى أهمية و تتمثل في صنع أجهزة متفجرة للجبهة.

و هكذا، بدأ فصل غير معروف جيدا من فصول حرب التحرير، هو فصل صناعة المتفجرات و تكوين المختصين في الذخيرة و المتفجرات لصالح جيش التحرير الوطني. و نظرا إلى أن البعض من هؤلاء عملوا فيما بعد في صفوف المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، فالأمر يستحق أن نتوقف عند بعض الجوانب المهمة لعملية بناء هذا القسم.

اختراعات و اكتشافات متفجرة

نظرا لتصريحاته المبالغ فيها بعض الشيء حول تكوينه التقني، اضطر عيسى عبد الصمد أن يظهر ما هو قادر عليه في هذا المجال الحساس جدا : مجال المتفجرات. صحيح أنه اطلع، في القاعدة الأمريكية التي كان يعمل بها، على كُتبان صغيران مكتوبان باللغة الإنجليزية يشبهان كثيرا دليل تعليمات عسكرية لضباط الهندسة ؛ و كان مليئا برسومات بيانية و مخططات تصف كيفية صناعة المتفجرات و تحطيم جسر. و كان يتصفّحه سرا، لساعات طويلة، مفكرا في الخدمات التي قد يُسديها في الحرب ضد الاستعمار. لكن هذا كان لا يزال مجرد افتراض. كان قد اكتسب، في الجزائر، لمدة عامين، مبادئ في الكهرباء كمتدرّب بمؤسسة أَلزاسي. و لكن هنا كذلك كانت معرفة تقريبية. و في الأخير، أُدمج، بالمغرب، في القاعدة الأمريكية، بورشة إصلاح قطع الغيار التالفة للطائرات. و مع ذلك، فقد قام، استنادا لهذه المعارف القليلة، كمتدرّب كهربائي و خراط، بالخوض في هذه المغامرة الخطيرة المتمثلة في صناعة الأجهزة المتفجرة.

« بدأت بصناعة لغم مضاد للدبابات. و تصرفت مع هذا الجهاز و كأني أعرف تقنيته. كنت خائفا في الحقيقة. و قد عرفت من الكتب أن متفجر

(156) كانت توجد آنذاك ثلاث قاعدات بقنيطرة و نواصرة و سيدي سليمان.

شديت، المستعمل في الألغام، متفجّر شديد الخطورة و تصل خطورته خطورة النيتروغليسرين. لم يكن هذا المتفجر يصلح للتخزين ولكنه كان كل ما بحوزتنا. و لم يكن ثالث نترات التولوين و البلاستيك المتفجر في متناولنا بعد، و لم يكن لدينا حتى الصواعق. اضطررت إذن لتصميم نظام إشعال آخر. تذكرت خرطوشات الصيد وبدأت بصناعة نظام إغلاق ضعيف يسمح بحدوث انفجار عند الإشعال.

قمنا بتجارب لمدة أشهر لتصحيح المقادير. كان يحضر هذه التجارب كل من إسعد و منصور بوداود، اللذان كانا آنذاك ملتحيان و يرتديان لباسا عسكريا، و هي التجارب التي كانت تجرى عند البحر، على بعد 80 كلم من الدار البيضاء. و كان يوجد كذلك عثمان سيف الإسلام، و هو طبيب مقيم بالمغرب قدّم الكثير للوجستية، كنت ألاحظ، في نفس الوقت، أنه عندما يحصل المرء على الدليل و العتاد و يعرف المقادير، فإن صنع المتفجرات هو في متناول الجميع. لكن المشكل الوحيد هو أننا لم نكن نملك شيئا تقريبا. كنا مضطرين لسرقة متفجر الشديت من المحاجر أو الحصول عليه من عمال المناجم.

كنا نملك، خلال المرحلة الأولى، متفجر الشديت لكن لم تكن لدينا الصواعق. كانت جميع المنافذ مسدودة أمامي. كان عليّ أن أجد نظاما لأجعل الشعلة تنطلق مهما كلف الأمر. و في الأخير، كان أمرا جيدا ألا تكون بحوزتي صواعق لأن هذا أرغمني على ابتكار شيء يؤدي الوظيفة نفسها. فكرت أنه، في نهاية المطاف، سيكون اتباع هذه الطريقة أسهل بالنسبة لمقاتلي المناطق الداخلية لأنهم كانوا يفتقرون للعتاد أكثر منا. و حتى فيما بعد، عندما تحصلنا على الصواعق، بقيت أتبع الطريقة نفسها : نظام فعال مع الوسائل التي بحوزتنا.

كان الجهاز على شكل أنبوب كهربائي ملحم بصفائح غليظة من جانب و صفائح رقيقة جدا من الجانب الآخر. كانت توجد بداخله مقاومة كهربائية صغيرة من نوع تلك التي كانت تُستعمل في القداحات. كان الجهاز مليئا بالبارود و مُمدّا بطارية كهربائية، و كانت المقاومة مُحاطة بحاجبة لحمايتها، و عندما كانت توقد كان البارود يُمسّ و يُحدث فرقة. عندما يكون البارود مرصوفا جيدا

يصبح خطيرا و سهل التفجير . و في الحقيقة، فإن الفرقعة هي التي تسبب انفجار مفجر الشدّيت و ليس الشُعلة . كانت التجارب الأولى تتم بأجهزة مصنوعة انطلاقا من قذائف مدافع طولها 105 ملم أو قذائف مدافع هاؤن طولها 80 ملم . و أخيرا أتى تدريبي في الكهرباء بشماره لأنه ساعدني على ابتكار نظام تحكم عن بُعد، و لكننا اضطررنا، مع ذلك، إلى تكرار التجربة مرات عديدة . استعملنا، في البداية، أسلاكاً طولها 200 م موصولة ببطارية سيارة قوتها 9 فولط . فجرنا اللغم الأول بمنتصف الليل لتفادي وجود فضوليين محتملين، و أخطأنا بهذا لأن الدوي كان مُصمّا و ارتدّ على بُعد أميال . تعرضت أذاننا إلى ضربة قاسية، خاصة أننا كنا قد استعملنا شحنة 5 كلغ من المتفجرات . كانت هذه محاولتنا الأولى .¹⁵⁷

استمرّ العمل بعزم، و لم يلبث أن التحق بالمختص في المتفجرات، الذي أصبحه عبد الصمد، مساعدون للقيام بالإنتاج بالجملة . كان بشير صاري، من تلمسان، المجند الجديد الأول و كان يحظى بالتقدير بسبب شجاعته و تصميمه و خفة روحه، و معا انكبّا على ابتكار أنظمة جديدة لتخريب الجسور و السكك الحديدية . و سرعان ما اضطررنا للتخلي عن الأسلاك الكهربائية لأن الجهاز لا يمكنه أن يصمد مع مرور الوقت . و بالفعل أصبح النظام الكهربائي، بعد أسبوع، غير صالح، فابتكر عيسى نوعا من الأسورة متقنة خصيصا لتتحمل الشحنات التي يجب أن توضع على خطوط السكة الحديدية، و هي شحن تندلع بالاحتكاك، و هو ما يسمح للجنود بالابتعاد قبل وصول القطار و بهذا يمكن تفادي تعرضهم للمطاردة من قبل الوحدات الموجودة على متن عربات القطار . كانت المشاغل نفسها هي التي تقود بحوثه : تقديم ما هو أبسط و أنجع بوسائل أولية . و نتج عن هذا سهولة تعليم هذه التقنيات للمتعلمين المتخصصين في التفجير لدى جيش التحرير الوطني و المقاومة الداخلية .

سيستغرق وصف هذا العمل الذي شارك فيه رجال اللوجستية بالمغرب وقتا طويلا، و هو موضوع يستحق بالتأكيد أن تُكرّس بصدده دراسة كاملة لهذا الجانب من الكفاح . و لكن ما يهمنا هنا هو تسليط بعض الضوء على ما سيحوّل إلى إحدى أهم القواعد الخلفية ؛ و على رجال أثّروا تأثيرا كبيرا في تطور الكفاح المسلح بالجزائر و بفرنسا .

(157) عيسى عبد الصمد، شهادة .

و في هذا المجال، يجب ذكر معابد مهدي، و هو معلم سابق بجنوب المغرب أصله من بيريفو (المحمدية، الجزائر)، و رمضان (س)، تاجر سمك كان يسافر بانتظام إلى الجزائر العاصمة بشاحنة معبأة بالأجهزة المتفجرة التي كان يسلمها لجماعات سعدي ياسف. و بوجود كل هؤلاء الرجال، أصبحت الشبكة اللوجستية، مع توفر الإنتاج و النقل و سلسلة الشحن، جاهزة للعمل أخيرا.

« أظن أن معركة الجزائر تم خوضها بأجهزتنا [...] كنت أتابع العمليات في الجرائد و كنت أستطيع، حسب قوتها، تحديد إذا ما كانت القنابل من صنعنا. أظن أن الجزائر العاصمة كانت تملك ورشتين فقط، و لم يكن طالب عبد الرحمن يصنع إلا قنابل قوتها ضعيفة مثل تفجيرات المصابيح المركزة لملاعب الأبيار [...] و بدأنا نبعث كميات كبيرة من 20 إلى 30 جهازا للحمولة الواحدة. بعد ذلك، تناقص العدد و لم نعد نبعث إلا آلية التوقيت و البلاستيك. و مع هذا النوع الجديد من المتفجرات لم نعد نحتاج إلى جسم معدني بل أصبحنا نحتاج فقط إلى الصاعق. و اشتغلنا بهذه الطريقة إلى غاية 1957، يوم اضطرت شاحنة إلى العودة دون تسليم حمولتها. و بالفعل، فقد تأثرت الشبكات تأثرا حقيقيا بعد مجرى الأحداث الذي اتخذته معركة الجزائر »¹⁵⁸.

دمج الشبكات

بعد اعتقال بوضياف، انتقلت اللوجستية تحت قيادة الولاية الخامسة التي كان يقودها آنذاك بوصوف قبل أن يصبح وزيرا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. و ترأس إسعد المصلحة التي كانت تتراسل مباشرة مع مجلس قيادة الولاية. و كان يساعده معابد مهدي و منصور بوداود. كان الطبيب « دريس »¹⁵⁹ يهتم بالعلاقات الخارجية و بالبحث في مجال التسليح و بالعلاقات مع غرب الجزائر، بينما كان بن عيسى عيسى مسؤولا إقليميا عن مصلحة الاستعادة.

و في مستوى آخر، كان عيسى عبد الصمد يدير قسم صنع المتفجرات الذي كان عضوا فيه بوشوك مراد¹⁶⁰ و شبل محمد و سعيد توتاح و لبصير عزيز و (س) فار الذهب و (س) دالي.

(158) المرجع السابق.

(159) اسمه الحقيقي الطبيب غنيش وأصله من مغنية.

(160) توفي في 1959 و هو يجرب قذيفة مدفع هاون.

عندما تولّى العقيد عمران، لفترة من الزمن في مارس 1958، قيادة مصلحة التسليح بلجنة التنسيق و التنفيذ، قام بترقية منصور بوداود بتعيينه المسؤول الأول عن اللوجستية بالمغرب محلّ إسعد . اتّصل بوداود عمر بلوجستية المغرب بوساطة أخيه منصور . و مع احتمال إجراء عمليات واسعة النطاق بفرنسا، كانت فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني بحاجة ماسة للأسلحة و المتفجرات و « بطبيعة الحال » لجأت إلى اللوجستية .

و يبدو أن الشحنة الأولى لمؤونة الأسلحة و الذخيرة أُرسلت في ربيع 1958 . وبما أنه لا يمكن للأسلحة أن تأتي إلا من الخارج، كان يجب التفكير في أنجع طريقة لنقل هذه الحمولة الخطيرة دون أن تُمسك بالحدود . فانكبّ الجميع على المهمة : إسعد و مهدي و سيف الإسلام و عيسى، و فكّروا في بعث سيارتين سياحيتين انطلاقا من المغرب و لكن لتحقيق ذلك كان يجب القيام بتهيئة السيارتين . حُوّلت السيارة الأولى بالدار البيضاء، فقاموا بصنع صندوق متكيف مع المقعد الخلفي و عدّلوا خزان الوقود لوضع خمس رشاشات و مسدسين و ذخائر¹⁶¹ . أما السيارة الثانية فوضعوا بها المتفجرات .

كلّف عبد الصمد باستلام الشحنة الأولى و بتسليم الحمولة إلى أصحابها . يبقى مع ذلك مشكل قيادة السيارات و اجتياز الحدود، فبعثت اللجنة الفيدرالية للسياسة عميل ارتباط : شابة جميلة شقراء، أما السيارة الثانية فاستلمتها زوجة محام جزائري قاطن بالمغرب، ثم ضُبط كل شيء : خط الرحلة و جدول الوقت و أماكن اللقاء، قبل أن يستقل عيسى، و بحوزته جواز سفر مغربي، الطائرة إلى باريس عن طريق مدريد و روما .

« لتفادي بقاء السيارات مركونة لوقت طويل، كان يجب علي أن أكون بعين المكان و أن ألتحق بهم بسرعة . كان مكان اللقاء بشارع راسباي . لم أكن مرتاحا جدا، كنت قد غيرت سيارة الأجرة مرات عديدة و عاينت المكان لكن الشك بقي يساورني . في بعض الأحيان، كنت أتصور أنّ جميع المارين هم من الشرطة و أحيانا أخرى كانوا يبدوون لي مجرد متنزهين هادئين .

(161) يتكلم هارون علي عن حوالي خمسين مسدسا و عشرات المدافع الرشاشة و 2500 خرطوشة .

A. Haroun, *Op.cit.*, p. 206

ربما كان مناضلو فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني يظنون أنني متعود على السفر. و الواقع، أن ذلك كان تنقلي الأول إلى الخارج بما أن المغرب و تونس لم يكونا في نظري « الخارج ». كنت أشعر بالتوتر و انتظرت بالخارج عميلة ارتباطي قبل دخول المقهى، و يبدو أنها فعلت الشيء نفسه لأنني لمحتها بسرعة و حيننا بعضنا بصوت عال و كأننا معارف قديمة، و هو أمر أخرجني في هذه البيئة غير المألوفة جدا لديّ. أخذتني بالسيارة إلى عند العدلاني قدور الذي كان ينتظرنا بشقة جميلة بالدائرة السادسة عشر، و أحسب أن صاحبها فرد من أفراد عائلة تمزالي. كان هناك برفقة قدور و مناضلين آخرين. أمضيت بها ليلتين، كان بها حمام كبير و سرير كبير مغطى بأغطية جميلة ؛ كل هذا تحت تصرفي. كان هذا يعوّضي أيما تعويض عن السرير القاسي بمعسكر تيطوان. ¹⁶².

نفهم إذن أن مبعوثنا، القادم من معسكرات المغرب، كان يخشى أن يعتاد كثيرا على الراحة الباريسية ؛ لكن مسؤولي فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني لم يتركوا له الوقت لذلك. كان عليه تأمين تفريغ السيارات و تسليم الأسلحة إلى المنظمة الخاصة. التقى إذن ببوعزيز الذي أخذه على عاتقه و أوامه بفندق تديره عائلة بريطانية. كان الجو ثقيلًا بباريس بسبب حدوث العديد من الاعتقالات و قضى عيسى، على سبيل الأمن، كامل وقته في غرفته بالفندق و كان يتناول طعامه بحجرة غسل الأواني.

« بعد مضيّ عدة أيام، جاءني بوعزيز من أجل تفريغ السيارات. لم يكن المكان الأول الذي اقترحه عليّ يبدو لي آمنا و هو أمر أخرجته كثيرا. لم أكن أعرفه و لم أرد التدخل في عمله لكنه تحدّث مع المناضل الذي اقترح فكرة هذا المرآب بقوة و قام بتهديده. بعد ذلك، أخذني عند فرنسيّة تبلغ من العمر 45 أو 50 سنة، و هي مقاومة سابقة ضد الاحتلال الألماني، ثم ذهب ليؤمن مكانا آخر للتفريغ [...] و بعد قيادتنا السيارة لبضع دقائق وصلنا أمام فيلا. كانت السيارات موقوفة في مرآب كبير، و كان بوعزيز قد جلب بدلات عمل و باشرنا عملية التفريغ على الفور [...] كان يجب الإسراع لأن وجودنا في ذلك المرآب قد يثير فضول أحدهم. وضعنا حرسا في الناحية و باشرنا العمل، و بسرعة فككت السيارات

(162) المرجع نفسه.

و أُعيد تجميعها بالسرعة ذاتها. أما المساحات التي بقيت فارغة، فقد سُدت بوضع رزمات كبيرة فوقها و التي اتّضح أنها كانت مليئة بالنقود. و لم أعرف ذلك إلا بعد وصولي إلى المغرب عندما أخبرني إسعد [...] التقيت ببوعزيز أياما فيما بعد لمناقشة مسألة القنابل و الحمولات المستقبلية. كان يبدو لي أن تنظيمهم و طرائق اتصالاتهم كانت مضبوطة ضبطا جيدا، كانت هذه هي السرية الحقيقية، و هو أمر أثار إعجابي كثيرا. كانت الأمور تسير بسرعة. لم تكن نضيج الوقت، في حين كان الجميع في الفنادق و المنازل الخاصة يحرسون حرصا على التكتّم. لم أملاً يوما استثمارا شرطة و لم يسألني أحد من أكون، و عند نهاية المهمة أخذت الطائرة إلى المغرب مرورا بروما. «¹⁶³.

و بعد هذه البعثة الأولى للأسلحة نحو فرنسا، تم إيقاف العملية مع أن السلسلة اشتغلت على أفضل نحو. و مضت أشهر قبل أن تُستأنف العملية و لكن انطلاقا من ألمانيا هذه المرة.

بعد إخفاق الطبيب « دريس » في قضية ليديس، و هي سفينة مدججة بالأسلحة و العتاد أوقفها البحرية الفرنسية، عُيّن معابد مهدي من قبل بوصوف مسؤولا جديدا عن العلاقات الخارجية. و لقد أُنعت الإيقافات المتتالية لحمولات الأسلحة القادمة من مصر، أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ، و بوصوف على وجه الخصوص، أن تغيير الرجال و إيجاد سلاسل جديدة لشراء الأسلحة و تمريرها أصبح أمرا مستعجلا. فوجّه معابد إلى ألمانيا و هو مكلف بهذه المهمة، و لكنه كلف بمهمة ثانية كذلك و هي « وضع نفسه تحت تصرف فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني » لأن بوداود عمر كان قد طلب المساعدة منذ وقت. لهذا، مع نهاية 1958 و خاصة انطلاقا من 1959، وجدت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني نفسها مُدرجة، من قبل معابد و منصور بوداود، في شبكة قويّة للتزويد بالأسلحة و القنابل. و بالرغم من إنكار هارون علي¹⁶⁴، فقد طرحت، التبعية المزدوجة للشبكات اللوجستية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا و إسبانيا و ألمانيا، طرحت على فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني مشكل تداخل المستويات و السلطة كما سنرى لاحقا.

(163) المرجع السابق.

(164) انظر : A. Haroun, *Op.cit.*, p. 207, note 2.

التسليح، السلسلة الألمانية

رأينا في الفصول السابقة المعاناة التي واجهتها فرق التدخل ثم عناصر المنظمة الخاصة في الحصول على الأسلحة المواتية لتأدية مهامهم. وبقيت هذه المسألة معلقة إلى غاية 1958 عندما وصلت الحمولة الأولى إلى فيدرالية فرنسا من المغرب عن طريق إسبانيا. في الواقع، لم تصل الأسلحة أخيرا إلى وجهتها إلا بعد اندلاع هجوم أوت 1958، بكميات كبيرة ونوعية جيدة هذه المرة وبصفة منتظمة. أولا، سنة 1958، ثم، بصورة أكبر، سنة 1959 و 1960، وبهذا أصبحت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الوجهة الرئيسية لهذه الشبكة القوية للتزويد بالأسلحة والذخائر المستقرة بألمانيا.

نحن نعرف، من خلال الأعمال المنشورة، الدور الذي لعبه معابد في إطلاق هذه الشبكة¹⁶⁵، ولكننا لا نملك الكثير من العناصر حول الأسباب التي جعلت ألمانيا تتحول إلى هذا الممّون بالسلاح، المميز جدا، للثورة الجزائرية¹⁶⁶. هذه المسألة شغلت بال مساعد معابد، عيسى عبد الصمد، الذي كانت مهمته الجديدة تتمثل في إقامة ورشة صناعة القنابل في هذا البلد.

في الحقيقة، كانت إحدى الأسباب الأولى لاختيار ألمانيا تتمثل في أن هذا البلد ألزم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، من قبل القوانين الدولية، بعدم صنع أي نوع من أنواع الأسلحة ولا أي أجهزة يمكنها أن تستعمل لغايات عسكرية. وعندما تمت المصادقة، سنة 1949، على القانون الأساسي لألمانيا الفيدرالية، لم تأت أي مادة لتقتن صناعة الأسلحة والمتاجرة بها لأن هذا الأمر كان بسلطة الحلفاء وحدهم. ولقد استغل التجار والمهربون من كل نوع هذا الفراغ القانوني لتطوير نشاطهم. كان هذا النشاط، خارج برلين، مزدهرا، وكانت بعض شركات شمال البلاد تمّون هذا السوق بوفرة. كان الأمريكيون يشترون أسلحة « الفرماخت » كذكّار، وأولئك الذين لم يتمكنوا من الحصول، خلال الحرب، على غنيمة حرب، مسدس أو حربة، كانوا يذهبون إلى ألمانيا للحصول عليها. وكان الألمان، من جهتهم، يعيدون شراء المخزونات الأمريكية للحرب العالمية

Bert Egleman : Mes amis les marchands d'armes : A. Haroun, p. 207 et suiv (165)

(باللغة الألمانية) استشهد به ع. عبد الصمد.

166) انظر : Bert Egleman : Mes amis les marchands d'armes. استشهد به ع. عبد الصمد.

الثانية. و كانت شركات تصدّر رسميا بنادق غير قابلة للاستعمال بسبب سحبهم للزناد. و جعلت الكثير من هذه الشركات من هذه التجارة نشاطها الأساسي، و لهذا، انطلاقا من 1954، اضطر ممثلو جبهة التحرير الوطني بالقاهرة للالتفات إلى هذه الناحية. و يعود السبب الآخر إلى بقاء ضباط مدرّبين سابقين للفيلق العربي، بمصر و ليبيا، بالشرق العربي. كان أحدهم هو هاينز سبرينجر الذي كان معروفا حينها على أنه ممون الأسلحة الأول و الأكثر ثباتا لجبهة التحرير الوطني. و بعد استقلال الجزائر، اقترح أن يعيد شراء الأسلحة ذاتها ليعيد بيعها لحركات تحرير أخرى.

« أتذكر بعض أشخاص هذه السلسلة : الطبيب كروغر و أوتو شلوتر دو هامبور و سايندشوم و النقيب رومر من الفرماخت. كان هذا الأخير مؤتمن هيتلر الذي كلفه، بعد انقلاب الجنرالات، بأن يبعد الجميع عنه. كان قد فقد عينا في الجبهة الروسية، و كان يعرف جزائريين كانوا قد خدموا في صفوف الفيلق العربي ؛ و كان، بالمناسبة، يكنّ لهم احتراما كبيرا بسبب الشجاعة التي أظهروها إبّان الحرب. [...] كنا نتفادى أحدا يُدعى مولر دو فرانكفورت لأننا كنا نشك في أنه وراء العملية التي كادت أن تؤدي بحياة نواصيرية. [...] كان بوكهارت جورج تاجر أسلحة آخر مقيم بطنجة و التحق بمعايد بألمانيا¹⁶⁷. [...] و كان رودى هانك مناضلا يعتبر كمناضل دائم في جبهة التحرير الوطني، و كان قد شارك في الحرب بالجبهة الروسية في سلاح الاتصالات، و كان يتكلم عدّة لغات. كان يتقاضى راتبا و يتكفّل بالاتصالات. لكن لم يكن يوما يعرف ما الأسرار : كان يجهل مصدر التمويل و أماكن المستودعات التي كنا نضع فيها العتاد. كان الدور الذي يلعبه ضروريا لأن وجود وسيط، في بلد كان مهربو الأسلحة فيه لا يزالون يترددون في التعامل مع الحركات الثورية، كان أمرا لا بدّ منه. كانت بعض الشركات تموّن فرنسا و جبهة التحرير الوطني في الوقت نفسه، و لهذا السبب لم تكن ترغب في التعامل مباشرة مع المستعمل. كان يمكن لمالك سجل التجارة بالأسلحة أن يشتري و يبيع ما يحلو له، و لكن الكميات كانت محدودة جدا و كان يجب تحديد الوجهة.

(167) يذكر هارون علي كذلك أسماء جورج بوشرت، ضابط سابق بالقوات البحرية Kriegsmarine، و رودى أرندت المنتمي إلى قوات الجيش نفسها، و الطبيب شيلد. A. Haroun, *Op.cit.*, p. 208.

في ذلك الوقت، كانت هناك وثيقة مطلوبة جدا : « شهادة المستعمل النهائي ». لنأخذ، على سبيل المثال، الملحق العسكري لسفارة إفريقية أو جنوب-أمريكية، فهو يطلب كمية معينة من السلاح لشرطة بلده، و يقوم الوسيط، في هذه الطلبية، بالتفاوض حول الصفقة مع صانع أسلحة. تسلّم بعدها الأسلحة إلى مرفأ الشحن المشار إليه و يُعفى الممّون من أي مسؤولية. و يقوم الوسيط اللّبيب ببعث الصناديق فارغة إلى بلد السفارة المعنية و يُرسل الأسلحة إلى طرابلس أو الدار البيضاء. كانت هذه هي العملية المعتادة : عاملان لا غنى عنهما، الشهادة و الوسيط. لكن هذا لم يكن يخلو من المخاطر، إذ لم يكن أي بلد قد اعترف بجبهة التحرير الوطني بعد، و كانت الأجهزة الفرنسية تطارد كل من يهتم، من قريب أو بعيد، بتجارة الأسلحة، بما في ذلك بألمانيا. ¹⁶⁸.

و في هذه الظروف بالذات، قام عبادة باستدعاء عبد الصمد، إلى جانب بوشوك مراد ¹⁶⁹ و غرادة حسان ¹⁷⁰، لتقديم المساعدة. و كان عليهم الاهتمام بإقامة ورشات لتموين فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بالمتفجرات. و مع أنه جرت بينهم و بين بوعزيز و آيت مختار و سويسبي بعض الاتصالات، إلا أن عمار بوداود وحده هو الذي كان يعرف المهمة الحقيقية لهؤلاء المختصين في المتفجرات و أماكن عملهم. و كانت القرارات تُتخذ على مستواه و على مستوى معابد. و عموما، كان نظام الفصل محترما و كانت المهام موزعة بوضوح، حتى و لو كان يحدث أحيانا أن يرافق عبد الصمد مسؤوله في مهام خطيرة، لأنه من الأفضل أن يذهب المرء مرافقا للتفاوض في وسط مهربي الأسلحة.

« كنت غالبا ما أرافقه في تنقلاته عبر ألمانيا. لم يكن مراسلون يملكون عنوانا يتصلون بنا عليه. كنا نتصل نحن بهم عبر الهاتف لتأكيد أو إلغاء مواعيد تكون دائما محدّدة بمدينة غير التي نتصل منها. [...] كنا، في البداية، نملك فيلات للتفاوض فيها لكننا كنا نغير الأماكن باستمرار. كنت أنتقي منزلا أو شقة صغيرة ثم أغيّر المكان كل شهر أو شهرين. كانت الشقق الصغيرة التي نبحت عنها هي تلك التي يريد أصحابها تحريرها قبل الأجل، و بما أنهم كانوا يرغبون في التخلص

(168) ع. عبد الصمد، المرجع المذكور.

(169) أحد أهم صنّاع ورشة صنع الأسلحة بالدار البيضاء.

(170) عضو سابق للوجستية بقاعدة طرابلس و حوّل إلى ألمانيا.

منها فكان من السهل أن نعرض عليهم استلام عقد الإيجار . كنا مستفيدين تماما لأن لا المنزل و لا الهاتف كانا على اسمنا و كان بإمكاننا استعمالهما بأمان تام . [...] كان يلزمنا الذهاب إلى لقاءات كثيرة لمعاينة العينات و التفاوض حول السعر و تأكيد الطلبية أو إلغائها . كان معابد ، الذي كان يملك العديد من جوازات السفر ، معروفا تحت اسم الطبيب سرغيني . و كان « هير دكتور » لا يكلم اللجنة الفيدرالية إلا عن الطلبيات المهمة لأن ذلك كان يتطلب تعبئة كمية كبيرة من الأموال و نقلها ، و كان الدفع يتم دائما نقدا . »¹⁷¹ .

كان علينا إذن أن نجد أماكن آمنة لوضع الشحنة . ففي بعض المساكن المحولة إلى مخابئ ، كان يمكن أن توجد مخزونات أسلحة مدهشة و التي كانت تقتضي وجهتها النهائية ، على الأرجح ، عبور الحدود الضيقة الفرنسية . فبمونشو ، على سبيل المثال ، في قرية بالحدود البلجيكية قرب خط سيففريد ، كانت هناك فيلا تحتوي على 2000 مسدس ، و هي أسلحة جديدة من نوع « بيريتا » ، و كانت هناك كذلك ورشة لصنع القنابل . كان سر مكان هذه المخابئ محفوظا إلى درجة أن البناء الذي أحضر من فرنسا لتهيئة هذه الأماكن أرسل إلى المغرب بعد أن أنهى عمله .

يجب إذن الحرص على تهيئة السيارات المستخدمة للنقل و وضعها تحت تصرف الشبكات المكلفة بتمرير الحمولة عبر الحدود . و هكذا ، اتجهت إحدى أهم شحنات الأسلحة إلى فرنسا انطلاقا من فيلا ببون و وضعت تحت أرضية إضافية لمقطورة حولها عبد الصمد . كان سائقو هذه السيارات ، غالبا ، مواطنون من البلد المضيف و أشهرهم كانوا أعضاء عائلة ريخ . و يتكلم آيت مختار عن هسمان أدولف و غوثنر أدولف و غوثنر جيزيلا و « باي » فولفت ، و هم جميعهم مناضلون بالشبيبة الاشتراكية .

يمكننا أن نشير ، عند هذا المستوى ، إلى أي مدى استطاع مسؤولو جبهة التحرير الوطني بألمانيا استغلال نقمة الضباط النازيين القدماء بقدر ما استغلوا رغبة الشبان الاشتراكيين الديمقراطيين الألمانين في المشاركة في تحرير الشعوب المستعمرة . و يبقى أن الشبكات اللوجستية لم تكتشف يوما بسبب

(171) ع . عبد الصمد ، المرجع المذكور .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

طابعها الحصري و نظام فصلها التام : اقتناء و تموين و استلام الأسلحة و عملية تموينه وسائل النقل و نقل الحمولة إلى مدينة أخرى ؛ ثم تكفل ثان بوسيلة النقل لتمرير الحمولة عبر الحدود و تسليم المفاتيح و إعطاء التعليمات لمناضل يتكفل بنقلها مع العربة إلى مسؤول لوجستية المنظمة الخاصة، و أخيرا، تكفل نهائي من قبل الذي يستلم الحمولة و يوزعها على المخابئ المختلفة.

و في فرنسا، يجهل مسؤول المنظمة الخاصة، سواء على المستوى الفيدرالي أو على المستوى الإقليمي، كل شيء عن موقع المخابئ و مسؤول اللوجستية هو الذي يقوم بعملية التموين حسب طلبيات هؤلاء المسؤولين. و لقد سمح هذا النظام، المصغر و المغلق و الجديّ و المدقّق، للوجستية أن تتجاوز فترة الحرب بأكملها دون أن تتزعزع حقا. و حتى و لو سمح اعتقال خليفة آيت مختار على رأس المنظمة الخاصة (بن سعيد عبد القادر المدعو « قادر »)، سنة 1961، و اعتقال مسؤول اللوجستية أمزروثان أحمد المدعو « الفوتوغراف » و المعروف كذلك بـ « لومارشون »، سمح للشرطة الفرنسية، عن طريق التعذيب، بمعرفة موقع بعض مستودعات الأسلحة، فهذا لم يؤثر كثيرا على السير العام للإجراءات. فلم يتمكنوا يوما ما من تتبّع السلسلة و استمرت المصلحة في العمل. و الأمر نفسه بالنسبة لاعتقال محمد سعيد بابي، خليفة أمزروثان، الذي عُدّب هو بدوره، لكنه لم يرشد الأجهزة الفرنسية إلا إلى مكان بعض المخابئ.

و في 1962، استُرجعت الأسلحة المتبقية التي أودع جزء منها عند « باي » فولفارت و جزؤها الآخر عند « أدولف » غوثنر، و سلّمها هذا الأخير إلى السفير الأول للدولة الجزائرية بألمانيا، عبد المالك بن حبيلس، بحضور أمزروثان. و في التاريخ نفسه، قام أدولف بحد ذاته بتفكيك المرأب الذي كان يُستخدم كمحل تخزين و ورشة من قبل أعضاء اللوجستية بألمانيا.

ارتباطات و اتصالات

في هذا المجال، شأنه شأن المجالات الأخرى، و بالرغم من أوامر الأمن و نظام الفصل الصارم جدا، إلا أن ذلك لم يمنع من بعض التداخلات التي كانت، فضلا عن ذلك، محتومة حتما. كانت فيدرالية فرنسا تملك شبكاتها الخاصة، و كانت أحيانا تنقل بعض عملاء الارتباط لديها إلى المنظمة الخاصة. أمّا هذه الأخيرة

المنظمة الخاصة

فكان لديها، من جهتها، عملاء ارتباط خاصين بها مجهولين لدى بقية مستويات الهيكل الفيدرالي. وفي الوقت نفسه، يُمنح لكل مسؤول إمكانية الاستعانة بشبكة علاقات يكون الوحيد الذي يعرفها، وهذا يسمح بتوفر بدائل موثوق فيها و بمخابئ آمنة لأن البقية يجهلون وجودها، وبهذا الحد من الخسائر في حال حدوث اعتقالات. أُضيف إلى هذا، ابتداء من سنة 1959، شبكات و عملاء ارتباط خاصين بقيادة الولاية الخامسة و وزارة التسليح و العلاقات العامة الذين استقروا بألمانيا تحت مسؤولية محمد يوسف و معابد مهدي. ولقد قام هذا النسيج السميك إلى حد ما للعلاقات و الاتصالات القائمة بين مختلف هياكل جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني و الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، بتعقيد مهمة الباحث لأن كل فرد يؤول به الحال إلى الاحتفاظ بالأسرار لنفسه، حتى مع انتهاء الحرب. يمكننا أن نفترض أن الشبكات، بالنسبة لبعضهم، تكون قد استُعملت فيما بعد لأغراض أخرى.

يحملنا هذا إلى التطرق فقط إلى الوقائع التي ذكرت لنا عرضيا من قبل هذا أو ذاك. لكننا، مع ذلك، سنترك لفصل آخر الحديث عن الحالة الخاصة لشبكات الدعم، المسماة بـ « حاملي الحقائق »، التي ساعدت هي كذلك في الإيواء و النقل بقدر ما ساعدت في عمليات الربط و الاتصالات.

من جهتها، كانت المنظمة الخاصة تملك عملاء ارتباط خاصين بها و كانت معززة بأولئك الذين كانت توفرها لها اللجنة الفيدرالية. و هو حال المناضلات الثلاث التي كانت من بينهن صحراوي سليمة المدعوة « نادية »، و التي حوّلها قبايلي موسى إلى المنظمة الخاصة¹⁷² سنة 1957. كانت هذه الأخيرة تنشط كعميلة ارتباط مع « سعيد » بوعزيز، على وجه الخصوص. و بالإضافة إلى لورانس و باتاي جوديث¹⁷³، بما في ذلك ماسون دياغو من شبكات الدعم، كان « مجيد » يعتمد كذلك، بعد سنة 1958، على مساعدة هوشولتز إينج لتسليم التقارير للجنة الفيدرالية الموجودة بألمانيا.

(172) تكون صحراوي سليمة قد استُدعيت مباشرة من قبل كرامان عبد الحفيظ لتلحق بالمنظمة الخاصة (توضيح المعنية).

(173) ابننا الفيلسوف الفرنسي جورج.

نفهم من هذا أنه، لاجتياز الحدود، كان من الضروري استخدام أوروبيين لأن عمليات التفتيش كانت، بصفة عامة، أقل صرامة مع الأوروبيين مما هي مع الشمال إفريقيين. ولكن، بالنسبة للاتصالات الداخلية، كانت المناضلات الجزائريات هن اللواتي يتكفلن بالمهمة الأهم. وفيما يخص الاتصالات ما بين المناطق كانت المنظمة تعتمد على مساعدة إدجيري يمينية أنطوانيت و نادية صغير - مختار و بن سادي ليديا و مريم يوسف بالنسبة للجنوب ؛ و دكاري رابية المدعوة « جميلة » و ياشير زهرة بالنسبة لنورمانديا ؛ و بورثان زهرة المدعوة « نورة » بالنسبة لليل دو فرونس. و استُدعي آخرون لضمان نقل الأسلحة مثل الأختين زولة و بن عيسى يمينية¹⁷⁴.

في نهاية 1960 و بداية 1961، أصبح حسين حلمي المدعو « ليتوديون » يؤمّن الاتصال مع اللجنة الفيدرالية، و هو مسؤول جديد للاستعلام و العلاقات الخارجية، و غوثر جيزيلا و آن رامونيد من شبكات الدعم. أما بالنسبة للعلاقات الداخلية، فنجد بن سعادة يمينية و زولا المدعوة « زوزو » و أختها بن عيسى يمينية، اللواتي تم ذكرهما من قبل. أما إيواء المصابين و نقلهم، فقد كان مضمونا من قبل « عقيلة » ناصري و لالو ريموند، بينما كانت سناح مليكة تهتم بالتكفل الطبي بالجرحى، و تكفلت شبكة بلجيكا، لفترة، بهذا المجال الخاص جدا المتعلق بالعناية بمصابي الحرب، حيث لعب بها الطبيب كنيس إيفون دورا هاما. لكن التفاصيل تنقصنا، و وحدها شهادات بوداود عمر و بوعزيز و داربوا دومينيك¹⁷⁵ يمكنها أن تسدّ هذه الفجوات.

علاقات خطيرة

في الوقت نفسه، حُمِلت حرايف زينة، كبقية المناضلات، على أداء مهمة ضخمة لأنه، بالإضافة إلى مهمات نقل الأسلحة و الوثائق المهمة التي كانت تكلف بها تقريبا يوميا، استُدعيت إلى المشاركة مباشرة في العمليات المسلحة كما سنراه في فصل آخر. و يبدو لنا ضروريا أن نتوقف هنا لنصف بالتفصيل هذا النوع من المهام التي حُمِلت هؤلاء النساء المناضلات على تأديتها.

(174) انظر : A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 402.

(175) مُصوّرة و مقاومة سابقة للاحتلال الألماني و عضوة بشبكة فيني جاك.

المنظمة الخاصة

عندما أُرسيت شبكات المنظمة الخاصة، كانت حرايف زينة مناضلة بصفوف جبهة التحرير الوطني و عضوة بفرق التدخل في منطقة ليون و فيرميني و سانت إتيان . و بما أن أخاها عمار هو الذي قام بإرساء المنظمة السياسية لهذه المنطقة و هو الذي يقودها، فقد ازداد عملها صعوبة . و بما أنه وضعت فيها الثقة التي يمنحها الأخ لأخته، فقد كانت مضطرة إلى القيام بكل شيء تقريبا : نقل الوثائق و الأسلحة و الأموال ... إلخ . كانت تنتقل باستمرار، و سرعان ما أصبحت نهايات الأسبوع و أيام العطل لا تكفي مما اضطرها إلى أخذ إجازات « مرضية » لمواجهة طلب يزاد أهمية، ذلك أن زينة كانت لديها خاصية و هي معرفتها لأغلبية المسؤولين الفيدراليين و « مجيد » بالقدر ذاته . من جهة ثانية، كونها ثمرة زواج مختلط جزائري - ألماني، كان شكلها يسمح بأن لا يتفطن إليها أحد . « كنت أتنقل هكذا من مدينة إلى مدينة أخرى خاصة في المنطقة الليونية، بين سانت إتيان و سان شامون . كنت أعود من المصنع على الساعة السادسة مساء و أنطلق مباشرة لنقل الأسلحة و الوثائق و غيرها . و كنت أحيانا أرافق مسؤولين عابرين في تنقلاتهم لأن الأزواج لا يُنْتَبِه إليهم كما يُنْتَبِه إلى فرد ذي طلعة شمال إفريقية و يسافر لوحده . »¹⁷⁶ .

و مع إرساء المنظمة الخاصة، اتسعت دائرة تنقلات حرايف زينة لتصل بُعداً منطوقيا - بينيا، و انطلاقا من هنا، أصبح الاتصال مع العاصمة، حيث يوجد قادة الفيدرالية، مهما أكثر فأكثر .

« كنت أتنقل، في الكثير من الأحيان، إلى باريس حيث كان اتصالي الأول مع بن عدودة عمار . و التقيت كذلك ببوداود عمرو بـ « سعيد » و ببوعزيزو بقبابلي موسى و باسماعيل¹⁷⁷ و بغيرهم بما أن جميع المسؤولين كانوا موجودين هناك . كنا نستقل وسائل النقل العادية : القطار و الميترو ... لم نكن نملك سيارات لأننا كنا في منطقة عمالية . كان امتلاك سيارة بها يعتبر ترفا، و على أي حال، حتى المسؤولون الفيدراليون لم يكونوا يملكون واحدة .

كنت أستقل إذن القطار لنقل الأسلحة، و لكن، بما أن هذه الأخيرة كانت دائما ثقيلة جدا، كان يجب أن تقدم لي يد العون، بطريقة أو بأخرى . في تلك

(176) حرايف زينة، شهادة .

(177) مناع اسماعيل، على الأرجح، الذي كان حينها مسؤول منطقة .

الفترة، كان العديد من المجندين الشباب ينتقلون في القطار الليلي، وبما أن النوم لم يكن يثقل أجفان أحد منا، كنا نتحدث بلا توقف طوال الطريق. أتذكر ليلة اقترح فيها عليّ مجندون مساعدتي لإنزال حقيبتني من القطار، وفي لحظة رفعها وجدوها ثقيلة بشكل ملحوظ فشرحت لهم بأنني ورثت ساعة دقاقة قديمة من جدتي و بأن هذا النوع من الأغراض يكون دائما ثقيلا جدا. وهكذا، ساعدني العديد من العساكر الفرنسيين في نقل الأسلحة بالقطارات أو بالمحطات. و ذات مرة، سبب لي نقل أسلحة ذعرا كبيرا، أظن أنه يجب أن نتكلم عن الخوف كذلك لأن من يدعي أنه لم يخف في لحظة من اللحظات، فهو يكذب. عند وصولي إلى المحطة الشمالية ركبت المترو محملة كالعادة بحقيبتني الكبيرة و الثقيلة، و لم أتأكد من نظام غلقها و ظننت أنها مغلقة بإحكام. حدث ذلك في ساعة الزحمة القصوى، و كان الناس يتدافعون في القطار، و فجأة، في اللحظة التي كنت أهم فيها بالجلوس، انفتحت الحقيبة و انكشف ما بداخلها، أعدت غلقها بسرعة و أنا أنظر من حولي لأرى إذا ما لاحظ أحدهم شيئا. و لحسن حظي، كانت الأسلحة ملفوفة بجرائد. و مع الوقت، أصبحت أعرف كامل التراب الفرنسي، و رغم المسافات، أظن، في نهاية المطاف، أن هذه الفترة الفترة كانت الأقل تعباً التي عرفتتها. ¹⁷⁸.

استمر هذا النشاط، الذي بدأته حرايف زينة في إطار فرق التدخل، في فترة المواجهات بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية، استمر تقريبا بلا انقطاع. و لأنها كانت مطلوبة من قبل الشرطة و محكوما عليها غيابيا، اضطرت، بناء على نصيحة أخيها، إلى مغادرة فيرميني و الذهاب إلى باريس و الدخول في الحياة السرية. و هذه المرة عملت لحساب المنظمة الخاصة و كانت على علاقة مباشرة بقيادة المنظمة. كانت تسافر بكثرة إلى مرسيليا و بوردو لتوصيل الأسلحة و المال إلى أخيها الذي كان لا يزال ينشط بها بالرغم من صدور خمسة أحكام بالإعدام في حقه. و بعد هجوم أوت 1958، كُبرت مسؤولياتها و استُدعيت للاهتمام بالأمر الأكثر استعجالا و الحلول محل العديد من المناضلين و الإطارات الذين وقعوا ضحية الاعتقالات في الثلاثي الأخير لسنة 1958. توجهت إلى الجنوب لإعادة بناء

(178) ز. حرايف، شهادة.

المنظمة الخاصة

الروابط داخل منظمة تزرعت بقوة، و حتى اتصالها بنادية صغير - مختار كان قد انقطع، فلم تعد هذه الأخيرة موجودة لإطلاعها على المستجدات، و مرة أخرى، أعلمتها عائلة بلحواس، الوفية دائما، بأن المناضلة قد اعتُقلت هي وقادتها. وعندما اضطرت اللجنة الفيدرالية، في نهاية المطاف، إلى الانسحاب إلى ألمانيا، فهي أيضا التي ساعدت آيت مختار على إعادة بناء هيكل، فُكك في معظمه، إلى غاية اليوم الذي وقعت فيه، لا محالة، في شرك الشرطة الفرنسية.

أما نادية صغير - مختار، التي كانت منخرطة في كفاح التحرير، فقد وصلت إلى مرسيليا سنة 1957. كانت قد غادرت الجزائر العاصمة حيث كانت تعمل كعميل ارتباط في شبكة تابعة لجبهة التحرير الوطني بالقصبة، و كانت « معركة الجزائر » الشهيرة في أوجها عندما اعتُقل المسؤول عن خليتها، لزالي أحمد، مما اضطرها إلى الانسحاب عند صديقة لها بفرنسا. و كانت خدوجة، التي ذهبت عندها، مناضلة هي بدورها بجبهة التحرير الوطني، و هو ما سهّل لها مساعدة نادية في الالتحاق بالمنظمة. و عندما التقت أخيرا بحرايف عمر، بعد بضع مقابلات أخرى، حولها هذا الأخير مباشرة إلى نقل الأسلحة و الوثائق. و في هذه الظروف، التقت بالإطارات الأولى للمنظمة الخاصة لجنوب فرنسا.

« بدأت بنقل الأسلحة و الوثائق إلى غاية اليوم الذي حُكم فيه على حرايف عمر غيابيا بالإعدام، بسانت إتيان، في محاكمة كنت أنا بنفسني معنية بها. حوّل عندها إلى مرسيليا و اضطرت إلى الذهاب معه لمتابعة عمل الارتباط و نقل الأسلحة. كنت قد استأجرت شقة بـ « لا بال دو ماي » التي كنت استخدمتها كذلك كمستودع للأسلحة و الأموال و الوثائق. كنت أسمع عن فرق التدخل لكنني لم أكن أعرف مناضليها. كانت اتصالاتي الوحيدة مع عمر و شريف مزيان و زينة. و لقد أعطاني عمر أمرا بعدم فضح أمري لا للمناضلين و لا لأشخاص آخرين، لأن مهمتي كانت تتطلب حذرا كبيرا و التزاما تاما بنظام الفصل. كنت عضوة دائمة بالمنظمة و أتقاضى تعويضا بـ 50.000 فرنك فرنسي للشهر، و هو مبلغ كان يعتبر وقتها مبلغا هاما، و لم يكن المبلغ ثابتا دائما لكنهم كانوا يعوضونني عن نفقات التنقل و كنت حتى أحيانا أتلقي مساعدة لشراء الملابس.

في مرسيليا، كنت مكلفة باسترجاع الأسلحة المودعة بمختلف أحياء المدينة : فالبريل، سان غابرييل، دوك مازار، لستاك... إلخ. كنت أقوم أحيانا بثلاث أو أربع

رحلات بسيارة الأجرة لجمعها وإيداعها بقبو العمارة التي كنت أقطن بها قبل أن أوزعها في مدن أخرى من الجنوب. كان بطروني علي هو اتصالي ببوردو، كنت أستقل قطار الساعة التاسعة مساء لأصل في الصباح الباكر على الساعة السابعة، ثم كنت أسلمه الأسلحة و أنقل له التعليمات قبل أن أعود لاستقلال القطار مباشرة. كانت الحقائق ثقيلة و لكن مراقب القطار غالبا ما كان يساعدني [...] في الواقع، كانت المهام التي كنت أقوم بها مرتبطة بإرساء المنظمة الخاصة لأنه، و كلما كانت تتضح الأمور شيئا فشيئا، كنت قد بدأت، علاوة على مهامي الأخرى، بشراء منبهات و أسلاك كهربائية بكميات كبيرة و أنقل صواعق لصنع القنابل. كانت المسألة تتمثل في خطة تخريب واسعة النطاق تشمل منطقة ليون و مرسيليا بقدر ما تشمل منطقة بوردو و تولوز و لاروشيل.

في بداية 1957، اعتقل مناضلون من المنطقة، و بما أننا كنا ثلاثنا، عمر و زينة و أنا، مطلوبين من قبل الشرطة، اضطررنا إلى اللجوء إلى الآنسة بوفاي بليون، و يبدو لي أنها كانت عضوة بمجموعة مسيحيين يساريين قريبين من قساوسة عمّال. و انطلاقا من هنا، استأنفت مهامي بنقل الأسلحة، علما أنني كنت أعرف أنني مطلوبة بمرسيليا و بسانت إتيان و بليون و بغرنوبل. كانت لدينا بفرميني مخابئ عند امرأة تدعى لويز أو عند عائلات مناضلين. تابعت مهامي على هذا النحو إلى أن جاء اليوم الذي اعتُقلت فيه مع مسؤولي المنظمة الخاصة لمنطقة جنوب فرنسا. ¹⁷⁹ »

في 1957، كانت إدجيري يمينة أنطوانيت تبلغ من العمر 17 سنة، و هي ثمرة زواج مختلط جزائري - إيطالي، و كانت تحسّ بأنها معنية تماما بالكفاح من أجل استقلال الجزائر. و بُغية منها، نوعا ما، في تأكيد جزئها الجزائري تحفّزت و اتّصلت بجبهة التحرير الوطني للانخراط في الكفاح المسلح. و دون علم منها، خضعت، كبقية المناضلين، إلى سلسلة اختبارات لامتحان قدراتها و التزامها.

« امْتُحنت بلا شك في الفترات الأولى حيث كانت مهامي الوحيدة تتمثل في نقل معلومات إلى مواعيد محدّدة أو الذهاب لتسليم حوالات إلى عائلات السجناء. كان ذلك نوعا ما عملاً اجتماعيا، ضروريا طبعا لكنه لم يكن يثير

(179) نادية صغير - مختار، شهادة.

المنظمة الخاصة

اهتمامي . أدت هذه المهام لمدة ستة أشهر أو سبعة و كنت أنقل أحيانا مبالغ مالية كبيرة على المستوى المحلي . [...] كانت فترة عمليات عديدة كانت تمزق الجالية الجزائرية التي كانت منقسمة إلى مؤيدي الحركة الوطنية و مؤيدي جبهة التحرير الوطني [...] لم يكن عمل الارتباط و النقل بلا مخاطر، ففي ذات مرة كنت مكلفة بالذهاب إلى لستاك لاستلام مبلغ مالي كبير، و بما أن الاجتماع انتهى في ساعة متأخرة جدا، كان القطار الأخير قد غادر، فمشيت لمدة ساعتين و نصف لأصل إلى مرسيليا . و كانت الساعة منتصف الليل عندما مررت أمام مخيم غجر و مع أنني تظاهرت بالاسترخاء، إلا أنني كنت خائفة مع رزمة المال التي كانت بحوزتي و التي كانت موجهة إلى المنظمة .¹⁸⁰

كانت أنطوانيت منجذبة نحو شكل آخر من أشكال المقاومة، و حققت هذه الرغبة أخيرا عندما حُوّلت إلى المنظمة الخاصة .

« انطلاقا من تلك اللحظة، كان علي أن أقطع اتصالاتي مع الغير و حتى مع المنظمة السياسية، و لم أتصل بعائلة حمزاوي¹⁸¹ بعد ذلك . واصلت نقل المال و لكن أصبحت كذلك أنقل الأسلحة إلى موربيان و بور - دو - بوك . كنت أمر بسهولة بسبب طلعتي الإيطالية أو الإسبانية، و لكن لم يكن الخطر منعما لأن الأمر يتعلق بأسلحة، و إضافة إلى ذلك، كنت أبتعد من منطقتي . [...] عندما حُوّلت إلى المنظمة الخاصة أصبحت أتقاضى راتبا من 40.000 إلى 50.000 فرنك فرنسي، و هو مبلغ كنت أعتبره كبيرا لأنني لم أكن أعاني من مشاكل مالية في تلك الفترة .¹⁸²

و مع إعداد هجوم أوت 1958 و شنه، شاركت جميع هذه النساء مشاركة مباشرة في الكفاح المسلح . فالعديد منهن حُملن على القيام بمهام كان يقوم بها عادة إطارات بأعلى مراتب التسلسل الهرمي، و لكن هذه الأمور لم تذكر كثيرا في الكتب عن جبهة التحرير الوطني بفرنسا لأننا، كما ذكرنا، أمام مجال كانت تغلب عليه السرية المطلقة و نظام الفصل فصلا صارما، ممّا جعل القليل من المعلومات، عدا ما يُنقل عن شهادات الفاعلين المباشرين، تتسرب حول ما قامت

(180) يمينة إدجاري، شهادة .

(181) عائلة مناظلين وطنيين سمحوا لها بالدخول على اتصال بجبهة التحرير الوطني بمرسيليا .

(182) المرجع السابق .

به هذه المناضلات بشبكة الارتباط والاتصال لجبهة التحرير الوطني بفرنسا. ويستحق هذا العمل، الذي أدته مناضلات، غير معروفات في معظم الأوقات، أن يبرز هو كذلك. و سنعود إليه بتفصيل أكثر في صفحات قادمة.

تكوين الكومندوس

اختيار الرجال

لنعد الآن إلى الوراء قليلا لتحديد المشكل الذي طُرح، في 1957، على مسؤولي المنظمة الخاصة، تحديدا أفضل. و لنرجع بذاكرتنا إلى أول محاولة لفتح جبهة بفرنسا و إلى الإخفاقات الناتجة عن نقص تحضير الرجال و نقص الوسائل المناسبة. في البداية، كانت المعايير التي كان يُختار وفقا أعضاء المنظمة الخاصة الأولون قد اعتمدت شكل و مضمون التجربة التي عاشها حزب الشعب الجزائري في سنوات 1947-1951، فقامت إدارات المنظمة السياسية بالنهل من مناهل ذاكرة النزعة الوطنية الجزائرية و كرّرت، بالمحاكاة، ما عرفته 10 سنوات من قبل. أخذوا بذلك رجالا و نساء موثوقين من « فرق التدخل » و حوّلهم إلى المنظمة شبه العسكرية، ثم أعدّوهم ليقوموا بأعمال مسلحة معتمدين خاصة على تفانيهم لقضية الاستقلال و شجاعتهم الجسدية و تضحياتهم.

و كان الطقس هو نفسه الذي اتُّبع بين 1947 و 1951، و على الأرجح، هو نفسه الذي سبق كل الانتفاضات الجزائرية ضد المحتلّ منذ قرون. فهو محاط بجو من السرية و الغموض، عالم عجيب يُضطر فيه المناضل، المنتقى من قبل قادته (المُختار)، أن يقطع صلته بالعالم المألوف للمجموعة القروية و بأصدقائه و حتى بعائلته، فينفصل عن عالم الأحياء ليحتك بعالم الأموات. و فكرة الموت هذه، فكرة موته هو، عليه أن يتقبلها بمحض إرادته، و فور اتخاذه القرار بحرية، فلا مجال للرجعة عنه. و كان تحليفه على الكتاب المقدّس، في حضور مسؤولين يرتدون أقنعة، يهدف إلى مَهْر انتقاله إلى عالم الجهاد و الشهادة. و يقول النص، الذي احتفظ به أحد أعضاء المنظمة الخاصة في ذاكرته، ما يلي : « أحلف، باسم الله و باسم السور القرآنية، أنني لن أخون أبدا المنظمة ؛ كما أحلف بعدم البوح بشيء لا لوالدي و لا لأخي و لا لأي شخص كائنا من كان، مهما كانت الظروف و مهما كانت الويلات. »¹⁸³.

(183) سداوي عمر، شهادة مكتوبة.

انضم، بهذا، هؤلاء المختارون للقضية، هؤلاء المجاهدون، إلى مجموعة أخرى ونسب آخر، وباختصار، إلى تاريخ آخر، التاريخ الذي دشنه الرسول ورفاقه لحظة معاركهم الأولى في سبيل الإيمان (الجهاد). هؤلاء « المتطوعون للموت »، هم الخلف الجديرون بأسلافهم الأشراف، ومن خلال فعلهم، فهم يؤكدون على انتمائهم إلى المدينة المسلمة التي بناها الرسول وإلى الأمة الجزائرية التي يجب أن تكون تجسيدا لها. أما موتهم، إذا حدث في ميدان القتال، فهو لا يُنظر إليه على أنه موت عادي، وإنما على أنه شهادة على إيمانهم بالله وبالوطن و يصبحون بهذا شهداء (أي أولئك الذين يشهدون بتضحياتهم) و يكسبون حق دخولهم الجنة.

و تثبت جميع الشهادات، التي أدلى بها مناضلو المنظمة الخاصة، هذه الذهنية والطقس المُساري الذي يُكرّسها. ولقد تكلمنا عن مُسّارة بن صدوق محمد، و يتحدث سداوي عمر عن مُسّارته بالعبارات نفسها.

« كانت التوجيهات مشددة جدا. كان يجب الحفاظ على السرية التامة واحترام المواعيد بدقة وإظهار الشجاعة. [...] كنا عشرة من المناضلين مجتمعين. كنت ألبس قناعا، كما أمرت به التعليم، ووصل « صابر » و « مجيد » مرتديان قناعا هما كذلك [...] أمرنا بقطع كل صلة مع مناضلي المنظمة السياسية و بعدم التردد على الأوساط الجزائرية و لا على الأماكن السيئة. كان علينا أن نستجيب للنداء في أي وقت من النهار أو الليل. فيما يخصني، كنت مستعدا لكل شيء و مصمما على أي شيء. فلقد منحوني شرفا عظيما باختيار لي لأكون عضوا بالمنظمة الخاصة. »¹⁸⁴.

من خلال هذا الطقس المُساري، كان المختارون يشعرون أنهم تحولوا إلى مقاتلي الإيمان « الحقيقيين » « الخالصين » ؛ رفاق القضية. في الحقيقة، بسبب هذا، ولكن كذلك بسبب التضحيات القصوى التي قدّموها، يعتبر هؤلاء، إلى يومنا هذا، أنهم ينتمون إلى صنف مميز جدا من أصناف المقاتلين من أجل استقلال بلادهم، نوع من الأخوية المتفردة. و تلتقي جميع الشهادات في هذه النقطة. فلقد عبّر جميعهم عن الفرح و الفخر و الاعتزاز الذي اعتراهم

(184) عمر « بوعلام » سداوي، شهادة.

عندما عُرض عليهم الانضمام إلى المنظمة الخاصة. و تتفق جميع الشهادات حول الإحساس الأخوي الذي أحسّوا به عندما جُمع شملهم من جديد سنة 1984¹⁸⁵.
ولنُكمل مقاربتنا للعقلية التي كانت تسود آنذاك، يبدو لنا من المثير للاهتمام أن نذكر حرفيا قائمة المعايير التي حدّدها آيت مختار، في نهاية 1956 و بداية 1957، من أجل اختيار الرجال.

1 - من ناحية التكوين و الانضباط :

الانضباط الحديدي .
المقاومة الجسدية و المعنوية .
التكتم التام على الأسرار .
التحلي بشجاعة تصل حدّ التضحية القصوى .
العيش في السرية التامة .
الجدية و التحرّر من أي رابط عاطفي أو عائلي أو غيره .
الحصول على تكوين سياسي .
معرفة الميدان الذي سينشط فيه .
البقاء في حالة تأهب دائم .
الحصول على تكوين عسكري و /أو يكون العضو قد شارك في فرق التدخل .
أن يكون رياضيا (مارس الجودو أو الملاكمة إلخ) أو يكون في حالة صحية جيدة .
و لبعض المهمات ، أن يكون يشبه الأوروبيين .

2 - من ناحية قواعد الأمن و القيادة :

استعمال أسماء مستعارة .
ارتداء أقنعة في الاجتماعات .
المسؤول، قائد عسكري و منظم في الوقت نفسه .

3 - الشعار :

— التخطيط و التقرير و العمل في الخفاء بانضباط و في صالح الوطن .

(185) انظر : التنبيه .

و لقد تبين أن هذه المعايير المختلفة كان يسهل توفيرها، نظرا إلى تعدّد أوصاف أفراد الجالية المهاجرة و مشاركة العديد من الجزائريين في مختلف الحروب (1939 – 1945 و حرب الهند الصينية) و روح التضحية التي تميّزهم عندما يكافحون من أجل قضية عادلة . «¹⁸⁶ .

يمكننا أن ندرك أن الأمر هنا يتعلق بتصوّر توافقيّ محض، موروث عن الفترة التي كان فيها حزب الشعب الجزائري يهيء للكفاح المسلح بالجزائر. و لكن فرنسا 1957 ليست جزائر 1947 و لا يملك مناضلو المنظمة الخاصة، في هذا البلد، سكانا يذوبون وسطهم « مثل سمكة في الماء »، فكانت العمليات ذات الطابع العسكري أو اغتياالات شخصيات مهمة محمية حماية مشدّدة تجري على المكشوف في وسط عدواني عادة. أدرك عندها مسؤولو جبهة التحرير الوطني بفرنسا أن المناضلين، بأسلحتهم القديمة في أغلب الأحيان، ليسوا مستعدين استعدادا جيدا لهذا النوع الجديد من العمل المطلوب من قبل القيادة المركزية لجبهة التحرير الوطني .

ستسمح لنا بعض الأمثلة، بالإضافة إلى تلك التي عرضناها، بالإحاطة بالمشكل و فهمه فهما أفضل . و لقد تكلم أوراعي مولود ، الذي قاد « فرق التدخل » بين 1956 و 1957، عن المنطقة الباريسية بصراحة تامة .

« إن الانتماء إلى فريق التدخل كان يعني فقط أننا كنا، من بين مناضلين آخرين، مهئين أكثر أو أفضل لإتمام بعض المهام بسبب شجاعتنا الجسدية أو المعنوية . لم نكن نتبع أي تكوين خارج الاجتماعات التي كانت تُعقد بانتظام، مرة في الأسبوع على الأقل، بحضور المسؤولين السياسيين . كانوا يعلموننا كيف نعمل في السر و كانوا يعطوننا تفاصيل عن تنظيم الفرق و الخلايا، و كانوا يعلموننا كيفية إيصال التعليمات في حال اعتقال قائد خلية أو فريق كان من المفترض تسليمه المال إلخ . لم نكن نتبع أي تكوين في استعمال الأسلحة أو في فن الحرب . كنا نجهل كل شيء عن الأسلحة النارية . «¹⁸⁷ .

و في نهاية المطاف، وضعت محاولة اغتيال بوجو، القادة أمام الأمر الواقع . لا يمكن الارتجال في مهنة الأسلحة و من الأفضل، من منظور حملة الاغتيالات

N. Aït Mokhtar, *Op.cit.*, p. 2-3 (186)

(187) م . أوراعي ، شهادة .

و التخريبات الواسعة النطاق التي كانت تنهياً، أن يكون تحت أيديهم مناضلون مدربون خصيصاً لهذا. في الواقع، كان « مجيد »، الذي انتابته فورة غضب بعد إخفاق هذه العملية، هو الذي طالب، في تقرير موجه إلى اللجنة الفدرالية، بنوع جديد من الرجال يتمتع بميزات مناضل المنظمة الخاصة و بميزات العسكري في الوقت ذاته. و تبني قادة فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني رأيه و لم يلبث بوداود عمر أن طلب خدمات القاعدة الخلفية المغربية.

كان يجب إذن القيام بانتقاء جديد من بين أعضاء المنظمة الخاصة و إرسالهم إلى قواعد جيش التحرير الوطني بالمغرب ليحصلوا على تدريب ملائم، و كان شروق عبد الحفيظ من بين هؤلاء.

« أظن أن انتقاء المناضلين جرى على مستوى فرق التدخل و من المحتمل أن تكون العملية¹⁸⁸ التي قمت بها هي التي كانت حاسمة لأنه، بعد فترة، طلبني عمر. [...] حدّد لي مسؤول المنطقة موعداً بشقة بشارع مونبارناس، لم أجد المكان بسهولة، و كنت أتنقل من مسقط درج إلى آخر حين التقيت ببن زروقي، و لقد اشتبه كل واحد في الآخر بالخيانة لكننا وقّعنا على اتفاق في النهاية و بحثنا معا عن المكان. فتح لنا محمد عيساوي باب الشقة و كانت مجموعة كاملة قد سبقتنا و كان يوجد بها « صابر » سعداوي. لم أكن أعرف أحداً من الحضور و لا حتى بن صدوقي مع أنه من أبناء قريتي. و بعد ساعات من الانتظار، دخل « سعيد » مرتدياً قناعاً و أبلغنا، في مداخلة صغيرة بالفرنسية، أنه قد تم اختيارنا لتأدية مهمة، و أنه علينا المغادرة في العشية ذاتها انطلاقاً من محطة أوسترليتز. كان علينا أن نأخذ معنا ما نحتاجه فقط من أمتعة و أن نحفظ السر التام عن هذا السفر. »¹⁸⁹.

و قام قبائلي موسى، احتجاجاً على الفكرة القائلة باستلام المنظمة الخاصة للعنيدين الذين أرادت المنظمة السياسية التخلص منهم، بالتذكير بالأوضاع التي تم من خلالها فرز المناضلين.

(188) يتعلق الأمر بعملية اغتيال عضو من الحركة الوطنية الجزائرية.

(189) ع. شروق، المرجع المذكور.

« إن القول الآن أن المنظمة الخاصة استلمت كسلاء و متهوري المنظمة السياسية هو ضرب من الفلكلور. فهذا يعني أن المناضلين الذين قاموا بكل تلك العمليات كانوا نفاية جبهة التحرير الوطني. في الواقع، هم، على الأرجح، أشجع أفراد المنظمة و الذين قدّموا أفضل ما لديهم. من جهة أخرى، أن نقول أنهم كانوا الأفضل على المستوى السياسي، فهذا أمر يحتاج إلى النقاش. ما الذي نعنيه، بالنسبة لجندي، أن يكون على بَيِّنَةٍ من الوعي السياسي ؟ هذا هو النموذج المثالي. وحده ذلك الذي يحل انطلاقا من صالون يمكنه أن يقول هذا. لكن ذلك الذي عليه أن يواجه الأعمال اليومية يُحمل على التفكير بطريقة مغايرة. صحيح أننا قدّمنا نُخبة فرق التدخل، كانوا مناضلين مضرسين يملكون خبرة العمليات و يعرفون استعمال الأسلحة، و كذا تنظيم انسحابهم، و إيجاد مأو بعد القيام بعملية ما. أظن أنه إذا أراد أحدهم الكتابة عن هذا التاريخ أو عرض فترات معينة من فترات الكفاح المسلح بفرنسا برغبة التأثير عن طريق الكتابة أو إضفاء طابع فلكلوري، فذلك سيكون إهانة لهؤلاء المناضلين. »¹⁹⁰.

و كامت هذه هي الحالة، بقي على مناضلي المنظمة الخاصة أن يلتحقوا بالمغرب. استلم كل واحد مبلغا من المال بالفرنك و بالبيزيتاس ثم انطلقوا منقسمين إلى أربع مجموعات.

و حسب شهادات الذين تمكنا من مقابلتهم، كانت المجموعة الأولى مكونة من سعداوي محند أو رمضان « صابر » و محمد عيساوي « ساكت » و مبروك بن زورقي « بشير » و شروق عبد الحفيظ ؛ أما المجموعة الثانية، فكانت مشكلة من أوراغي مولود و عبد القادر بكّوش المدعو « عيسى » و عمار سبايحي و لعواري عمار [أو لعويري حسب شروق] و كذلك عمراوي [دائما حسب شروق] ؛ و أما المجموعة الثالثة فكانت مكونة من تازيننت أعمار « عبدو » المدعو « مزاي » و اسماعيل عدور و ثامي عبد العزيز « عبد الوهاب » و لعماري علي¹⁹¹.

(190) قبائلي موسى، المرجع المذكور.

(191) توجد قائمة تحمل أسماء فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الذين اتبعوا تدريب « كومندوس » بالمغرب مضافة بالملحق 3.

كانوا جميعهم، بدرجة أو بأخرى، أعضاء بفرق التدخل الأولى و بالنسخة الأولى للمنظمة الخاصة.

عبور الحدود

كان يجب أن يسافروا إذن في اليوم نفسه بالقطار متجهين نحو الحدود الإسبانية. و كان يجب على المجموعات أن تتعاقب و أن يسافر أفرادها في مقصورات متفرقة كي لا يثيروا الانتباه.

لم يتمكن سعداوي، في محاولته الأولى، من إجراء الاتصال مع القيادة و لقد كانت المراقبة، على طول الحدود الإسبانية، مشددة. فربما قد حدث تسرب أو قد يرجع السبب إلى تدفق غير عادي للمهربين. على أي حال، هذه هي الأفكار الأولى التي خطرت بباله، و اضطرت المجموعة الأولى إلى العودة إلى باريس و انتظار التعليمات الجديدة. في الواقع، يبدو أن القضية لم يُخطط لها بشكل جيد، فلم يعد الأمر يتعلق بضمان عبور مناضل أو إطار معزول، و إنما بضمان عبور عدة مجموعات من الرجال، و بهذا، يصبح إبقاء السر محميا أمرا أصعب في هذه الظروف. و قد كان هناك تسرب حقيقة، و أخطر الشخص المكلف باستقبالهم بالأمر و ألغى العبور. و على أي حال، لم يكن من الحكمة التكفل بالعديد من الأفراد دفعة واحدة، خاصة ببلدة صغيرة في مقاطعة حيث يتم ملاحظة كل شيء. فكان يجب إعادة التفكير في كل شيء.

قام « دانيال » المدعو فيني جاك بإعادة تنظيم السلسلة، بالاستغناء هذه المرة عن المهربين التقليديين، و استعمل فيلتيين كتغطية¹⁹². و جرى الانتقال إلى بايون في ظروف أفضل هذه المرة.

« كان اتصالنا في الموعد : كان دافزي روبير موجودا مع شخص يدعى [مولود] لوشي و امرأة فرنسية¹⁹³. أخذونا إلى فيلا بسان - جون - دو - لوث حيث بقينا يومين أو ثلاثة أيام. كان أحد يطبخ في حين كان بقيتنا يحاول عدم

(192) انظر : A. Haroun, p. 224

(193) هي على الأرجح بول بولو أو أنطوانيت أرهانت التي ذكرهما هارون علي في :

Ali Haroun, La 7^{ème} Wilaya p. 224

لفت الانتباه قدر الإمكان ؛ ثم انطلقنا في سيارتي فرساي . كان يقودهما لوشي و صديقه، إلى أن وصلنا إلى الحدود في غابة حيث كان علينا إكمال الطريق سيرا على الأقدام . كنا نتظاهر بأننا مجرد متجولين مع دافزي و الفرنسيين الشابتين اللتين رافقناه حتى اللحظة التي مررنا فيها بغير، و أخبرنا مرشدونا أننا وصلنا إلى الأراضي الإسبانية . و بعد تحيات حميمة و عناق التحقنا بسيارة كانت تنتظرنا على الطريق .¹⁹⁴

و في سان - سبستيان التقى الفريق الأول ببوداود و قدروج، الذي كان هو كذلك عابرا إلى المغرب . أقلتهم سيارة من طراز مرسيدس إلى غاية مكتب جبهة التحرير الوطني بمدير حيث سلمت لهم بطاقات هوية و رخص مرور مغربية، و انطلاقا من هنا أرسلوا في القطار إلى الجزيرة، و هي مدينة مينائية من حيث كان عليهم ركوب السفينة باتجاه المغرب . و عند نقطة التفتيش، أعلمهم الجمارك الإسبانيون أن رخصهم سارية المفعول على الأراضي الإسبانية فقط، و أنهم يحتاجون ورقة أخرى ممضاة من قبل محافظ المقاطعة ليتمكنوا من مغادرة البلاد . و كان قدروج هو الذي بعث لهم، من على متن السفينة التي كان يوجد فيها، قصاصة ورق كتب عليها بسرعة بضع كلمات مع رقم هاتف وفد جبهة التحرير الوطني بمدير . و في الطرف الآخر من الخط، نصحهم أحد بالتكلم مع قنصل المغرب بالمدينة و الذي سيسلمهم رسالة للحاكم المقيم بكاديكس . و قام سعداوي، الذي كان لا يزال مسؤولا عن المجموعة، بالاهتمام بالمسألة في اليوم الموالي و اضطر رفقاؤه على قضاء الليلة كاملة و اليوم التالي بأحد شواطئ المدينة منتظرين عودته .

« كنا في غاية القلق، خاصة أنه كان بحوزة عيساوي وثائق سرية كان قد ائتمنه عليها بوعزيز ليسلمها إلى مسؤول بجبهة التحرير الوطني بالمغرب . و بما أنه كان يمكن أن نُعتقل في أي لحظة إذا ما فتشتنا الشرطة، نصحته بأن يدفن تحت الرمل هذه الوثائق التي تعرضنا للخطر نحن و جبهة التحرير الوطني، فأجابني : « أبدا، حتى ولو تسبب ذلك في موتي أو تسببت في سجنكم جميعا معي . » عاد سعداوي في المساء التالي، بعد أن خضع لاستجواب حسب الأصول من قبل

(194) ع . شروق، المرجع المذكور .

الحاكم و أحضرت الشرطة ترجمانا يتكلم العربية و الأمازيغية و استنتجوا بسرعة أن الرجل ليس مغربا لأنه لا يتكلم العربية و أمازيغيته بدت مختلفة جدا عن تلك التي يتكلمونها في المغرب . يبقى أنه حصل على الأوراق اللازمة لعبور الحدود الإسبانية . »¹⁹⁵ .

و في غضون ذلك، كانت المجموعة الثانية قد وصلت بعد أن تكفلت بها شبكة دافري - فيني و مكتب جبهة التحرير الوطني بمدير، لكن عدور و تازبيت لم يكونا محظوظين مع الشرطة الإسبانية لأنهما لم يتمكنوا من تفسير كيفية دخولهما إلى إسبانيا، و احتُجزا لبضعة أسابيع قبل أن يتمكنوا من العبور بدورهما إلى المغرب¹⁹⁶ . و ينص محضر المحكمة العليا لباريس على أن : « إحدى المجموعات - مجموعة سعداوي - واجهت صعوبات بالجيرياس حيث احتُجزوا لحوالي أسبوع . »¹⁹⁷ .

تدريب الكومندوس

تم الوصول إلى طنجة، في نهاية المطاف، بدون مشاكل كثيرة . كان بوداود و قدروج في عين المكان ينتظران المجموعة الأولى، و بالنسبة لهؤلاء المسافرين من نوع خاص، فقد أُخرجوا من باب خلفي . و بعد ليلة نوم هنيء بالمنطقة الحرة، تم اقتيادهم على متن عربة نقل إلى تيطوان بالأراضي المغربية، ثم، من هناك، التحقوا بمعسكر العرايش، و مرت بقية المجموعة عبر الطريق ذاته . كان الاستقبال استقبالا حارا و كان هناك، على وجه الخصوص، جوّ لمّ شمل حيث كانت تَحْمِل القهوة المقدّمة بثفلها، ككل شيء هناك، « نكهة الوطن » التي تُشعر الجميع بالراحة بعد اغتراب طويل . و قد زاد إحساسهم بأنهم اختيروا لأداء مهمة بالغة الأهمية و المراعاة التي استُقبلوا بها، و خاصة، قواعد الأمان التي تم التقيّد بها إلى غاية وصولهم إلى المُعسكر، زاد على هذا الجو من السرية و الجدية و الزمالة .

و وضع حد لهذه اللحظة العاطفية بسرعة لأنه كان يجب الامتثال للانضباط الحديدي لجيش التحرير الوطني . و هذه الفترة كذلك، تبعث بذكريات حية .

(195) المرجع السابق .

(196) هنا تختلف شهادة شروق و أوراعي . و لقد أبقينا رواية قد تتطلب إعادة النظر فيها .

(197) محضر غرفة الاتهام للمحكمة العليا لباريس رقم 242 - 59 ل : 14 أكتوبر 1959 .

« عندما وصلنا إلى عرايشي اتخذت جميع الإجراءات كي تبقى وجهتنا النهائية مجهولة. كان السر محفوظا جيدا بما أن القائد موسى و النقيب حمو كانا الوحيدين اللذين يعلمان بمهمتنا المقبلة. و كانت تدور، وسط الجنود، الإشاعات الأكثر خيالا حولنا، فقد ظن البعض منهم أننا سننزل بالمظلة في الجزائر، و فكر البعض الآخر أننا سنرسل لحرق المزارع... إلخ. كان يوجد هناك مبنى المصلحة الإدارية و العيادة التي كان يعمل بها الطبيب منصوري و الطبيب حسان. خضعنا للفحص الطبي، مثل مجلس مراجعة، و وضعوا لنا سجلا ثم أرسلونا إلى « المزرعة » التي تبعد بـ 15 كلم عن القاعدة. كان يوجد هناك في الحقيقة معسكر تدريبنا. عُزلنا في كوخ يقع بعيدا عن المباني الأخرى بالمزرعة، و مُنعنا منعاً باتاً من التحدث مع الجنود. و لكن يجب الاعتراف بأنه تم تجنيد كل الوسائل لأجلنا. كنا 12 مناضلا، ستة منا يتكلمون العربية و أربعة منا يتكلمون الأمازيغية و لا أحد منا يتكلم لغة الآخر، فاتفقنا على التخاطب باللغة الفرنسية، و هو أمر أدى إلى حادثة طريفة، ففي ليلة من الليالي، ذهب الحارس المكلف بحراسة كوخنا لإيقاظ قائد القاعدة ظنا منه، وهو يسمعنا نتحدث باللغة الفرنسية، أن أجهزة العدو قد تسللت إلى المعسكر. »¹⁹⁸.

« في اليوم الموالي لوصولنا، نُظِّم تجمّع عام حيث تناول فيه قائد المعسكر الكلمة لمنع جميع الجنود من أن يطرحوا علينا الأسئلة منعاً باتاً، وحدها التحيات العادية كانت مسموحة. [...] كانوا يخرجوننا كل يوم في مجموعة من أربعة. في البداية، ظننت أنهم كانوا يفعلون ذلك لجعلنا نكتشف المنطقة، لكن سرعان ما تبين لنا أن السبب كان سببا آخر. كنا دائما مصحوبين بنوع من الحراس الشخصيين لأنه لكل مجموعة أربعة كان يوجد أربعة مرافقين و كان كل واحد منهم يحاول استخراج المعلومات منا قدر الإمكان [...] و في نهاية المطاف، تم ضمنا إلى المعسكر، سُلمت لنا ملابس عسكرية و بدأ التدريب [...].

خضع الجميع للتدريب نفسه : تمارين جسدية و تعلم استخدام الأسلحة و كل ما يرتبط بتحضير الوحدات الخاصة. كنا نتسلق الجبل، و نعبر واجهات مبنى من طبقة إلى أخرى، و كنا نتعلم تركيب المتفجرات و استعمالها، و كذا القفز و السلاح

(198) م. أوراعي، المرجع المذكور.

في يدنا من سيارة منطلقة بأقصى سرعة. و بعد ستة أشهر، جاء سي موسى، المسؤول عن التكوين، للمعاينة. فقد أراد أن يتأكد من المستوى الذي بلغناه و أخضعنا لسلسلة من الاختبارات، الرمي بالبندقية و بالمسدس، تفكيك الأسلحة و إعادة تركيبها و أعيننا مغطاة، إلى أن لاحظ أن مستوانا بلغ المستوى المطلوب، فقرر عندها عودتنا إلى فرنسا. ¹⁹⁹ .

« خضعنا لتدريب مكثف : الجودو، القتال عن قرب، استعمال الأسلحة... كان من المفترض أن تدوم مدة تدريبنا شهرا لكننا بقينا، في نهاية المطاف، من جانفي إلى ماي 1958. جاء بوداود عمر مرةً للتحقق من تقدّمنا في التدريب ثم عاد أدراجه. ²⁰⁰ .

عاد قائد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بفرنسا في أفريل 1958 ليلبغهم بأمر استعدادهم للرحيل إلى فرنسا. خضع الكومندوس من جديد إلى معاينة طبية ثم اقتيدوا إلى مبنى الإدارة لتسلّم لهم ملابسهم المدنية و جوازات سفر مزيفة حقيقية مغربية و المال للسفر.

كان طريق الذهاب هو نفسه طريق الإياب مع الممرات نفسها و الاتصالات نفسها. تلقى كل واحد منهم، ببايون، كلمة سر و عنوان مكان ينزل فيه بباريس.

تكوين المتخصصين في المتفجرات

لم يتم اختيار المرشحين للتخصص في المتفجرات، عكس رفقاءهم من فرق التدخل، من قبل فيدرالية فرنسا، إذ تم انتقاؤهم بعين المكان. ففور تلقي المسؤولين عن اللوجستية المتمركزين بالمغرب خطة تنفيذ هجوم عسكري على الأراضي الفرنسية مع طلبيات خاصة، أرسلها بوداود عمر، قاموا بالتفكير في أفضل طريقة لتقديم مساهمتهم.

« كان الأمر يتعلق بتكوين عناصر عملياتية قبل نهاية عام 1957. لم نكن نعرف لا الأهداف ولا تاريخ اندلاع العمليات، و حتى فيما بعد، عندما أرسلتُ إلى باريس، سنة 1958، لم يتم إطلاعي على الأمور. و عندما كانوا يكلفوننا بمسألة

(199) المرجع السابق.

(200) ع. شروق، المرجع المذكور.

كنا نحاول تفحصها من جميع الأوجه . و كان مهدي خاصة هو الذي يفكر، بفعل خياله الواسع، في أدق التفاصيل التي كانت تعطي المشروع أهمية أكبر . كنا نفكر في هذه الأمور الصغيرة و كأننا نملك تجربة ثورة أخرى . كان علينا أن نحدد ملامح الأفراد الذين سنكونهم، و كان يجب ألا يتفطن لهم أحد، و بذلك، يجب أن يكونوا شبانا، ربما تلاميذا بالثانوية أو أفرادا يظهرون بمظهر البراءة على الأقل . و بدأنا في البحث وسط جنود معسكرات خميسات و العرايش .²⁰¹

انتقى معابد خمسة رجال اقتيدوا في المساء ذاته داخل شاحنة صغيرة مغطاة بوقاء . و بعد طريق طويل كانت تكبر فيه باستمرار مخاوف الرجال الخمسة، الذين كانوا يجهلون وجهتهم، انتهى السفر بالرباط عند مصلحة اللوجستية .

« أوقض الطباخ، لدى وصولنا، ليعدّ لنا الطعام . كانت الساعة متأخرة و استيقظ الطباخ متذمرا ليعدّ لنا شرائح اللحم، و لم نكن قد تذوقنا لحما طيبا كهذا اللحم منذ زمن طويل . و بعد وجبة جيدة، قدموا لنا الجبن و الشاي ثم، كخاتمة، قدموا لنا علبة سجائر فيليب-موريس . كنا نقول لبعضنا البعض على حده : غريب كل هذا، ما الذي يُدبر ؟ كنا في سنة 1957، و كان بومدين على رأس الولاية الخامسة، و بالرباط، كانت جبهة التحرير الوطني تحت قيادة بوصوف، أما نحن فكنا على صلة بمنصور بوداود على وجه الخصوص . و هو الذي جاء لرؤيتنا مصحوبا بمعابد . كان هذا الأخير يقول لي : « كيف حالك ؟ » و هو يربت على رأسي . و عندما كنت أهم بالخروج، اقتنصت مقاطع من حديثهما، كان يقول لمنصور : « هل ترى هذا الشاب، إنه رجل صغير، لم يتزحزح تحت وقع الضربات . » [...]»²⁰²

كانت المجموعة الأولى مكونة من خمسة مناضلين : محمد أوزناني و سكاني بلحاج و عبد السلام « مروكي » [أو مزيك] شايب و شخصين آخرين . كانوا قد اختيروا ليتلقوا تكوينا عسكريا للتخصص في المتفجرات .

« كان من المهم جدا القيام باختيار جيد منذ البداية، لأننا لم نرغب في أن يتراجع المناضل ما أن يتم إبلاغه بالهدف، فلو حدث ذلك لكان الأمر في غاية الخطورة بالنسبة لنا جميعا ؛ أولا مضیعة للوقت لنا و حكم أكيد بالإعدام عليهم

(201) ع . عبد الصمد، المرجع المذكور .

(202) م . أوزناني، شهادة .

في حال ما إذا رفضوا المهمة. و لكونهم متطعين كانوا يعون المخاطر التي يُعرّضون أنفسهم لها، مخاطر العمل في ذاته و تلك التي تتربص بهم في حالة ما اعتقلتهم الأجهزة الفرنسية. [...] لم أكن أملك فكرة معينة عن طريقة التعليم، كنت مسرورا لأنني تعلمت شيئا في هذا المجال، و لكن نقل المعرفة هو مسألة أخرى، و بما أن إسعد كان يبلغني يوميا، منذ 1956، عن قرب رحيلي إلى الجزائر أو إلى فرنسا، لم أكن مستعدا مطلقا لعمل التكوين. بدأت إذن بوضع جدول زمني يعتمد على المهلة الزمنية المحددة لثلاثة أشهر، فضلت أولا أن أعطيهم معارف أساسية في الكهرباء. و طوال أيام وأيام، درسنا مبادئ الكهرباء، التيار المتناوب، التيار المستمر ؛ و كنت أختبر بأسلاك و قاطعة أنهم فهموا الموضوع ثم انتقلنا بعدها إلى درس التلحيم. كانت هاتان التقنيتان بعيدتان قليلا عن تقنيات التخريب، و لكن تبين أنها خيار حكيم. كان المراد تعليمهم مبادئ صنع القنابل بوسائل أولية.

انتقلنا بعدها إلى الصناعة الكاملة للصاعق مع أنه كانت بحوزتنا أجهزة تشتغل ببطاريات كهربائية أو بفتائل صنعناها في ورشاتنا، ثم جاءت لحظة إنجاز نظام التشغيل عن بعد، و نظرا إلى أن مدة التكوين كانت قصيرة جدا، لم يكن لدينا وقت كاف لنعلمهم حساب الشحنات اللازمة لتفجير السكك الحديدية و الجسور و بنايات أخرى [هنا، تدور الرواية حول إصابة تعرّض لها صاحب الشهادة خلال تعامل أحد المتدربين مع صاعق. و لقد كاد هذا الحادث أن يتسبب في فقدانه الكلي للبصر، و يحتفظ إلى يومنا هذا بآثار خطيرة جراء هذا الحادث]. بقيت شهرين مضّم العينين ثم اضطررت إلى ارتداء نظارات. و بسبب الحادث أُجلّ التدريب ثم أنهيناه بفيلا ثانية و أخضعتهم لاختبارات أعطت نتائج مقنعة. كانوا قد استوعبوا جيدا و أبدوا اهتماما كبيرا بالمجال. كان كل واحد منهم يأتي بأفكار جديدة لتحسين التقنية، و كنت أشجعهم في هذا الاتجاه ؛ و تمكن كل واحد منهم من صنع جهازه الخاص حتى المتفجرات ذات الحاجز الفولاذي.

لم نكن نصنع القنابل فقط، بل كنا نفكر كذلك في طريقة تفخيخ باب أو نافذة أو دراجة و أشياء صغيرة من هذا القبيل. و لقد أضاف سكاني، في هذا المجال، تغييرات مثيرة للاهتمام للنظام، و لكنّا تمكّنا، مع وقت إضافي، من تشكيل فريق جيّد و تحسين معارفنا. ²⁰³ «

انطلق أربعة من المتدربين على المتفجرات الخمسة، مزودين بمعرفة جديدة، إلى تيطوان ثم إلى إسبانيا²⁰⁴. وصلوا إلى مدريد، في نهاية 1957، وبقوا هناك أكثر من ثلاثة أشهر. كانوا محبطين قليلا بسبب عدم نشاطهم و الشك الذي بدأ يساورهم ؛ فقام تلمساني رشيد، الذي عيّنه رفقاؤه، بالتحدث عن ذلك باسم الجميع لبوداود عمر الذي جاء يعلمهم بتحويلهم القادم إلى فرنسا.

« نحن هنا منذ ثلاثة أشهر أو أربعة، نُعامل باحتقار و لدينا ما يكفي من المال لشراء شطيرة فقط و ملابسنا تشبه ملابس المتشردين » نظر إليه بوداود دون التفوه ببنت شفة ثم طرح عليه سؤالا : - من أين أتيت ؟ - خضت حرب الهند الصينية في صفوف الجيش الفرنسي و هربت. « قام باستدعاء حكيم، مساعد عمار بن داود، و قال له : أعده من حيث جاء، سأكتب لك رسالة قصيرة. »²⁰⁵.

و هكذا عاد تلمساني إلى المغرب محمّلا برسالة من بوداود لشانقرها. استقبل على أنه عسكري غير منضبط و أُبرح ضربا. و يقول شاهدنا أن الكلمة التي استعملها حكيم بالضبط، عندما حكى لهم عن الاستقبال الذي استقبل به الـ « متمرّد » هي أنه استخدم كُرة اللكم. يبقى أنه لم يُسمع عنه بعد ذلك. أما فيما يخص المتخصصين في المتفجرات الثلاثة المتبقين فقد أُبلغوا بتحويلهم القريب إلى فرنسا.

كان اتصال أوزناني بفرنسا هو عيساوي الذي كان مكلفا بإبلاغه عبر برقية باللغة الإسبانية أن الطريق سالك. كان الوضع بمدريد يتدهور مع وصول دي غول إلى الحكم إذ اشتدّت ضغوط فرنسا على إسبانيا، خاصة أنه تم اعتراض قافلة أسلحة بالجزيراس كانت موجهة إلى المغرب. و قد وجدوا ذريعة جيدة لتحججون بها عندما عُثر على السكرتيرة الإسبانية لوفد جبهة التحرير الوطني بمدريد ميتة مقتولة، و اتضح فيما بعد، خلال التحقيق، أن أعضاء جبهة التحرير الوطني بمدريد لم يكن لهم أي دخل بهذه القضية المتعلقة بقصة حب إسبانية محضة. لكن هذا لم يمنع اعتقال يوسف و بن داود و الحكم عليهما بالحبس

(204) لقي الرجل الخامس حتفه بمركز حراسته عشية المغادرة، يتكلم بعض الشهود عن انتحار و البعض الآخر عن حادث يعود إلى سوء تعامل مع السلاح الذي كان يحمله.

(205) أقوال نقلها م. أوزناني، المرجع المذكور.

لمدة ثلاثة عشر شهرا بتهمة الإخلال بالأمن الداخلي و الخارجي للدولة²⁰⁶. و بعد أن ملّ من الانتظار و تملكه القلق بسبب ما آلت إليه الأحداث، قرر أوزناني من تلقاء نفسه الذهاب إلى العاصمة الفرنسية و حرص على إعلام اتصاله بذلك. و انطلاقا من المحطة، حيث كان ينتظره « ساكت » في حالة من القلق الشديد، توجهها إلى مقهى كان ينتظرهم فيه « سعيد » بوعزيز ؛ و هنا اتُخذ قرار إحضار المتخصصين في المتفجرات اللذين بقيا بمدريد، و علم أوزناني، في الوقت نفسه، أنه حوّل رفقة عيساوي إلى جنوب فرنسا.

كان كومندوس المنظمة الخاصة، النازلون، في مجموعات من اثنين أو ثلاثة، بملاجئ باريسية، ينتظرون بفارغ الصبر التعليمات. لم يكونوا يعرفون شيئا بعد عن طبيعة مهمتهم بالتحديد، و لا عن تاريخ اندلاع العمليات، و لا ننسى أننا لا زلنا في شهري ماي - جوان 1958. كان « سعيد » و « مجيد » يذهبان لزيارتهم مصحوبين أحيانا بأوراغي مولود أو بعضو من أعضاء شبكة الدعم، و كانا يجلبان لهم الطعام و الأسلحة كذلك. دام الانتظار حوالي شهرين و كانت قصص الحوادث الناتجة عن نفاذ الصبر و الضجر و رهاب الاحتجاز شائعة.

يبقى أنه خلال هذه الفترة تم تعيين مسؤوليات الأفراد والمواقع التي يرسلون إليها.

(206) أُطلق سراحهم بعد عدة أسابيع. ذهب لوانشي إلى ألمانيا لتمثيل وزارة التسليح والعلاقات العامة، أما بن داود فعاد إلى مدريد هذه المرة كممثل للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

الجزء الثالث

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

بين الاندماج و الاستقلالية

من الصعب، في المستوى المنهجي، تصور إدماج شبكات الدعم في الهيكل التنظيمي لجهة التحرير الوطني بفرنسا. فبالفعل، لم يُفكر يوما في الشبكات، ولا اشتغلت، على أنها فروع أو ملحقات لجهة التحرير الوطني. فقد كان كفاحهم ينبع عن حوافز متعددة التقت، جميعها، في لحظة من اللحظات، مع رغبة انعتاق الشعوب المستعمرة عموما، و الشعب الجزائري خاصة. و لقد كان تاريخ هذه الشبكات موضوع منشورات عديدة، و لا ندعي أننا نحل محل هؤلاء الفاعلين الذين شهدوا بكتاباتهم بعد أن كانوا شهدوا بأشكال أخرى. و لكن يتفق أن الشهادات القليلة التي تمكنا من جمعها تسلط ضوءا خاصا على هذا الالتقاء بين قرار جبهة التحرير الوطني في نقل الكفاح المسلح إلى فرنسا و قرار بعض الفرنسيين مساعدة الجزائريين في مكافحة الاستعمار.

و لقد تشكلت شبكات دعم جبهة التحرير الوطني في لحظات مختلفة و قامت بذلك، شأنها شأن أولئك الذين تصرفوا على أساس فردي، أحيانا، حتى قبل إنشاء المنظمة الخاصة في فرنسا. في الواقع، لم تعمل أي واحدة منها، بصراحة، كدعم لوجستي للمنظمة الخاصة. كانت الجهة الوحيدة التي يتعاملون معها هي اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني. فبالفعل، كما أوحينا إليه في الفصول السابقة، كانت اللجنة الفيدرالية، باعتبارها السلطة المسيّرة و التنفيذية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا، تدير أمور كل ما يمس بشبكات الدعم. و كان

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

أعضاء اللجنة الفيدرالية، وخدمهم، الذين يستفيدون من سلاسل الإيواء و السلاسل المساعدة على عبور الحدود، و ذلك إلى غاية نهاية 1957 .

و لقد أدى إنشاء المنظمة الخاصة و ضرورات توسيع رقعة الكفاح إلى الأراضي الفرنسية، إلى استفادة مناضلين آخرين و إطارات من مستوى أدنى في السلم الهرمي من خدمات هذه الشبكات . و من ناحية أخرى، عمل مسؤولو المنظمة الخاصة بدورهم على وضع شبكة دعم موازية لتلك التي كانت اللجنة الفيدرالية تسيطر عليها بصفتها كذلك . و لقد خلق هذا، بطبيعة الحال، بعض التداخل و لكن سمح، في المجمل، ضمان حماية أكبر لقادة المنظمة الخاصة . و كان « سعيد » بوعزيز، في نهاية المطاف، باعتباره قائد هذا الهيكل و عضوا باللجنة الفيدرالية، هو الضمان لوجود اتساق نسبي للهيكل العام .

يمكننا تلخيص ما سبق في أن شبكات الدعم، التي بدأ بعض أعضائها في العمل منذ 1945 - 1955²⁰⁷، قد طُلب منها المساعدة من أجل إيواء إطارات جبهة التحرير الوطني بفرنسا، و كذا من أجل نقل الأموال و الأفراد خارج الحدود الفرنسية . و لكن لم يتم الالتماس من هذه الشبكات في حد ذاتها، في أي لحظة من اللحظات، لنقل الأسلحة و المتفجرات أو تخزينها و هي العملية التي استفادت، فيما يخصها، بسلاسل أخرى . فعندما تطور الكفاح المسلح بفرنسا و أخذت الاغتيالات و عمليات التخريب تأخذ بعدا لافتا، بدأ موقف هؤلاء و أولئك يتغير، إذ هناك من كانوا يترددون في مواصلة دعمهم في تلك الظروف و حاولوا حتى أن يغيروا موقف جبهة التحرير الوطني، و هناك من كانوا لا يرون في ذلك مشكلا يحول دون دعمهم حتى أنهم كانوا ينقلون الأسلحة و يُنجدون مناضلين مطلوبين بسبب مشاركتهم في عمليات مسلحة ضد المصالح الفرنسية .

و لأن دعم هذه الشبكات قد تم لدوافع فلسفية أو أخلاقية أو سياسية مختلفة، فهذا يوضح جزئيا هذه الخلافات حول أشكال دعم جبهة التحرير الوطني و حول حدودها .

(207) خاصة الذين كانت لديهم علاقة بمجموعة البروفيسور ماندوز « كونسونس ماغرين » انظر الحاشية 29 .

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

سنحاول من خلال الشهادات التالية أن نوضح الأمور و أن نلقي بعض الضوء على هذا الفصل الواضح و المُبهم، في الوقت ذاته، من تاريخ كفاح جبهة التحرير الوطني المسلح بفرنسا. و لن نعالج المسألة العامة لشبكات دعم جبهة التحرير الوطني، و لكننا سنتناول فقط الجانب الذي يربطها بالمنظمة الخاصة في هذه اللحظة أو تلك من فترات نشاطها.

تداخل هيكلية

لقد وضعت شبكات لوجستية للتخزين و النقل و الإيواء و كذا شبكات مرتبطة بالاستخبار، مع مرور الزمن، على أسس ظرفية جدا. و برز الخلط في الهياكل و المهام حالما اتخذت جبهة التحرير الوطني قرار إنشاء « منظمة خاصة » بفرنسا و وضعته موضع التطبيق. ففي ذهن المسؤولين عن المنظمة الخاصة يفترض في جميع السلاسل، سواء أكانت على صلة باللجنة الفيدرالية أو على علاقة مباشرة بالمنظمة الخاصة، أن تخدم الهدف الأساسي المتمثل في مساندة العمل المسلح. من جهة أخرى، فإن اندلاع العمليات ذات الطابع العسكري على نطاق واسع و ردّ فعل أجهزة الأمن الفرنسية المحتوم، أدى، شيئا فشيئا، إلى نوع من التقسيم في العمل و تخصّص الشبكات ؛ لكن مع بقاء اللجنة الفيدرالية القائد الأسمى لهذا التوزيع في الأدوار.

فإذا رجعنا إلى الشهادات المكتوبة لآيت مختار²⁰⁸، نجد أن العلاقة ما بين المناطق و عملية النقل و التسليح مرت جميعها بمرحلتين متميزتين. المرحلة الأولى هي مرحلة تحضير هجوم أوت 1958 و اندلاعه.

و في هذه المرحلة، التي تمتد من 1957 - 1958 إلى 1959، نجد، بالإضافة إلى المناضلين و المناضلات من أصل جزائري الذين سبق أن تكلمنا عنهم، ذكرا لرجال و نساء من أصل أوروبي. و من بين هؤلاء الأفراد، نجد أولئك الذين ذكرتهم العديد من الكتب على أنهم كانوا ينتمون إلى شبكات دعم جبهة

N. Aït Mokhtar, *Op.cit.*, pp. 11, 34, 41 (208)

التحرير الوطني بالمعنى الواسع. و هكذا، يذكر « مجيد » اسم لورانس و باتاي جوديث و ماسون دياغو، بالنسبة للإيواء و النقل و العلاقات مع الخارج، لكنه يذكر كذلك أسماء أخرى لأفراد مندمجين، على ما يبدو، في سلاسل أخرى أو على صلة مباشرة بالمنظمة الخاصة، و هم أوغوي جوليت المولودة باسم مارتين و شاريان جاكليين و بالج ميشيل، بالنسبة للإيواء و النقل و الاستخبار و التعقب، أما من الجانب الألماني فنجد هوشولتز إينج و غوتنر جيزيلا، بالنسبة للعلاقات والتسليح و البريد.

و خلال المرحلة الثانية، التي بدأت في 1959 و امتدت إلى غاية 1961-1962، حل آيت مختار محل بوعزيز على رأس المنظمة الخاصة بفرنسا، و جمع فيما بعد بين هذه الوظيفة و وظيفة المسؤول عن اللوجستية بأوروبا.

« كانت نهاية 1959 و بداية 1960 فترة اضطرابات كلفتني خلالها اللجنة الفيدرالية، التي كان مقرها بجمهورية ألمانيا الاتحادية، بالإشراف على المنظمة السياسية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا و ضمان سير المنظمة الخاصة. [...] و في نهاية 1960 و 1961، بقيت على صلة دائمة بالمنظمة الخاصة بوساطة « سعيد » بوعزيز [...] و كُلفت، في الوقت نفسه، بالاهتمام باللوجستية الخاصة بأوروبا مع الأخ عيسى عبد الصمد و بالاهتمام بعملية استقبال رجال الكومندوس العابرين من جمهورية ألمانيا الاتحادية. »²⁰⁹

خلال هذه الفترة، يبدو أن السلسلة الألمانية هي التي خدمت أكثر في العلاقات و الاتصالات ؛ و سنتطرق إلى هذا بالتفصيل في الفقرة المخصصة لها. و لنقل فقط أن نوعا من التداخل، يفوق تداخل المرحلة الأولى، قد برز بين شبكات جبهة التحرير عموما، فيدراليتا فرنسا و ألمانيا معا (التابعة نظريا لبن طوبال، و من خلاله، لوزارة الداخلية) ؛ و بين شبكات وزارة التسليح و العلاقات العامة (التابعة مباشرة لبوصوف) و شبكات المنظمة الخاصة بصفاتها تلك. و ذكر كذلك :

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

أدولف و جيزيلا غوثر و هاسمان و باي فولوورث، فيما يخص تخزين الأسلحة و تحميلها و نقلها ؛ و داربوا دومينيك من شبكة فيني- دافري ؛ و شبكة روني بورت، التي تهتم بدخول أعضاء خلايا المنظمة الخاصة المصابين أو المطلوبين و خروجهم ؛ و شبكة كورييل التي تهتم بنقل الأموال .

و دون الادعاء بتسليط الضوء الكامل على ما يدخل، بالضرورة في حيز الغموض أو، على الأقل، السرية، سنحاول من خلال الشهادات الآتية أن نكمّل ما قيل أو كُتب في جهات أخرى .

من بين كل من حاولوا، في لحظة ما أو أخرى، مساعدة جبهة التحرير الوطني، هناك من استطاعوا فعل ذلك قبل غيرهم أو استمروا في تقديم دعمهم لفترة أطول من غيرهم . و هذه ليست ميزتهم الأساسية بما أن جميع من شاركوا في الكفاح كان لهم الفضل نفسه، بل و تعرضوا أحيانا للأخطار نفسها التي كانت لتودي بحياتهم و تضر بسمعتهم و بمهنتهم . إن العرض التالي يروم أن يكون عرضا كرونولوجيا و يطابق الترتيب الذي دخل فيه على الساحة الشهود المُسجلون، و بذلك فهو لا يحمل معنى من حيث ترتيب أسبقية البعض أو البعض الآخر .

مجموعة « الطريق الشيوعي »

راي روجي هو ضابط سابق طُرد من الجيش الفرنسي سنة 1952 . أصله من وهران بالجزائر، درس بالمدرسة الابتدائية ثم بثانوية لاموريسيار مثل العديد من « الأقدام السوداء » الشباب من عمره و من أصله الاجتماعي . و لكن نهاية الحرب العالمية الثانية و السنوات التي تلتها شكلت، بالنسبة له، لحظة وعي هامة . كان لا يزال عسكريا سنة 1945 عندما أُرسِل إلى الفيتنام، و هناك، اكتشف حقيقة أخرى، حقيقة الحروب الاستعمارية .

« عانيت الويل . شاركت في الحرب الاستعمارية كقائد فصيلة و قائد سَرية بالحدود الصينية من 1946 إلى 1948 . و أزعَم أنني الفرنسي الأول الذي وصل إلى الحدود الصينية سنة 1946، و عدت إلى فرنسا سنتين فيما بعد »²¹⁰ .

(210) راي روجي، شهادة .

و لقد تركت هذه الحملة الفيتنامية أثرا عميقا في وعيه، و حملته نقاشاته مع والديه الشيوعيين إلى أن يعيد النظر في مواقفه. و في 1950، أُرسِل إلى مدغشقر حيث قضى بضعة أشهر في حامية. و على متن سفينة العودة دخل في نقاش مع أستاذ ثانوية، م. غراتيهو، الذي ذُهِل لكلامه و لم يجد غير الإسراع بالإبلاغ عنه لدى الأمن العسكري.

قال لهم : « هذا ضابط يعلن أنه إذا واصلنا على هذا المنوال في الفيتنام، فسينتهي بنا المطاف إلى الانهزام شرس هزيمة ». قلت هذا في 1950، و لم أكن غيبا إذن بما أن معركة ديان بيان فو حدثت في 1954. بدأت الأمور على هذا النحو ثم واجهت مشاكل صغيرة إلى أن جاء اليوم الذي قام فيه أحد أصدقاء العائلة، دونات غاستون، مستشار بالاتحاد الفرنسي²¹¹، أثناء مروره بتاناناريف، بدعوتي إلى المطعم. فذهبت إليه برفقة زوجتي، و لقد كان هو في رحلة رسمية بمثابته عضوا بمجلس الشيوخ، لكن هذا لم يمنع الجنرال من استدعائي في اليوم الموالي ليقول لي : « لقد التقيتَ البارحة بمحرض محترف، السيد دونات غاستون. وجودك هنا غير مقبول. »²¹².

عاد إذن إلى وطنه و عُيِّن بفيرساي حيث التقى بضباط يطلق عليهم اسم « الشيوعيين »، بعدها وُضع في وضعية عدم النشاط لأسباب تأديبية في جويلية 1952. و لا بأس بذلك، إذ وجد عملا بمصافي السكر بودي سامور حيث تواصل مع مناضلين نقابيين جزائريين.

« عوض الذهاب لقتل « الفلوز »²¹³ بالجزائر، في الأوراس أو النمامشة، ساعدت المناضلين الجزائريين هنا بالذات. »²¹⁴.

في نهج فلاندر 145، بالدائرة التاسعة عشر بباريس حيث يوجد المعمل، كان 80% من العمال من أصل جزائري. و بهذا المعمل بدأ راي روجي يتعرف

(211) د من مجلس الشيوخ في فترة الجمهورية الرابعة.

(212) ر. راي، المرجع المذكور.

(213) كلمة عامية كانت تُستعمل للإشارة إلى أولئك الذين كان يطلق عليهم الفرنسيون بالفلافة.

(214) ر. راي، المرجع المذكور.

على العمل النقابي النضالي . في ذلك الوقت، كان أرباب العمل يمنعون تشكيل نقابات عمالية احتجاجية، فكان يحاول تقريبا في السرية أن يؤسس فرعاً مع دعم السي-جي-تي . و أقام اتصالات مع مناضلين جزائريين وطنيين أفادوه جدا عندما بدأت المشاكل تُطرح .

« من الواضح أنني لم أكن على دراية كبيرة بخبايا سياسة النزعة الوطنية، و في نوفمبر 1954 فوجئت كأني مواطن فرنسي . كان رد فعلي الأول هو، سَيَكْسِرُون أسنانهم، و قلت ذلك صراحة، و لكن، رويدا رويدا، بفضل الرفقاء النقابيين الجزائريين الذين لديهم مسيرة طويلة في النزعة النضالية الوطنية، تعلمت الكثير حول هذا الموضوع . من بينهم كان هناك كابر مولود، و هو صديق عزيز لي، و عمار بلوشراني . و لقد عرفنا جميعنا معا تطورا مشتركا . كان معظم العمال الجزائريين، مثلنا، لا يعرفون شيئا عن اندلاع الكفاح المسلح . و بدأنا ندرك الأمور، شيئا فشيئا، إلى أن أصبحنا قادرين على تقديم مساهمتنا إلى الثورة الجزائرية . و جرت الأمور تدريجيا بطريقة عادية »²¹⁵ .

أصبح رأي روجي الأمين العام لنقابة سي-جي-تي لعمال مصفاة المنطقة الباريسية و عضوا بالفيدرالية الوطنية للأغذية بالسي-جي-تي، و كان باله مشغولا بموقف الحزب الشيوعي حول المسألة الجزائرية . ذلك أن تجربته المبررة في صفوف الجيش الاستعماري و اتصالاته بمناضلين نقابيين قريبين من توجه المركزيين على غرار بلوشراني، كل هذا كان يقربه أكثر من مواقف جبهة التحرير الوطني .

« ما كان يشغلني أكثر، في تلك اللحظة، هو تطوّر السياسة الفرنسية و كنت أناضل بمثابتي مواطنا فرنسيا . كنت قريبا جدا من أوساط السي-جي-تي، و بهذا كنت قريبا من الشيوعيين مع خلافات في الرأي حول النظام الاستعماري و الحروب التي كان يشنها هذا الأخير ضد الشعوب المستعمرة . [...] حدث

(215) المرجع السابق .

أول خلاف كبير لي مع أوساط أقصى اليسار عندما تم التصويت لمنح مولي غي سلطات خاصة. هذا التصويت وقضية بودابست²¹⁶ هما اللذان دفعاني إلى الانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي. إذن، فالأسباب التي دفعتني إلى الانفصال عن النزعة الشيوعية التوريكية²¹⁷ هي أسباب عميقة جدا. فالسلطات الخاصة تعني إرسال المجندين إلى الجزائر و كان، ما صدمني أكثر، موقف الحزب الشيوعي تجاه هذه الحرب التي كان الجيش الفرنسي يقودها في هذا البلد، حرب غير متكافئة ضد خصم أعزل نسبيا ودونه عددا. «²¹⁸.

و هكذا في 1956، بدأ رأي روجي يبتعد عن مواقف الحزب الشيوعي وهو الأمر الذي دفعه إلى الانخراط بعمق أكبر في العمل العملي، المباشر وبلا وساطة، إلى جانب الجزائريين، أولا، ثم، بصورة ملموسة أكثر، إلى جانب جبهة التحرير الوطني.

« مثلا مساعدة أحدهم على إيجاد مكان يقضي فيه الليلة أو محاولة فعل شيء يحول دون انتهائه بمركز الشرطة. عندما كان يجب نقل فرد أو شخصية ما، كنت أبحث عن سيارة و سائق، و شيئا فشيئا، قمنا نحن بتنظيم أنفسنا في هذا الاتجاه »²¹⁹.

نحن، تعني أن روجي لم يعد لوحده في هذا التطور نحو التنديد بالحرب الاستعمارية و دعم جبهة التحرير الوطني دعما فعليا. و بالفعل، وجد روجي نفسه مع شيوعيين آخرين كان موقف الحزب يُزعجهم. و برفقة برجي دنيس و سبيتزر جيرار و لورن ريشار، شنوا، داخل الحزب الشيوعي و السي- جي- تي، حركة ضد البيروقراطية و النزعة البرلمانية و الانتهازية و نقص التوجه الأممي للقيادة، و لكي يكون لهم صدى أكبر شكلوا جماعة سموها « جماعة الطريق الشيوعي »،

(216) تدخل القوات السوفييتية بهنجاريا لكسر انتفاضة ديمقراطية.

(217) كان موريس توريك وقتها الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي و زعيم اتجاه الأغلبية.

(218) ر. راي، المرجع المذكور.

(219) المرجع نفسه.

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

و أصدروا كُتَيِّبًا صغيرا لافوا كومونيست بهدف التشجيع على التضامن الأممي و خاصة التضامن مع المناضلين الجزائريين . هذه الجماعة الصغيرة هي التي كَلَّفَتْ راي روجي، سنة 1958، بالاتصال رسميا بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . و كان كابر مولود و سعيد سليمي، و هما نقابيان قديمان و مناضلان سابقان بحزب الشعب الجزائري، بمثابة الوسطاء . و قاما بوضع روجي في اتصال بقبايلي موسى، قائد ولاية بارييس و منطققتها .

« كنت بعد منخرطا في العمل عندما طلب منا قبايلي موسى أن نُنْظِمَ أنفسنا أفضل، و إذا كان ذلك لا يشكل لنا مشكلا، أن نجد مآو و مستودعات و أن نستأجر سيارات و نضمن نقل الأفراد المطلوبين من قبل الشرطة . كان هذا هو الجانب العملي لمقاومة ضغط الشرطة . كان بإمكاننا، نحن، السفر بالطائرة دون أن نُكتشف، و كذلك عبور الحدود و التنقل بسهولة أكبر منهم لضمان الاتصالات . كان كامينسكي²²⁰ يهتم بتوفير الأوراق المزورة، ساهمنا لنوفر له بعض الوسائل لكن الأمر لم يكن يدخل في إطار اختصاصنا . كان هذا يتطلب تخصصا لم يكن شخص مثلي يتقنه . كنت متخصصا في المسدسات الألمانية و ليس في المُحْبَرَة . و لقد أجريت لقاءات مع قبايلي موسى و هارون علي لأننا كنا على اتصال مع اللجنة الفيدرالية . التقيت كذلك ببوداود عمر الذي آويته مرات عديدة، كما آويت « بيدرو » (العدلاني قدور) و « لويس » (بوعزيز رابح) الذي كان آنذاك قائد الفرع العسكري لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني [...] لا يمكن القول أنني كنت أعرفهم ؛ تحادثنا و قمنا ببعض الأعمال معا، لا أكثر . كانت علاقتنا تتسم بالتحفظ، لم أكن أرغب في تعريضهم للخطر، أما هم فكانوا يعانون من مشكل الارتياب ؛ و هذا أمر كان يخصهم . كنت أكتفي بتقديم الخدمة و أنا أدرك بأنهم يكافحون من أجل شيء كان يهمني و كنت أعتبر أنه يمضي في طريق

(220) أدولفو كامينسكي يهودي من أصل بولوني، مقاوم سابق ضد الاحتلال الألماني تحت اسم جوليان كيلير و مسؤول عن مختبر حركة التحرير الوطني الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية و عضو سابق بإيرفون .
Cf. A. Haroun, *Op.cit.*, p. 229 et suiv.

التقدّم. لم يبلغونا عن أشكال الكفاح الجديدة. لم تجر الأمور على هذا النحو. ولقد تحدّثت في الأمر لمرات عديدة و كان لدي انطباع شخصي، ربما يختلف عن انطباعات رفقائي. وبفعل ماضي كنت ميّلا أكثر إلى النشاط، مندفعاً أكثر نحو العمل النضالي من العديد من رفقائي، وهكذا، عندما طُرحت عليّ المسألة، كنت موافقا مسبقا. ²²¹»

وهكذا، قامت جبهة التحرير الوطني بتكليف مجموعة مصممة على دعم كفاح تحريري بمهام حساسة و تتضمن، في أغلب الأحيان، مخاطر حقيقية. حتى أن البعض منهم اعتُقلوا ثم أُطلق سراحهم مثل برججي دنيس، وقضى بعضهم وقتاً أطول بمراكز الشرطة أو بالحبس مثل سبيتزر جيرار و لورن ريشار اللذان حُكم عليهما من قبل محكمة عسكرية، في سبتمبر 1959، بالسجن لمدة ثمانية عشر شهرا. و كان روجي نفسه تحت مراقبة مشدّدة، و خضع لتفتيش متبوع باحتجاز لمدة 24 ساعة قبل حملة اعتقالات سبتمبر 1959. و جزاء هذه القضية، طُرد من الشركة التي كان يعمل بها لكنه وجد بسرعة عملا آخر كمروّج بضاعة لدى مؤسسة كوداك-باتي وهو ما سمح له أن يتنقل أكثر. وبذلك، كان يتعاطى أعمالا كثيرة تقوده، بلا عناء، إلى عبور حدود بلجيكا أو اللوكسمبورغ أو ألمانيا، وهو البلد الذي كان يذهب إليه للقاء اللجنة الفيدرالية.

و بعد اندلاع العمليات العسكرية لشهر أوت 1958، استمرت المجموعة في نقل الحقائق، سواء كانت معبّاة بالأسلحة أو بالأموال، واستمرت كذلك في إيواء إطارات القيادة الفيدرالية أو إطارات المنظمة الخاصة. لكن، في هذه الحالة، لم يكونوا يُميّزون بينهم بما أنه لم يكن يفترض أن يعرفوا أحدا ممن كانوا يتعاملون معهم عدا أنهم مسؤولون سياسيون تابعون لجبهة التحرير الوطني.

» كانت المجموعة تضم: سبيتزر جيرار و رولاند جيرار برججي دنيس و بلومثال سيمون و غواتاري فليكس، طبيب الأمراض العقلية الذي كان يموّل جزئيا

(221) ر. راي، المرجع المذكور.

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

نشاطاتنا. كان هناك كذلك مناضلون شبان قمنا بتجنيدهم من بعد مثل : بورشيز جون- جاك و توركيون و بونو روبيير بجنوب فرنسا «²²².

و كمعظم جماعات الدعم الأخرى، لم يكن العمل الأساسي يركز على تقديم المساعدة لجبهة التحرير الوطني وإنما كان موجهاً صوب الرأي العام الفرنسي، كان راي و بيرجي و سبيتزر هم وحدهم الذين بقوا على اتصال باللجنة الفيدرالية. و شيئاً فشيئاً، بدأ عملهم يتخصص إلى درجة أنهم شاركوا في عملية الفرار من سجن لا بوتيت روكيت و نظموا عمليات هروب أخرى ناجحة، إلى هذا الحد أو ذاك، سنتكلم عنها في فصل آخر.

كان بونو روبيير أحد الشبان الذين تكلم عنهم راي روجي، و كان مثله عضواً بالحزب الشيوعي الفرنسي إلى أن جاء اليوم الذي صوّت فيه حزبه لصالح السلطات الخاصة.

« شخصياً، كنت أرى أن نقل جبهة التحرير الوطني للحرب إلى فرنسا يتمشى و منطوق الأحداث. و لم يكن يزعجني أن أساعد جبهة التحرير الوطني بما أن الخدمة الأولى التي قدمتها كانت تتمثل في تحبئة الأسلحة. أظن أن الأسلحة لم تكن للمنظمة الخاصة وإنما لجبهة التحرير الوطني. كان يُعدّ لهذا كي يحدث في جويلية 1958، و على كل حال بعد انقلاب الجزائر العاصمة²²³. كانت تلك لحظة حاسمة ساعدتنا على اتخاذ القرار ثم، بفعل الصدفة، طلب مني جوبلان لوسيان، في تلك الفترة، أن أقدم الخدمة الأولى. لم يكن جوبلان شيوعياً، كان سارترية فيلسوفاً، جونسون المارسييلي نوعاً ما. عندما كان طالباً بـ إكس- أون - بروفانس أسس حلقة سارترية، كانت تُعنى، في المستوى الفلسفي، بمسائل الوجودية و الالتزام و الحرية... إلخ، و كذلك بالماركسية التي كان التوجه السارترية متأثراً جداً بها و حتى باللينينية. لم يكن جونسون معادياً للشيوعية، شأنه شأن جوبلان، أما أنا فكنّت عضواً بالحزب الشيوعي لكنني

(222) المرجع السابق.

(223) في 13 ماي 1958، قامت مجموعة جنرالات بالإطاحة بالجمهورية الرابعة و أقامت لجنة السلام العام.

توقفت عن استلام بطاقة انتمائي منذ التصويت على السلطات الخاصة . أنا كذلك كنت قد استُدعيت من جديد إلى الخدمة العسكرية سنة 1956، كنت آنذاك عضوا باتحاد اليسار الاشتراكي، وهناك تعرفت على جوبلان، فكان جوابي أن الأمر لا يشكل عندي أي مشكل، لا على المستوى الأخلاقي ولا على المستوى السياسي .²²⁴

بالفعل، كان بونو قد تأثر بالأيام التي قضاها كمجند بالجزائر، إذ أنه شهد، منذ 1956، على الدور الذي كان يلعبه الجنود الفرنسيون في قمع الشعوب و كذا ثقل الحصار العسكري و آثاره على رجال المقاومة في الجبال .

« شهدتُ إبادة مجموعات من رجال المُقاومة، و أدركت تمام الإدراك أن سنة 1957 هي السنة الحاسمة نوعا ما . كانت هناك الأسلحة الشائكة المكهربة و الحصارات و كانت العمليات ذات فعالية رهيبية . رأيت إذن في الجزائر تحولا عسكريا كبيرا، إلى درجة أنه كانت تبدو لي، عملية نقل جبهة التحرير الوطني للحرب إلى فرنسا، أمرا يتماشى و منطق الأحداث . كان ذلك يشكل مشكلا، بلا شك، لأفرادٍ قد يقومون بإيواء مسؤولين أو نقل أموال جبهة التحرير الوطني، على الأقل لأن ذلك يمثل خطرا أكبر، و لكن، في الأساس، كانت المسألتان، الأخلاقية و السياسية، أمرا مفروغا منه .²²⁵ »

و لم ينحصر نشاط مجموعة مرسيليا و مجموعة باريس في دعم جبهة التحرير الوطني فقط . كانت هناك حلقات عديدة و وحدها النواة المركزية كانت على صلة مباشرة بإطارات و أموال و أسلحة الجبهة . و كان أفراد آخرون يقدمون خدمات دون أن يلتقوا بالجزائريين إطلاقا . فعلى سبيل المثال، كان البعض يقبلون بإيواء المتمردين و لكن يرفضون إيواء مناضلي جبهة التحرير الوطني، و كان البعض الآخر يهتم بتوزيع البريد أي أنهم كانوا مكلفين ببعث نحو خمسين إلى مائة المناشير السرية لـ لا فوا كومونيست، على نفقتهم الخاصة، إلى العناوين المحددة للقيام

(224) بونو روبير، شهادة .

(225) المرجع السابق .

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

بدعاية مناهضة للروح العسكرية. وهذا كان شكلا من أشكال المساهمة. و قرابة سنتي 1960 - 1961، كانت مجمل الحلقات التي كانت تشملها دائرة المعارضة المناهضة لحرب الجزائر تضم، بالنسبة لمنطقة جنوب فرنسا (من بوردو إلى نيس)، حوالي 200 شخص كان العشرات منهم فقط يقدمون مساعدة مباشرة لجبهة التحرير الوطني.

في جوان 1961، تم اعتقال بونو روبير لكن احتجازه أثار إحدى أكبر التظاهرات التي شهدتها كاننبيير منذ اندلاع حرب الجزائر. ولقد أعطى عمل شبكات الدعم لجبهة التحرير الوطني ثماره، وبدأت رقعة المعارضة للنظام الاستعماري الفرنسي تتسع في الساحة السياسية بفرنسا.

شبكة دافزي

« ببايون، عندما وصلوا [أعضاء المنظمة الخاصة] في الصباح، استقبلهم رجل و امرأة غرباء عنهم، لكنه كان من المفترض أن يلتقوا بهم و يتعرفوا عليهم من خلال أوصاف و كلمات سر متفق عليها مسبقا. كان أوراغي و سعداوي هما المكلفان، كل باسم مجموعته، بالقيام بالاتصالات اللازمة. لم يتمكنوا من التعرف على المرأة التي كانت لديهم أوصافا دقيقة لها²²⁶. أما الرجل الذي أشار إليه العديد من المتهمين باسم « روبير » و الذي تعرّف عليه البعض من صورته، فكان القس دافزي روبير البالغ من العمر 35 سنة، قس بـ « بعثة فرنسا » و أستاذ مساعد بكلية العلوم بباريس.

كان دافزي يسكن بـ 29 نهج ديكارت بباريس (الدائرة الخامسة)، لكن الشرطة لم تتمكن من اعتقاله رغم البحوث الدقيقة للعثور عليه.

كان دافزي و المرأة التي كانت برفقته يملكان سيارة فرساي، و كانا ينقلان على متنها الشمال-إفريقيين لأخذهم إلى فيلا تقع خارج ببايون. كان الشمال-إفريقيون يرتاحون فيها و يفطرون. و بعد الظهر، كان دافزي و المرأة

226) بول بولو أو أنطوانيت أرهانت المدعوة « أنيت ».

يقودانهم إلى الحدود الإسبانية و هناك كان يتم العبور في أفواج من اثنين [. . .] لم يُمكن تحديد، لا مكان الفيلا الواقعة ببايون و لا نقطة عبور الحدود، تحديدا دقيقا. لكن نقطة العبور تبعد على حوالي 30 كلم من بايون، بمنطقة آينها على ما يبدو. »²²⁷.

هذا ما صدر في محضر محكمة باريس التي كانت تحاكم بمحكمة الاستئناف أعضاء المنظمة الخاصة لجبهة التحرير الوطني بفرنسا. و يتوافق هذا تماما مع شهادات أعضاء المنظمة الخاصة باستثناء نقطة موقع الفيلا، و هي نقطة احتسرت مناضلون، على غرار أوراعي، من الكشف عنها للشرطة. كانت حيثيات الدعوى تُظهر جانبا فقط من النشاط الدؤوب لهذه الشبكة المكونة من القساوسة العمال و أعضاء « بعثة فرنسا »، حيث أدى بها دافزي روبر المدعو « مارتن »، على ما يبدو، دورا حاسما. و يذكر هارون علي، بالنسبة لسلسلة عبور الحدود الاسبانية، بالإضافة إلى بول بولو و أنطوانيت أرهانت، اللاهوتي السابق برتلات جاك.

كان ينشط في هذه الشبكة إذن رجال دين، و لكن كانت تنشط بها كذلك نساء حملتهم مسيراتهم الشخصية للانضمام إلى شبكات دعم جبهة التحرير الوطني.

كانت آن لودوك من بين هؤلاء النساء. كانت تدرس الطب، في سنة 1957، و تقيم بالحي الجامعي أنطوني، و هناك تعرّفت على فضيلة صحراوي، نائبة رئيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. كانت هذه الأخيرة تربطها خيوط عديدة بجبهة التحرير الوطني، فهي ابنة « ويسكي » الشهير، الذي ذكره آيت مختار و بن دالي حسين على أنه عضو بشبكة « صادق »، و أخت سليمة، عميلة الارتباط الأساسية لـ « سعيد » بوعزيز، قائد المنظمة الخاصة. و بطبيعة الحال، كانت آن لودوك تجهل ذلك عندما طلبت منها رفيقتها أن تقدم لها خدمات صغيرة مثل حفظ وثائق أو القيام بدور الساعي. كان ذلك في الفترة التي كانت تثور فيها الأوساط الطلابية بخصوص مسألة حرب الجزائر، و كان آرنو جورج

(227) مقطع من محضر غرفة الاتهام للمحكمة العليا لباريس، المرجع المذكور، ص 17 و 18.

و فضيلة صحراوي يقومان، خلال الفترة ذاتها، بجمع الإماءات في قضية بو حيرد جميلة²²⁸. تعاطفت فرجيني آن، كما كانت تسمى وقتها، مع القضية، و لكنها كانت منشغلة جدا بحملها ببنتها الصغيرة ما لم يسمح لها بالمضي أكثر في التزامها. ثم جاء اليوم الذي قصدتها في غرفتها لومي مونيك، صديقة الطفولة التي لم تجد مكانا تقصده. و اكتشفت بسرعة أن مونيك تناضل لأنها كانت في ذهاب و إياب مستمر بغرفتها التي كانت تُبعثر فيها، أحيانا، وثائق مثل أرضية الصومام²²⁹ و أشياء أخرى تُعرضها للخطر أكثر.

« وجدت في يوم من الأيام رزمة كبيرة من الأموال في أحد أدراجي. و لتكن الأمور واضحة، لم أكن أناضل في أي منظمة، و لكنني كنت أحس بأنني معنية بالحرب و خاصة بعمليات التعذيب التي كانت تمارس على نطاق واسع. كنت أجد هذا الأمر شنيعا. التقيت صدفة ببعض الأشخاص الذين سهلوا علي الأمور، و لكن، على أي حال، كنت مصممة على إيجاد طريقة لفعل شيء ما. كانت مونيك مناضلة شيوعية اعتُقلت في 17 ماي 1958، فترة قصيرة بعد انقلاب الجنرالات. و في لحظة اعتقالها من قبل فرقة الهجوم لافيليت، كانت بغرفة رفيق جزائري غائب. و أُلقي عليها القبض لأنها كانت على موعد، بتلك الغرفة، مع مناضل مسجل عند الشرطة²³⁰. كانت تلك هي الفترة التي كانت تقوم فيها أجهزة الأمن بحملة مدامات كبيرة بحي أنطوني مع بحث و تفتيش دقيق. و اعتُقلت في أعقاب ذلك فقط لأنني آويتها بغرفتي، ثم أُطلق سراحني بعد أيام، في حين أُدين مونيك و وُضعت تحت الإقامة الجبرية بفلوراك إلى غاية انتهاء الحرب. »²³¹.

(228) مناضلة بجبهة التحرير الوطني، اعتُقلت وُعُذبت من قبل المظليين بالجزائر العاصمة. أصبحت فيما بعد رمز الجزائر المناضلة وإحدى القضايا التي تبلورت حولها الكفاحات الأولى لجزء من الرأي العام الفرنسي المعارض للنظام الاستعماري.

(229) وثيقة - برنامج تخص جبهة التحرير الوطني والتي صُودق عليها في مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956.

(230) يتعلق الأمر بمحمد خزاز و ليس بحمدان حجاجي الذي ذكرته شاهدتنا. كانوا ضمن خلية من خلايا جبهة التحرير الوطني و كان عنصرها الثالث هو عبد العزيز مناصرية المدعو « ميمي ».

(231) 1. لودوك، شهادة.

و عندما قصدها مناضل بجبهة التحرير الوطني ليطلب منها مساعدة صديقتها مونيكا المحبوسة، قرّرت أنّ أن تخطو الخطوة الحاسمة وأرادت أن تعمل بصورة مباشرة و منظمة أفضل، فأصبحت تتعامل مع دافري روبير.

« عرفوني بدافري روبير في جوان 1958، فهمت أنه قس عامل . طلب مني أن أقوم بأمور صغيرة مثل قراءة الإعلانات في الجرائد لكراء شقة أو اثنتين لمناضلين . كان هذا مجمل ما كنت أقوم به طوال صيف 1958 . أعطاني دافري مفاتيح شقة حيث كان عليّ أن انتظر مكالمات هاتفية من مناضلي الشبكات . ذهبت مرّة لمقابلة أناس كانوا يحملون حقائب و حسبنا المال معا . و ذات مرّة كذلك، استلمت جميع الأموال التي تم جنيها بباريس في شهر، أي قرابة نصف مليار . »²³².

و بعد بعض الوقت، طُلب من أنّ أن تخدم كتغطية في عمليات عبور الحدود، و هنا، خلال محاولة عبور الحدود الألمانية، أُلقي عليها القبض ثانية، لكن هذه المرة برفقة « سعيد » بوعزيز.

« كنت أعمل كتغطية لمساعدته في عبور الحدود الألمانية، كانت هناك ثلاث سيارات، واحدة في المقدمة يركبها ماسون دياغو ليفتح لنا الطريق، و السيارة الأساسية التي تحمل « جسم الجريمة »، و سيارة في المؤخرة على متنها دافري . كان كل واحد منهم مصحوبا بفتاة، آريان، التي أرادت أن تعمل مع كورييل، و طالبة في الطب كانت تشارك في المهام بصورة عرضية . مررنا من الطريق المألوف و صادفنا حاجزا أُقيم عند مفترق طرق، كان أمرا غير متوقع تماما إذ لم يتسن للسيارة الأمامية حتى أن تنبهنّا . كنا على متن سيارة ألمانية يقودها سائق يتكلم الألمانية فقط، و كنت جالسة في الأمام و بوعزيز في الورا . طلبت منا الشرطة أوراقنا . كنت أحمل بطاقة تعريف حقيقية في حين قدّم لهم بوعزيز بطاقة تعريف رتّة و هي بطاقة أحد أفراد عائلته على ما أظن . سأله الشرطيون عمّن أكون، فأجاب « صديقتي » . مع أنه بدا في البداية أنهم سيسمحون لنا بالمرور، إلا أنهم تركونا ننتظر لساعتين بالعربة بينما استمروا في إقامة الحاجز . لا أعلم إن كانوا

(232) المرجع نفسه .

يبحثون عن شيء محدد أم أنهم كانوا « يصيدون » [...] وبالرغم من جميع الأعداء، أخذونا إلى مركز الشرطة القضائية لفُرباش Forbach. وُضعت في زنزانة تشبه قفص الدجاج مع بائعات هوى. أمني ذلك جدا. كنّ يسألنني عما فعلته لأوضع في تلك الزنزانة. وبطبيعة الحال، تم تفريقي عن بوعزيز. جاء الشرطيون يبحثون عني في وقت متأخر من الليل، كانوا قد اتصلوا بمركز باريس و علموا أنني اعتُقلت من قُبل. فهِمت عندها أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا، شكوا في شيء و كانوا يبحثون في الأمر. لم يكونوا يعرفون الكثير و هو ما أراحني. [...] حدث هذا سنة 1958، هناك خطأ في كتاب هارون علي الذي يحدّد الأحداث في سنة 1960²³³. فقد جرى اعتقالنا في الأول من أكتوبر 1958، بعض الوقت بعد هجمات موريان و إصدار الحكومة لمرسوم تدابير مكافحة الإرهاب. ²³⁴.

و بهذا، يظهر، من خلال هذه الشهادة فصل غير معروف عن المخاطر التي كان يمكن أن يتعرض لها أعضاء شبكة الدعم. خضعت آن لودوك إلى استجوابات طويلة حيث كانت عرضة للتهديد و الإهانة، ثم مثّلت أمام رئيس مديرية مراقبة الإقليم. « كان يبدو شخصا لا يجب أن تروي عليه نسجا من الأكاذيب. كان يقول أنه يعرف جيدا ما كنت أقوم به و وظيفة بوعزيز بفرنسا، و بأنه هو من خطط للعمليات التي حدثت [...] أظن أنهم كانوا قد حصلوا على معلومات، لكنهم لم يكونوا يعرفون الهوية الحقيقية لمسؤول المنظمة الخاصة، كانوا يشكّون في هوية بوعزيز و حاولوا أن يجعلوني أدلي باعترافات. [...] نُقلت « على متن عربة » من قبل مفتشين و رئيس مديرية مراقبة الإقليم، و أنزلت بمحطة ميمز. انتظرت قطار باريس لساعة و نصف. بقي معي رئيس مديرية مراقبة الإقليم، و قال لي لحظة مغادرتي : « لا تنسي أن تطلقي البوق لإخطار جميع الرفاق »، و لدى وصولي إلى باريس تجنبنا الاتصال بأيّ كان. بقيت أسبوعا دون حراك ثم ذهبت لأمّتي. اتصل بي فيما بعد دافزي و جونسون اللذان أرادا أن يعرفا ما حدث. ²³⁵ ».

(233) انظر : A. Haroun, *Op.cit.*, p. 110.

(234) 1. لودوك، المرجع المذكور.

(235) المرجع نفسه.

بقيت آن لودوك منقطعة عن كل شيء لمدة ستة أشهر ثم، في يوم من الأيام، زارها باتاي لورانس. أصبح قيامها بأمور ظاهرة، كحمل الحقائق أو استئجار الشقق أو الحفاظ على أموال التبرعات، أمرا غير وارد، فكلفت بالاهتمام بأمانة الجريدة التي كانت تديرها لورونس فيريتي بور. وفي جويلية 1959، قرّرت الاشتغال كطبيبة متربصة بمستشفى آنماس حيث عثر عليها دافزي أشهرها فيما بعد. جرى هذا في فيفري 1960. و كان « مارتن » مشغولا بنشر كتاب : La Pacification. Livre blanc sur la torture الذي طبعه صديقه أندرسون نيلس من منشورات « إديسيون دو لاسيتي » بلوزان. كان يجب الترويج له بفرنسا، وبطبيعة الحال، استعين بأعضاء الشبكات لتأدية هذه المهمة. و شأنها شأن الكثيرين، قامت آن، كيفما كان، بمجهودها لتمرير هذا الكتاب المزعج للغاية في منطقة أوت سافوا اللامبالية إلى حد ما. وهي الفترة التي أطلق فيها السويسريون حملة « أرض البشر » الهادفة إلى مساعدة الأطفال ضحايا الحروب الاستعمارية، و وجدت مناظلتنا نفسها تقضي صيف 1960 بإحدى المخيمات الصيفية المقامة لهؤلاء الأطفال القادمين من المعسكرات و البيوت القصديرية بالجزائر.

في ديسمبر 1960، عادت إلى فرنسا حيث كلّفها دافزي بأعمال صغيرة مثل الاتصال بمحاميه أو ناشره أو إيجاد مخبأ له. حدث هذا بوقت قصير قبل أن يلقي عليه القبض. و قد فُكّكت الشبكة، فعادت آن لودوك، في أبريل 1961، إلى سويسرا حيث وجدت عملا بمستشفى بلوزان للأمراض العقلية ثم بمستشفى جونيف. و هناك تعرفت على أندرسن الذي أعدّ مكانا لاستقبال مناضلي جبهة التحرير الوطني الذين تمكنوا من عبور الحدود و الذين كانوا يعانون من مشاكل نفسية.

كانت تلك الفترة كذلك فترة المفاوضات و كانت الحركة المطالبة بالسلام في الجزائر، في فرنسا، تشتدّ أكثر فأكثر. و قد مرّ العديد من المتمردين و المناضلين، التابعين لشبكة « المقاومة الشابة »، بسويسرا، و لكننا نتحدّث هنا عن مجموعة أخرى سنقوم بتقديمها في الصفحات القادمة.

شبكتا جونسون فرانسيس - كوريل هنري

مرة أخرى، وبما أن تاريخ هذه الشبكات قد تناولته مذكرات و شهادات رفقاءه الأساسيين، فنحن لا ندّعي، هنا كذلك، إعادة كتابتها. لكن الروايات التي رواها لنا بعض أعضاء هذه الشبكات تضيف بعض الضوء على الجوانب المرتبطة بالمنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني.

في مرات عديدة، خلال الإدلاء بشهادتهم، كان أعضاء شبكات الدعم يذكرون، دون تمييز، فيني جاك و دافري روبير و جونسون فرانسيس. و حدث كذلك أن لاحظنا تداخلات بين هياكل البعض و البعض الآخر. هل يرجع هذا إلى الذاكرة الضعيفة للفاعلين الذين أجرينا معهم مقابلة أم أن هذا ما حدث حقيقة على أرض الواقع ؟ بالفعل، رغم الاختلافات الفلسفية أو السياسية أو الإيديولوجية، حدث أن قامت شبكات بتأدية أعمال مشتركة تجاه الرأي العام الفرنسي مثل : الترويج لكتب أو كُتَيِّيات أو نشرات مناهضة للروح العسكرية. و حدث أن طلبت جبهة التحرير الوطني مساهمة عدة شبكات في الوقت نفسه أو أن انتقل مناضل من شبكة إلى أخرى.

كان جورج ماتِيّ أحد هؤلاء الذين كانوا في البداية على صلة بجونسون فرانسيس قبل أن يبتعدوا و ينضموا إلى شبكة كوريل. و قد أدّى جورج ماتِيّ، شأنه شأن عدد كبير من الشبان الفرنسيين لسنوات الخمسينيات، خدمته العسكرية بالجزائر حيث شارك لمدة ستة أشهر في الحرب ضد مقاومة جيش التحرير الوطني بـجبال منطقة القبائل. استُدعي بعد ذلك، إلى فرنسا و هناك، كتب، و هو تحت التأثير العميق للأحداث التي كانت تدور بالجزائر، كتب نصا بعنوان : جور كابيل. نُشر هذا النص بمجلة جون بول سارتر تون موديرن، و عرف صدى واسعا. و مع صدور شهادة أخرى بمجلة إسبري، كانت تلك هي المرة الأولى، بصرف النظر عن بعض أعضاء المجماع المسيحية، التي يقوم فيها عسكريون فرنسيون شباب بالتعبير علنا عن احتجاجهم على الحرب التي تقودها

فرنسا في المستعمرة. و بهذا، يمكننا القول أنه من الطبيعي أن ينتقل عدد صغير من هؤلاء الذين رفضوا الخدمة العسكرية، لاعتبارات دينية أو سياسية، إلى دعم كفاح الجزائريين من أجل الاستقلال.

شارك جورج ماتيني، أولاً، في إنشاء الفيدرالية الوطنية لقدماء المحاربين في الجزائر الذي سرعان ما انفصل عنها لأنه لم يشعر بتوافق مع المطالبين بمعاشات ولا مع عقلية « المحاربين القدامى ». فمعاشات التقاعد والمنح أمور لا تدخل حيز اهتمامه. كان هدفه يتمثل، استناداً إلى الاستياء الحقيقي بفرنسا، في إنشاء حركة احتجاجية نشطة مناهضة للحرب. لكن الأحزاب لم تتبعه عندما اقترح القيام بمظاهرات كبيرة عامة.

« لم يرد الحزب الشيوعي و الراديكاليون احتلال شوارع باريس، و لم يريدوا، على وجه الخصوص، أن يتعرضوا للضرب المبرح. أما أنا ففكرت، على العكس، أن جعل من كانوا قد شاركوا في الحرب بالجزائر يتلقون الضرب من قبل رجال الشرطة هي فكرة جيدة جداً. و بعد شهادتي بمجلة تون موديرن، اتصل بي المحامي جاك فيرجيس لأشهد بمحاكمة « القاتلين الفاشلين » لجاك سوستيل. حدث هذا بسجن شارش ميدي بجادة راسباي، المكان الذي توجد به اليوم دار علوم الإنسان. شهدت بصفتي جندياً سابقاً. و بالنظر إلى ما فعلته و شهادته بالجزائر، اعتبرت أنه من الطبيعي أن يرغب الجزائريون في « القضاء على وزراء فرنسيين »²³⁶.

أكسبه هذا الموقف العلني العديد من العداوات و انتُقد انتقاداً لاذعاً من قبل جون جاك سرفان شرايبر الذي اتهمه بأنه عميل لدى جبهة التحرير الوطني، في حين لم يكن كذلك بعدُ. و هكذا، بعد أن استنفذ ماتيني جميع أشكال النضال القانونية لمناهضة حرب الجزائر، ترك فيدرالية قدماء محاربي الجزائر و انخرط في الشبكات السرية لدعم جبهة التحرير الوطني. في البداية، نشط بشبكة جونسون

(236) جورج ماتيني، شهادة.

شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

و لم يكن الوحيد الذي فعل ذلك حيث تبعه في هذا مناضلون آخرون مثل بوبير جون كلود²³⁷.

« شخصيا، كنت في البداية على صلة بجونسون فرانسيس الذي بدأت أعمل معه ، ولكن كنا نحس بقرب النهاية. لكن فطنتي جعلتني أنأى بنفسي عن الشبكة و شجعني بارات روبير بشدة على ذلك. »²³⁸.

و بالفعل، بعد أشهر قليلة من اندلاع عمليات أوت 1958، خضعت شبكات الدعم إلى ضغوط كبيرة من قبل أجهزة الشرطة الفرنسية، واعتُقل أعضاؤها الواحد تلو الآخر أو أُجبروا على الدخول في سرية أكبر. وفي مارس 1959، فككت شبكة جونسون في أغليبتها. و مع ذلك، استمر بارات روبير، برفقة ناجين آخرين، في عمله الدؤوب في وضع الفرنسيين و الجزائريين على اتصال خدمة لهدف وضع حد بسرعة للحرب المستمرة في الجزائر. و لأنه كان أمينا عاما سابقا بالمركز الكاثوليكي لمثقفين فرنسا و أول صحفي يلتقي، ابتداء من أوت 1955، بقيادة المقاومة الجزائرية بالجنال و ينشر بجريدة لكسبريس تحقيقات صحفية حول الكفاح المسلح بالجزائر، نَظَم، في 1956، لقاء بين بيير مانديس فرانس و ممثلين اثنين لجبهة التحرير الوطني. و في الوقت الذي كان يدير فيه، مع أندريه ماندوز و أصدقائه المسيحيين التقدميين، دَورَية لاكانزين، تبرأ منه الفاتيكان. لكنه واصل مع ذلك في طريقه، و أمام تصميم الحكومة الفرنسية على التشبُّث بسياساتها الاستعمارية، التزم بشدة أكبر في دعمه لجبهة التحرير الوطني، و هو الذي جمع بين كورييل هنري و جونسون فرانسيس²³⁹ في ربيع 1957.

و بما أنه كان يعرف جروج ماتِّي لأنه اقتبس شهادته في مجلة « تيموانياج و دو كومون »²⁴⁰، نصحه بالاتصال بكورييل هنري.

(237) أُلقي القبض على هذا الأخير و قضى أربع سنوات بالسجن.

(238) ج. ماتاي، المرجع المذكور.

(239) انظر : Gilles Perrault, *Un homme à part*, Ed. Barrault, Paris, 1984, pp. 285 – 286.

(240) وثيقة استولت عليها الرقابة.

« أظن أن جماعة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني كانوا واعين بأن الشبكات كانت قد بدأت تنهار، فكلّفوا كوريل هنري أن يعيد تشكيل السلسلات. شكّل هذا الأخير نوعاً من الشبكة الوطنية بالمقارنة مع الشبكات الأخرى التي كانت بالأحرى ذات بعد محلي أو قائمة على علاقات شخصية بين نقابيين و مناضلين سياسيين. بالنسبة لنا، لم يصدر الطلب عن المنظمة الخاصة أو عن مجموعة خاصة أو حتى عن فرد ما، بل صدر عن جبهة التحرير الوطني ككتلة. عندما بدأت أهتم بسلسلات عبور الحدود، كان نظام الفصل شديداً جداً، فلم أكن أملك معلومات عن الأفراد الذين كنت أتكفل بهم ولكن أعتقد أنه، بما أن أمرهم كان قد افْتُضِح، فلا يمكن أن يكونوا إلا من المنظمة الخاصة. »²⁴¹.

بالنسبة لماتي و للمجموعة الصغيرة التي كان ينتمي إليها، فإن أهم مهمة في أعين جبهة التحرير الوطني كانت تتمثل في تمرير أموال التبرعات و ضمان أمن إدارات من أعلى مستويات الهرم بجعلهم يعبرون حدود فرنسا.

« كانت شبكة استلام الأموال تقام على المستوى العام. و بطبيعة الحال، فإن كل حركة سرية تبدأ، بدون شك، بالطريقة نفسها، أي انطلاقاً من نواة تتكون من أفراد يعرفون بعضهم بعضاً ثم تتسع الحلقة، و مع تطبيق نظام الفصل، ينتهي بنا المطاف إلى عدم معرفة أحد و هو أمر إيجابي. كان لدينا عملاء ارتباط و أماكن إقامة، أولاً، في باريس و عند الحدود، ثم، فيما بعد، تقريبا في كل مكان بفرنسا و سويسرا و ألمانيا و إيطاليا و بلجيكا.

أما بالنسبة لسلسلة التهريب، فقد كان النظام بسيطا نسبيا. كانت هناك سيارة تفتح الطريق و سيارة تحمل الإطارات و سيارة في المؤخرة. كانت التعليمات صارمة حول السرعة التي تم حسابها و حول تعليمات الحذر و الأمن. كان هناك سائق و مستكشف يستعمل خريطة الطريق و نقاط استدلال، إضافة إلى رقم هاتف نقوم، في حال طارئ ما، بالاتصال بفرد يتمثل عمله الوحيد في تلقي اتصالات

(241) ج. ماتاي، المرجع المذكور.

هاتفية. قدّرنا أنه يلزم في المتوسط 20 دقيقة لإقامة حاجز و بهذا قررنا أن نترك سيارة المقدمة تتقدم بـ 20 دقيقة عن السيارة الناقلة. كانت السيارة الأولى تتجاوز الحاجز بأوراق مستوفاة ثم تجد طريقة للعودة على أعقابها و مصابيحها مُنارة لتشير إلى وجود حاجز. كان يجب عندها إيجاد طريق آخر. قمت، من جهتي، بتكوين استكشافيين كي يتمكنوا من قراءة الخرائط بفعالية قصوى. كنا نستطلع المنطقة بخرائط عسكرية و بعملاء ارتباط محليين، و هكذا، في حال وقوع طارئ ما، يتسنى لنا أن نتخذ إجراءات جديدة. كان المستكشفون، في أغلب الأحيان، نساء و كانت تعود إليهن مهمة تحديد طريق آخر. كانت مجموعتي مكونة، في أغلبيتها، من فرنسيين، و لكنها كانت تضم كذلك بلجيكيين و سويسريين و فنزويليين أمميين، و كان معي مسيحيون، و لكن كذلك الكثير من الشيوعيين الذين كانوا لا يتفقون مع موقف الحزب. كان يوجد كذلك مقاومون قدامى من حركة القناصين و الأنصار جاهزون إلى أقصى حد و الذين قدّموا إلى المنظمة الخاصة الأسلحة القليلة التي كانت بحوزتهم. و بما أننا انطلقنا من نقطة الصفر، كان يجب علينا أن نجد أماكن إقامة في الجهة الأخرى من الحدود. في سويسرا، كان الشيوعيون، أما بلجيكا و اللوكسمبورغ، فكان الناس يميلون، بالأحرى، إلى الحزب الاشتراكي و الحزب الاشتراكي الموحد²⁴². كانت سلسلة التهريب تعمل بصورة روتينية جدا، فبعد اتصال عميل ارتباط أو بعد مكالمة هاتفية، كان المعني يتقدّم و معه وسيلة للتعرف عليه و وسيلة نقل. كان هناك محل بيع أسطوانات صغير نلتقي به، و في اليوم الموالي، كنا ننقل الفرد. »²⁴³.

كانت هذه الفترة فترة اتساع الحركة الاحتجاجية في الأوساط الطلابية، و حصل جورج عندها على دعم بورشيز جون جاك الذي لعب دورا كبيرا في انقلاب الطلبة لصالح النضال ضد حرب الجزائر. و على مستوى الدائرة السياسية، قام الحزب الاشتراكي الموحد، من خلال بيير اسبيل، بتوفير مناضلين عديدين و هم في معظمهم مقاومون سابقون.

(242) المرجع السابق، انظر كذلك : Jean L. Doneux, Hugues Le Paige, *Le Front du Nord*, *Cp.cit.*

(243) ج. ماتاي، المرجع المذكور.

في هذا النشاط الذي كان فيه نظام الفصل قاعدة، كانت الاتصالات مع جبهة التحرير الوطني تحدث في أعلى مستوى، أي مع اللجنة الفيدرالية، وغالبا ما كانت تعقد الاجتماعات في الجهة الأخرى من الحدود. وقد أصبحت هذه الاجتماعات ضرورية لأن الشبكات و سلاسلها أصبحت تتداخل بشكل خطير.

« كان اتصالنا بفيدرالية فرنسا يجري مع المستويات العليا فقط. كان يحدث ذلك بدعوة و في الخارج بما أن بوعزيز كان بألمانيا في ذلك الحين. كان قد دخل مرة سرا إلى فرنسا و كنت أنا سائقه، أظن أنه استعان بسلسلة فيني في ألمانيا ثم، لدى بلوغه فرنسا، تكفلت به شبكتنا. أتذكر أنه كان منزعا جدا. بعدها نُظِمَ اجتماع وُزعت خلاله المهام. كُلف فيني بالاهتمام بسلاسل البلدان الأوروبية، أما أنا فكلفت بسلاسل فرنسا. »²⁴⁴.

قامت سلسلة ماتِيّ كذلك بإخراج آيت مختار الذي كانت صورته تتصدر الصفحة الأولى لجريدة فرانس- سوار. نُقل هذا الأخير داخل صندوق سيارة إلى خارج باريس، ثم تكفل به جورج الذي ساعده على عبور الحدود السويسرية.

اهتم جورج ماتِيّ إذن، من 1959 إلى 1961، بحساب أموال جبهة التحرير الوطني و تهريب المناضلين الذين كُشف أمرهم أو المصابين، و كان أحيانا يقوم حتى باستلام العتاد و المسدسات و الخراطيش من الحدود البلجيكية أو اللوكسمبورغية. و في 4 جويلية 1962، عاد إلى منزله بكورسيكا ليبي أسوار حديقته بالسلاالم التي أهملها لوقت طويل.

جماعة « المقاومة الشابة »

إذا كانت قضية جورج ماتِيّ قد تصدرت الصحف الفرنسية لأن جنودا شبانا قد شهدوا على ما فعلوه أو شهدوه بالجزائر، فماذا نقول عن أولئك الذين رفضوا، لسبب أو لآخر، حمل الأسلحة و فرّوا من صفوف الجيش ؟ و في سياق تلك الفترة، يجب، لاتخاذ قرار كهذا، أن تكون الدوافع قوية مثلا : لأسباب أخلاقية أو دينية أو

(244) المرجع السابق.

لأن الفرد مقاوم سابق أو ابن مقاوم. و في المجمل، كان عدد الفارين خلال حرب الجزائر منخفضا نسبيا و هذا واقع حمل البعض على التساؤل. كان هناك شبهة نوعا ما بين مقاومة الاحتلال الألماني بفرنسا و مقاومة الاحتلال الاستعماري بالجزائر.

و كان هورست جون لويس ممن أشاروا إلى أن عددا ضئيلا من الفرنسيين قاوم الاحتلال الألماني. هو ألزاسي الأصل و ابن ضابط احتياطي بالجيش الفرنسي، و قد اضطّر، و هو في سن الخامسة، إلى الفرار برفقة عائلته من منطقة احتلتها القوات الألمانية. في 1940، قرر والده الذهاب إلى الجزائر لمواصلة كفاحه ضد المحتل، و لكنه، هناك، واجه البيتانيين إلى غاية 1942 لأن الأمريكيين كانوا قد وصلوا في ذلك التاريخ، مما سمح له بمواصلة كفاحه ضد النازيين.

« أحتفظ في ذاكرتي بصورة قوية عن تلك اللحظة حيث، كان عمري سبع سنوات أو ثمانية، عندما رأيت والدي يبحر إلى فرنسا أخذا على متن شاحناته رماة جزائريين. و كان عمري عشر سنوات عند نهاية الحرب، و كنت متأكدا بأن العرب هم الذين حرّروا فرنسا. و هو شيء لم يغادر ذهني يوما. و نشب بيني و بين والدي خلاف حول هذه المسألة. كان والدي، في 8 ماي 1945، بألمانيا مع عساكره الجزائريين و كان يقول لنفسه : قواتنا نحن تطعننا في الظهر، و أصبح عنصريا انطلاقا من ذلك التاريخ، أما أنا فكنت لا أحتمل ذلك. في سن العاشرة، حصلت قطيعة بيني و بينه : حرر العرب البلاد و أبي لا يريد الاعتراف بذلك. و نتيجة لهذا، قضيت أيام شبابي كاملة بالمدارس الداخلية لأن الخلاف كان شديدا جدا. إنه علاج نفساني – سياسي... بقيت على علاقة بعسكر والدي القدامى المهاجرين بالألزاس. »²⁴⁵.

و في هذه المسيرة المميزة جدا، وجد هورست نفسه حائزا، في 1953، على شهادة الجزء الأول من البكالوريا و على منحة من مجموعة شركات التعدين المغربية. هذه المنحة التي كان من المفترض أن تُستخدم للقيام بتحقيق في بلد

(245) هورست جون لويس، شهادة.

من اختيار المستفيد جعلته يزور إسرائيل و الكيبوتسات في فلسطين المحتلة . فبعد أن أقنعت وسائل الإعلام بأن الفوضى تعم بلدان الشرق الأوسط ، اختار تلك الوجهة الأخيرة تحت التوصيات الحارة لأصدقائه التقدميين من الجالية اليهودية بستراسبورغ . وهناك ، اكتشف وجهي الواقع الإسرائيلي .

« اكتشفت إسرائيل ، البلد المثالي ، بلد محاربات الأمازون ، بلد الرواد . كان ذلك في 1953 ، لم تكن إسرائيل معروفة جيدا ، كنت متحمسا إلى أن جاء اليوم الذي سمعت فيه ، من كيبوتسي الموجود في رواق بالقدس ، طلقات نارية ، و اكتشفت في الصباح الباكر جثث شبان فلسطينيين ، قالوا لي : « إنهم « متسللون » » - « من ؟ » - « أشخاص كانوا يسكنون بالقرية فيما مضى ، ولكنها الآن قريتنا ، وهم يستمرون في القدوم من حين لآخر » . لم أكن أفهم . كانت إسرائيل وقتها لا تزال ينظر إليها على أنها في أقصى العالم و لم يكن الناس يسافرون كثيرا . »²⁴⁶ .

أراد عندها أن يتحقق من الأمر فقرّر أن يعبر الحدود ليرى ما كان يحدث في الجانب الآخر . و في معسكر لاجئين تابع لهيئة مساعدة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة بأريحا ، استقبل بالحجارة و الصراخ بالإنجليزية : « أيها البريطاني ، عد إلى بلدك ! » ، و فسّر له الطبيب الفلسطيني الذي داواه أن ما حصل في تلك المنطقة يشبه ما حصل في النتيجة²⁴⁷ . قضى الليلة بذلك المعسكر الذي كان يمتد على مدّ النظر ، و اكتشف أن اللجنة التي كان قد غادرها قد أنجبت جحيما . و في طريق عودته مرّ بعمان و دمشق و بيروت .

« قبل وقت قليل من أحداث ديان بيان فو ، كنت قد فهمت كل شيء . أعني أنني لم أتعلم شيئا إضافيا في حياتي . كان العالم مقسوما إلى قسمين . و عندما حدثت معركة ديان بيان فو ، كانت الإذاعة تبث ألحانا جنائزية ، كان أبي يذرف دموعا و أنا كنت أضحك عاليا . كانت تلك هي القطيعة النهائية . »²⁴⁸ .

(246) المرجع السابق .

(247) هل زراعي خصب قريب من الجزائر العاصمة . زهرة الفلاحة الاستعمارية .

(248) ج . ل . هورست ، المرجع المذكور .

و بما أنه لم يعد يرغب في الاعتماد على والده لإتمام دراسته، قرر هورست أن يصبح معلما و انخرط في الحزب الشيوعي كونه الحزب الوحيد الذي رفض حرب الهند الصينية. و لأنه أُلزاسي، افترض بأنه لا يتكلم الفرنسية جيدا و أرسل سنة 1955 إلى المدرسة العليا بإيكس - أون - بروفانس. صادف وصوله هناك حصول مظاهرات المجندين الشباب الذين رفضوا الخدمة مرة ثانية في الحرب بالجزائر. كان يقضي معظم وقته، مع الخلية الشيوعية للمدرسة العليا، في دعم مظاهرات هؤلاء المجندين الشباب المقتادين إلى حرب ليست حربهم.

و لدى عودته إلى الألزاس، تناقش مع مسؤول الفيدرالية الشيوعية لتلك المنطقة و الذي نصحه بعدم رفض النداء إلى الخدمة العسكرية عندما يصله ذلك. ففي ذهن مسؤولي الحزب، كلما كثر عدد الجنود الشيوعيين في الجيش الفرنسي كلما كان هناك احتمال أن تقل التجاوزات. جُنّد هورست في 1957 و عُيّن بوحدة الإشارة ببادن - بادن، و هناك، في 13 ماي 1958، توافدت أمامه رسائل مشفرة موجهة لجنرالات من اليمين المتطرف، متطرفون إلى درجة أنهم أبعدوا من الجزائر حيث كانت درجة أضرارهم تضايق أركان الحرب.

و عوض أن يسلمها إلى الحزب الشيوعي، توجه إلى المدعو بالبروفيسور ماندوز الذي سمع عنه بأنه مقاوم و مناهض كبير للاحتلال. فبالفعل، غادر هذا الأخير، بسبب تهديد الجماعات المتطرفة له، منصبه كأستاذ بجامعة الجزائر و انتقل إلى جامعة ستراسبورغ. فما كان على هورست إلا أن يعبر الحدود، و استغل فرصة حصوله على إجازة ليحمل له الرسائل.

« شكرني و امتحنني. كلمته قليلا عن حياتي فقال لي : « عاجلا أم آجلا، سيطلب منك الذهاب إلى الجزائر. ما الذي ستفعله عندها ؟ - لن أذهب. - و أي شكل سيأخذه هذا ؟ » حتى تلك اللحظة، كان الرفض الوحيد للاستجابة لنداء الجيش قد صدر عن ليشتي ألبين و عن شيوعيين سلميين شبان كانوا يفضلون السجن على الخدمة في الجزائر « هل ستفعل مثل ألبين - ليشتي ؟ - في أسوأ

الحالات نعم، ولكن مع كل ما يجب فعله الآن، والعالم الثالث الذي هو في حراك، ما عشته وما لم يعرفه يوما ألبين - ليشتي، ابن لحام الخنازير... » كان ذلك من قبيل المزاح، وواصلت « سأكون مستعدا إلى الانتقال إلى الجهة الأخرى ». فأعطاني موعدا للقاءه بعد خمسة عشر يوما خلال إجازتي القادمة. وفي ذلك اليوم قال لي بأنه تم فك تشفير الرسائل : « من فعل ذلك ؟ - جبهة التحرير الوطني. كلمتهم عنك. لديهم خدمة قد يرغبون في أن تقدمها لهم. هل تقبل مقابلتهم ؟ » في الأسبوع التالي، تعرفت على جونسون و دافزي و فيني. كان اللقاء ودّيًا جدا، ولأول مرة منذ أربع سنوات التقيت أناسا سعداء، يبدو مرتاحين رغم أنهم يعيشون في السرية. كان فيني يُنظّم شبكات عبور نحو ألمانيا، ليس ببعيد من بادن - بادن، و كان يطلب المساعدة. و لكوني ضابطا كنت أتمتع بوقت فراغ أكبر وبدأت أتقل عند الحدود الألمانية مع فيني لأجد ممرات. في الحقيقة، كانت نقاط العبور هذه من المفترض أن تمرّ منها إطارات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. ²⁴⁹.

كان جاك فيني، بالنسبة للعديد من المناضلين الملتزمين، المحرّك الحقيقي لشبكة جونسون. فلكونه صناعيا صغيرا سابقا، كان يتمتع بجميع ميزات المنظم وهو من وضع سلاسل التهريب الأولى. وفي هذا الإطار، عمل مع هورست إلى غاية سبتمبر 1958، وهو التاريخ الذي استلم فيه ورقة خط سيره إلى الجزائر.

« كانت عمليات المنظمة الخاصة قد بدأت بفرنسا في أوت 1958. أتذكر العديد من عمليات العبور، لكن بما أنني لم أكن متفرغا طوال الوقت، كنت أؤدي المهمة على جناح السرعة. كان اتصالي الوحيد هو فيني و لم أكن أتحدّث كثيرا مع الركّاب. وفي يوم من الأيام، قلت لفيني : « وصلت ورقة خط سيرتي. - جيّد، يصادف هذا أنني أحتاج إلى عميل دائم بسويسرا كي يُنسّق مجمل عمليات العبور نحو سويسرا و ألمانيا و إيطاليا. ». لم يكن في ذلك أدنى شك، كنت قد قرّرت، مُسبقًا، في ذهني الفرار من الجيش. و باعتباري ضابطا، كان

(249) المرجع السابق.

عليّ أن أذهب لوحدي. أخذت إذن ورقة خط سيري، سلّمت على والديّ، وعندما وصلت إلى ميلوز، عوض أن أذهب إلى مارسيليا، غيّرت وجهتي إلى بال، و انطلاقاً من هناك أصبحت عمليات العبور متواترة أكثر [...] كنت أستلم اتصالاً مشفراً من فيني الذي كان يحدّد لي مكاناً عند الحدود و هناك كنت أنظم حوالي عبورين في الأسبوع. التقيت، انطلاقاً من هذه اللحظة، بالجميع، بوداود و بوعزيز... إلخ، أساساً، القادة و الإطارات من الداخل الذين كانوا على موعد مع اللجنة الفيدرالية. ²⁵⁰»

مع ذلك، كان لديه وقت فراغ لأنه لم يكن يهتم لا بنقل الأسلحة، التي كانت تعبر من الحدود الشمالية، و لا بنقل المال الذي كانت تقوم به شبكة كوريل. فاستغل وقت الفراغ ذاك لكتابة شهادة أصبحت خطاباً هجائياً شهيراً : لوديزيرتور ²⁵¹.

« كانت نيتي الأولى أن أبعثه إلى رفاقي بالثكنة الذين يكونوا قد فوجئوا تماماً بفراري. أردت أن أقوم بدعايتي التحريضية الصغيرة لوحدي. علمت عندها أنه يوجد عدد من الفارين بسويسرا، ذهبت لرؤيتهم و صادفت أُرهانت لويس، كان هناك منذ سنتين تقريباً، منذ قضية بالسطرو ²⁵² (الأخضرية). استغل هؤلاء إمّا فرصة حصولهم على إجازة لعدم العودة أو رفضوا الذهاب إلى هناك منذ قضية بالسطرو. كانوا يعملون بشركة نستلي، مجرد لاجئين سياسيين غير مستغلين إطلاقاً. ²⁵³»

يأتي هنا فصل لعب فيه تداخل الشبكات دوراً هاماً. في عمله السري، كان من المفترض أن يكون هورست على صلة بفيني فقط. فلم تمض الأمور جيداً مع جونسون، إذ كان يجده يتصرّف تصرف « القائد الكبير »، و لكن يبدو أنه وجد

(250) المرجع السابق.

(251) نشر بباريس بمنشورات « إديسيون مينوي »، سنة 1960.

(252) في 18 ماي 1956، بعد كمين نصبه جيش التحرير الوطني، قُتل 18 جندي فرنسي و أُسر اثنان : أورو سو

و سيرو. انظر : Raphaëlle Branche, *L'embuscade de Palestro*, Paris Armand Colin, 2010.

(253) ج. ل. هورست، المرجع المذكور.

نقاط تشابه أكثر بينه وبين دافري. فقد عادت جميع أصول الشاب الألزاسي إلى السطح، فقد قرّبه تربيته الكاثوليكية و شيوعيته أكثر من القس العامل دافري روبير. و عن طريق أصدقاء مشتركين، أخبره « مارتن » بأن يقرأ صفحة معينة من كتاب معيّن و أن يلاقي شخصا يريد رؤيته بجنيف. كان الكتاب هو كتاب ليجيبب أون موفمون للزوجين لاكوتور²⁵⁴، و كانت الصفحة المشار إليها تتحدث عن شخص يدعى كوريبيل هنري.

« وجدت نفسي أمام درويش بمطعم نباتي. شخص مثير للاهتمام و لكن، من وقت لآخر، كان يظهر بريق في عينيه الحسيرتين و الذي كان يجعلني أفكر أن ما قيل عن الكومنترن و عنه ليس خاطئا تماما على ما يبدو. قال لي : « أردت أن أراك لأنك شيوعي. يقول دافري أنك وجدت عددا من الفارين الشيوعيين، ما الذي تنتظره لتتصرف ؟ » أجبتة أننا معزولون تماما و أنه إذا كان الحزب، الذي هو قوة المعارضة الوحيدة، لا يقوم بعمله في فرنسا، فأنا لا أرى ما يمكننا فعله. فقال لي : « إذا لم تتحمل مسؤولياتك بنفسك. بأي حق تدّعي بأنك شيوعي ؟ » أثر في ذلك. أولا، سماع أشياء مثل هذه أمر محفز جدا، و كان هناك كذلك غموض كوريبيل الذي استغله جيدا مع الجميع. حسب رأيي، كان محقا في فعل ذلك. كنا نعلم أنه من أسس الحزب الشيوعي المصري، و من المرجح أنه كان عميلا لدى موسكو أو بيكين أو الكومنترن. كنا نحس من خلال كلامه أنه لم يكن يتفق مع الحزب الشيوعي الفرنسي. و لكن، فيما يخص بقية الحركة الشيوعية الدولية، ربما... كنا نعلم مسبقا أن الحزب الشيوعي الإيطالي لا يشاطر موقف الحزب الشيوعي الفرنسي. كنا نحسّ أن هناك نوعا من التغطية لنا. كان يجب أن أفكر. قضيت الليلة بأكملها أحوم حول بحيرة ليमान. التقيت به في اليوم الموالي بالمطعم نفسه، و حتى قبل أن نقدّم طلبية، قلت له : « أقترح أن نسمّي هذه الحركة « المقاومة الشابة ». » نهض و قال : « هذا رائع ! ». صافحني ثم

ودّعني . حكيت لرفاقي عن المقابلة و وجدوا الفكرة مدهشة إلا أننا كنا ستة فقط لإنشاء الحركة »²⁵⁵ .

وهكذا وُلدت حركة « المقاومة الشابة »، إحدى أهم الحركات المناهضة لحرب الجزائر. حدث ذلك سنة 1959، عندما ذهب دافزي، الذي كان وراء لقاء جنيف، لرؤية هورست بنفسه وقال له « إن فكرة « المقاومة الشابة » فكرة ممتازة، يجب المباشرة في استثمارها، غدا يُفتتح بفيينا مهرجان الشباب العالمي . » كان ذلك صيف 1959، و كان هورست يهتم منذ أشهر بعمليات عبور الحدود . كان يحتاج إلى أن يعطي لنفسه ولحركة « المقاومة الشابة » نفسا جديدا . كان لا يزال يتردد في ترك عمله لفترة، لكن دافزي أصرّ عليه وأقنعه، في نهاية المطاف، بالمضي في ذلك .

و لقد أثار تدخل بيير لورون، رئيس « الشبيبة الشيوعية الفرنسية »، غضب هورست جون لويس الذي قفز على المنصة الرسمية ليستولي على ميكروفون لم يكن معدا له . وقام تدخله، باسم الفارين، بقلب موقف القاعة رأسا على عقب . وفي هذه اللحظة بالتحديد تحولت المجموعة الصغيرة إلى حركة « المقاومة الشابة » .

« التحقت بدافزي ثم قصّدا العديد من الناس يسألوننا، ما العمل ؟ كانت الأحداث قد تجاوزتني فيما كان لروبيرت الفطنة اللازمة فأعطاهم موعدا اليوم الموالي على الساعة الواحدة بقسم معيّن . قضينا الليلة نقابل وفودا من البلدان المجاورة لفرنسا : الحزب الشيوعي الإيطالي، بروتستانيون سويسريون، الشبيبة الاشتراكية الألمانية، مع دوتشك رودي، الحزب الشيوعي البلجيكي . أعطوا جميعهم موافقتهم، و لم يكونوا مستعدين لفعل ذلك فحسب، بل أعطونا كذلك العناوين والاتصالات و أماكن الإقامة . فأصبحت « المقاومة الشابة »، في ليلة واحدة، حركة أوروبية . »²⁵⁶ .

(255) ج . ل . هورست، المرجع المذكور .

(256) المرجع السابق .

و لقد غيّر هذا الأفق الجديد معطيات المسألة، و أصبح « حاملو الحقائق » ما كانوا يطمحون دائما إلى أن يصبحوا ؛ حركة معارضة فرنسية مناهضة للنظام الاستعماري و النظام الرجعي الحاكم بفرنسا. و ندخل هنا بالطبع في إشكالية أخرى، تلك المتعلقة بالتحول اللازم لشبكات دعم جبهة التحرير الوطني. و سنعود إلى هذا النقاش الذي دار وسط المجموعات ؛ و بين هذه الأخيرة و جبهة التحرير الوطني بفرنسا في صفحات أبعد من هذا الكتاب.

المقاومون القدامى

قبل أن نختم هذا الفصل المكرّس لشبكات الدعم، لا بدّ لنا من ذكر الشبكة المكوّنة من المقاومين القدامى، و هي شبكة تنسبها العديد من المصادر إلى شبكة جونسون - كوريل، و تضمها مصادر أخرى إلى حركة الحزب الاشتراكي الموحد، أو حتى إلى بعض أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي. و مع الأسف، لم تتمكن من الحصول على شهادة روني بورت الذي ذكره آيت مختار عدة مرات على أساس أنه المسؤول عن سلاسل إدخال و إخراج أعضاء خلايا المنظمة الخاصة، المصابين أو المطلوبين. فلقد حملتنا، الإشادة المؤثرة التي قدّمها آيت مختار عن بورت و فريقه، على ذكر إحدى الشهادات النادرة التي تحيل إليهم²⁵⁷.

نتذكر أن عيسى عبد الصمد، خلال عبوره إلى باريس، في ربيع 1958، وُضع، من قبل بوعزيز، في مأوى أكثر أمانا من المأوى الذي كان فيه في المرة الأولى. في المقابل، لم يجر الأمر كما يجب بالنسبة للمتخصص في المتفجرات الرسمي لجبهة التحرير الوطني الذي جاء إلى فرنسا في مهمة خاصة جدا. و لنفسه له المجال كي يقص علينا أحداث أيام إقامته، حيث أوشك الالتباس، أحيانا، أن يتحول إلى سوء فهم بين تاريخين و ثقافتين مختلفين. و نعتقد أن

(257) لتفاصيل أكثر نحيل القارئ لطبيعة الحال إلى كتب : ع. هارون و ح. هامون - ب. روتمان و ج.

الأقوال معبرة بما فيه الكفاية في حد ذاتها، و لهذا فليس من الضروري إضافة أي تعليق كان .

« كانت مقاومة سابقة ضد الاحتلال الألماني فَقَدَت ساقها بالمقاومة الفرنسية بالجبال و كانت تتعاطف مع القضية الجزائرية . كانت لحظة عسيرة لأن بوعزيز لم يقيم بتقديرها لي ، بل اكتفى فقط بإخباري أنها تعمل معنا لهذا لم أكن أحرص على فتح نقاش سياسي معها، فكان مونولوجا حقيقيا دام حتى وقت متأخر من الليل . كان شيء ما يزعجني فيها، كانت تردّد بلا انقطاع أنها كانت تريد مساعدتنا، نقل المناشير أو الأموال، و لكنها لم تكن ترغب في أن تكون لها أي علاقة بالقنابل . كانت ضد العمل العنيف . كانت تقول كذلك أنني أختلف عن بقية الشبان الذين مرّوا عندها . لا أعرف ما كان سبب تقدير كهذا و لكن، بما أن عدم ارتياحي كان واضحا من خلال صمتي المستمر، كانت تريد على الأرجح إظهار تعاطفها معي بهذه الطريقة . كانت تجهل، على ما يبدو، طبيعة مهمتي و لم تكن أقوالها تستهدفني شخصا . و لكن، كان من غير الممكن، بدافع اللياقة، أن أخبرها عمّن أكون أو عن سبب وجودي . كان الموقف موقف لُبْس . و بدأت تقصّ عليّ حكايتها كمناضلة، و عن الاحتلال و النازيين و الاعتقالات و التعذيب الذي خضعت له . كانت عميلة ارتباط خلال الحرب العالمية الثانية . و عندما كانت تتحدث عن الاحتلال الألماني و عن التفتيشات و عن القمع كنت أتذكر 8 ماي 1945 . لم تتبادر تلك الأحداث إلى ذهني منذ زمن طويل . كنت أقول لنفسي كيف يُعقل أن يقوم أشخاص، كانوا في المقاومة و عُذّبوا، بالسكوت عن أحداث 8 ماي 1945 ؟ و طيلة مونولوجها لم تُلمّح، و لو لمرة، إلى هذه الأحداث . كانت تعطي عدد الموتى و المنفيين و المعذبين من أصحاب المقاومة لكن تلك الأعداد كانت بعيدة كل البعد عن عدد موتى و منفيي و معذبي أحداث 8 ماي 1945 . كانت تتكلم عن المقاومين الذين يهاجمون المواقع الألمانية و الشكنات و الحواجز . كانت تقول الـ « إس إس » ، فبالنسبة لها، كان كل الجيش الألماني مكوّنا من الـ « إس إس » .

و كلما كانت تفسح لي المجال قليلا، كنت أفكر في أحداث الشرق الجزائري .
و عندما كانت تذكر أسماء أعلام المقاومة الفرنسية، كنت أتعرف أحيانا على
أسماء البعض منهم الذين كانوا في الحكم في ماي 1945 و أمروا بالمجازر في
الجزائر. لم أكن أفكر في ثورة الفاتح من نوفمبر، كنت أفكر فقط في 1945 .
و مع الحرب، نفكر و نقيم موازنة بين الأحداث الماضية، فعلى سبيل المثال،
كنا نقول : هنا تركناهم يذبحونا جميعا دون حراك . و أنا متأكد من أن العديد
كانوا يجهلون، سنة 1945، ما كان يحدث لهم عندما كان الفرنسيون يقتلونهم
و يقصفونهم. لا زلت أستحضر مشهد ذلك الشريط المصور من الأرشف حيث
يظهر فيه جندي يعبئ بهدوء بندقيته و يصوب ثم يطلق عن كذب على شاب أعزل
وسط طريق .

من المؤكد أن تلك المرأة لم تكن قد فكرت حتى فيما كان يدور ببالي .
لو تمكنا من النقاش، لقلت لي من دون شك أنه يوجد في كل شعب الأفضل
و الأسوأ. أكيد أنها كانت تريد تحليل موقفها، فلم تكن روايتها تبجحاً. لقد
عانت الكثير و مغزى مونولوجها أننا لم نكن الوحيدين الذين عانينا، فلقد عانى
الفرنسيون كذلك. كنت أخشى أن تختم روايتها بسؤال عما فعله الفرنسيون
بالجزائر. و لحسن الحظ، وصل بوعزيز و لا أعلم كيف غادرتها. ²⁵⁸ .

(258) ع . عبد الصمد، المرجع المذكور .

الجزء الرابع

رجال و نساء المنظمة الخاصة

إنه لأمر مجد أن نتوقف لحظة عند أصول و مسيرات هؤلاء الرجال و النساء الذين قادوا، لسنوات، الحرب في الأراضي الفرنسية. و دون الطموح إلى دراسة شاملة ذات طابع سوسيولوجي و أنتروبولوجي، يمكننا، من خلال بعض الشهادات و بعض البرتريجات، أن نبدأ بإخراج هؤلاء الرجال و النساء من الغُفلة و الذين يَعتَبِرون، حتى يومنا هذا، على أنهم وقعوا ضحية مؤامرة الصمت.

من الجلي أننا لن نتمكن من التحدث عن الجميع لأن عملية تسجيل الشهادات لم يُمكن إتّمامها لأسباب عديدة. لدينا أولاً القائمة التي وضعها آيت مختار و التي تضمّ 43 إسماً²⁵⁹، و تسجيل هذا العدد لا يمكن أن يتم على أحسن وجه إلا من خلال عمل جماعي. من جهة أخرى، هناك من لم يتلقوا تدريبهم بالمغرب و لكنهم كانوا، مع ذلك، أعضاء بالمنظمة الخاصة و شاركوا مباشرة في الكفاح المسلح، و الذين ذُكرت أسماءهم من قبل رفقائهم في الكفاح أو من قبل مسؤولي المنظمة أو في النسخ الأصلية لمحاكمات المحاكم الفرنسية. و في الأخير، هناك بعض الفاعلين – الشهود الذين حكم عليهم بالإعدام و أُعدموا أو الذين وافتهم المنية تحت التعذيب. بالإضافة إلى أن هناك، من بين أولئك الذين عاشوا، من رفضوا تقديم شهادتهم.

و لنعتبر هذه المحاولة بمثابة اللبنة الأولى لتاريخ أعضاء المنظمة الخاصة.

نلاحظ، في الوثائق المكتوبة كما في الشهادات الشفوية، أن الأصول الريفية و الجبلية للمناضلين، شأنهم شأن المسؤولين عن المنظمة، هي الغالبة. و هنا كذلك سيكون من المخاطرة أن نستنتج بأن أصحاب القرى كانوا يملكون عزماً

(259) انظر الملحق 3.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

أكبر من أصحاب المدن . فالمعطيات الإجمالية للمهاجرين الجزائريين تزن هنا بكامل ثقلها في المسألة، إذ نجد في المنظمة الخاصة الإحصائيات نفسها والتوزيعات نفسها، من حيث الأصل والوظيفة، التي نجدها تميّز الجالية في مجملها. وبالطريقة نفسها، نجد على مستوى تقسيم العمل السياسي، القاعدة التي ترى أن، إطارات حزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية، تكون أولويا من المدينة، لكن هذا لا يعني أن مناضلي القاعدة هم أفراد من القرى فحسب، فهناك استثناءات في كلتا الحالتين.

ما هي الدوافع وراء تقسيم هذا العمل بين « رجال السياسة » و « رجال الميدان » أي ضمينا رجال الكفاح المسلح ؟ لن نتمكن من إعطاء جواب نهائي، ولكن قد يفتح لنا ذكر أصول أعضاء المنظمة الخاصة سبلا جديدة .

الأصول

مميزات إجمالية

ما يتضح من المادة التي درسناها هو، أولاً، صغر سن مناضلي المنظمة الخاصة، فمن مجموع التسعة و عشرين متهما بمحاكمة باريس²⁶⁰، كان أكثر من النصف (17) تتراوح أعمارهم بين 19 و 25 سنة، اثنان منهم فقط كانوا في سن الأربعين أو أكثر (43 سنة). أما البقية فكانوا في الثلاثينات. كان معظمهم من العمال أو العمال اليدويين (17)، أما البقية (3) فكانوا يقومون بمهن صغيرة (وكيل تجاري، نادل بمقهى، غسّال سيارات) أو يتاجرون أو يملكون فنادق – مطاعم (3) أو يشغلون مناصب إدارية (3) (منها سكرتير أو أمين مخزن أو موظف) و واحد منهم فقط كان طالبا. أما المتهمان الاثنان المتبقيان فهما دافزي روبير، رجل الدين، و بلوميهوف كوليت، المحاسبة، و هما عضوان بشبكة الدعم الفرنسية لجبهة التحرير الوطني²⁶¹.

و تحليلنا الأصول الجغرافية و الوظائف المهنية لمناضلي المنظمة الخاصة إلى الميزات العامة للمهاجرين الجزائريين. و هم في أغليبيتهم من منطقة القبائل الكبرى، و الإشارة إلى تيزي وزو و بجاية و سطيف التي تعود مرارا تحيل أكثر إلى التقسيم الاستعماري القديم منه إلى التقسيم الإداري الحالي. و لكن يبقى أن 20،

(260) انظر الملحق 4.

(261) انظر أعلاه الفصل المخصص لشبكات دعم جبهة التحرير الوطني.

من مجمل الأسماء الـ 43 المدرجة في قائمة آيت مختار، هم من منطقة القبائل الكبرى (تيزي وزو) و 2 من بجاية و 5 من منطقة سطيف و 2 على التوالي، من قسنطينة و بوية و عنابة. أما مناطق الجزائر العاصمة و غرداية و سيدي بلعباس و تلمسان فقدّمت كل منها مناضلا واحدا²⁶².

هذه الإحصائية لا تُعبّر، بطبيعة الحال، عن أي تفوق للشباب على المناضلين المتقدمين أكثر في السن أو عن تفوق الطبقة العاملة على باقي الطبقات أو عن تفوق منطقة القبائل على باقي المناطق، فأصحاب الفكر الضيق هم وحدهم الذين قد يستخلصون استنتاجا كهذا بهذه السرعة.

و لنقل فقط أن القيود الاجتماعية و الثقافية السائدة وسط الجالية الجزائرية بفرنسا، و التضامن القروي أو العشائري كانت، في أغلب الأحيان، أقوى من الحوافز السياسية وحدها في تأثيرها على خيارات البعض و البعض الآخر.

و لنُحدّد جيدا الجو الذي كان يسود في الخمسينيات، سنستعين ببعض المقاطع التي تصوّر فيها إدجيري يمينة أنطوانيت محيطها.

« كنا نقطن بحي شعبي بمرسيليا كان معروفا في تلك الفترة بشارع شابوليبي . و بعد أن كان أغلب سكانه فرنسيين، عرف أغداء صعبة . فقد جاءت العديد من المجموعات الغريبة لتستقر به : أرمن و يونانيون و إيطاليون و مغاربة و تونسيون و جزائريون و سود . كانوا في أغلبهم عمالا بالمصانع أو بالموانئ، و كان عدد صغير منهم يستقر مع عائلته، هم اثنان أو ثلاثة لا أكثر، أما البقية فكانوا عزابا يقيمون بمنازل مفروشة [...] لدى عودته من حرب 1939 - 1945 حَوْل والذي مصنع الأحذية الصغير، الذي ورثته والدتي، إلى مطعم . أتذكر أن الجزائريين لم يكونوا يملكون، في تلك الفترة، خيارات كثيرة في التجارة، كانوا إما أصحاب مطاعم أو حلاقين . [...] و المأساة أن المهاجرين كانوا يتكثلون بصورة تجمعية . و هكذا استقر أبناء قرية والذي جميعهم بالشارع نفسه . كانوا يحتفظون بعقلياتهم و ينقلون مشاكلهم القروية إلى المجتمع الفرنسي . »²⁶³.

(262) تحليل أسماء المدن إلى التقسيم الإقليمي للإدارة الاستعمارية .

(263) إدجيري يمينة أنطوانيت، شهادة .

ما كانت تجهله إدجيري يمينه أنطوانيت في تلك السن، إذ كانت تبلغ 15 سنة في 1954، هو أن المهاجرين القبائل (من القبائل الصغرى خاصة) كانوا، حيثما يستقرون، يقومون، إذا لم يجدوا وظائف بالمصانع، بفتح متاجر صغيرة أو يعكفون على حرف صغيرة يواصلون بها، في الوقت نفسه، الممارسات الحرفية الموروثة و التضامن الأخوي. و ما يصلح بالنسبة لفرنسا يصلح كذلك، منذ زمن طويل، بالنسبة لجميع المدن الجزائرية التي كانت المستقبل الأول للنزوح الداخلي الذي تسبب فيه احتلال الأراضي و إفقار سكان الجبال.

و هكذا، تملك كل مدينة شارعها و حيها القبائلي أو الجيجلي أو الدلسي أو البسكري أو المزابي، و لم تخرج فرنسا عن القاعدة.

و يطال هذا النسيج السميكة للتضامن القروي أو الإقليمي، بطبيعة الحال، المجال السياسي. و تقوم الانخراطات في الحركة الوطنية الجزائرية أو جبهة التحرير الوطني، في أغلب الأحيان، على هذا الأساس. فكانت عائلات بأكملها أو أجزاء كبيرة من القرى تقوم بعملية الانخراط أو الانشقاق. ويستحق هذا المظهر إجراء دراسة موثقة أكثر²⁶⁴، ولكن جميع الشهادات المستقاة تشير إلى هذا النوع من الممارسات، منها شهادة بن دالي حسين :

« خلال اجتماعات التوعية، كانت بعض المسائل تثار في النقاشات و عندها كان سي عبد الرحمن يستعين بالطلبة. كانت المسألة الأساسية المثارة من قبل المناضلين هي ما إذا كانت أموال التبرعات تُستخدم حقيقة لمساعدة المقاومة في الجبال. في البداية، كان الجميع يقدمون مساهماتهم المالية دون نقاش، و لكن، فيما بعد، بدأ البعض يثير المسألة بهذه الصيغة : « قَدِّم لي ما يثبت أن الأموال تذهب إلى منطقة القبائل » على سبيل المثال، لأنه كان يوجد تجمع كبير من القبائل و الجيجليين بتلك المنطقة. كان كل واحد يقدم مساهمة مالية لكن كان كل واحد يرغب في أن تُرسل مساهمته إلى منطقته الأصلية. »²⁶⁵.

(264) هناك بعض الأطروحات المنشورة أو التي لم تنشر بعد والتي نظرت في هذه المسألة.

(265) ح . بن دالي، المرجع المذكور.

هذا لا يبعث على الدهشة عندما نعرف الآليات التي تحكم، منذ أمد، رحيل الشباب إلى الخارج. ولدينا في هذا شهادة رجل من الأوراس :

« حدث ذلك برمضان 1928. كنت شابا، و كانت سنة يؤس. يؤس شديد في الحقيقة ! لم تكن خدمة الأراضي تكفي أصحابها. كنا نكدّ، كنا نعمل قدر المستطاع، و كان كل شيء تلتهمه الضرائب. و الله ! كنا نعمل عند الضرائب. عندها اجتمع مجلس الشيوخ و اختار ثمانية رجال شبانا و أقوياء، رجلا من كل فئة من القرية، ثم قرّر إرسالهم للعمل في فرنسا لإطعام عائلاتهم.

ذهبنا في أمان الله. ذهبنا مشيا على الأقدام ثم بالسيارة ثم بالباخرة. كان واحد منا يقودنا، كان قد شارك بالحرب العالمية الأولى و فقد بها ساقه و لكن، و الله شاهد، كان يعرف البلد بكامله و يتكلم اللغة الفرنسية، أما نحن، فلم نكن نعرف حتى طلب الخبز. »²⁶⁶.

و من ثم، تتجلى ضخامة مهمة الحركة الوطنية، في مجملها، و مهمة معظم قادتها السياسيين الذين عملوا بلا كلل على القضاء على تلك القيود الاجتماعية من أجل صهرها في هوية مرجعية أوسع : الأمة الجزائرية.

بعضهم من المدن

من بين كل من استجوبناهم، شأنهم شأن الذين يُذكرون في المحاضر الرسمية للمحاكم الفرنسية، قليلون هم الذين وُلدوا بالمراكز الحضرية الكبيرة. و سيكون من المخاطرة محاولة منهجة الظاهرة نظرا لمحدودية المعطيات الوثائقية المتوفرة لدينا. سنحاول، مع ذلك، إلقاء ضوء خاص من خلال تقديم بورترية موجزة لبعض هؤلاء المناضلين من المدينة.

ولد بن صدوق محمد بعنابة، سنة 1931، من أب و أم، أبناء عمومة، معروفين في المدينة القديمة على أنهم وُلاد لبلاد أي من أصحاب المدينة. و في تلك

الفترة، كان يضم، هذا الميناء المهم للجزائر الشرقية، 16.000 نسمة فقط، و كان نصفهم من أصل أوروبي . و في 1939، جُند والده، الذي كان يعمل كأمين مخزن بالميناء لحساب شركة شيفينو، جُند ليشارك في الحرب العالمية الثانية لبعض الوقت فقط لأنه أُعيد إلى الحياة المدنية بسرعة لأنه كان يملك ثلاثة أطفال، و كان يُعتبر ذلك، في تلك الفترة، سببا كافيا ليُسرح من الجيش .

كانت سنتا 1941 - 1942 قاسيتين جدا على الجميع، و خلال فترة نقص المواد و توزيعها المقتن هذه، حصل قصف من البحرية الإيطالية على المدينة و على المناطق المحيطة بها (كانت عناية تُستخدم في تمرير العتاد الحربي الأمريكي)، و هو ما أرغم الناس على الرحيل إلى الأراضي الداخلية، فعرفت عائلته الظروف القاسية لحياة الملاجئ إلى غاية 1943 - 1944 . في هذا التاريخ، تمكنت عائلة بن صدوق، بعد أن قامت ببيع جميع مجوهرات العائلة و تدينت كثيرا، من العثور على مسكن بالحي الأوروبي ببوسيجور . و سنى فيما بعد، من خلال مسيرة المناضلين، كيف أن هذا الاختلاط بالأوروبيين لعب دورا كبيرا في تفاقم الوعي بالهوية عند الشاب بن صدوق عوض أن يلعب دورا في « الإدماج » . اضطرت دراسة محمد عند دخوله حركة الكشف و غادر الثانوية التقنية في نهاية المطاف دون حصوله على الشهادة . و بالإضافة إلى تكوينه غير المكتمل في النجارة، دخل إلى مركز التكوين المهني للكبار ليتعلم المطالة، و هو ما سمح له بالاشتغال في مهن عديدة إلى غاية 1951، و هو التاريخ الذي استُدعي فيه ليؤدي الخدمة العسكرية . و بعد عام و نصف، أصبح وكيلا تجاريا بشركة مواد البناء بميناء عنابة . و يبدو أنه لم يتحمس كثيرا لهذا العمل بما أنه غادر الجزائر، سنة 1955، ليخوض في مغامرة جديدة بالألزاس، و من هناك ذهب إلى باريس حيث كان ينتظره قدر مميز .

ولد محمد أوزناني بالجزائر العاصمة سنة 1935، بحي العناصر (برويسو) في وسط متواضع . كان والده عاملا مقولبا بمسبكة منشآت لوبلون، بواد كنيس،

حيث كان يقضي معظم وقته في صنع قوالب لصناعة صنابير من النحاس و البرونز. كانت إطارات مليئة بـ 25 إلى 30 كلغ من التراب، و كان يمضي أيامه في نقلها ليتمكن من إعالة عائلته المكونة من أحد عشر طفلا. كان محمد الطفل الخامس، ونجح في التحصل على شهادة التعليم الابتدائي، و تمكن من الحصول على تكوين تقني كان، حتى ذلك الحين، مخصصا للأوروبيين. و تمكن من متابعة دروس بالمركز التقني بباب الوادي لمدة ثلاث سنوات حيث اكتسب المعرفة التي يجب أن يحصل عليها أي عامل جيد في مجال الميكانيكا العامة : كهرباء السيارات، التلحيم، الطحن، الخراطة، الحدادة... إلخ.

و بعد أن حصل على شهادته بقي عليه أن يجد عملا و لم يكن الأمر بهذه السهولة بالنسبة لعامل مؤهل شاب جدا و جزائري فوق ذلك. لم تكن السياسة تهمه كثيرا، و ليس اجتماع خلية حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالقصبة العليا، الذي جرّه إليه أصدقاؤه المناضلون، هو الذي أقتعه.

« سمعت المناضلين، شبان من سني، يُماحكون و يلقون خطبا كبيرة » إخراج فرنسا... إلخ » و كان هناك مرزوق عمر²⁶⁷ و بن حرّات سيد أحمد و خلوي. لم يكن يبدو لي ذلك جدّيّا كثيرا و لكن ربما لم أكن ناضجا. لم أبدأ بالاهتمام بالمسألة إلا بعد أن وصلت إلى فرنسا. ²⁶⁸.

و لقد دفعت صعوبة إيجاد عمل بالجزائر العاصمة، بربيع 1954، هذا الشاب الذي خرج من فترة المراهقة (كان يبلغ 19 سنة فقط)، دفعته إلى اختيار طريق الاغتراب. فوصل إلى مرسيليا حيث هام على وجهه دون أن يجد عملا لمدة خمسة عشر يوما، لأنه لا بد من القول أنه، حتى في المستوى الجسدي، كانت هيئة محمد هيئة رجل صغير هزيل البنية نوعا ما. صمّم عندها أن يلجأ إلى العلاقات العائلية و القروية و انتهى به المطاف بفرميني، بمنطقة ليون – سانت إتيان، حيث عثر على عمل كميكانيكي عند صاحب مرأب، و كان ينام خفية بمخيمات مؤسسات

(267) عذّبه المظليون الفرنسيون و رموه من أعلى منحدر لافام روج بحي رويسو بالجزائر العاصمة.

(268) محمد أوزناني، شهادة.

فيرديي (معمل صناعة الأسلحة) لأن سنه الصغير لم يكن يسمح له باستئجار غرفة باسمه بفندق. وفيما يخص أوزناني، فقد انضم إلى المنظمة الخاصة في ظروف خاصة جدا. ولنضع فقط في اعتبارنا الآن أن تكوينه التقني و هيئة الشاب البريء المسالم جعلته، أكثر من أصوله المدنية، يصبح أحد الرجال المطلوبين أكثر بفرنسا.

معظمهم من الريف

ولد أوراجي مولود في 19 سبتمبر 1928 بالقلعة بمنطقة الأربعاء ناث إيراثن (القبائل الكبرى)، من أب مغترب عامل بمصنع مواد كيميائية فرنسي. توفي في وقت مبكر، جراء أضرار كيميائية على الأرجح، تاركا وراءه زوجته و مولود و ابنه الأكبر و ابنتاه بدون أية موارد. فاضطر مولود إلى أن يعمل منذ سن الرابعة عشر ليؤمن عيشه. و لقد مكّنته المدرسة التي كان يرتادها أحيانا من بعض مبادئ القراءة و الكتابة، و لكن سرعان ما نسيها. و في سن السادسة عشر، غادر قريته بحثا عن آفاق أرحم و وجد، بالجزائر العاصمة، عملا له و لأخيه لدى صانع قيعان سلال من القصب بالحراش. و لم يكن يتقاضى أجرا بل كان يحصل فقط على الطعام و المأوى.

« في 1946، قررت الذهاب لكسب رزقي في مكان آخر. كنت أسمع وقتها جزائريين مسنين عائدین من فرنسا يقولون أن العمل كان متوفرا بفرنسا، و أنهم كانوا يبحثون هناك عن اليد العاملة، و كانوا يقولون أن المعاملة هناك أفضل منها بالجزائر، و بأننا كنا نُعتبر هناك بشرا عكس التمييز الذي كنا نعاني منه بديارنا. و بالمناسبة، لم أكن قد كلمت فرنسيًا قط عندما كنت بالجزائر، كنت أقطن بأماكن عملي بالذات و لم تكن لدي فرص كثيرة للذهاب إلى وسط المدينة. »²⁶⁹.

و عندما سمع عن حزب الشعب الجزائري، ذهب برفقة أصدقائه لسماع بعض الشخصيات تلقي خطابات، و لكنه لم يكن يعرف جيدا السياسة. فلم يكن هناك

(269) أوراجي مولود، المرجع المذكور.

إذن شيء مهم يبقيه بالجزائر ؛ فقرّر، بمساهمة أخيه المالية، تجريب حظه بالضفة الأخرى من البحر. كان يبلغ من العمر 18 سنة فقط و لم يكن يعرف أحدا عند وصوله إلى مرسيليا. لم يكن يتكلم اللغة الفرنسية إطلاقا، و كان بالكاد يعرف كتابة اسمه. فكان عليه أن يقرر بسرعة الذهاب شمالا، إلى العاصمة، للعثور على قريب بعيد كان لديه عنوانه. كانت السلسلة القروية، التي وجدها بصعوبة بالغة، تعمل على أحسن وجه فتمكن إذن من البدء في العمل كحزّام بقسم الشحن بمؤسسات غينار و هي شركة لتصنيع مضخات لمقاومة الحريق. ثم أصبح سائق توصيل « كان أمرا رائعا لأنه كان يمكنني أخيرا الخروج و التجوال. إضافة إلى ذلك، كان الرجل الذي كان يساعدني رجلا طيبا جدا، مغتربا مثلي و مقيما بفرنسا من زمن طويل. »²⁷⁰.

و مع حلول تلك الأيام الجميلة، بدأ يمارس الملاكمة و ترقى بسرعة إلى أن أصبح بطل الهواة بباريس. و جعلته هذه الشهرة الجديدة، يبرز وسط زملائه في العمل، فلجأت إليه نقابة المصنع ليقدم الخطابات الظرفية.

وُلد سداوي عمر في 9 ديسمبر 1930 بأزروبة، و هي دشرة صغيرة بدوّار مزرانة بمنطقة غابية على بعد 14 كلم من تيفزيرت. انتقل مع عائلته، و هو لا يزال طفلا، إلى تاورقة، و هي قرية استعمارية صغيرة بدأت بها المقاومات الأولى بالجبال بالأربعينيات مع زروالي محمد و حداد عمار و محمد سعيد مازوزي و بوداود عمر. و بعد أن درس إلى غاية السنة الثانية متوسط، قضى معظم وقته يساعد والده في حراثة الأرض. و في سن السادسة عشر انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث أخذ لمدة سنتين دورات في التعليم المهني قريبا من حي سيدي عبد الرحمن بقصبة العاصمة. و في يوم من الأيام، مع نهاية العطلة المدرسية، و في حين كان يستعد للعودة إلى المدينة الكبيرة، نشب شجار، من حول طاولة لعبة البوكر، بين أحد أقاربه و زميل في اللعب، و انتهى تدخله في النزاع، مع الأسف، بقتال بالسكاكين مما أدى إلى سقوط أحد الفرقاء أرضا متأثرا بضربة السكين الذي استعمله عمر

(270) المرجع السابق.

للدفاع عن نفسه. و جعلته السنوات الثلاث، التي قضاها بالسجن النافذ، يمر بالأماكن الشهيرة بقساوتها : سجن لامبيز و البرواقية و الحراش (المسماة بالأربع هكتارات). أُطلق سراحه في 1952، فأخذ طريق المنفى و عمل لوقت بمجال البناء بمنطقة روباى، بشمال فرنسا، حيث كان يعيش أحد معارفه. و عندما اندلعت الحرب بالجزائر، كانت الجالية الموجودة بتلك المنطقة تابعة في أغلبها إلى مصالي. لكن محي الدين، صديقه من توارقة، هو الذي أقنعه أن من واجبهم العودة إلى الجزائر للمشاركة في الكفاح المسلح. و في طريق عودته، توقف بباريس حيث عثر على عمل بأحد مصانع بانيتين و على مسكن بسورين. و بعد وقت قصير، أرسله « سي سعيد » بنّاي والي، و هو مناضل وطني قديم إلى عند مزيان بفندق – حانة كان في الحقيقة أحد معاقل جبهة التحرير الوطني. و هناك، التقى بتواتي دريس و ب بومعزة بشير و بسنوسي الذين كانوا يقيمون اجتماعات سياسية بانتظام بذلك المقر. و في 1955، انخرط في جبهة التحرير الوطني و بدأ كفاحه الذي قاده سنة فيما بعد إلى صفوف المنظمة الخاصة.

ولد شروق عبد الحفيظ في 10 أفريل 1936، بزمورة، قرية صغيرة بمنطقة برج بوعرييج. و هي منطقة قاحلة قابعة بمنحدرات جبال الباور، و لم تسلم عائلة شروق عبد الحفيظ من ظروف الحياة الصعبة التي يعيشها سكان هذه المنطقة. كان والده يعمل بعين مسعود على بعد مئات الكيلومترات من هناك، قرب سطيف، و كان يُدرّس كطالب (معلم مدرسة قرآنية) مبادئ اللغة العربية لأطفال عائلة أعوامر، و هي أسرة غنية من ملاك الأراضي. كان يعود مرتين أو ثلاث مرات إلى المنزل يحمل المداخيل العينية التي حصل عليها من نشاطه : القمح و الشعير و بعض المواد الأخرى. و في هذه الأسرة المكونة من ستة أطفال، كان حفيظ المولود الثاني. و أخذ لمدة أربع أو خمس سنوات دروسا بالمدرسة القرآنية التي كان يديرها عمه. كانت سنتا 1942 و 1943 سنتا بؤس كبير، و فتك التيفوس بسكان المنطقة فتكا، و لما كان أخوه الأكبر قد غادر إلى الجزائر العاصمة لبحث

عن العمل، وجد نفسه، و هو في سن السادسة أو السابعة، مع أمه و أخته الصغرى في العوز التام دون لقمة عيش. و لقد سمح لهم ذهابهم عند أقارب أمهم، و قد كانوا أفضل حالا نسبيا، من تجنب الكارثة لفترة، لأن والدته أُصيبت بالمرض و وجب إدخالها المستشفى بسطيف، و كانت هذه فرصة شروق الشاب لكي يخرج من القرية و يرى المدينة الكبيرة. و في طريقه مرّ بمنزل آعوامر حيث كان والده يعمل.

« عندما ذهبت لزيارة والدتي بالمستشفى، مررت بعين مسعود، هناك رأيت الحياة الرغدة التي كانت تعيشها عائلة آعوامر. كانت هذه العائلة تملك كل المنطقة تقريبا، و كنت منذها أمام ذلك الرخاء. كانت المزرعة كبيرة و كان بها خيول و لكن، و الأهم من ذلك، كانوا يأكلون ملء بطونهم، في حين كنا في القرية نأكل تارة و نصوم تارة أخرى. و لما كان والدي يُدرّس أطفال المالك فقط و أحفاده فقد عبّر هذا الأخير عن امتنانه باستضافتنا طيلة شهر رمضان. »²⁷¹

لم تغادر عائلة شروق زمّورة للإقامة بالجزائر العاصمة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

« كانت وضعيتنا المادية لا تزال صعبة للغاية، لم نكن نشترى المواد الغذائية إلا بقسائم التقنين. كان والدي قد عثر على وظيفة معلم بالشبيبة، بشارع 17 حي رونفالي، بمدرسة تابعة لجمعية خيرية إسلامية يديرها الشيخ العقبي الطيب²⁷². و لم يكن يملك راتبا ثابتا، و كان مدخوله يتوقف على المساهمات المالية المقدمة من قبل أهالي المتمدربين. كان ذلك في سنة 1945، و في تلك الفترة، كان الذين كانوا يرغبون في أن يحصل أولادهم على تعليم ديني أو أن يتعلموا اللغة العربية هم وحدهم الذين كانوا يرسلون أبناءهم إلى الشبيبة. أما الأغنياء، فكانوا يفضلون إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، و من بين هؤلاء، كان الذين تم إقصاؤهم هم وحدهم الذين كانوا يبحثون عن فرصة ثانية للالتحاق بالمدارس

(271) شروق عبد الحفيظ، المرجع المذكور.

(272) أحد القادة الرئيسيين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

التقليدية. ولكن، معظم الطلبة كانوا، عموماً، من الأوساط الوطنية [...] في الأول، عشت مع عائلتي بكوخ بفونتين فريش بأعالي باب الواد. كانت الظروف المعيشية قاسية، و كان الحي بعيداً جداً، و كنا، على وجه الخصوص، في الضيق. كنت أتسوق يومياً و أ جلب المياه لأن والدي كان منشغلاً جداً بعمله، في حين كان أخي الأكبر قد غادر إلى فرنسا. و من أجل الحاجيات المنزلية قمت بصناعة سيارة تحميل لأتمكن من نقل الصهرج الذي كنت أملؤه من نافورة موجودة على بعد كيلومترين من المنزل، إذ كنت قد سئمت العودة بحافلة المدينة حاملاً حاويتين تحتوي كل واحدة منهما على 10 لترات من الماء. بعدها، وجد والدي غرفة بحى القصبة لكن مشكل الضيق كان لا يزال قائماً، خاصة مع ولادة طفل رابع، و مع راتب شهري يقدر بـ 3000 فرنك، لم نكن نعيش حياة ترف. كنا نحصل شهرياً على حصة من الحليب من أجل الرضيع، بضع عُلب، و كانت والدتي تقول لي دائماً : « سنحتفظ بالبعض منها و نبيع الباقي لنحصل على القليل من المال. » و لنقتصد من ميزانية عائلتنا، كنا نذهب كل يوم، أنا و أخي، لنفطر بديار الصدقة [...] و استمر الأمر على هذا النحو مدة من الزمن إلى أن قرر أحد أعمامنا، و هو موظف بشركة عابرة للقارات، شراء فيلا بأراضي مفرزة روبر بوزريعة، و ترك لوالدي الشقة التي كان يسكنها بحى بيريز بكليما دو فرانس و أقمنا بها من سنة 1951 إلى 1955. و بعد أن بحثت مطولاً، عثرت أخيراً على عمل كعامل مُياوم بمصنع باستوس. كنا ننتظر عند باب المصنع في حال احتاجت الإدارة إلى يد عاملة إضافية. كانت تُوظف بصورة عشوائية البعض منا، و كنا نعود في اليوم الموالي و ننتظر طويلاً في المكان نفسه. كانت وظائف مضمّنة جداً بسبب الدخان و القذارة التي كنا مجبرين على استنشاقها، و كان هذا يدوم، في المتوسط، مدة أسبوع واحد بالشهر. »²⁷³.

استمرت حياة العامل الشاب العرضي على هذا النحو إلى أن جاء اليوم الذي استجاب فيه مكتب اليد العاملة لطلبه للتوظيف، و وجهه إلى مركز تكويني في

(273) ع. شروق، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

البناء. كانوا حوالي عشرين شابا، معظمهم أميون، حتى أن البعض منهم كانوا متزوجين ولديهم أطفال، و كانوا يتبعون في البرد القارس، بمخيمات جبال بوزريعة، هذا التدريب في البناء. وفي 5 جويلية 1955، تلبية لشعار الإضراب الذي أطلقته جبهة التحرير الوطني، توقف عن الدروس و طُرد. وهذا ما دفعه، في نهاية المطاف، و هو في سن التاسعة عشر، إلى اتخاذ قرار الذهاب، هو بدوره، لتجريب حظه بأرض أكثر سخاء.

وهكذا، لختام هذا الفصل، يمكن أن نلاحظ أن المناضلين الذين تكلمنا عنهم كانوا، مثلهم مثل العديد من الأعضاء الآخرين للمنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، كانوا شبابا، ما بين 18 و 25 سنة، عندما قرروا، لأسباب اجتماعية أو اقتصادية قاهرة، مغادرة الجزائر إلى المنفى. خاض البعض منهم في هذه المغامرة دون حقائق و دون شهادات، و كانوا يتكلمون الفرنسية قليلا أو لا يتكلمونها مطلقا. كانوا يعتمدون على الشبكات التقليدية للقرية أو على العائلة للعثور على عمل أو على مرقد. أما البعض الآخر، فكانوا محظوظين لحصولهم على شهادة التعليم الابتدائي أو شهادة تكوين مهني، و وجدوا عملا في المصانع بصورة أسهل. ولكنهم، جميعهم، يحملون ذكريات مُرة عن أيام طفولة و مراهقة صعبة موسومة بالبؤس. و مرة أخرى، هذا لا يعني أن هذا الأمر كان عنصرا حاسما، إذ سَتُظهر لنا مسيراتهم الشخصية أن العوامل الاقتصادية و الاجتماعية ليست الوحيدة التي أثّرت في قرارهم في الانخراط في إحدى الفروع الأكثر صعوبة من فروع المنظمة الوطنية بفرنسا.

متعلمون متمردون

من بين كل هؤلاء الذين شاركوا في هذا الفصل من فصول كفاح التحرير الوطني، كان قبايلي موسى أول من التمس من أجل إرساء المنظمة الخاصة. و لقد وُلد هذا الأخير سنة 1933 بعين أولمان، و هي ضيعة موجودة على بعد 20 كلم من سطيف، في وسط عائلة كبيرة، كما كان هذا هو الحال بالنسبة لمعظم الجزائريين.

كان اسمه في الأصل عزيزي، وانتقل نحو الشمال مع عائلته، بحثا عن مصدر الرزق، مغادرا منطقة اليحمور التي أصبحت غير مضيافة إلى درجة كبيرة. و شأنه شأن جميع الذين يأتون من جهات أخرى، مُنح الاسم الشامل قبائلي. و في هذه المنطقة الزُّروعية بالهضاب العليا حيث استقروا، كان الفقر أفضل ما كان يتقاسمه الناس. و بما أن والده كان يملك محل بقالة، فقد اعتُبر تلقائيا من بين الذين كانوا يعيشون حياة كريمة. و شيئا فشيئا، تطور النشاط التجاري مما جعل والده يوسّع مجال نشاطه و يقوم بتنقلات كثيرة لتغطية حاجيات أسواق قصر الطائر و راس الواد و سطيف. و هذا النشاط كان مربحا بما أنه سمح له باقتناء سيارة و العمل في مجال النقل المحلي للمسافرين.

هذا الثراء المفاجئ لعائلة قبائلي سمح للإبن بأن يرتاد المدرسة الأهلية بالمدينة الكبرى. بقي موسى بسطيف إلى أن حصل على شهادة التعليم الابتدائي، و هو حدث نادر؛ ثم التحق بثانوية المدينة، و هو حدث أكثر نُدرة بالنسبة لجزائري. و لقد سمح له مدرسه الأوائل، من بينهم السيد عمارة، بأن يكتسب المفاهيم الأولى للنزعة الوطنية، و خاصة، بأن يتعلم معنى الجهد و ضرورة النجاح لتأكيد الانعتاق. و بدأ، في سن صغيرة جدا، النشاط بخلايا سرية لحزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية بثانوية سطيف، حيث خالط مايزة المدعو « صايفي » و عبد السلام بلعيد و آيت مختار نصر الدين. و لقد اضطره الاضراب عن الطعام الذي شَنّ في الثانوية و العقوبات التي تبعت هذا، إلى مغادرة الجزائر و الذهاب إلى فرنسا. و بما أنه لم يكن يملك أقرباء هناك، فقد انتهى به الأمر إلى أن التحق بثانوية سان مور دي فوسي بعد أن قضى وقتا قصيرا بمونبولي حيث التقى، بلا شك، بعمر بن عدوده. و لقد فاجأه اندلاع الحرب بالجزائر و هو ما يزال متمدرسا و مناضلا وطنيا بثانوية سان مور. و كان ذلك خلال الأيام التي سبقت مباشرة انخراطه في الخلايا الأولى لجبهة التحرير الوطني بالمنطقة الباريسية.

نحن لا نعلم إلا القليل عن أعضاء اللجنة الفيدرالية الذين كانوا مباشرة مكلفين بإرساء المنظمة الخاصة. و لم يكتب هارون علي، الذي خالطهم لسنوات طويلة،

إلا بضعة أسطر عن بوعزيز رابح²⁷⁴، ومع الأسف، لن نتمكن من تقديم المزيد عما قدمه، ذلك أننا لم نحصل إلا على إحالات نادرة في الشهادات. ولنا أمل فقط أن يملأ هذا الأخير هذا النقص بنفسه، من خلال نشره لمذكراته الخاصة²⁷⁵.

و ما نعرفه هو أنه كان مناضلا سابقا بحركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم نقابيا قبل أن يتم اعتقاله بفرنسا و تحويله إلى سجن بربروس بالجزائر العاصمة. ونحن نجهل أصوله الاجتماعية، ولا نعرف شيئا لا عن تكوينه ولا عن نوع التعليم الذي تحصل عليه. علمنا فقط أنه أطلق سراحه بعد أن سُجن لمدة ستة أشهر. التحق بعدها بالمقاومة في الجبال بالولاية الرابعة حيث أصبح محافظا سياسيا تحت أوامر العقيد صادق ؛ وقام هذا الأخير، على الأرجح باتفاق مع عبان رمضان، بتحويله إلى فرنسا مع مهمة إعادة هيكلة المنظمة الخاصة من أجل الهجوم المبرمج في الأراضي الفرنسية. وهو الذي استلم، بعد أن تم تفويضه، قيادة الخلايا السرية الأولى التي أنشأها سويسي عبد الكريم و قبائلي موسى.

و كانت كل الشهادات التي جمعناها والتي تحيل إليه بصورة عرضية تؤكد على صرامته الأخلاقية و صرامته و إحساسه الكبير بواجب السرية. و هو يتكلم عن اللحظات التي سبقت اندلاع هجوم أوت 1958، بقي أوراغي مولود متأثرا جدا بالصرامة الكبيرة التي تميّز بها مسؤوله.

« كان رجلا شديدا لا يسمح بأي خروج عن قواعد السرية. و هكذا، أتذكر اليوم الذي كنا فيه في شقتنا، أياما قبل ذهابنا إلى المغرب، برفقة س... كان هذا الأخير معروفا جدا في أوساط المهاجرين الباريسيين، و بما أنه كان يفرط في الشرب، كنا نخشى أن يزل لسانه. فقد مُنع من التردد على الأحياء ذات الكثافة الجزائرية الشديدة. و كان هذا الأمر ينطبق علينا جميعا، لأننا وضعنا بشق في أحياء راقية بباريس نادرا ما يتجول الجزائريون فيها. كان يجب علينا إذن، طوال فترة التحضير، البقاء هناك دون الاتصال بأحد. و بعد أن غادرت المجموعة الأولى، بلغه، و أجهل

274) 12 سطرا بالصفحة 38، A. Haroun. *Op.cit.*,

275) منذ كتابة هذا الكتاب، توفي مع الأسف بوعزيز رابح قبل أن ينتهي من كتابة مذكراته.

كيف تم ذلك، خبر رحيل المجموعة الثانية، و كان يعرف حتى كلمات السر، فعاد ساخطا و وبّخني :

— إذن ! أهكذا تعملون ؟ تبعثون أفرادا إلى المغرب دون إعلامي ؟ فاعلموا إذن أنني أعرف كل شيء حتى كلمة السر الخاصة بكم .

أعطاني المعلومة مع شيء من المرارة، لأنه لم يُختر هو كذلك، و من الفخر لأنه تمكن من إخطار المنظمة الخاصة بوجود تسرّب و بأن نظام الأمن لم يكن مثاليا . ذهبت إذن، في الحين، لإبلاغ « مجيد » و « سعيد » عن الأمر .

هل تعلمون أن خبر ذهابنا إلى المغرب لم يعد يجهله أحد ؟

سألني « سعيد » : — من أخبرك بهذا ؟

في الواقع، إنه س . . .

اذهب و اقض عليه !

كيف ذلك ؟ لمجرّد أنه حصل على المعلومة ؟

و لحسن الحظ أن الأمور بقيت عند هذا الحد . بعثوا بعدها رسالة عاجلة لإلغاء البعثة، و أُعيدت المجموعة ثم فُرّق أفرادها . « 276 »

و علاوة على هذا التصلب في احترام قواعد السرية كان بوعزيز يتسم بشيء من الصرامة الأخلاقية المتزمّنة جدا التي طبعت ذاكرة رجال المنظمة الخاصة .

« لدى عودتنا من المغرب مرّ بشارع بترايك الذي كنا مختبئين به قبل اندلاع هجوم أوت . كان يوجد هناك مناضلون يقيمون منذ زمن في عزلة تامة، و لاحظ « سعيد » على الحيطان صورا شمسية ملوّنة جريئة قليلا، فعاد أدراجه و أخذني على حدة و قال لي :

يجب قتلهم !

آه ! ! و لكن لماذا ؟

(276) أوراغي، المرجع المذكور .

اذهب إلى غرفتهم و انظر إلى ما علّقوه على الحيطان .

دخلت الغرفة و وجدت صُور عرايا . لم يكن في ذلك ما يُثير . طلبت من المناضلين نزع الصور من الحائط و رجعت إلى « سعيد » لأعلمه أن الأمر قد سُوّي [...] .

و أياما قليلة قبل اندلاع هجوم أوت ، كنا نعقد اجتماعا بمخبئنا في شارع بترارك ، و كان جميع قادة المنطقة حاضرين ، بما فيهم المسؤولون عن العملية . أتذكر ذلك اليوم بوضوح . كان ذلك بيوم أحد ، و قد استمرّ الاجتماع دون انقطاع إلى غاية حوالي الساعة الثانية مساء . بقينا دون تناول الطعام و بدأنا نتضور جوعا . سأل « سعيد » إذا كان يمكن لأحد الذهاب و إحضار سندوتشات . كنا في ضواحي تروكاديرو ، و لم يكن من الممكن العثور على متجر بقالة في الأنحاء . اضطرر س ... إلى الذهاب إلى حانة و عاد سعيدا لأنه وجد سندوتشات معدّة على الطريقة الباريسية ، و لكن المشكل أنها كانت سندوتشات من لحم الخنزير المدخن و اللحم المحفوظ . وضع كل شيء أمامنا على الطاولة ، و كان سعيد أول من قدّم ملاحظة : « لا زال يوجد القليل من مبادئ الإسلام فينا ! » و رفض أن يأكل منها و تبعه « مجيد » في ذلك .²⁷⁷

و ستوضح لنا شهادة أخرى بُعدا آخر من سمات هذه الشخصية ، وهو البعد السري . كان عيسى عبد الصمد على اتصال مباشر به خلال إقامته الأولى بباريس .

« كان بوعزيز يدوّن دائما رؤوس أقلام مشقّرة على قصاصات ورق عندما كنا نتناقش في أمور العمل . لم أكن أملك أدنى تجربة في هذا المجال . أثار ذلك فضولي و اهتمامي كثيرا ، و لكنني كنت ، بالرغم من كل شيء ، مرتابا . كنت أراه يدوّن رموزا و أعدادا و بدا لي ذلك غير جدي . و قبل عودتي إلى المغرب ، كنت قد أعطيته أسماء ثلاثة كتب أو أربعة لم يتسن لي الوقت لشرائها ، فدوّن اسما

(277) المرجع السابق .

ليس باسمي و عنوان متجر. لم يكن يظهر شيء من خلال رؤوس الأعلام تلك، و كانت تلك فرصتي كي أتأكد من فعالية هذا الرمز الغامض. و بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، استلمت الكتب التي تكلمت عنها. كنت مسرورا و فخورا في الوقت نفسه. كان بوعزيز منظما تنظيما جيدا، فحتى إذا اعتُقل أحد و معه هذه الرموز، كان من المستحيل فك شفرتها قبل مرور 24 ساعة، مما كان سيعطي للمنظمة متسعا من الوقت للتصرف و اتخاذ تدابير أمنية. ²⁷⁸.

ولد آيت مختار في الثلاثينيات بتازمالت، قرب آقبو، بواد الصومام. كانت عائلته، منذ زمن طويل، عائلة أعيان بما أنه كُلف بمسؤولية القائد، التي هي على ما يبدو إرث عائلي من الفترة العثمانية. و لكن، شأنهم شأن العديد من قادة قبائل و أعيان منطقة القبائل الصغرى، فقد كان تمرّد الباشاغا المقراني، الذي جرى سنة 1870، مدمرا لهم. لقد هُزموا عسكريا من قبل جيوش الاستعمار و فقدوا، جرّاء مصادرة أملاكهم من قبل الفرنسيين، كل ممتلكاتهم المنقولة و غير المنقولة. ثم طُردوا من بجاية و دفعوا إلى المنحدرات الحجرية للجبل المجاور. اعتُقل بعدها اثنان من أجداده و سُجنا إلى أن وافتهما المنية بحصن قسنطينة و عرفت عندها عائلة آيت مختار، التي تم الفتك بها، مثلها مثل بقية سكان المنطقة، عرفت البؤس الذي يُصيب المهزومين.

و اضطر والده، الذي لم يكن يملك المال الكافي ليُعفى من الخدمة العسكرية، أن يشارك في الحرب العالمية الأولى. و شارك فيها إلى درجة أن أعماله الحربية تسببت له في إصابة خطيرة، و كما يقول المثل رُب ضارة نافعة، فقد كرم بوسام الجدارة و مُنح معاش معطوبي الحرب، و في الأخير، مُنح لقب قائد. لم يحظ نصر الدين بفرصة معرفة والدته لأنها توفيت إثر إصابتها بداء السل الثنائي و هو حديث الولادة. فقام والده، الذي بقي وحده مع أطفاله، بالزواج ثانية في 1939 و أرسل اليتيم الصغير ليدرس ببرج بوعريريج عند محمد فارس، فرد من أفراد عائلته الجديدة. كان أميا تقريبا عندما تكفل به خاله الجديد بالمصاهرة و علمه

(278) ع. عبد الصمد، المرجع المذكور.

اللغة الفرنسية وبعض مبادئ الكشفية. عاد، سنة 1945، إلى تازمالت ولكن سرعان ما اضطرت، أحداث 8 ماي، والده، الذي عُيّن بالطاهر، لأن يفرق عنه. فوجد نصر الدين نفسه عند عائلة فارس من آقبو، وتحصل أخيرا على شهادة التعليم الابتدائي. وفي تازمالت احتفى الناس به لأنه، إلى أقصى ما تعيه الذاكرة، لم يحصل أحد من قبل على شهادة التعليم الابتدائي. و مثل العديد من أطفال القياد، سُجّل بثانوية باتنة ثم بثانوية سطيف حيث خالط وطنيين شبانا²⁷⁹. لم يكن يتدخل كثيرا في السياسة، و كان يعيش حياته في المدرسة الداخلية في الهدوء إلى أن تحصل على شهادة البكالوريا التي نالها دون عناء كبير. و يتذكر قبايلي موسى هذا الزميل من الثانوية المميّز شيئا ما.

« عرفت آيت مختار بثانوية سطيف وقمنا بتدريبنا العسكري معا. كان منتظما جدا و منظما جدا. كان يتصرف بطريقة منهجية، تكاد تكون رياضية، في كل ما يقوم به سواء في دروسه أو في تدريبه العسكري. و كان هو، و اثنان أو ثلاثة من زملائنا، لا يسمحون لأنفسهم بمناقشة مقالة في جريدة، على سبيل المثال، عندما كانوا يحلون مسألة رياضية أو فيزيائية. و انطلاقا من هذا المبدأ تمكن من النجاح في دروسه بتفوق. »²⁸⁰.

و بعد أن أنهى دروسه الثانوية بنجاح، ذهب في 1954 إلى باريس حيث سجل نفسه بجامعة الطب. لم يكن يملك الكثير من المال، فاضطر إلى العمل من أجل لقمة العيش و تسديد مستحقات دراسته، و عندئذ لحقته الحرب التي خلفها وراءه في الجزائر، فأصبح مندوبا باتحاد الطلبة الجزائريين بباريس و بالاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين عندما قرّر الالتحاق بجبهة التحرير الوطني بفرنسا. و لكن، بالنسبة له هو الذي لا يميل كثيرا إلى السياسة السياسية، وحده كان العمل، بمعنى العمل العسكري، يحمل معنى و يستحق الخوض فيه. فقام موسى، زميله القديم في الدراسة، بإعطائه الفرصة لذلك.

(279) علي لخضاري و زعطوط و دربوش، من « الخامسة م2 من باتنة الشهيرة »، و حساني و م. قبايلي و ب. عبد السلام، من ثانوية سطيف.
(280) م. قبايلي، المرجع المذكور.

ولد بن دالي حسين في 1936 ببرباش، وهي قرية صغيرة قبائلية على بعد 30 كلم من بجاية. كانت عائلته تعيش حياة متواضعة مثلها مثل بقية سكان تلك المنطقة الجبلية، و وحدها شجاعة والده إبان الحرب العالمية الثانية (إذ أُسر و اقتيد إلى معتقل بألمانيا ثم تمكن من الفرار منه و العودة إلى المنطقة الحرة) سمحت لهم بالإفلات من البؤس. و باسم أعماله الحربية و « تفانيه لفرنسا »، استلم الأب بن دالي رخصة بيع الخمر بمرسيليا، و تمكن هكذا من جمع عائلته و إحضارها من الجزائر سنة 1946 إلى لستاك، وهي ضيعة صغيرة بضواحي مرسيليا على بُعد 2 كلم من موريبيان. و هناك التقى حسين لأول مرة، و هو في سن العاشرة، بوالده. تابع دروسه الابتدائية و الثانوية بتألق ثم حاول إكمال دراسته بمدرسة التجارة بمرسيليا. و لما كان والده ملتزما في النشاطات الوطنية، فقد حُمل، باكرا، على النضال في صفوف جبهة التحرير الوطني إلى غاية اليوم الذي جاء فيه شخص من باريس و اقترح عليه الانضمام إلى منظمة « خاصة » جدا.

و عكس معظم أعضاء المنظمة الخاصة، كان قبايلي موسى و آيت مختار نصر الدين و بن دالي حسين، مثال الشباب المثقفين المنحدرين من عائلات لا بأس بها نسبيا، و الذين كانت مسيراتهم الدراسية الناجحة، الابتدائية و الثانوية، تهينهم للاندماج في النظام الاستعماري، و لكن مع ذلك حدثت قطيعة جعلتهم ضمن المثقفين الأوائل الذين انتقلوا، في فرنسا نفسها، إلى العمل السياسي السري ثم إلى الكفاح المسلح. ما الذي حدث ؟ ما الذي ساهم في دفعهم إلى الانتقال إلى أحد أشكال الكفاح الأكثر راديكالية ضد الاستعمار الفرنسي ؟ قبل أن نحاول تقديم إجابة على هذه الأسئلة، سنستطرد للحديث عن الحالة الخاصة جدا لنساء المنظمة الخاصة.

الحالة الخاصة جدا لنساء المنظمة الخاصة

في محاولتنا لتوضيح أصول مناضلي المنظمة الخاصة، سيكون من غير المنصف تجاهل تلك النساء اللواتي انخرطن، في وقت مبكر، في الكفاح المسلح و قُدن، مثلهن مثل الرجال، مجازفات بحياتهن. ففيما يخص المناضلات، ضمت المنظمة

السياسية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا، بالتأكيد، العشرات منهم. ذكرت بعضهن عرضيا في الكتب العديدة التي تتناول حرب الجزائر، ولكن سيرتهن، شأنهن شأن غيرهن، لم تكتب بعد. لكن هاته المناضلات العضوات بالمنظمة الخاصة، تميزن عن الأخريات. و مثلهن مثل رفاقهن في الكفاح، فقد جربن خوض المعركة المسلّحة، و شاركن في عمليات حيث لم يكن نقل الأسلحة و المتفجرات من المهام الأقل خطورة التي شاركن فيها.

و لن نتمكن من ذكرهن جميعهن لأننا لم نستطع الوصول إلى عدد منهن. سنكتفي إذن برسم بورترية سريعة للبعض منهن، آملين أن يعرف هذا العمل تتمة مكتملة أكثر.

ولدت عائشة عليوات في 1930 من والد مغترب (أصله من منطقة تيفجدة بالقبائل الكبرى) و أمّ من أصول فرنسية - بلجيكية. كان والد عائشة عاملا بمنجم ببومو قرب موبوج، و عرفت في سن صغيرة الظروف الصعبة لحياة عائلات عمال المناجم بالشمال.

« كان يجد صعوبة في تغطية نفقات العائلة. كان يكّد في العمل، من جهة من أجلنا، و من جهة أخرى من أجل جميع الأقارب الذين كان يجب إيواؤهم لبضعة أشهر و إعدادهم قبل إرسالهم إلى باريس. إضافة إلى ذلك، كان يبعث بانتظام النقود إلى قريته. [...] كنا نرتدي ملابس ممزّقة و جرموقات عوض الأحذية، و كنا مضطرين إلى بيع قارورات فارغة لشراء الخبز و الثوم و الخمس كيلوغرامات من الفحم التي كانت بالكاد تكفينا للتدفئة في منطقة شديدة البرد. ثم اندلعت الحرب. كان والدي يعمل في المساء كمستأجر بالمزارع، أما أخي و أنا فكنا نذهب لنتلقط القمح و البطاطس لنجد ما نأكله. و بالرغم من هذا البؤس الشديد، عشت لحظات جميلة عندما كان والدي يأخذنا لصيد السمك، كنا نمرح عند ضفاف الأنهار، و كان السمك الذي كنا نصطاده يقدم كطعام لتحسين أيامنا. »²⁸¹.

(281) عائشة عليوات، المرجع المذكور.

كان والدها مناضلا نقابيا و قائد الإضرابات، و بين العمل داخل المنجم و نضاله العمالي، لم يكن لديه متسع من الوقت ليكرسه لأبنائه. و بعد وفاة زوجته، صمّم مُجبرا على وضع أطفاله بالميتيم. و كان العام الذي أُرغموا على إِمضائه هناك قد ترك في عائشة، التي كانت تبلغ عندها 6 أو 7 سنوات، جراحا عميقة، سنعود إلى ذكرها فيما بعد. بعد ذلك، اضطر والدها، بسبب مجابهات بين المضربين و الشرطة، إلى الفرار من المنطقة لأنه كان، بلا شك، مطلوباً بتهمة العصيان و استعمال وسائل العنف.

« يكون ذلك قد حدث في 1936 - 1937. ثم وجد والدي عملا بمسبكة بسواسون، في حين كان يتكفل بنا، أنا وأخي، حاجب المصنع الذي كان يقبل الاهتمام بنا بدون مقابل. كانت عائلة شيوعيين، من الطليعة، و كان منزله يُستخدم كمكان اجتماع للعمال من بينهم والدي. »²⁸².

و لم يجلب لهم الزواج الثاني لوالدهم السعادة لأن زوجة والدهم، المنحدرة من وسط برجوازي، لم تكن تستحسن هؤلاء الأطفال من زواج أول. و كان من المؤلف أن توصف عائشة بـ « ابنة البيكو »، و سرعان ما حدث انقطاع في وعي الطفلة الصغيرة التي كانت. و بما أنها لم تجد والدا يحميها و لا أماحنونا، فالتفتت، في سن التاسعة أو العاشرة، إلى أفراد عائلتها الأبوية الذين أملت أن تجد لديهم بعض الأجوبة على أسئلتها.

« [...] كان، العم، أمرا جديدا بالنسبة لي، لأن والديّ أُمي تبرّء منها، فلم يكن لدي بذلك أي علاقة مع عائلة أُمي. و لقد علّمني عمي أمورا صغيرة، كلمات بالقبائلية مثلا. حاولنا التواصل على الأقل. »²⁸³.

لكن هذه اللحظات لم تدم طويلا لأنه، بعد فترة وجيزة، تم ترحيل العم إلى ألمانيا و توفي بمرض السل. و انقضت أيام مراهقتها بالطريقة نفسها في الحرمان

(282) المرجع نفسه.

(283) المرجع نفسه.

و الإقصاء و البحث عن الذات وسط مجموعة مختلطة من العمال المهاجرين و عبر النضال البروليتاري (انخرطت في الحزب الشيوعي في سن 17)، و خاصة، عبر أبناء أعمامها و عائلتها من جهة والدها. ثم تزوجت في سن 18 من شاب منحدر من زواج مختلط هو كذلك، لكن هذا الزواج لم ينجح حقا و عادت من جديد في بحثها عن هويتها.

« تركت في عائلتي بصمات أثرت في وجهتي. ففي كل مرة كان أبناء العم يصلون من الوطن، كنت ألقى عليهم وابلًا من الأسئلة لأعرف ظروف عيش الناس و طريقة تفكيرهم. [...] كان يجب أن أعرف لأننا كنا نوصف بالتوحش و الجهل [...] و كان جميع أولئك الشبان، الذين وصلوا إلى فرنسا في سنوات 1946 - 1948 للعمل و مساعدة عائلاتهم، يحسّون بضيق في قلوبهم. فقد وقعت أحداث بالجزائر و حدّثوني عنها، من بين أمور أخرى. كان من بينهم حمّيش الذي أحضر ابنه ليضعه في مأمن من الشرطة الفرنسية لأنه صعد إلى الجبال قبل 1954 بكثير، ربما كان من المنظمة الخاصة (أصبح فيما بعد ضابطا بالولاية الثالثة). كان جميع هؤلاء الشبان القادمين إلى فرنسا يتكلمون عن البؤس و عن أسباب ذلك البؤس [...] كان توافدا مستمرا لأقارب كانوا يجيئون لبعض الوقت ثم يعودون إلى القرية. و احتفظت من خلاهم بفكرة عن الكفاح الذي كان يدور في الجزائر. »²⁸⁴

في ديسمبر 1954، اتخذت القرار و بدأت تبحث عن علاقات يمكنها أن تساعد على الالتحاق بجبهة التحرير الوطني، ففاتحت في الأمر « عمّي » بلعيد و الأخوان عماري، المنخرطان في الكفاح الوطني. كان عليها أن تقبل بكل شيء للتغلب على عقبة جهلها للغة البلاد و ثقافتها المزدوجة، بما في ذلك غسل ثياب رفقاتها. و انفصلت عن الحزب الشيوعي بعد تصويت هذا الأخير على منح السلطات الخاصة للحكومة الفرنسية، و عرفت مشاكل زوجية مع زوجها الذي بقي وفيًا للحزب الشيوعي. و مثلها مثل جميع المناضلين، خضعت للامتحان، و لكن، كونها تختلف عن المناضلين الآخرين، كان عليها بذل مجهود أكبر.

(284) المرجع السابق.

« جعلني إذن عنقي » مستاش » أُجري الاختبار الشهير. فحملني، في يوم من الأيام، حقيبة ضخمة ثقيلة جدا كان عليّ أن أذهب إلى لاكورنوف إلى منزل مهاجرين وأسلمها إلى أحد يدعى مزيان. ونصحتني بالحدّز لأن بالحقيبة رشاشا. وفي الأخير، لم يكن هناك أي رشاش. كانت الحقيبة، التي تكبّدت عناء شديدا لإيصالها، مملوءة بأحجار صغيرة. ²⁸⁵.

و بمثابرتها و تضحياتها، أُدمجت أخيرا بـ « فرقة التدخل الريفية » ²⁸⁶ حيث التقت بمزيان علي المدعو « مونغايار »، الذي كان قائد منطقة، و حمداني ²⁸⁷. انتقلت فيما بعد تحت إمرة حمادة مولود و شاركت مباشرة في المجابهات بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية، بين فترة 1955 - 1957. كانت مناضلة لا مثيل لها وجدتها المنظمة الخاصة على استعداد لخوض المعركة في 1958.

ولدت حرايف زينة ببجاية في 1934، وسط عائلة بسيطة جدا، من والد عسكري متقاعد أصله من برج بوعرييج و من أم ألمانية الأصل. كانت تبلغ من العمر 3 سنوات فقط عندما رحلت عائلتها الكبيرة، المكونة من 8 أطفال، إلى سطيف، و 8 سنوات عندما توفي والدها دون أن يترك وراءه شيئا عدا عداائه الشرس تجاه فرنسا.

« كانت فترة فقر مدقع، كنا نعيش على الخبز الجاف و الماء، و كان حتى الخبز ينقصنا أحيانا. دام ذلك لبضع سنوات. كانت والدتي خلالها تعمل في النهار بالمستشفى و في الليل كانت تقوم بالتنظيف أو كيّ الملابس عند الأوروبيين القاطنين بالمدينة [...] اضطر إخوتي الكبار إلى العمل هم كذلك مجازفين بذلك بدراستهم، أما أختاي فكانت إحداهن متزوجة و تعيش بقسنطينة، في حين بقيت الأخرى بسطيف لتعمل و تساعد والدتي في الوقت نفسه، و أنا كذلك كنت أساعد على طريقتي بمجالسة أطفال الأوروبيين بعد الدراسة. كنت

(285) ع. عليوات، المرجع المذكور.

(286) قد تكون فرعاً خاصاً من فروع « فرق التدخل » لجبهة التحرير الوطني.

(287) محمد حمداني الذي أصبح عضواً بالمنظمة الخاصة.

أقوم بذلك مقابل 200 فرنك فرنسي للشهر، و في الصيف، كنت أرافقهم أحيانا إلى الشاطئ لأستمر في الاهتمام بهم و أنعم بالبحر. »²⁸⁸.

عندما بلغت زينة سنة التخرج، كان إخوتها قد التحقوا بالحركة الوطنية و كانوا يتكلمون أمامها عن اجتماعاتهم بالخلايا السرية لحزب الشعب الجزائري. و كانت، من بين جميع إخوتها، تنظر بإعجاب خاص إلى أخيها عمر. « كان وطنيا بالفطرة. كان الأكثر التزاما و عن طريقه انضمت العائلة بأكملها إلى العمل النضالي. »²⁸⁹. و لقد جعلتها سنوات الفقر و الحرمان، بالإضافة إلى التمييز الذي فرضه الأوروبيون، تنضج بسرعة.

« بالنسبة لنا، كانت النزعة الوطنية و سطنا الطبيعي. كنا نختلف عن الفرنسيين، كان لدينا عِلْمُنا و عرفته منذ نعومة أظفاري. كنت أتعلم من إخوتي الأناشيد الوطنية و كنت أتلقي مبادئ التكوين السياسي و أنا أستمع إليهم يتكلمون عن اجتماعاتهم بخلايا حزب الشعب الجزائري. »²⁹⁰.

و من 1945 إلى 1954، وجدت عملا بعيادة طبية، و كانت تؤدي وظيفة ممرضة دون شهادة إلى أن قررت، مع والدتها وأخويها صادق و رشيد و أختها الصغرى، الالتحاق بأخويها المغتربين بفرنسا منذ بعض الوقت.

كان عمر متزوجا و يعيش برفقة زوجته و طفليه بفرميني، أما علي فكان بليون. استقرت زينة مع عائلتها، بشقة صغيرة بها غرفتان بالريف قرب فرميني، و اضطرت بسرعة إلى إيجاد عمل.

« وجدت عملا بمؤسسات فيرديني²⁹¹. كان العمل متوفرا في ذلك الوقت، و كان المغتربون هم الذين كانوا يشغلون الآلات الفرنسية. كنت أعمل على إحدى تلك الآلات، بالقطعة، لصنع صمولات السفن، و كنت أقبض حوالي 80.000 فرنك

(288) ز. حرايف، المرجع المذكور.

(289) المرجع نفسه.

(290) المرجع السابق.

(291) و هو المصنع نفسه الذي كان يعمل به محمد أوزناني لكنهما لم يكونا يعرفان بعضهما البعض في تلك الفترة بعد.

لشهر. و بما أن أخويّ كانا يجدان صعوبة في العثور على عمل، بدأت أنا أتكفل بالعائلة [...] كنت أمشي، كل صباح، سبع كيلومترات سيرا على الأقدام لأقصد المصنع، كنت أنطلق على الساعة الرابعة صباحا لأصل على الساعة السادسة، ساعة افتتاح المصنع، إلى غاية اليوم الذي تعلمت فيه ركوب الدراجة. كان ذلك حدثا كبيرا بالنسبة لي لأنني لم أعرف قط في حياتي ما هي دراجة الأطفال أو حتى ما هي الدمية، لهذا السبب لا زلت أحب الدمى حتى الآن. كنا نصنع دمي من القش و من الخشب، و لكنني لم أحصل يوما على دمية حقيقية [...]»²⁹².

و بعد وقت قصير، اعتُقل عمر بسبب نشاطاته النقابية، وأُرسِل إلى حبس برواقية. عاد من هناك و هو منحاز إلى جبهة التحرير الوطني و جرّ معه عددا كبيرا من مناضلي المنطقة. و أخذت زينة تشابكاته مع المصاليين على عاتقها نوعا ما، و نجت بقليل من محاولة اختطاف، و سرعان ما التُمتست للقيام بنشاطات مرتبطة بفرق التدخل. فكانت عميلة ارتباط و كانت تنقل الأسلحة و تؤمن الاتصال مع اللجنة الفيدرالية. و عندما أُرسيت المنظمة الخاصة، أُدرجت بطبيعة الحال في شبكات الارتباط و الاتصال التي وضعها عزيز و آيت مختار. لكن مساهمتها في الكفاح المسلح لم تتوقف عند هذا الحد. و سنعود فيما بعد إلى هذه النقطة.

ولدت مختار صغير نادية سنة 1930 بمليانة وسط عائلة متواضعة حيث كان والدها يتقاسم محل المقهى مع إخوته. دخلت إلى المدرسة و تابعت دراستها إلى غاية سن السادسة عشر. و شأنها شأن العديد من بنات سنّها، غادرت المدرسة بعد أن حصلت على شهادة التعليم الابتدائي و كانت ترغب في أن تصبح ممرضة و سمح لها رحيل عائلتها إلى الجزائر العاصمة بالدخول كمتدربة إلى عيادة طبية بباب الواد.

« كنا جزائريتين فقط بتلك العيادة و كنا نُعتبر متدربتين من الفئة الثانية. كانت النساء اللّاتي يجئن للوضع لا يوليننا الثقة التي كنّ يولينها للأوروبيات. عملت بتلك العيادة من 1951 إلى 1953 ثم بقيت في البيت بدون عمل. و في

(292) ز. حرايف، المرجع المذكور.

ذلك الوقت، بدأت أسمع عن أولئك الذين كانوا يلتحقون بالمقاومة في الجبال. وفي نهاية 1956، تعرفت على لزالتي أحمد، جاري بالحي، والذي أصبح فيما بعد زوجي. ²⁹³.

هذا اللقاء بمناضل منخرط بجبهة التحرير الوطني، سمح لناحية بأن تعطي معنى لحياتها، وانضمت مباشرة إلى الشبكات السرية بالقصبة حيث كانت تنقل الأسلحة. و سرعان ما فُككت خلية لزالتي أحمد و رابع محي الدين التي كانت تنشط بها، فاضطرت إلى اتخاذ قرار الذهاب إلى فرنسا للاختباء.

« قَرَّرْتُ عدم إخبار أهلي بذلك لأنهم كانوا يجهلون نشاطاتي النضالية. ولكن، كما كان ذلك هو الحال في الكثير من العائلات، لم أكن أعلم أن إخوتي كانوا منخرطين بجبهة التحرير الوطني و لا أن أختي كانت تناضل هي الأخرى. وقد استُشهدت عن عمر يناهز 32 عاما خلال حصة تعذيب بمليانة. ²⁹⁴ ».

ولدى وصولها إلى مرسيليا، استضافتها صديقة لها، خدوجة، و تكفلت بها لبعض الوقت و ساعدتها في الاتصال بجبهة التحرير الوطني. حدث ذلك في 1956 - 1957، و كان حرايف عمر آنذاك بجنوب فرنسا يُعدّ لإرساء شبكات المنظمة الخاصة لشن الهجوم العسكري المبرمج له. قُدّمت له ناديه. كانت قد ناضلت بالجزائر العاصمة و شاركت في المعركة التي كانت تدور هناك. فهي مناضلة مجربة برهنت على جدارتها. كانت قد وصلت إلى فرنسا و لم تكن أجهزة الشرطة الفرنسية تعرفها بعد، و بذلك كانت مناسبة تماما لأن المنظمة الخاصة كانت تحتاج إلى مناضلين موثوقين، و على الأخص، غير معروفين لدى الشرطة. و هكذا، التقت ناديه بزيئة و بجميع الذين تصدروا عناوين الصحف بجنوب فرنسا فيما بعد .

وُلدت إدجير يمينية أنطوانيت بمرسيليا سنة 1939، من أب جزائري، هاجر في سن الخامسة عشرة، و أم فرنسية من أصل إيطالي ²⁹⁵. كان والدها، مثل كل

(293) ن. صغير مختار، شهادة.

(294) المرجع نفسه.

(295) روز تارتاغيون.

المهاجرين، قد عمل بالمصنع و تعلم عمل البناء بمصافي سان لويس، و شأنه شأن العديد من المهاجرين، جُنّد ليشارك في حرب 1939 - 1945، و عندما رجع قرر تحويل محل السكافة، الذي ورثته زوجته، إلى مطعم.

لا يمكننا القول أن يمينه أنطوانيت عرفت، مثل رفيقاتها، الحاجة و الحرمان، ولكنها اضطرت، شأنها شأن رفيقاتها، الامتثال للشروط القاسية للتقاليد القروية.

« كنت الابنة الوحيدة، و بطبيعة الحال، لم يكن يحق لي الخروج. كان والدي صارما جدا بهذا الصدد، و هو أمر كان يناسب أمي تماما. لم تكن هذه الأخيرة منحدره من وسط متواضع حقا بما أن والدها كان يملك مطعما و كانت جدتها من جهة أمها قابلة بإيطاليا. وُضعت إذن لمدة خمس سنوات بمدرسة تديرها راهبات. تعلمت العزف على البيانو لمدة أربع سنوات، و لكن والدي رفض رفضا قاطعا السماح لي بالالتحاق بمعهد الموسيقى، فهو، في المقام الأول، مختلط، و إضافة إلى ذلك، قد أقدم على الأداء بأوركسترا لاحقا. »²⁹⁶.

أما ما تعلّمته عن الجزائر فكان من خلال والدها الذي كان يكلمها عن البلد. كان قليل الكلام، و لم يكن يخالط سكان قريته، و بهذا كانت ابنته مخاطبه الوحيد. كان يكلمها عن أعماله و عن مشاكله و عن تاريخ القرية و عن سكانها، و لم تتجاوز سنّها الـ 15 حين أُصيب والدها بانهيار عصبي و وُضع بمستشفى للأمراض العقلية لمدة ستة أشهر. و عند خروجه، نُصح بعدم العيش بالحي نفسه لأنه يبدو أن أحقادا قديمة من القرية و روح الثأر هما اللذان دفعاه إلى البارانونيا. اضطرت إذن يمينه أنطوانيت إلى مغادرة المدرسة و الاهتمام لوحدها بأعمال العائلة لأن والديها غادرا إلى إيطاليا.

و أصبحت، في سن السابعة عشرة، تتكفل بالمطعم و بصالون حلاقة صغير فتحه والدها قبل فترة وجيزة من مرضه. و ساعدها ابن عمها حمزاوي في إدارة هذه

(296) ي. 1. إدجيري، المرجع المذكور.

الأعمال، و كان هو كذلك مناضلا وطنيا و هو الذي جعلها، سنة 1957، تنخرط في جبهة التحرير الوطني .

« كنت جزائرية و كان من واجبي أن أعمل من أجل تحرير بلدي . لم يطرح ذلك عندي أي مشكلة ميتافيزيقية . و بطبيعة الحال، كنت شابة و لم أستطع إخبار والدي بأنني كنت أرغب في النضال . كيف كان سيكون رد فعله ؟ و تبين سنين فيما بعد أنه ساعد كثيرا لذلك . في الواقع، كان قراري نتيجة كل الحوارات التي دارت بيني و بين والدي . كنت جزائرية، و كنت أعلم أنني سأتزوج بجزائري، فزواجي من إيطالي كان أمرا غير وارد إطلاقا . في فرنسا، لم أكن في وطني . و مع أن والدتي كانت تحمل الجنسية الفرنسية، لكن أصولها إيطالية، و بهذا، فإذا كنت أكافح ضد فرنسا لم يكن يوجد باختصار ما كان يمكن أن يردعني . »²⁹⁷.

و مثل جميع رفيقاتها من المنظمة الخاصة، امتحنت، بحرص أكبر، لأنه على الفتاة المنحدرة من زواج مختلط أن تثبت نفسها دائما أكثر من غيرها . و سنجدها، فيما بعد، بالصف الأمامي لإحدى العمليات الأكثر إبهارا من عمليات معركة فرنسا التي شنتها المنظمة الخاصة لجبهة التحرير الوطني سنة 1958 .

و هكذا، كختام لهذا الفصل، يمكننا القول أن أصول مناضلات المنظمة الخاصة لا تختلف بتاتا عن أصول زملائها مع أنها، و لأسباب مرتبطة بالمهام التي كانت ستكلف بها، كانت أكثر شبها بالأوروبيات . و كانت ثلاث مناضلات، من أصل الأربعة اللواتي قمنا بذكرهن، منحدرات من زواج مختلط . و لكن يبدو أن هذا العامل دفعهن إلى راديكالية أكبر في نضالهن الوطني لأنه لم يكن من الممكن لهن تجاوز الجراج التي خلفها رفض تفردهن، و الصد الذي تعرضن له، بفرنسا و بالجزائر على حد سواء، إلا من خلال تأكيد انتمائهن باعتبارهن جزائريات و مناضلات من أجل التحرر الوطني . و اكتشفن، من خلال هذا الكفاح من أجل استقلال الجزائر، معنى الحرية . و شأنهن شأن زملائهن، و أحيانا أكثر

(297) المرجع السابق .

منهم، بلغن وعي الإنسان الحر، ليس عبر تأكيدهن لتفردهن، وإنما عبر اتحادهن مع الشعب الذي كان يكافح لاسترجاع سيادته.

و نعود الآن من جديد إلى الظرف العام لمناضلي المنظمة الخاصة. فلا يمكن لأصولهم الإقليمية والاجتماعية والثقافية وحدها أن تفسر كل شيء، لأنها أمور كان يتقاسمها أكثر من 90% من جالية المهجر. و مادام لم ينخرط جميع المهاجرين في جبهة التحرير الوطني أو المنظمة الخاصة، فذلك يعني أنه يوجد عامل آخر قد يسمح لنا بفهم التزام المناضلين بهذا الفرع الخاص من فروع الكفاح المسلح فهما أفضل.

التيّمات المتكررة للوعي الوطني

السلب و الظلم

من المفارقة أن ابن قائد هو الذي عبّر أكثر من غيره عن هذا الجانب من إدراكه للأمور. و كما رأينا سابقا، انحدر آيت مختار من عائلة كانت تشغل منذ زمن طويل منصب القيادة المحلية. لكن المسؤوليات التي عهدت لها منذ العهد العثماني، قلّصت من قبل الفرنسيين إلى غاية اليوم الذي شاركت فيه عائلة آيت مختار، سنة 1870، في الثورة التي قادها المقراني و الشيخ الحداد بوادي الصومام و مدجانة. و بعد أن سُحقت الانتفاضة، جُرّدت العائلة من أملاكها و نُفيت إلى بجاية. لكن يبدو أن روح الانتفاضة و الانشقاق الكامنة ضد السلطات الفرنسية، لم تفارق يوما صفوف هذه العائلة من الأشراف القياديين. و لقد كان أحد أجداد هذه العائلة قائدا مكلفا بجمع الضرائب و استعمل هذا الأخير البعض منها لشراء القمح و توزيعه على سكان المنطقة الذين كانوا يشكون من الجوع، فوضعه الفرنسيون رهن الحبس. و اعتُقل اثنان آخران من أجداد العائلة و سُجنا إلى أن وافتهما المنية بالسجن. أما فيما يخص والد نصر الدين فقد كان يتحلّى بالروح نفسها، إذ أنه كافح بمثابته قائدا من أجل أن تؤجّر الـ 4000 هكتار، التي انتزعت من عائلة آيت مختار، للفلاحين المعدمين عوض أن تبقى أرضا مستريحة. كان أخوه أول من التحق بالنزعة النضالية الوطنية، في صفوف حركة الكشفة أولا ثم

في صفوف الحزب الوطني، و هو ما أدى، في 8 ماي 1945، إلى اعتقاله ثم احتجازه بالبيت ثم نفيه .

« سمح لي كل هذا أن أعيش، بطريقة غير مباشرة، بؤس الشعب و أن أرى وجهي الواقع الاستعماري. من جهة، النزعة النضالية الوطنية للأخ، و من جهة أخرى، مشاركة الوالد في الإدارة الفرنسية مع كل تعسفاتها. عندما يروي لكم والدكم أن الناس لم يكونوا يملكون إلا دجاجتين و عنزتين بمثابة الثروة الوحيدة، و كانوا مع ذلك يخضعون للضرائب، فذلك لا يجعلكم غير مكترئين. [...] كنت بين حالتين، النزعة النضالية لأصدقائي [بالثانوية] من جهة، و الإدارة التي ينتمي إليها والدي من جهة ثانية. و قد خدمني هذا لأنني رأيت أن العمل السياسي لا جدوى منه. كنت ألاحظ ذلك من خلال ما كان يرويه والدي عن ما كان يُقال في أوساط المعمرين، و من خلال أصدقائي الذين كانوا يحدثوننا عن ما كان يدور في وسط حركة الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات الديمقراطية. »²⁹⁸.

هذا الوعي بتفاهة العمل السياسي السياسي لوضع حد للحضور الاستعماري، استمر يكبر فيه إلى غاية اليوم الذي رفض فيه الاستجابة للخدمة في الجيش الفرنسي، و قرّر وضع مواهبه كضابط احتياطي في خدمة جبهة التحرير الوطني.

لم يكن عيسى عبد الصمد²⁹⁹ ابن قائد، و لكنه كان ينتمي إلى عائلة أخوية من المثقفين تمكن الجد من خلالها بأن يحظى بشعبية كبيرة بالمنطقة بسبب إشعاع الزاوية العائلية التي كان يتعهدها هو و إخوته. كان سكان الأنحاء يرسلون أبناءهم لتعلم القرآن و كانوا يوصون أحيانا لهم بأملأهم لتفادي النزاعات التي كانت تنشب في مسائل الميراث أو شغور التركة.

« كانت عائلتي من ملاك الأراضي إلى غاية اليوم الذي انتزعت فيه ملكيتهم. ففي 1942، فقدت عائلتي المزرعة التي كانت تملكها بسبب قروض زراعة لم تقم بتسديدها. و اضطرت إلى مغادرة أرضها، شأنها شأن العديد من عائلات المنطقة.

(298) ن. آيت مختار، المرجع المذكور.

(299) ولد في 19 جوان 1932 بمقران بمنطقة الأوراس، بين باتنة و أريس، بقبيلة أولاد سيدي يحي.

كان الأمر شبيهاً بمجزرة حقيقية. كنا لازلنا نملك بعض الهكتارات حيث أقمنا، ولكنها كانت لا تصلح للزراعة و كان الماء بها مالحة. كان الأمر صعباً، لكننا تمكنا من استخراج بعض المحاصيل منها، خاصة في زراعة الشعير.

و بطبيعة الحال، كان الإحساس بالظلم كبيراً لدينا منذ زمن طويل قبل هذا الحدث. كان جدي يحكي لنا عن حملات انتزاع الملكيات التي كانت تجري بالبلاد، فكانت الضغينة التي كنا نحملها ضد الغريب متأصلة تأصلاً منذ وقت طويل. واستمرت طوال طفولتي إلى أبعد ما أستطيع أن أتذكر. كنا نرى الاختلافات بين المعمرين المقيمين بالمنطقة الذين مكّنوا العمليات الزراعية، في حين كنا نحن لا نزال نعيش في مرحلة المحراث. أتذكر فيما وراء جميع الأحداث المرتبطة بالحياة اليومية، الظلم الذي كان يسود في علاقاتنا مع الإدارة و جميع الإجراءات التي فُرضت على عائلة بن بولعيد التي كنا على علاقة بها.

و أتذكر كذلك الضغوط التي كانت تمارس على الناس لإرغامهم على التعاون معها. وردني أن جدي كان قد التمس ليشغل منصب قائد أو باشاغا و أنه كان يرفض باستمرار [...] أتذكر أن صورة جدي الكبير، العيد، كانت معلقة بدار الضياف بالمنزل العائلي. كنا نرى صورة هذا الرجل الذي كان يبدو شديد الوقار و الذي كانت تنقصه يدٌ. كان قد فقدها، حسب ما قيل لنا، خلال معارك قادها ضد الفرنسيين في ثورات القرن الذي مضى. ³⁰⁰

و في وقت مبكر جداً إذن، نشأ عيسى في جو كان فيه فقدان المكانة و الثراء مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمجيء الفرنسيين. و لكن بالنسبة له، كما بالنسبة لآيت مختار، لم يكن التزامهما مرتبطاً بدوافع اقتصادية، و لا كان بهدف الانتقام من الفرنسيين أو، باختصار، من أجل استعادة الألقاب المفقودة، إذ يبدو أن العملية معقدة أكثر و أن هناك شيئاً من الانجذاب نحو الأسلحة أو « رائحة البارود » أثر

(300) ع. عبد الصمد، المرجع المذكور.

فيهما بصورة ما. كان آيت مختار طالبا مثابرا في دورات التدريب العسكري، و كان فخورا بلقب ضابط احتياطي بالجيش الفرنسي الذي مُنح له. « في ذلك الوقت، كان جميع أصدقائي يعرفون موقفني و ما كنت أقوم به. كنت أقول أنني أؤيد الجيش و أنه، في اليوم الذي ستقوم فيه ثورة مسلحة، يمكنهم أن يلوموني إذا لم أكن من بين المتمردين، و لكن حتى يحين ذلك الوقت، لم تكن الأحزاب السياسية تهمني. »³⁰¹.

يتذكر عيسى عبد الصمد هو كذلك هذا الانجذاب إلى البارود.

« كان والدي صيادا كبيرا. كانت هوايته و كنت أرافقه، ابتداء من سن الخامسة أو السادسة، في رحلات الصيد. و كنت أهتم كثيرا بطريقة تنظيف البندقية و تعبئة الخرطوشات. و كان هو، بشيء من الافتخار، يعطيني لأسدّد أحيانا طلقة نارية في الاحتفالات. و كان أكثر ما يستهويني ليس السلاح في حد ذاته و إنما رائحة البارود. كان يأتي في ذلك الوقت على شكل أشرطة الشوينغوم، و كنت أساعده في تقطيعه إلى قطع صغيرة لملء الخرطوشات. و عندما كان والدي غائبا، كنت أتمتع بتفجيرها كالألعاب النارية. »³⁰².

لن نصل بالضرورة إلى استنتاج مفاده وجود أي ميل سيكولوجي غالب لدى بعض الرجال الذين تركوا أكبر أثر في تاريخ المنظمة الخاصة، لكننا نأخذ هذا الجانب بعين الاعتبار لأن الفاعلين تكلموا عنه بحرية دون أن يكونوا تحت تأثير أي توجيه من مُجري المقابلة. لكننا لن نطيل الحديث في ذلك، بما أن هناك عوامل أخرى ساهمت في عملية نشأة و عيهم السياسي.

المدرسة و التمييز العنصري

من مجمل العوامل التي أثارت و عيهم الأول و الأكثر حدّة بالظلم و التفرقة، يبدو أن المدرسة كانت النقطة المشتركة و التي ترد أكثر في ذكريات الفاعلين.

(301) ن. آيت مختار، المرجع المذكور.

(302) ع. عبد الصمد، المرجع المذكور.

بالنسبة لقبائلي موسى، كان المشكل من البداية ذا طابع سياسي .

« كطلبة، كنا نرى، على المستوى السياسي، أننا كنا مفصولين عن بعضنا البعض. كان هناك حائط يفصل بين مدرسة السكان الأصليين والمدرسة الفرنسية. كانت هذه المدرسة المخصصة للسكان الأصليين مدرسة العرب، أي، في ذهنيات تلك الفترة، كائنات من الدرجة الثانية. كان ذلك يشد انتباهنا لأننا كنا لا نختلط بالأوروبيين ولا بالأطفال الذين كان آبائهم يحتلون أي رتبة في الإدارة الاستعمارية. كان يحق لهم الذهاب إلى المدرسة الفرنسية والحصول على وجبة خفيفة وأشياء أخرى. أما نحن، فكنا حفاة ونحمل أكياسا من القماش لأننا لم نكن نعرف المحفظة بعد بمدرسة السكان الأصليين. كنا نشعر بأن كل هذا هو ظلم شديد. كان هذا الإحساس لدينا مُحفِّزاً لأننا لم نكن نملك خياراً آخر غير النجاح. ولم نكن نجد العزاء إلا في الاستقبال الذي كان يخصصه لنا الأساتذة الجزائريون. كان يُقال عن البعض أنهم مُتَوَرِّئِينَ [أي أولئك الذين قلبوا ظهر المِجَنِّ وقبلوا التفرُّس]، ولكن مع ذلك فالبعض من هؤلاء، على غرار السيد عمارة، هم الذين أعطونا الرغبة في النجاح. كان السيد عمارة يقول لنا دائماً : « يجب النجاح هنا للمكافحة أفضل في يوم من الأيام ». ولقد حصل وعينا بالاضطهاد كذلك من خلال أساتذتنا الأوروبيين الذين كانوا ينقسمون إلى نوعين : أولاً، أولئك الذين كان يمكن أن نطلق عليهم منذ ذلك الحين تسمية الـ « تقدِّمين ». كانوا يقولون أنهم يفهمون وضعيتنا وأنه يُرادُ الإنقاص من قيمة التعليم الذي نقدِّمه لكم. لم يكونوا أناساً عاديين، وكانت لديهم الجرأة للاعتراف بمسؤوليتهم كفرنسيين وكمواطنين بلد يستعمر بلداً آخر. ومن جهة أخرى، كان هناك أولئك الذين كانوا يريدون حبسنا في وضعية المُستعمر. كان وجودهم ضرورياً لأن التناقض الأساسي كان يكمن هنا بالضبط. وإن هذا الأخير هو ما ساعد في توعيتنا ؛ فلو كانوا جميعهم لطفاءً لربما ما كنا أحسننا بضرورة القتال. كانت المدرسة كفاحاً، إذ كنا بالنسبة لهم قذرين وأدنى رتبة وغير أذكياء و بونِّيول، أما نحن فكنا نبذل جهدنا لنكون الأفضل و نتعلم دروسنا. كان

يمكن ألا نكون الأوائل في قسم أستاذ تقدّمي، فلا بأس بذلك. لكن بالمقابل، كان تفوقنا واجبا علينا مع باقي الأساتذة. كانت حربا معلنة، و كان هذا هو واقع المدرسة. و هو، في نهاية المطاف، أمر لعب دورا كبيرا في تكوين جيلنا. [...]»³⁰³.

سبق أن قلنا أن المدرسة كانت الذكرى المشتركة أكثر و المتقاسمة أفضل من بين الذكريات الصادمة في ذاكرة المناضلين. كان الأمر على هذه الحال بالنسبة للرجال، و لكن كذلك بالنسبة للنساء.

و تتذكر حرايف زينة هي كذلك قائلة : « كنا نتناقش في البيت عن النزعة الوطنية و عن المشاكل التي كان يعيشها الشعب الجزائري و عن الإهانات التي كنا نخضع لها يوميا. كان الأوروبيون ملوكا و كان يجب علينا أن نفسح لهم الطريق، و هذا ليس تعبيرا مجازيا. أتذكر أنه في أيام الأحد، عندما كنا نقصد المقبرة التي لم تكن بعيدة عن منزلنا، كانت الشرطة تُدخل النساء إلى الساحة لفصح المجال للأوروبيين الذين كانوا يزورون مقبرتهم. أظن أنه يجب التذكير بالجو الذي عرفناه آنذاك. إن إحدى الحوادث، التي تعرّضتُ فيها إلى أعمق إهانة، حدثت لي بالمدرسة. عند نهاية الحرب العالمية الثانية وُزعت بعض المساعدات على المقاتلين القدامى. و في القسم، سألت الأستاذة أن يرفع أبناء المحاربين القدامى أصابعهم، فرفعت إصبعي لأن والدي كان حقا محاربا قديما، فتعجبت الأستاذة قائلة : قلت المحاربين القدامى، لم أقل البيكو ! لم أعد إلى القسم لمدة ثلاثة أسابيع، لكنني لم أُخبر والدتي عن هذه الحادثة [...] و في الأخير، عدت إلى المدرسة لأنه لم يكن لدي خيار آخر. رافقتني أختي البكر عند المديرية، و لم أجرؤ على الإفصاح عن السبب الحقيقي لتغيبي. كانت أختي مستشيلة غضبا و أخبرتني عن السبب عوضا عني، فاستدعت المديرية الأستاذة التي خاصمتها أختي بقوة و قالت لها : « تعرّض والدي إلى الغاز السام في 14 - 18، و الآن، يعتبره الفرنسيون بيكو ! » و لدرجة حنقها، صفت الأستاذة [...] في 1945، لم أعد

(303) م. قبائلي، المرجع المذكور.

أرتاد المدرسة من زمن، فسنوات البؤس تلك تجعل الأطفال ينضجون بسرعة، خاصة البنات. أعتقد أنني قد كنت، منذ سن الثانية عشرة، أدافع عن الأفكار التي أدافع عنها الآن. ³⁰⁴.

هذا الوعي بالتمييز الذي لعبته المدرسة لم يكن في الجزائر فقط. ففي فرنسا كذلك، عرف أبناء وبنات المهاجرين الأمر ذاته. و كانت عائشة عليوات من بين الذين تأثروا كثيرا بذلك التمييز. فعندما دخلت إلى الميتم، في سن السادسة، حدثت لها حادثة أولى.

« في تلك اللحظة تحرك في شيء. كان أخي يبلغ ثلاث سنوات و أنا ست أو سبع سنوات. قدمتني الأستاذة إلى بقية الأطفال على أنني قادمة من إفريقيا. لم أكن أفهم ما كانت تعنيه. ثم بدأت جميع الفتيات يسألنني: « كيف هو الحال عندهم؟ كيف تتهندمون؟ » لماذا كان ردّ فعلي على هذا النحو، لا أدري، و لكنني أخذت جميع الأقلام الملونة التي كان يرسم بها الأطفال و لونت نفسي في كل مكان، خربشت على وجهي و على الصندلة البيضاء التي كنت أنتعلها و قلت لهنّ: « هكذا، نحن هكذا! ». ترك هذا أثرا فيّ. لم أكن أعلم أن والدي أجنبي و لكنني فهمت فجأة أنه كان هناك اختلاف بيني و بين بقية الأطفال. بعد ذلك، كان الأطفال يستهجنونني كثيرا، لا لأنني جزائرية، بل لأنني قادمة من إفريقيا، أي، في أذهانهم، من بلد بعيد، من بلد متوحش. ³⁰⁵.

البحث عن الهوية و تأكيد الاختلاف

كان نبذ النظام الاستعماري و إيديولوجية العنصرية سيؤديان، عند هؤلاء و أولئك، لا محالة، إلى تحفيز عملية عودة إلى الذات و البحث عن الهوية الخاصة. و انتهى بهم الأمر جميعا، بدرجة أو بأخرى، إلى العثور على طريق تأكيدهم لذاتهم في الجزائر المكافحة.

(304) ز. حرايف، المرجع المذكور.

(305) ع. عليوات، المرجع المذكور.

يتذكر بن صدوق محمد هو الآخر جروحه الأولى . فمن 1943 إلى 1945، لم يكن لديه إلا زملاء أوروبيون و كانوا يزورون بعضهم البعض، دون عقدة، ليدرسوا أو يلعبوا معا. و بعد 8 ماي 1945، وجد نفسه وحده دون رفقاء لعب بالحي الأوروبي الذي استقر فيه والداه. فلقد فسّر الجيران لأبنائهم أن العرب خطيرون.

« لم يكن يوجد بالجوار إلا مدرستان، كانت إحداهما تستقبل عددا كبيرا من الجزائريين، أما الأخرى، مدرسة سانت أوغستان، فكانت تضم الجزائريين و الأوروبيين بعدد متساو تقريبا. و هكذا، لم يكن لديّ رفقاء لعب. كنت أبلغ 14 سنة و لم أكن أعلم بالمشاكل السياسية و لكن هذا دفعني إلى التفكير، و انطلاقا من هنا، بدأت أتردد على الكشافة الإسلامية. و هناك، اكتسبت أفكارا جديدة و تعرّفت على تاريخ بلدي. كان لدي الحظ في أنني أُدرجت في فرقة كانت قد سُكّلت حديثا و كان مبدأ قائدها، م. نّوار، أن يتركنا نقوم بمبادرات. و كنت أنطلق، برفقة فاضل عبد الله و زناتي و حربي عمار، من الثانوية التقنية، التي تمكنا من الالتحاق بها، إلى مقر الكشافة الذي تحوّل إلى منزلنا الثاني. »³⁰⁶

كانت الكشافة مدرسة جيدة ليتعلم فيها هؤلاء الشبان الحس المدني و الوطنية، و الذين عرفوا، سنة 1947، لحظة حقيقة أخرى. فقد اختيروا للمشاركة في اجتماع كبير للكشافة الدولية بفرنسا. و وجدوا أنفسهم في لحظة الرحيل برفقة جميع وفود البلد بمخيم سيدي فرج³⁰⁷. نصب هؤلاء المئتا شاب في زي الكشافة خيماتهم ثم حضروا تحية العلم الجزائري و غنوا نشيد « علمي » تكريما للعلم، و قام بعدها العربي محمد (دماغ العتروس)، الذي كان وقتها نائبا بحركة انتصار الحريات الديمقراطية بمجلس النواب الجزائري و رئيس الكشافة، قام بإلقاء خطاب باللغة العربية حيث تكلم عن ذلك النشيد و عن رمزيته الكبيرة. و في هذا المكان التاريخي، كان بن صدوق – بالرغم من أنه لم يدرس العربية – متأثرا جدا بكبكية زملائه. و على متن السفينة وقعت الحادثة، إذ رفضوا حمل الحقائق و الشعارات الحاملة للألوان الفرنسية.

(306) م. بن صدوق، المرجع المذكور.

(307) مكان نزول الدفعة الأولى لقوات الاحتلال الفرنسية.

« كنا ذاهبين إلى فرنسا و كأننا كنا قد حصلنا على استقلالنا. كنا نرفض أن نُعتبر كفرنسيين. و تزامن وصولنا مع تاريخ استقلال الهند و الباكستان، و نُظِّمت بهذه المناسبة احتفالات كثيرة، و بدأت كلمة استقلال تحتل أهمية كبيرة. كنا نكاد نلمسها بأيدينا. فنحن كذلك كان يمكننا أن نستقل. و جراء موقفنا خلال الاجتماع الدولي للكشافة، برفضنا الانتماء الفرنسي و رفضنا حمل الحزمات و الأعلام الفرنسية، قرّر المسؤولون عن الحركة تقسيمنا إلى قسمين من خلال إنشاء الكشافة الإسلامية الجزائرية و الكشافة الفرنسية. و على المستوى المحلي، أدى هذا إلى تعرّض مسؤولي الحركة إلى تهديدات. و اضطرّ جميعهم للاستقالة من منظمة الكشافة كي يتمكنوا من الحفاظ على وظائفهم. »³⁰⁸.

من جانبهم، قبل الشبان التحدي، فأهمّلوا دراستهم و خاضوا النضال بعزم و في شكل جديد « استلمنا قيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية، فتكفل فاضل عبد الله بالكشافة الكبار و كان محمد إباري يتكفل بالكشافة الصغار. أما أنا فكنت أهتم بالفرقة. و دعونا أطفال الضواحي لأنهم كانوا يعتبرون على أنهم يتحلّون بـ« الصلابة »، عكس المدنيين الذين كانوا يعتبرون على أنهم « مائعون » و متمسكون بالتقاليد و مناهضون للثورة على الأصح. »³⁰⁹.

إذا كان البحث عن الذات، بالنسبة لبن صدوق محمد، قد مرّ من خلال الكشافة، فبالنسبة لبعض المناضلين الآخرين، كان الوسط الإصلاحي الإسلامي الجزائري هو الذي كان خميرتها. و هكذا، بقي شروق عبد الحفيظ، الذي قد وصفنا أصوله و ظروف حياته، متأثرا بخطاب العلماء.

« كنت، بالموازاة مع دروس الشبيبة، أتابع المحاضرات التي كان يلقيها الشيخ العقبي الطيب و المدني توفيق بنادي الترقّي³¹⁰. و كانت محاضرات انفعالية كنا نخرج منها متحمسين و مستعدّين لقتال فرنسا بأيدينا العارية. و في 1947 - 1948،

(308) م. بن صدوق، شهادة.

(309) المرجع نفسه.

(310) نادي العلماء بالجزائر العاصمة.

عندما احتلّ الصهاينة فلسطين، نظمت الجمعية الخيرية و جمعية العلماء حملة تجنيد متطوعين ليذهبوا للدفاع عن القدس. كان عمري 11 أو 12 سنة، لكنني كنت متحمسا و رفعت يدي عاليا جدا عندما دعوا إلى ذلك. لم يعرني أحد انتباهه باستثناء، بطبيعة الحال، أولئك الذين كانوا يسخرون مني. ذهب بعض المتطوعين سيرا على الأقدام، لكن الفرنسيين أوقفوهم. أظن، مع ذلك، أن المساعدة المالية وصلت إلى الفلسطينيين. و في وقت مبكر جدا، ظهر لي الكفاح ضد فرنسا أمرا ضروريا و طبيعيا. ³¹¹.

لذلك، وبصورة « طبيعية » تماما، حاول شروق، و هو مهاجر بفرنسا، الاتصال بجهة التحرير الوطني لتحقيق رغبة طفولته في تحرير فلسطين. و في ذهنه، كانت المشاركة في الكفاح المسلح ضد فرنسا هي، بطريقة ما، استمرارية الملحمة التي بدأها الأيوبي صلاح الدين و استعادة عظمة العرب و المسلمين المفقودة.

و يذكر عيسى عبد الصمد بدوره، و هو يتكلم عن رفض والده تحمل مسؤولية قائد أو باشاغا، هذه الحالة الذهنية :

« ربما كان ذلك موقفا متطرفا، لكنه كان يعتبر أن ارتياد المدرسة الفرنسية هو جرم في حد ذاته. لا أعرف على أية وقائع كان يستند، لكنه كان يخشى الاندماج. لم يرد أبدا أن يتابع أبناء عمي دراستهم العليا بالجزائر، كان يريد أن يرسلهم إلى تونس أو إلى القاهرة. » ³¹².

و في هذه الحركة، كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في التوعية و تأكيد الذات. و في هذا السياق، تأخذ الأقوال التي ذكرناها من قَبْل لطالب أحمد، كامل معناها : « [...] إن الشخصية الجزائرية التي لطالما تعرّضت للمضايقات و الدوس و الإهانة [...] يجب أن تعطى لها الفرصة لكي

(311) ع. شروق، المرجع المذكور.

(312) ع. عبد الصمد، المرجع المذكور.

تفرض نفسها، أي باختصار، لكي يكون لها وجود، لأنه قبل التعايش يجب أولا أن توجد. »

ليس جميع المناضلين أبناء عائلة كبيرة فقدت مكانها أو قائد زاوية أو معلم قرآن عضو بجمعية العلماء، كما أن تأكيدهم لذاتهم لم يكن يتم بالضرورة تأكيداً لعروبتهم وإسلامهم. فالعديد من أعضاء المنظمة الخاصة، هم كما رأينا من أصل قبائلي وبربريتهم كانت تمتزج، دون أن تكون نضالية، بحياتهم اليومية وبتعابيرهم اللسانية. تكلمنا عن أولئك الرجال من جبال جرجرة الذين حلّوا بفرنسا، بعد أن طردهم البؤس الذي عاشوه بقراهم، دون أن يفقهوا كلمة في لغة أخرى غير القبائلية. و كان مناضلون آخرون ينحدرون من زيجات مختلطة. ولطالما كان مسعاهم الكبير يتمثل في الحصول على اعتراف بتفردهم. ولكن جبهة التحرير الوطني جسّدت بالنسبة للجميع، في لحظة من اللحظات، ما كانوا دائما يصبون إليه.

و أفضل مثال على هذا التماهي مع جبهة التحرير الوطني، كاسترجاع للشخصية الخاصة هو، بالنسبة لنا، مثال عائشة عليوات. فلقد جعلتها مسيرتها تمرّ بسلسلة من التجارب في حياتها، والكفاحات الاجتماعية، العمالية و النقابية، و انتماء طويل للحركة السياسية الأممية التي كانت، بشكل ما، عائلتها الأولى، قبل أن تعثر على تتويج لسعيها بجبهة التحرير الوطني.

« لقد واجهت صعوبة كبيرة في التعامل مع مشكل الهوية. فعلى ماذا نركز عندما لا نعرف لا اللغة و لا البلد الأم. معرفة البلد الأم لم يكن في متناول الجميع، إذ كانت الرحلات مكلفة جدا. في 1948 - 1949، أعاد أبي إلى الجزائر جثمان عمّ متوف، و جلب لي عند رجوعه رسالة و صورة. كان الأمر بالنسبة لي اكتشافا رائعا. كنت سأتعرف أخيرا على أفراد عائلتي، ولكنه كان، في الوقت نفسه، كارثة لأنني رأيت، لأول مرة في حياتي، القُربي. أهذه هي الجزائر؟ كان يصطدم بذهني عندها عالمان و حضارتان. كنت ضائعة تماما.

أدركت إلى حد ما، في سن مبكرة، الاختلافات الطبقية و الظلم، خاصة من خلال روايات اللاجئين الإسباني ميبنتو. كنت أرى من خلال روايته استعراض جميع فئات الحرب الأهلية بإسبانيا، كما في الأفلام، و جميع أولئك الأثرياء الذين كانوا يعيشون حياة البذخ، و البقية الذين كانوا يكافحون بأسلحة ثلاث مرات أقل عددا. [...] علمني موبينو الكثير، هو و لاجئة إسبانية أخرى، امرأة شقراء جميلة كان لها فضل كبير في تعلّمي. كان درسه كالتالي : أن أحاول تحقيق شيء في حياتي، مساعدة الناس... كانوا، إلى حد ما، الأداة الدافعة و المحفزة لمسعاي. و لقد ساعدني كذلك الحزب الشيوعي، رغم كل شيء، في التغلب على المشاكل. كانت تجمع بيننا أُخوة كبيرة : جزائريون أو بولونيون أو إيطاليون أو إسبان ؛ و كنا سواسية عندما كنا نطلي وجوهنا بدهان الأحذية لنخرج، في المساء، و نكتب في شوارع المدينة بالإنجليزية « أيها الأمريكيون عودوا إلى بلادكم »، و كذلك عندما كنا نتلقى معا الضرب بالعصا من قبل الشرطة. و لكنني أحسست كذلك بأكبر خيبة أمل بالحزب الشيوعي [...] كنت أرى، من خلال أبناء الأعمام، جانبا جديدا و هو الاستعمار. و كان ما أحسست به في الحزب الشيوعي، من خلال صراع الطبقات، يبدو لي جزئيا أمام المعطيات الجديدة التي كان يكشفها لي أبناء الأعمام. كنت أفهم أخيرا العلاقة بين الاستعمار و وضعيتي في المجتمع الفرنسي. كان توافدا مستمرا لأبناء الأعمام الذين كانوا يجيئون و يروحون تاركين وراءهم أفكارا أخرى عن الكفاح الذي كان يدور في الجزائر [...] كنت أنا أبحث عنهم لأنني كنت دائما أبحث عن تلك الهوية الجزائرية. لم أكن مرتاحة [...] في طفولتي عانيت من الاستعمار لأنني لم أكن مندمجة، و في أيام مراهقتي و حياتي كامرأة عانيت كذلك لأننا كنا دائما منبوذين من قبل المجتمع. [...] و في ديسمبر 1954، بدأت أطارد معارفي لأعمل بجهة التحرير الوطني. [...] « كما تعلمون، أنا كذلك جزائرية [...] أريد القيام بشيء. إذا وجب أن أذهب إلى الوطن، فسأذهب. لا أملك المال، لكن يمكنني أن أجمع المال. » [...] كانت تلك اللحظة التي وقعت فيها لسوء الحظ، أو لحسن الحظ،

مريضة و أجريتُ عملية بالمستشفى الفرنسي-الإسلامي بباريس. كانت المرة الأولى التي ألتقي فيها بالجالية الجزائرية، المرضى و الطاقم الطبي معا، و تعرفت على الطبيب عُقي و مريضين مناضلين بحزب الشعب الجزائري. كلمني هذان الاثنان مطولا عن حزب الشعب الجزائري و عن الحزب الشيوعي، و هنا أدركت : « أنا جزائرية، يجب أن أعمل مع الجزائريين، مكاني ليس بالحزب الشيوعي. » كنت متفتحة تفتحا للخطاب الوطني، و لكنني كنت أشعر دائما بذلك الارتياح إزائي. إضافة إلى ذلك، لم أكن أتكلم اللغة العربية. شكّل ذلك عقبة كبيرة بالنسبة لي، و عوض أن أتعلم اللغة، بقيت أتصور أنه بالمثابرة من أجل البلد و بتقديم كل ما كان يمكنني تقديمه، سأفادي هذا المشكل. [...] ثم حل أول نوفمبر 1954، و في وقت قصير، صوّت الشيوعيون على السلطات الخاصة لصالح الحكومة الفرنسية، فأعدت بطاقة عضويتي. كانت خيبة أملي كبيرة لأنني كنت قد وجدت وسط هذه الصفوف تلك الأخوة الكبيرة التي سمحت لي بالازدهار. لم أعد ممزقة بين بلدين و انتماءين، فقد كانت الأممية حقيقية و جعلت منها الأنا الخاص بي. و بعد هذا التصويت، اتخذت قرار الانقطاع عن الحزب و البحث عن سلسلة أنضم إليها كي أكافح أنا كذلك. أما زوجي فبقي شيوعيا [...] و عندما قررت الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني، لا زوجي و لا والدي علما بالأمر. »³¹³.

إذا كانت القطيعة عند عائشة قد تمت بعد تصويت الشيوعيين على السلطات الخاصة، فبالنسبة لمعظم المناضلين الذين قضاوا طفولتهم بالجزائر، حدثت تلك اللحظة بشكل مؤكد في 8 ماي 1945.

8 ماي 1945، القطيعة

أشرنا في فصل سابق إلى صغر سن مناضلي المنظمة الخاصة. فقد وُلد معظمهم في الثلاثينيات، و بالتالي، عاشوا مراهقتهم في إحدى الفترات الأكثر

(313) ع. عليوات، المرجع المذكور.

دموية التي عرفها تاريخ الجزائر المعاصر. و حتى إن لم نأخذ بعين الاعتبار سن الفاعلين – الشاهدين، لا يمكن لحدث كهذا أن يحصل دون ترك آثار عميقة في ذاكرة أولئك الذين عاشوها و في وعيهم. و لقد كان هذا هو الحال بالنسبة للعديد منهم، و لكن البعض تكلموا عنها أكثر من غيرهم.

كان قبائلي موسى يبلغ من العمر 12 سنة، و كان تلميذا داخليا بثانوية سطيف عندما بدأت الأحداث.

« كان هناك كذلك حدث لا يُنسى أبدا بالنسبة لي و يتمثل في 8 ماي 1945. حدث ذلك يوم سوق، و كنت أرافق والدي و أحد أصدقائه. كانت قد نُظمت مظاهرات يوم الهدنة مع مواكب و حُطب. فقد كان الناس يخلطون في أذهانهم ما بين تحرير فرنسا و تحرير بلدهم، لسبب بسيط و هو مشاركة الجزائريين في الحرب. كان وصول الكتيبة الثالثة للرماة الجزائريين حدثا في حد ذاته، إذ كانت هذه الكتيبة مشهورة بأعمال الحرب التي حققتها، و كانت رمزا كذلك، فقد كان جنودها، في نظر الجميع، أبطالاً و مقاتلين.

كنا نتجه إلى الطريق الرئيسي للمدينة كي نحضر مرور الموكب الذي بدأ يتحرك انطلاقا من الثانوية، و أمام مقهى فرنسا الشهير طلب المُفَوِّض، الذي لا يقل عنه شهرة، من المتظاهرين الذين كانوا يرافقون الموكب، خفض العلم الجزائري، و عند رفضهم، أخرج سلاحا و بدأ بإطلاق النار. و من هنا انطلقت الأحداث التي نعرفها.

كان لدينا بالكاد الوقت لنقطع الطريق و نختبئ بمحل تجاري برفقة العديد من الجزائريين. و بقينا مختبئين فيه طوال فترة المجزرة التي دامت حوالي عشرين يوما. كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي. فانطلاقا من اليوم الرابع نفذت المؤونة و كنا لا نزال نسمع صوت طلقات النار. ثم بدأ الفرنسيون يستخدمون جزائريين في مطارداتهم. و بقي اسم محفورا في ذاكرتي، و هو اسم المفتش رجّاح الذي كان يرافق القوات و يدخل الأول إلى المنازل، و إذا أشار إلى واحد، ينتهي أمره. و بهذه الطريقة اعتُقل والدي و بقي موقوفا في السّرّ لوقت طويل. و بعد عدّة أيام، تمكن

من إيصال رسالة يبلغنا فيها أنه سيتم ترحيله إلى جنان بورزف³¹⁴. و يوم ترحيل السجناء، تجمع حشد غفير من الناس حول المحطة ليرونهم يغادرون. كانت كل عائلة تحاول التعرف على ذويها لتسليمهم بعض الملابس أو الطعام. و كانت الصدمة الثانية عندما رأيت والذي يُقتاد مع الآخرين، و في تلك اللحظة، هاجمنا جنود سينغاليون عندما حاولنا إعطاه سلة مليئة بالمؤونة، و لا زلت أحمل حتى الآن أثر ضربة سيف. «³¹⁵.

من المؤكد أن هذه الندبة لم تكن جسدية فقط، بل حملها قبائلي موسى لمدة طويلة في ذاكرته في سن المراهقة إلى غاية اليوم الذي توج التزامه في الكفاح الوطني بالالتحاق بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. و من بين مناضلات المنظمة الخاصة، تحتفظ حرايف زينة بذكرى هذه الأحداث التي تركت فيها بصمة.

« هناك حدث آخر أثر فيّ بعمق في طفولتي عندما كنت لا أزال في الحادية عشرة من عمري، و هي أحداث 8 ماي 1945. هذا الحدث أثر فيّ، في نهاية المطاف، أكثر من اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954. كان الناس يعرفون أنه سيحصل شيء، و لكن ماذا؟ لم يكن أحد يعلم. كان أخواي، علي و عمر، اللذان كانا بالثكنة بعين سمارة، قرب سطيف، قد حصلا على إجازة ذلك اليوم. في صبيحة 8 ماي، طلب أحد أخواي من أمي أن تحضر له ملابس مدنية لأنه لم يكن يريد ارتداء الملابس العسكرية. قالت له أمي: « لكن لماذا؟ » أجابها أخي: « لقد فسّرت لك ». طبعاً، لم أفهم شيئاً لأنهم لم يكونوا يخبرونني بكل شيء. في الواقع، انتشرت تعليمة. كان ذلك يوم أربعاء، و في السوق، كان الجميع مسلحاً، ليس بأسلحة نارية، بطبيعة الحال، وإنما بالعصي و الهراوات.

314) معسكر اعتقال يسمى « مركز إقامة مراقب » يقع قرب قنادرة بولاية بشار. كان قد استخدم إبان الحرب العالمية الثانية لحبس السجناء الشيوعيين و النقابيين الفرنسيين المعتبرين بالغي الخطورة من قبل حكومة فيشي. انظر:

Jacques Cantier, Eric Jennings, *L'empire colonial sous Vichy*, Ed. Odile Jacob, Paris, 2004.

315) م. قبائلي، المرجع المذكور.

كنا في شارع قسنطينة، و كنا نسير في الموكب و نغني أغاني كشفية تتخللها هتافات مؤيدة لمصالي الحاج. و في لحظة من اللحظات، رفع طفل العلم الوطني، و هكذا بدأ الأمر.

هُوجم العديد من الأوروبيين بباب بسكرة. و في شارع فالي، على مقربة من شارع قسنطينة، قُتل أوروبيون كانوا يغادرون السوق، و كان الناس يبصقون على جثثهم. كانوا عازمين و لم يكونوا يخشون شيئا [...] كان الجو جوا استثنائيا، جو انقلاب كبير، ثم وصل الجنود السينغاليون و بدأت المجزرة و قُتل مئات الجزائريين. كنا مسرورين على الرغم من القتل لأن هناك شيئا كان قد تحرّك. دام حظر التجوال لمدة ثمانية أيام. لم يكن لدينا شيء نأكله باستثناء التيوكة التي وزعها الأمريكيون. كانت الشرطة و الجيش و الواشون متواجدين في كل مكان. كان هناك واحد في مجموعة البيوت حيث كنا نعيش، إنه ديف محمد. و قد أصبح أبنائه فيما بعد مناضلين كبارا و التحقوا بالمقاومة في الجبال، و لكنه كان، مع الأسف، مختلفا. كان يذهب بنفسه للبحث عن الناس في منازلهم و قتلهم. كان هؤلاء المساكين يدفنون مرتدين ملابسهم في مقابر جماعية و يُغَطُّون بالجير. لم ينس أحد هذه الأحداث. كنا نقول في أنفسنا أنه، حالما ينتفض الجزائريون، سيكون هو أول من يُعدم، و كان الأمر كذلك.³¹⁶

و بهذا، لختام هذا الفصل، كان جميع المناضلين الذين وجدناهم، بهذه الصفة أو تلك، بصفوف المنظمة الخاصة، شبانا تأثروا بعمق بالنظام الاستعماري، و عانوا من ذلك جسديا و نفسيا، و كانوا يتوقون توقا إلى الخروج من وضعية الإنسان الدونيّ و التي هي وضعية المُستَعمَر. و بالنسبة للجميع، كانت الوطنية، عموما، بجوانبها السياسية أو الإيديولوجية أو الدينية، عنصُر إدراك، ليس لحقيقة الاستعمار، بما أنهم عاشوه في الصفوف الأولى، و لكن للحلّ الممكن. هذا الحل، الذي كان كل واحد منهم يجد نفسه فيه، هو حل الجزائر الحرة التي

(316) ز. حرايث، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني

يجب أن تُضمن فيها، في أذهانهم، الحرية و الكرامة لكل . ولكن، لم يكن من الممكن تحقيق ذلك إلا باللجوء إلى العنف المسلح، وفي هذا الصدد، كانت المسألة محسومة مسبقا لأنه، بالنسبة لكل واحد منهم، لم يكن استعمال الأسلحة إلا عودة الأمور إلى نصابها، تحقيق العدالة لصالح شعب جُرد مما يملك بقوة السلاح .

الجزء الخامس

العمليات

النقاش حول فتح جبهة ثانية

الفصل الثاني

اجتماع 25 جويلية 1958

حاولنا طوال الفصول السابقة أن نرسم لوحة عن السياق التاريخي و السياسي لاندلاع هجوم أوت 1958 . و استطعنا أن ندرك أنّ قرار فتح جبهة ثانية بفرنسا لم يكن بالأمر الجديد، و أنّ النقاش، حول قصديات عمل عسكري بفرنسا، كان قد حُسم من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني منذ 1956 . و لقد وصفنا تطور المنظمة الخاصة التي أُرسيت و استُعملت بعدها بمثابة القوة المسلحة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . مع ذلك، تبقى نقطة من التاريخ لم تُوضّح بعد لأننا نملك روايتين متباينتين عن ظروف اتخاذ القرار النهائي على مستوى اللجنة الفيدرالية .

حسب هارون علي، اتُخذ القرار و حُدّد تاريخ الهجوم في جويلية 1958 بـكولونيا بألمانيا .

« في هذا الشهر، شهر جويلية 1958، في قرية من ضواحي كولونيا، على الضفة اليمين من نهر الراين، كان نزل الـ « فولكن » [الشبيبة الاشتراكية الألمانية] يأوي اجتماعا بدا أنه سيدوم إلى الأبد . استمر الاجتماع لأكثر من أسبوع، و لم تكن ملامح المشتركين فيه ملامح جرمانية . في الواقع، كان رؤساء اللجنة الفيدرالية و قادة الولايات الأربعة لجبهة التحرير الوطني بفرنسا يعقدون به جلسة غير عادية، و كان حاضرا بها : بوداود عمر، قائد اللجنة الفيدرالية ؛

و سعيد بوعزيز، المسؤول عن المنظمة الخاصة ؛ و هارون علي، المسؤول عن الصحافة و الإعلام و عن المنظمة - الأم ؛ و سويسي عبد الكريم، المسؤول عن المالية و عن الهياكل الملحقة [الفرع الجامعي، الجمعية العامة للعمال الجزائريين، إلخ] ؛ و كذا قبايلي موسى، قائد الولاية الأولى (باريس - وسط) ؛ و حمادة حداد [واسمه الحقيقي يوسف خواجه] قائد الولاية الثالثة (وسط- ليون - غرنوبل - سانت- إتيان) ؛ و مناع اسماعيل، قائد الولاية الرابعة (شمال و شرق) ؛ و بومعزة بشير، المسؤول عن المجموعة و عن لجنة دعم المعتقلين. و خلّصت اللجنة الواسعة إلى أن جبهة التحرير الوطني تمكنت من إرساء منظمة سياسية - إدارية و شبه عسكرية، على الأراضي الفرنسية، إلى درجة أنه يمكنها التفكير في الانتقال إلى شكل متفوق من أشكال الكفاح. و بهذا الصدد، ذكر بوداود أنه جاء إلى الاجتماع مكلفًا بمهمة واضحة تنص، من بين التعليمات التي أعطاها عبان رمضان باسم لجنة التنسيق و التنفيذ، على فتح جبهة ثانية بفرنسا، في الوقت المناسب. و الهدف من هذا هو توسيع رقعة المعركة مرغمين بذلك الحكومة الفرنسية على الزيادة من نفقاتها العسكرية و من ميزانيتها للقمع ؛ بقصد جعل سياستها لاشعبية و تشتيت قواتها ممّا سيخفف من الضغوط على المقاومة في الجبال.

أعطى المشاركون لبعضهم البعض مهلة شهر لإعداد العمل المرتقب، كل في مجاله. و عندما رفعوا الجلسة في 25 جويلية، حدّدوا انطلاق العمليات بتاريخ 25 أوت 1958 منتصف الليل. و اتفقوا على أن لا يعلم بهذا التاريخ سوى الم شاركين و المنظمة الخاصة و « فرق التدخل » الذين يجب أن يكونوا مستعدين للشروع في العمل يوم الهجوم.³¹⁷

هذه الرواية تختلف كثيرا عن رواية حربي محمد الذي كان، لنذكر بذلك، لا يزال في ذلك الوقت عضوا باللجنة الفيدرالية. ففي جوان 1958، بسبب تضاربات في تحليل الوضعية و خلافات حول أهداف الحرب، و بصورة عامة، حول استراتيجية جبهة التحرير الوطني، أبعد حربي من لجنة الصحافة و الإعلام و وُضع مؤقتا بالمنصب المحفوف بالمخاطر، منصب مسؤول عن اللوجستية.

العمليات

و كان قد عرف، بعد أن التقى بن خدّة و دحلب، اللذين كانا عابرين من كولونيا، أن عبان رمضان قد اغتيل، و عِلِم كذلك بالمصير المخصّص لثدروج، و للكثير من المناضلين المعارضين الآخرين، بالقواعد الخلفية. و كان مستقيلاً مبدئياً من منصبه باللجنة الفيدرالية لأن البيان الذي كتبه حول أحداث 13 ماي 1958، بصفته المسؤول عن الصحافة و الإعلام، كان قد تبرأ منه عباس فرحات و دباغين لمين³¹⁸. و في هذا الوقت، جرى النقاش حول فتح جبهة ثانية.

« عندما حلت فترة هجومات أوت 1958، استدعت اللجنة الفيدرالية جميع قادة الولايات، و قدّمت قرار فتح جبهة ثانية على أنه قرار القيادة المركزية. و هنا وجدت وسيلة، مناسبة في الواقع، لأغادر بمحض إرادتي. [...] بدأ اجتماع اللجنة الفيدرالية بقراءة المراسلة، و كان يوجد لأول مرة جهاز تسجيل ليسجل النقاش. قام بوداود بطرح مسألة الانتقال إلى العمليات. بقيت صامتاً. لم يجرؤ أي قائد ولاية على الكلام، كان هناك تحفظ كبير. كان مناع اسماعيل في وضعية خاصة لأن مديرية مراقبة الإقليم كانت قد فككت هياكل ولايته. عندها تناولت الكلمة : « لم أعد أفهم، أعترف أنني مشوش. منذ أيام قليلة، قمنا بانفتاح سياسي عرضنا فيه التفاوض وفق شروط محدّدة. و كنا قد طرحنا عندئذ مسألة معرفة في أي منظور يندرج هذا الاقتراح. و هل أن الظروف لقبوله مهيأة ؟ إذا كان تكتيكياً فحسب، فما هي الاستراتيجية الحربية التي يندرج فيها ؟ و اليوم، يُقال لنا أنه لدينا استراتيجية و أننا سننتقل إلى الكفاح المسلح. اشرحوا لي ما هي سياسة القيادة. » و بطبيعة الحال، لم أحصل على جواب. ثم أثرت مسألة النقطة الثانية، أي : ما هي أهداف الكفاح المسلح ؟ أجابني بوداود أنها سرّية. الأهداف كانت سرّية ! قاموا بتحديددها بدوني في حين كنت، بصفتي عضواً باللجنة الفيدرالية، مسؤولاً عما كان سيحدث. لم أعترض على ذلك و قلت بأنه، في الواقع، لا يتم اتخاذ أي قرار على مستوى اللجنة الفيدرالية. و أعلنت مخاطباً قادة الولايات أنه لأمر في غاية الخطورة أن يتم تعريضهم للخطر بإخراجهم من فرنسا في الوقت الذي كنا نحن فيه بأمان في ألمانيا. و في نهاية الاجتماع، قدّمت استقالتي. أعلنت، بصفتي عضواً، أنني لم أكن موافقاً على هذه السياسة، و أنه إذا وافقُ

(318) انظر الملحق.

عليها، فسيعني ذلك أنني مجرد انتهازي يبحث عن منصب قيادي. اتُّخذت القرارات دون أن أعلم، وهي قرارات سيكون لها بعد سياسي. فلم يكن بإمكانني تحمّل مسؤولية ما لم أقرّره عن دراية بالأمر، ولذلك، فإنني أستقيل. ³¹⁹.

لم يكن من الممكن مناقشة استراتيجية جبهة التحرير الوطني بفرنسا وأهداف الكفاح المسلح مناقشة حقيقية، بما أن القرارات كانت قد اتُّخذت في مكان آخر وعلى مستوى آخر. أما تنفيذ الأمور والانتقال إلى الإجراءات، فكان يتوقف على بوداود عمر و بوعزيز رابح القيام بها ما أن تتوفر الظروف لذلك. وبإمعان النظر، قد تبدو محاولة حربي لفتح نقاش في وسط فيدرالية فرنسا محاولة غير مناسبة، بما أن أساليب العمل داخل هيئتي جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني لم تكن تفتح سبيلا كبيرا لهذا الأسلوب من الحوار.

ولكن ما يبدو واضحا بعددّا هو أن فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني كانت تستند إلى سجلين ربما كانا متكاملين، لكنهما كانا مختلفين ومنفصلين بنظام فصل مُحكم على ما يبدو. فمن جهة، هناك الهيكل المسمى بالهيكل السياسي والإداري مع عملائها (فرق التدخل) الذين كانت مهمتهم تتمثل في تأطير الجالية المهاجرة والإشراف عليها لاحتكار التمثيل، أي بعبارة أخرى، ضمان احتكار المداخل المالية التي كانت تمثلها ضريبة الحرب (المساهمات المالية). وفي هذه الهيئة السياسية - الإدارية، لعب رجلان دورا حاسما، وهما على التوالي: العدلاني قدور، المسؤول عن الهيكل التنظيمي، و سويس عبد الكريم، المسؤول عن المالية وعن الهيئات التابعة. وفي هذا الهيكل، كان الهدف الأساسي لقادة الولايات هو السهر على حسن سير عمل المنظمة: تعزيز جبهة التحرير الوطني بمجندين جدد موجّهين لضمان تحكّم أفضل في الجالية المهاجرة، وتوسيع ما يمكن أن نسميه بالقاعدة الضريبية أو المساهمة الحربية. وفي القيام بذلك، لم يكن على قادة الولايات والإطارات المتوسطة أن يعرفوا أنّ عملية واسعة النطاق كانت تُعدّ منذ 18 شهرا، أي في الحقيقة، منذ وصول بوعزيز ثم بوداود. ولقد طُلب منهم

(319) م. حربي، شهادة.

العمليات

أن يُحرّروا بعض العناصر من « فرق التدخل »، الذين يستجيبون إلى بعض المعايير، ولكن لم يكن لهم أن يعرفوا سبب ذلك، ولا ما كان سيحل برجالهم. ومن بين مسؤولي الولايات، كان قبائلي موسى، الذي شارك في وضع المنظمة الخاصة الأولى، والذي كان المزود الأساسي بإطارات و مناضلي المنظمة الخاصة الثانية، الوحيد الذي كان يعلم بما كان يحدث. ومن ثم، فليس من المفاجئ أن قادة الولايات بقوا، في اجتماع 25 جويلية، صامتين عندما سألهم بوداود عن الانتقال إلى العمل المسلح. كان عليهم أن يضعوا، في اليوم الموعد، « فرق التدخل » تحت تصرف المنظمة الخاصة، وأن يستمروا بفعل ما لم يتوقفوا يوما عن فعله، أي بعبارة أخرى، إدارة « النظام ». أما الباقي فكان من شأن بوعزيز.

و من جهة أخرى إذن، هناك منظمة خاصة فائقة السرية، نظريا، مكلفة بإعداد آلة حرب حقيقية ؛ و مناضلين، منتقين مسبقا بدقة، للقيام بعمليات عسكرية بأراضي العدو. و هي هيكل قيادة هرمية لا تتبع نموذج المنظمة السياسية الإدارية، ولديها إطاراتها الخاصة و « كومندوس » وكذلك، أحيانا، ملاجئها الخاصة و عملاء ارتباط خاصين بها أيضا. و هي ليست مسؤولة عن تحديد الاستراتيجية الحربية و إنما تتمثل مهمتها في استطلاع ميدان المعركة و في تحديد الأهداف التي يجب استهدافها. و في هذه الهيئة، كان بوعزيز الوحيد الذي كان يعرف الرجال و مستواهم من المسؤولية. و كان هو كذلك الذي يستلم التقارير الواردة من الخلايا السرية الاستخبارية و الخلايا السرية للعمليات. و كان ينقل هذه التقارير إلى القائد الوحيد لفيدرالية فرنسا، بوداود عمر، الذي كان يمررها بدوره إلى المستوى الأعلى، أي إلى اللجنة الوزارية المشتركة للحرب (بلقاسم كريم و عبد الله طوبال و عبد الحفيظ بوصوف).

و في كل هذا، يبدو أن لجنة الصحافة و الإعلام كانت مفارقة تماما، بوجود حربي محمد، سياسي و عضو سابق بحزب الشعب الجزائري و بحركة انتصار الحريات الديمقراطية و مثقف لا يمكن لنظرته الاستراتيجية الثورية و لأهداف الحرب، التي تضم العمل باتجاه الرأي العام و جزء من الطبقة السياسية الفرنسية، و لا يمكنها إلا أن تُزعج. و كان المشكل يكمن في معرفة ماهية دور هذه اللجنة و مهمتها ؟ أكانت

جهازا سياسيا وإيديولوجيا في خدمة الثورة الجزائرية، أم أداة دعاية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، مكلفة بدعم مجهود الحرب بحصر المعنى ؟ ولقد كان المصير المأساوي لعبان رمضان علامة مؤشرة في هذا النقاش الذي لم يحدث أبدا في الحقيقة. و بعد أن قام المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة بحصر دوره في دور المعارض الأقليمي، كُلف بمسؤولية تحرير جريدة المجاهد، لسان الحال الرسمي للثورة الجزائرية، بصحبة فريق تحرير مُستيس تسييسا عاليا، فحوّل بسرعة الجريدة إلى رجع صدى حقيقي بدأت تحليلاته تثير أصداء، على المستوى الداخلي، الذي كان يدور فيه نزاع صامت على القيادة، و على المستوى الدولي على حد سواء. لهذا السبب، ولأسباب أخرى، لا حاجة لنا لأن نتعمق فيها هنا، حكم على عبان رمضان بالموت وأُعدم بدون محاكمة.

قَدّم حربي محمد إذن استقالته بعد اجتماع 25 جويلية. وإنّ موقفا كهذا لم يكن رائجا في تقاليد الحركات الثورية، و كان كل موقف معارض يُنظر إليه على أنه نزاع قد يعرّض الحركة إلى خطر الانشقاق. ولقد حدث من قبل أن وُئدت ميول كهذه في المهد، و كان حربي يعلم ذلك جيدا. أُعفي إذن من مسؤولياته في اللجنة الفيدرالية و أُنذر أنه في حال انحرافه ستتم تصفيته بكل بساطة. غادر إذن إلى سويسرا حيث سجل نفسه في دورة في الاقتصاد السياسي و أقام هناك من شهر سبتمبر 1958 إلى ماي 1959. فلم يُستدع إذن إلى القاهرة، كما يدّعيه هارون في كتابه، وإنما إلى تونس عند بلقاسم كريم الذي كان وقتها وزير الحرب بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

و عندما اختتم اجتماع 25 جويلية، عاد قادة الولايات إلى مواقعهم العسكرية. أما بوعزيز، فكان عليه بعد ذلك، باعتباره المسؤول الرئيسي عن المنظمة الخاصة، أن يُحرّك آلة الحرب التي قضى، مع آيت مختار و قبايلي، أكثر من سنة في تشييدها.

أهداف الحرب

عندما قام بوعزيز بإخبار آيت مختار عن تاريخ اندلاع العمليات، انكبّ هذا الأخير، مباشرة، على تحديد الأهداف. و لقد عبّر جيدا في شهادته المكتوبة عن الظروف التي دار فيها كل هذا.

العمليات

« قبل أيام قليلة من شن العمليات المسلحة على كامل التراب الفرنسي، أُعْطِيتْ لنا تعليمات و توجيهات صارمة جدا فيما يتعلق بالأهداف المستهدفة و بمهمة كل واحد، أي :

I- التخريب

1 - الأهداف العسكرية :

أ- مصانع الأسلحة، مخازن الذخائر...

ب- الملاحة الجوية : مطارات، حظائر لطائرات حربية...

ت- الملاحة البحرية : سفن حربية.

ث- دبابات و مركبات عسكرية و سيارات و شاحنات جهاز القمع.

2 - النقاط الحساسة، وسائل الاتصالات البرية و وسائل الاتصالات للسكك

الحديدية :

أ- شبكة السكة الحديدية، الصفائح الدوارة...

ب- جسور، إشارات المرور.

ت- وسائل نقل الجيوش إلى الجزائر، الشاحنات، المقطورات، البواخر...

3 - الأهداف الاقتصادية :

- البترول.

- الغاز.

- محطات التوليد الكهربائي، مراكز الاتصالات الهاتفية.

4 - أهداف أخرى غير مكشوفة و موضوعة في الاحتياط عند الحاجة :

- منشآت الملاحة الجوية و البحرية، مصانع و أفران عالية، منشآت لصناعة

السيارات و مصانع تخدم الجيش (مصانع داسو).

II- الهجمات

- العساكر انطلاقا من رتبة ضابط.

- المظليون بسبب الإفراط الذي تميّزوا به في القمع.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني

– كبار ضباط الشرطة لجهاز القمع : مفتشو الاستعلامات العامة، مسؤولو مديرية مراقبة الإقليم (روجي وايو، مؤسس مديرية مراقبة الإقليم و مديرها)، محافظو الشرطة (بابون موريس).

– الشخصيات السياسية المعروفة بنشاطاتها المعادية : سوستيل، بورجو، دوسارينيني.

– النواب و أعضاء مجلس الشيوخ الذين باعوا أنفسهم لتأييد القضية الفرنسية و المعروفون بأنهم أعضاء في « القوة الثالثة ».

شكال علي و روبير عبد السلام و العضو بمجلس الشيوخ بن حبليل و بركروك عبد القادر و السيدة قبطاني و الآنسة قارة سيد و باشاغا بوعلام و جبور أحمد و لواب و كاوة و آيت علي.

– قادة الجيش.

العقيد بيجو و الجنرال ماسو.

كانت هذه هي، باختصار، التعليمات المعطاة، عشية 25 أوت 1958، إلى جميع قادة المناطق العسكرية و جميع فدائيي و مناضلي جبهة التحرير الوطني، مع إمكانية التقييم من كل واحد، حسب الوضعية أو المعلومات المجموعة. و كان كل عمل يخالف الثورة يُحاكم عليه فاعله و يُعاقب عليه كما هو منصوص عليه في قانون جيش التحرير الوطني و الذي كنا نخضع له حينها و كنا نطبقه [...] و لقد أظهرت معرفة الوسط و الانضباط و النضج السياسي لـ « متطوعي الموت »، طوال الأحداث، إلى أي مدى تمّ احترام هذه التعليمات بحذافيرها على حساب حياتهم في الكثير من الأحيان. « لا تجاوزات و لا أخطاء، لا فيما يخص عمليات التخريب و لا، بالأحرى، فيما يخص عمليات الهجوم. »³²⁰.

(320) ن. آيت مختار، المرجع المذكور.

التحضيرات الأخيرة

سيحدث ذلك بليلة سانت بارتيليمي

لقد رأينا كيف وُزعت جماعات الكومندوس، الذين تلقوا تدريباً في المغرب، على شقق أو مأوى حيث كان عليهم أن ينتظروا اندلاع العمليات. وُضع أوراعي مولود بشقة قرب محطة مونبارناس يملكها زوجان فرنسيان، وهناك ذهب بوعزيز لرؤيته :

« يجب عليك الآن أن تخرج من هنا. ستبدأ الأمور الجديدة. عليك أن ترسم خريطة مصافي تكرير النفط لمنطقة روان و منطقة الهافر. ستغادر انطلاقاً من الغد. وبما أنك غير مطلوب من قبل الشرطة فلن تواجه مشاكل. »³²¹.

في اليوم الموالي، غادر مولود مأواه نهائياً دون حَمْل أي متاع ، و ذهب إلى روان. و فور وصوله وقع، في ساحة المحطة، في كبسة شرطة لم تكن لها، لحسن الحظ، عواقب وخيمة. فلقد سمحت له، أوراقه المزورة المغربية باسم السعيد مختار و المهنة المعلن عنها كمالك مقهى يبحث عن نشاط جديد، سمحت له بأن يفلت من الشباك. تمكن إذن من الاتصال بتازينت، المكلف بنورماندي بالمنظمة الخاصة، و من زيارة أرجاء مصفاة تكرير النفط لرسم خريطة لها في المساء في غرفته بالفندق. و لدى عودته إلى باريس، التقى من جديد بمسؤولي المنظمة الخاصة.

(321) م. أوراعي، المرجع المذكور.

« عقد الاجتماع بشارع بترارك. كان هناك سعيد و مجيد و تازبينت و عيساوي و أنا. كان من المفترض أن يلتحق كل من تازبينت و عيساوي بمنطقتيهما، إحداهما بشرق فرنسا و الأخرى بجنوبها. أُعطيت تعليمات تحدّد يوم العمليات و ساعتها. حددها مجيد لليلة سانت بارتيليمي [حرفيا] عند منتصف الليل. لم يقل شيئا آخر ليحدد التاريخ تحديدا أفضل. ليلة سانت بارتيليمي ! كيف كان لي أن أعلم أي يوم هذا ! ما الذي كنت أعرفه أنا عن سانت بارتيليمي ؟! ذهبت و اشتريت كتابا في تاريخ فرنسا لأجد هذا التاريخ الملعون. تصفحت الكتاب طوال الليل إلى أن وجدت معلومات عن هذا الحدث الكبير. حدث ذلك في 24 أوت و كان هذا اليوم يوافق يوم السبت من تقويم سنة 1958. كان سيحدث ذلك إذن ليلة السبت إلى الأحد 25 أوت. [...] و قبل أن نفترق، أُعطيت لنا تعليمة عدم مغادرة ملاجئنا حالما تندلع العمليات. كان علينا أن نبقي في مخابئنا و ندفن أنفسنا هناك حتى إشعار آخر. »³²².

عشية هجوم أوت، كان سداوي عمر هو مراقب فرق المنظمة الخاصة للمنطقة الباريسية. و لهذا السبب كلفه عيساوي، قبل أن يغادر إلى مرسيليا، بأن يحرص على احترام قانون المنظمة الخاصة و الإشراف على مراقبة إعداد الفرق من أجل العمليات المسلحة.

« و قبل ليلة 24 إلى 25 أوت 1958 [...] كلفني صبري³²³ بتوزيع عتاد التخريب. سلمت للأخ مولود آنصور³²⁴، الذي كان مكلفا بتخريب معسكر الملاحه الجوية ببورجي، كيسا به 25 إلى 30 كلغ من البلاستيك المتفجر، و قبل أسبوع من يوم الهجوم نَقَلت، من الدائرة الرابعة عشرة، حمولة سلمتها إلى أخ من المنظمة الخاصة بالدائرة الثالثة، ليس ببعيد عن ميترو ريامور - سباستوبول.

(322) المرجع السابق.

(323) من المحتمل أنه سداوي محند أورمضان المدعو « صابر ».

(324) مولود آكسور في قائمة آيت مختار.

العمليات

كنت شخصيا مكلفا بمخيم عسكري نواحي فرساي. [...] و مع مرادي عبد العزيز و عمار « لو شِنوا »، كنا قد رسمنا قبل أسبوعين خريطة الشكنة. »³²⁵.

استطلاع و إرشادات

في 14 جويلية 1958، استقل محمد أوزناني القطار إلى مرسيليا برفقة حرايف زينة. كان على اتصال بها لأول مرة بمثابة عضو المنظمة الخاصة. كان قد لمحها من قُبل بفرميني عندما وصل إلى هناك و هو لا يزال شابا مهاجرا صغيرا جدا ليعمل بمنشآت فرديي. لم يجرؤ يوما أن يخبرها بأنه عرفها من قبل عندما قامت، باعتبارها أخت عمر و عضوة بـ « فرق التدخل »، بترأس نقابة المصنع. على أي حال، و لأسباب أمنية، لم يكن لديه شيء ليقوله لها، و كما تنص عليه التعليم، امتنع عن مفاتها في هذه المسألة طوال طريقهم إلى مرسيليا. و هناك، وجد عيساوي عند مختار صغير نادية التي كان منزلها يُستخدم مقرا عاما لقيادة المنظمة الخاصة. و بالنسبة للجميع، هو أخ نادية و جاء لزيارتها من باريس حيث يتابع دراسته.

و على ما يبدو، فقد خلف الفريق القديم مشاكل كثيرة وراءه، و تلقت القيادة الفيدرالية شكاوى متعددة من تصرفاته. فوجب إذن، و على جناح السرعة، استرجاع العناصر الموثوقين أكثر و تجنيد مناضلين جدد غير معروفين لدى الشرطة. كان يجب كذلك القيام بتقطيع جديد للمناطق، مختلف تماما عن تقطيع المنظمة السياسية الإدارية، و استكشاف الأهداف.

« كان على كل مسؤول عن منطقة من المناطق القيام باختيار المناضلين المخصصين كل لمهمة معينة. حددنا العدد بثلاثة : يكلف واحد بمعاينة المواقع و بالحراسة، و يقوم الثاني بوضع المتفجرات، أما الثالث فيقوم بتفعيل نظام الإشعال من الخارج. و كان يجب اختيار هؤلاء المناضلين من بين الأشجع،

(325) سداوي عمر، مذكرات مكتوبة في كراس مدرسي.

و لكن كذلك من بين الأكثر كفاءة لاتباع تدريب صغير للحصول على المبادئ الأساسية للتخريب . كان عليّ أن أفسّر لمناضل واحد من كل كومندوس طريقة تشغيل المتفجرات و المسافة التي يجب احترامها .

لم يُخطّط حقاً للأهداف . كان المناضلون يعيشون بالمكان و يقترحون تلقائياً أهدافاً يرون أنه قد يصلح استهدافها . كانوا يعرفون المصانع و الجسور و بنايات أخرى ، و لكن بقي لهم أن يحدّدوا المواضع التي يمكن وضع المتفجرات فيها تحديداً دقيقاً . كانت هذه المهمة تقع على عاتقي ، و بمجرد أن كان الهدف يحدّد ، كنت أذهب لزيارته . و بهذا ، زرت العديد من معامل تكرير النفط بإيتون دو بار . كانت أرضاً بوراً محاطة بسيّاح بدائي لمنع دخول الحيوانات أكثر منه لحماية من عملياتنا . كان إذن من السهل التسلّل إليها . دلّت المناضلين على أفضل مكان لوضع الشحنات المتفجرة ، و كان ذلك بنظام صمامات الخزان الكبير . كان يجب أولاً فتح الصمام للسماح للسائل بأن يتدفّق بحيث إذا لم يكن التفجير كافياً لتحطيم كل شيء ، سيُمكن أن ينتشر الحريق بسرعة . شرحت لهم طريقة اشتغال القنابل الموقوتة ، و في حالة موريبيان ، شرحت لهم نظام التشغيل عن بُعد . كان هذا النظام مُشكّلاً من حزمة متفجرات مع صاعق و سلك لِيُبسط مع بطارية سيارات أو بطاريات كهربائية [. . .] . و قبل ذهابي إلى مرسيليا ، قابلت لمرة أخيرة بوعزيز الذي أعلمني أن المعدات كانت جاهزة . و لدى وصولي ، وضعني عيساوي على اتصال بالشاب بلحوّاس ، مناضل مجلوب من فريق حرّايّف ، و الذي كانت المعدّات مُودعة بمنزله . كانت الذخيرة تتمثل في الواقع في حقيبتين من الكرتون ، كانت إحداها تحتوي على بطاريات كهربائية من نوع ووندر مخزونة هناك من فترة غير محدّدة ، و كانت الثانية تحتوي على صواعق و فتائل كهربائية عفا عليها الزمن تماماً .

لم أكن مطمئناً فيما يخص نتائج عملياتنا ؛ و كان عيساوي مثلي لا يعرف شيئاً عن المعدات . تمكنا من الحصول على 4 مسدسات أو 5 من عند المناضلين و اتصلنا على الفور بباريس للحصول على متفجرات و أسلحة إضافية ، فوصلت

العمليات

زينة حاملة حقيبتين من المسدسات، مجموعة من عيارات 7.65، و مسدسات بيريتا وأنواع أخرى كذلك. «³²⁶.

كان يجب مع ذلك إعادة تنشيط شبكات الاستعادة للحصول بأقصى سرعة على المتفجرات والصواعق اللازمة للعمليات. و تكفل بلحواس بإعادة الاتصال بشبكات عمال المحاجر؛ وسرعان ما وجد محمد أوزناني نفسه حائزا على مؤونة كبيرة ولكنها خليط من متفجرات الشديت وديناميت المحاجر والصواعق. وبهذا أصبحت جماعة مرسيليا على أتم استعداد ليوم الهجوم.

(326) م. أوزناني، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة تشن الهجوم

ليلة سانت بارتيليمي

لا يوجد أسلوب في وصف هذا الحدث أفضل من الأسلوب غير المزخرف لتقارير الشرطة . ولقد سجّلت تقارير 27 أوت « حوالي عشرين اعتداءً إرهابياً بالغ الخطورة ارتكب في أقل من ثلاث ساعات من قبل مخربي جبهة التحرير الوطني على مجمل التراب الفرنسي :

2.15 : الهافر، تخريب واحتراق مخزن الوقود و معمل تكرير النفط بنوتر دام دو غرافنشون . قُتل المُخَرَّب في الانفجار .

2.30 : باريس، جادة لوبيتال، الهجوم على مرآب محافظة الشرطة و حرقه . قُتل ثلاثة حراس و جرح واحد .

3.00 : بوا دو فانسان، إخفاق محاولة تخريب مصنع الخرطوشات . قتل شرطي و قُضي على جزائريّ و أُلقي القبض على آخر .

3.05 : مرسليليا، تخريب مستودع شيل و حرقه .

3.15 : ناربون، تخريب مستودع الوقود و حرقه .

3.15 : سانت – ماندي، حاولت سيارة اختراق حاجز و قُضي على جزائري مسلّح .

3.15 : بور – لا – نوفيل، تخريب و حرق مستودع وقود .

3.18 : فرونتنيان، فشل محاولة تخريب معمل التكرير . اكتشاف خمس قنابل .

3.20 : باريس – بورت دي ليلا، حاولت سيارة اختراق حاجز . قُضي على

جزائريين مسلحين .

العمليات

- 3.20 : تولوز، تخريب و حرق مستودع الوقود.
- 3.35 : إيفري، حرق مستودع ناقلات عسكرية.
- 3.35 : جنفيلبي. حرق مستودع وقود ميناء باريس، 3 اعتقالات.
- 3.43 : مرسيليا، فشل محاولة تخريب مستودع الوقود لمارتيف، اكتشاف ثلاث قنابل.
- 3.45 : مرسيليا، اكتشاف قنابل بمستودعات الوقود بأيغلاد و كاب بيناد.
- 4.00 : فيلاكوبلاي. اعتراض كوندوس من المخربين، فشل محاولة تخريب مرافق المطار. تمّ إلقاء القبض على جزائريين حاملين أسلحة و متفجرات.
- 5.00 : سالبريس، اكتشاف تخريب السكة الحديدية خط باريس - فيارزون.
- و يُضاف إلى أعمال العنف المميتة هذه و المكلفة للغاية، عملية رش سيارة جيب تابعة للشرطة بالرّشاش بباريس، في يوم 27 أوت، بساحة دانفار - روشرو، جرح شرطيان. و هوجم ضابط صف أوروبي و جرح من قبل شمال إفريقيين بشارع بون - نوفيل.
- و هكذا، في هذه الليلة، أرسلت جميع القوى المسلحة لجبهة التحرير الوطني، و جميع مقاتليها و مخبريها من الجماعات المسلحة، مع درجات نجاح مختلفة، لمُهاجمة مرافق في فرنسا. »

تقييم أولي

كان مسؤولو المنظمة الخاصة، طوال العملية، حاضرين بالميدان و يتابعون عن قرب الظروف التي نفذت فيها العمليات. و في اليوم الموالي بالذات، بتاريخ 25 أوت، عقدوا اجتماعا ليقوموا بتقييم نتائج ليلة سانت بارتيليمي.

« في اليوم التالي [...] حوالي الساعة الواحدة و النصف، استدعانا بوعزيز رابح و آيت مختار الذي كان قائدنا بالمنظمة الخاصة. جرى الاجتماع بالدائرة الثالثة عشر بفيلجوييف، كان هناك تقريبا جميع مسؤولي المنظمة الخاصة لباريس و ضواحيها. تمّ جمعنا لتقديم تقرير عن ليلة 24 إلى 25 أوت [...] و خلال هذا الاجتماع قام الإخوة المسؤولون بإدانة م... المسؤول عن المجموعة

المكلفة بتخريب المطار س... خلال تلك الليلة. أُلقي القبض على م... و فريقه بالدائرة الثالثة عند شارع أومير [حرفيا] و بحوزتهم معدات التخريب. سألنا قادة المنظمة الخاصة عن رأينا بما أننا كنا نوابهم، فطلبت، مع اثنين آخرين من قادة المجموعات، التساهل و اقترحنا إعطاءه مهمة أخرى ليؤديها ليعوّض عن إخفاقه. و لكن، لسوء الحظ، فشلت كذلك عملية التخريب الثانية. [...] و مع بن يحي طاهر جلبنا عناصره و وزعناهم على المجموعات الأخرى. [...] أعطيت لنا تعليمات بالاستمرار في الهجوم على عناصر الشرطة، الضباط الكبار فقط و كذلك ضباط الجيش. أما المظليون، فكان يجب القضاء عليهم سواء كانوا ضباطا أو لا. »³²⁷.

و يشهد أوراغي مولود ، الذي كان مسؤولا عن مجموعة، هو بدوره عن هذا الاجتماع و يتذكر استجواب زميله تازبينت من قبل قادة المنظمة الخاصة.

« استدعي عبدو (تازبينت) مباشرة بعد اندلاع الهجوم كي يقدم تقريرا عن أسباب فشل جزء من العمليات المبرمجة للناحية الغربية. لم يكن « سعيد » راضيا جدا عن النتائج و ذهب حتى إلى اقتراح القضاء على مسؤول المنظمة الخاصة لغرب فرنسا. كان يعتبر أن المهمة التي كلف بها لم يتم إتمامها على أكمل وجه. و لم تكن جميع التفسيرات التي قدّمها تازبينت كافية لتهدئة الأمور. كان « سعيد » بالمناسبة معروفا بتشدّده. [...] و عندما وصل « عبدو » إلى روان، باشر بشن عمليات في جميع الاتجاهات، و نجح حتى في عرقلة قطار يحمل صهاريج نפט. كانت في الحقيقة عمليات انتحارية شبيهة بعملية الهجوم على مركز شرطة روان. و قد ذهب رفقة فريقه داخل شاحنة صغيرة معبأة بالمتفجرات لنسف مركز الشرطة. و لكن قبض عليهم، مع الأسف، قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى هدفهم و أرغموا على تفكيك القنابل بأنفسهم. »³²⁸.

و خلال هذا الاجتماع و التقييم الأول، وجب كذلك تبيان احتياجات الفرق و إعطاء تعليمات جديدة. كان على زينة أن تقوم بالذهاب و الإياب مرات عديدة من باريس إلى مرسيليا لإيصال المال و الأسلحة ليعساوي الذي كان يحتاجها.

(327) سداوي عمر، المرجع المذكور.

(328) م. أوراغي، المرجع المذكور.

العمليات

وهكذا، وجدت أخت حراييف نفسها على متن قطار و بحوزتها مليون و نصف مليون فرنك يجب عليها نقلها لتغطية حاجيات مناطق الجنوب . و أبلغهم أوراغي عن نقص التعداد و طلب إمداده، على الأقل، بسائقين لتسهيل التنقلات و لكي يتصرفوا بحرية أكبر. كان واضحا بالنسبة للجميع أنه كان يجب الاستمرار في العمليات .

الأيام و الأسابيع التالية

استمرت إذن العمليات، و أخذت بعدا غير اعتيادي تماما. فقد تركت، مزامنتها و حدوثها على كامل التراب الفرنسي، مصالح الشرطة في حيرة من أمرها نوعا ما. فكون جبهة التحرير الوطني لم تعد تهاجم « الإخوة في الدين » فقط، و إنما أصبحت تعتدي كذلك على أهداف فرنسية محضة زاد من قلقهم. و يُعبّر محضر غرفة الاتهام لباريس، في انعقاد جلسة الاستئناف في محاكمة المنظمة الخاصة، يعبر عن هذا القلق .

« خلال ليلة الـ 24 إلى 25 من شهر أوت 1958، أقدمت جبهة التحرير الوطني على القيام بعدد كبير من العمليات الإجرامية على التراب الفرنسي ؛ تابعت جبهة التحرير الوطني عملياتها في الأسابيع التالية، و بذلت قصارى جهدها في تطوير عملها الإجرامي بهجومها على مباني عسكرية (مصانع خرطوشات، مستودعات المعدات)، و معامل تكرير النفط، و مراكز الاتصال و مطارات و سكك حديدية و منشآت غاز فرنسا .

و في الوقت نفسه، نُفذت عمليات اعتداء تستهدف شخصيات سامية و عسكريين و شرطييين .

و لقد تميّزت هذه الهجمة أساسا بـ :

1) **منطقتي روان و الهافر** – من خلال اعتداءات بالمتفجرات على معمل تكرير النفط بجران كوفي و ن.د – دو غرافنشنون، و على محطة وسيطة لتلفاز الهافر، و على مركز الشرطة المركزي لروان .

2) **منطقة مرسيليا** – من خلال وضع قنبلة بمخزن السفن ببريزيدان كازاليس، و خاصة، بحرق صهاريج البنزين بـ « مورابيان » .

3) المنطقة الباريسية – من خلال وضع قنبلة بالطابق الثالث لبرج إيفيل ورمي قنبلة على قارب بجسر كونفلان و على مستودع منشآت بريماغاز بكورنوف .
و في الخامس من سبتمبر ألف و تسع مئة و ثمان و خمسين، على الساعة التاسعة و خمس عشرة دقيقة صباحا، قام العديد من الشمال إفريقيين، المسلحين برشاشات و مسدسات، بتنفيذ هجوم في غاية العنف، بجادة فريدلند بباريس، ضد السيد سوستيل، الذي كان وقتها وزير الإعلام و الذي أُصيب خلال الاعتداء. ³²⁹ .
و من جهتها، تُظهر جيدا، رواية أوراغي مولود للأحداث، هذا الهيجان .
ولكن لفهم أهمية العمليات المنفذة فهما أفضل، سنستند إلى تقرير المنسق الرئيسي لها و هو « مجيد » آيت مختار ³³⁰ .

المنطقة الباريسية :

باريس الضفة اليمين

- مستودع النفط . ساحة المحطة . جنفيلي .
 - مستودع بريماغاز بلاكورنوف .
 - نونتير (ألغيت العملية بإبطال الأمر) .
 - حوض نفط . بورت دو فيتري . (تحقيق الهدف) .
 - مطار فيلاكولبي، لوبورجي، بأورلي (ألغيت بإبطال الأمر الصادر من جنفيلي) .
- يقود فرق هذه المنطقة « صابر » (سعداوي محند أورمضان) و « حمادة » (مزرارة محمد) ³³¹ . لم يتم تحقيق عدد من هذه الأهداف بسبب وجود عدد كبير جدا من حواجز الشرطة المقامة بين جنفيلي و فينسان .

باريس الضفة اليسار

- عسكر الطائرات ببوتي كلامار .
- ملحق مرأب قسم الشرطة .

329) محضر محكمة الاستئناف لغرفة الاتهام لباريس، ص 3 .

330) نستعيد هنا النقاط الأساسية من الشهادة المكتوبة التي شُلت لنا .

331) انظر بالملحق 4 قائمة أعضاء المنظمة الخاصة الذين شاركوا في العمليات .

العمليات

- مقر مكتب اتصالات الشرطة الذي كان تخريبه سيسمح بتنقل فرق باريس و منطقتها بحرية أكبر.
- برج إيفيل. (كان من المفترض أن تفجر القنبلة الموقوتة، التي وضعت بالطابق الثالث، وسيط الإشارة التابع للشرطة و ليس التحفة الفنية).
- مرأب الرشاشات المصفحة و الشاحنات العسكرية.
- مَفجرة فينسان.
- المحطة الكهربائية و مرأب سيارات مصنع رونو ببولوني - بيانكور.
- ثكنات فرق الأمن الجمهورية برامبوي (تخريب و محاولة الهجوم في 25 أوت 1958).

- مصنع خرطوشات جيفلو. محاولة تخريب المفجرة.
 - الإذاعة و التلفزة الفرنسية (محطة البث باللغة العربية).
 - المكتب الفرنسي - الجزائري لتسويق الخضر و الفواكه.
- يقود المجموعات حميدي العربي و محمد ديافي. و لقد أُعطيت لهم، شأنهم شأن جماعة باريس - وسط و باريس الضفة اليمين، تعليمة الهجوم بانتظام على سيارات الشرطة و مراكز الشرطة و ثكنات فرق الأمن الجمهورية. و هكذا، أُصيب، من بين غيرها، مراكز شرطة سافر و فانف و فرساي و دانفير - روشو و إيسي - لي - مولينو.

و أُعطيت تعليمة أخرى لجميع الفرق و تتمثل في استهداف، من بين عناصر الشرطة، بالتحديد المفتشين الرئيسيين و مفتشي المقاطعات (الاستعلامات العامة و مديرية مراقبة الإقليم) المعروفين بعنصريتهم و مشاركتهم المباشرة في تعذيب المناضلين الموقوفين. و استُهدف كذلك العسكريون ذوي الرتب العالية و جميع المظليين دون تمييز في الرتب.

« في 27 أوت، استُهدفت سيارة جيب تابعة للشرطة بالرشاش بساحة دانفار - روشو ؛ و بساحة بون نوفيل، أُصيب ضابط صف بطلقات نارية. وفي 29 أوت، شارع ليون، تم القضاء على ضابط صف آخر. »³³²

و بإيسي - لي - مولينو، استُهدفت، بجادة جون جوريس عناصر من مديرية

(332) تقرير الشرطة، انظر : R. Muelle, *Op. cit.*

مراقبة الإقليم وضباط من الاستعلامات العامة. وفي الأيام التالية، استمرت الهجمات الفردية، بنسب نجاح متباينة، على أهداف محدّدة. شُنّت هجمات على سيارات الشرطة على طول أرصفة نهر السين. وفي الدائرة الرابعة عشرة والدائرة العشرين، بجادة مالاكوف، شُنّ هجوم على مقهى يرتاده العساكر الفرنسيون. أما بجادة لوتيل³³³ بالدائرة الثالثة عشرة، فقد خلف الهجوم الذي شنه ديافي ومسارلي خمسة قتلى والعديد من الجرحى في صفوف شرطة ملحقة بحفظ الشرطة. أضرمّت النار بالمرأب وتم الاستيلاء على أسلحة أوتوماتيكية. « في تاريخ 22، اكتُشفت جثة بسيارة، هي جثة مفوض شرطة، المفوض شنين. رُبط وعُذّب وخُنق. »³³⁴.

ويذكر تقرير آيت مختار كذلك عمليات الإلهاء التي قادتها عناصر « فرق التدخل » : حرق الغابات و الهجمات على أماكن والاعتداءات التي من ضمنها تلك التي استهدفت النائب جبور أحمد.

ولكن يجب الإشارة إلى أنه، في جميع هذه العمليات، كانت الأسلحة المستعملة في أغلب الأحيان غير ملائمة، مسدسات من طراز قديم أو أفراد عفا عليها الزمن. فقد كانت المجموعات بالكاد تملك أسلحة أوتوماتيكية، وبصفة أقل القنابل اليدوية، مما زاد من أهمية الخسائر المتكبّدة جرّاء الهجوم المضاد لقوات الشرطة.

منطقة مرسيليا :

مارسيليا - وسط

الأهداف الاقتصادية

- المنشآت النفطية : لستاك، موريبيان، كاب بيناد، لي آيغلاد، ديبو أوز .
- مصنع الغاز .
- مستودعات المعدّات .

(333) على الأرجح جادة لوتيل بالدائرة الثالثة عشرة بباريس .

(334) المرجع السابق، ص 126 .

العمليات

الأهداف الخاصة :

- محافظة مرسيليا (وضع قنبلة) .
- مركز شرطة كابيت .
- موقف دبابات « بمرسيليا، خلفت عبوة ناسفة موضوعة بدبابية موجهة إلى الجزائر قتيلا و خمسة جرحى . »³³⁵ .
- باخرة بريزيدان كازالي (لنقل القوات) .
- في جوان ، استُبدل المسؤول عن جنوب فرنسا ، حرايڤ عمر ، بمحمد عيساوي .
و كان مُساعد هذا الأخير هو عمر أوزناني ، المختص في المتفجرات . أما بالنسبة لمرسيليا – وسط ، فكان قائد الفريق هو عبد الرحمن مزيان شريف « علاوة » .

مرسيليا شرق وغرب

الأهداف الاقتصادية :

- بور – دو – بوك .
- إيتون – دو – بور : مستودعات الوقود و معامل تكرير النفط .
- لافارا : معمل تكرير النفط لبريتيش بتروليوم (انفجرت القنبلة التي وضعتها المجموعة عند محاولة تعطيلها مخلفة بذلك قتيلين ، ضابط و جندي) .
- لاماد : إيداع الغاز و تخزينه .
- آليس : مصنع للغاز .
- الأهداف العسكرية :

- قاعدة بحرية بتولون : سفن حربية « دوغاي تروان » (لم تحدّد المجموعة موقعها) و « جون بارت » (محاولة وضع لغم من قبل غواص) و نظرا لنقص الوسائل المادية ، أُرجئت هذه المحاولات إلى أجل لاحق .
- المسؤول عن الفرق بالنسبة لمرسيليا – شرق و غرب هما بوشينة علي و بلحوسين علي .

R. Muelle, *Cp.cit.*, p. 125 et suiv (335)

بور دو - تولوز - لاروشيل

الأهداف الاقتصادية :

- بور - لا - نوفيل : مستودع وقود بسورفينا (تحقيق الهدف) .
- تولوز : مستودع موبيل أويل (إيجابي) .
- لاروشيل : المتفجرات المتحكم فيها عن بُعد لم تنفجر .
- مونبوليي و بور دو : محاولات متنوعة .
- مسؤول المجموعة . بطروني علي « عبد العزيز » .

ليون - غرنوبل - سانت-إتيان

- مستودع شيل .
- مصنع للغاز .
- مخزن للأسلحة .

« في 6 سبتمبر، تمت مهاجمة مركزي شرطة بليون : قُتل شرطي وألقي القبض على جزائريين اثنين . بغرنوبل، تم إيقاف 8 شمال إفريقيين و بحوزتهم أسلحة و متفجرات مُعدّة للهجوم على مَفجرة و مصنع بشيني و تخريبه [. . .] فشلت المحاولة التي استهدفت المحطة الكهربائية لليون [. . .] خُربت السكة الحديدية لخط جنيف - ليون . في 14 سبتمبر، اكتُشفت أربع قنابل من شحنة 2 كلغ بـ سان - مارتان - دير . »³³⁶ . المسؤول عن المجموعة عمار (س) .

نورمانديا

- الهافر : معمل تكرير النفط نوتر دام دو غرافنسون . « دُمّر حوض من حمض الكبريت بمعمل سان - غوبين بالمتفجرات . »³³⁷ .
- إفرو : مستودع الوقود و قطار - صهريج .
- بُتي و غراند كوفيي : مستودع النفط و محطة الغاز .

(336) المرجع السابق .

(337) المرجع نفسه .

العمليات

• رُوان و إلبوف : مستودع الوقود و هجمات على محطة الشرطة المركزية و على شرطيّين.

قاد العمليات أعومار تازبييت « عبدو » و عينوز أعراب و ساعدهما المتخصص في المتفجرات عبد الرحمن سكالي . جرت العمليات حوالي الساعة الثانية صباحا مع تأخير راجع إلى الوصول المتأخر للأسلحة و للكومندوس إلى عين المكان . تسببت العديد من الانفجارات في مقتل جنود من بينهم عبد المجيد نيكام .

ألزاس، لورين، مورث و موزيل

• ستراسبورغ : حرق و إتلاف مخازن و دبابات .

• حظيرة الطائرات .

• عمود هوائي للغاز باريس – ستراسبورغ .

• أُحبطت المحاولة المستهدفة ميناء النفط بسبب اعتقال عائشة عليوات .

• « قبل نهاية سبتمبر، خُرِبَت السكة الحديدية الرابطة بين ستراسبورغ و بال . »³³⁸.

• عمليات أخرى نفّذت بنانسي و مونبليار و ميتز . المسؤول عن المجموعة بن علي علي .

عمليات باهرة

دون رغبة منا في السقوط في النادرة أو الوقائية. يبدو لنا أنه من الضروري وضع عدد من العمليات، التي تندرج فيما سُمي بهجوم أوت 1958، في سياقها. إلى حد ما، لم تخلف مختلف العمليات التي شنتها المنظمة الخاصة ضحايا، خلال هذه الفترة، غير ضحايا من بين عملاء نظام القمع الاستعماري (الشرطيين والعسكريين) أو الأهداف المحددة من بين القادة السياسيين الأكثر تطرفاً وبعض المنتخبين المسلمين المعتبرين خونة لوطنهم و كان الضحايا من بين المدنيين، الذين أصيبوا، إنما أُصيبوا خلال تبادل إطلاق النار بين جماعات المنظمة الخاصة والشرطة. ولقد شددت جميع الشهادات التي سننقلها أدناه على هذا الجانب من العمليات إذ تفادى المناضلون قدر المستطاع تخليف ضحايا أبرياء من بين المدنيين، ليس فقط لأن تلك كانت التعليمية، ولكن كذلك لأن الكثير منهم لم يكونوا يشنون حرباً على الفرنسيين، كما كانت تزعمه المصادر، وإنما من أجل استقلال الجزائر.

حسب المصادر الفرنسية «أحصت الإحصائيات الرسمية 110 مقتول لشهر سبتمبر 1958 وإلى غاية نهاية 1958، لم يعرف هذا التصعيد الرهيب أي تراجع. وعدا الهجمات المعهودة على المقاهي وعلى الفنادق العربية وإعدامات المماطلين في دفع المساهمات والواشين المفترضين وتبادل إطلاق النار بين جماعات متعادية، وهي تظاهرات مألوفة عن الصراع المسلح بين الحركة الوطنية الجزائرية وجبهة التحرير الوطني، وقد استمرت هذه الأخيرة في ما

العمليات

أسمته بـ « **الحرب ضد فرنسا** » : رشق سيارات الشرطة بالرشاش و الاعتداء على شرطيين و عسكريين . « ³³⁹ » .

من الجلي هنا أن الشرطة كانت تخلط بين عمليات « فرق التدخل » التقليدية للمنظمة السياسية – الإدارية، التي كانت تُنفذ بصورة رئيسية في الأوساط الجزائرية، وبين عمليات المنظمة الخاصة ضد أهداف فرنسية. وظهر هذا التمييز فيما بعد عندما أثبتت اعتقالات أعضاء الفرق المسلحة وجودَ هيكل مواز سري للغاية و أخطر من « فرق التدخل »، التي تمكنوا من السيطرة عليها، إلى حد ما، أو كشفوها و تعرّفوا عليها. و لقد قامت مصادر الشرطة حتى بحسابها حسابا دقيقا .

« في الولاية الأولى، ولاية التجمع السكاني الباريسي بحصر المعنى، أو باريس – وسط . هناك اثنتا عشرة منطقة، إذن اثنا عشر فريق تدخل . وفي الولاية الثانية، ولاية ضواحي باريس، هناك ثمانية عشر فريقا ؛ هذا يعطينا 450 متطوعا [...] » ³⁴⁰ .

ما أشد مبالغة هذا التقدير لقوة عدد الذين تكفلوا مباشرة بعمليات الهجوم ! سنتكلم في صفحات أخرى عن رد فعل مصالح الشرطة العنيف . ولكن، في الوقت الحاضر، سنتوقف عند العمليات من زاوية نظر أصحابها أنفسهم .

الهجوم على جاك سوستيل

« في الخامس من سبتمبر ألف و تسع مئة و ثمان و خمسين، قام العديد من الشمال إفريقيين المسلحين برُشِشَات و مسدسات، بجادة فريدلاند بباريس، بتنفيذ عملية اعتداء عنيف عنفا شديدا على السيد سوستيل، الذي كان وقتها وزير الإعلام، و جُرح هذا الأخير في الاعتداء. و لقد سبقت هذه المحاولة محاولات عديدة باءت بالفشل، لأن السيد سوستيل كان قد سلك، ليذهب من منزله الشخصي إلى وزارة الإعلام، طرقا مختلفة عن تلك التي كان يترصده بها المعتدون للهجوم عليه و التي كان يسلكها عادة ³⁴¹ .

Id. p. 128 (339)

Id. p. 134 (340)

(341) محضر غرفة الاتهام لباريس، المرجع المذكور، ص 13 .

بالفعل، كانت المنظمة الخاصة تستهدف جاك سوستيل، و تناوبت العديد من المجموعات لتتبع خطاه و تحديد الطريق التي يسلكها .

« أما أنا فكانت مكلفا بسوستيل على وجه الخصوص . كنت أشارك، من حين إلى حين، في عملية التعقب و كنت أتلقى، بانتظام، معلومات من « مجيد » . ولقد جرت عملية تقفي الأثر بدقة بالغة، واستُبدلت المجموعة المكلفة بمساعدتي يوم الهجوم مرات عديدة و لكنهم كانوا دائما رجالا من المنظمة الخاصة . ولقد فشلت المحاولة الأولى أمام مقر الوزارة . كنا قد وضعنا عناصر تقريبا في كل مكان من الموقع، و لكن حضورهم بالمكان كان لافتا للنظر . حدث ذلك بجادة فريدلاند على مقربة من ساحة إتوال . لم يكن الحي من الأحياء التي يرتادها الجزائريون كثيرا، و بهذا كنا نُكتشف بسهولة، فإذا لوحظ وجود شمال إفريقي ثان ثم ثالث واقف على الرصيف المقابل، كان هذا يشير الانتباه على الفور . »³⁴².

كان سوستيل يعرف أنه حكم عليه بالإعدام من قبل جبهة التحرير الوطني، فكانت مصالح الأمن تأخذ جميع الاحتياطات للتصدي لهجومات محتملة . خلال المحاولة الأولى، انتظرت مجموعة، سدى، أن يعاود الخروج من وزارته . و جرت المحاولة الثانية بجادة مارتن هنري، بضواحي بوا دو بولوني، حيث يوجد مكان إقامته بالأحياء الراقية بباريس . كان أوراعي ينتظر، برفقة مناضلين اثنين آخرين، داخل شاحنة صغيرة مسروقة من المحتمل أنها كانت ملك بلاط لأنه كانت لا تزال توجد بها أكوام من البلاطات المكسدة . كان من المفترض أن يعترضوا طريق السيارة الوزارية لتسهيل الهجوم، لكنهم كانوا مركوبين بمنطقة زرقاء و يدينون بنجاتهم لكون الشرطي الذي اقترب منهم يكون قد استنتج أنه يتعامل مع مجموعة عمال بلاطين أميين ينتظرون رئيسهم و يجهلون تماما استعمال العداد، و يُحتمل كذلك أن يكون قد فضل طلب تعزيزات، و لهذا السبب قرر أوراعي التراجع .

و حسب النسخة الأصلية لمحاكمة المنظمة الخاصة، أُجريت ثلاث محاولات في 5 و 8 و 15 سبتمبر .

(342) م . أوراعي، المرجع المذكور .

العمليات

« في 5 سبتمبر، قام [أوراغي] برفقة عدّور و شرّوق و بكَوش و بن زروقي، و كانوا جميعهم مسلّحين برشاشات، بالتمركز حوالي الساعة التاسعة صباحا بأنحاء وزارة الإعلام.

في 8 سبتمبر تمركز، مع عدّور و شرّوق و بن زروقي و لوارى، بجادة هوغو فيكتور عند الطريق التي كان سيمر منها السيد سوستيل. فشل هذان المشروعان لأن السيد سوستيل سلك طرقا مغايرة عن تلك التي كانوا يترصدونه بها. »³⁴³.

كانت المحاولة الثالثة مبرمجة ليوم الإثنين. و كان قد ذهب « مجيد »، عشية ذلك اليوم، لرؤية أوراغي بشارع شيرش - ميدي حيث كان يسكن هذا الأخير. كان مرور سوستيل بوزارته محتملا دون أن يكون مؤكدا تماما. كان يجب إذن تفادي استعمال الوسائل الكبيرة. و بذلك كان يكفي وجود مناضلين يعملان كتغطية.

و كالعادة، كانت مسؤولية تعيين الرجال، الذين من المفترض أن ينضموا إلى الفريق، تعود إلى مولود. ولقد اعتاد أوراغي على العمل مع بكَوش و بن زروقي و لكن، في اللحظة الأخيرة، عاد « مجيد » لرؤيته و أبلغه عن إبطال الأمر فيما يتعلق برفيقه. و كان عليه أن يقبل، عوضهما، بمناضلين أوصى بهما مسؤوله و هما : اسماعيل عدّور و شرّوق عبد الحفيظ.

و كان من الصعب، لتسليحهما، الذهاب إلى سانت ميشال لاسترجاع الأسلحة التي سلموها إلى المناضلين الآخرين، فسحب أوراغي أسلحة من المخزن المودع بغرفته : رشاشان و مسدّس.

« في اليوم التالي، جمعت الفريق و شرحت لهما ما كان يجب فعله و كيفية القيام بذلك. على الساعة التاسعة و النصف، كان يجب أن نكون مستعدين لإطلاق النار. أخذت معي مسدسا إضافيا، باريي من نوع 9 ملم. كنت أقول لنفسي أنه إذا ما وُجد « سعيد » في الأنحاء، سأضع المسدس بين يديه كي لا

(343) محضر غرفة الاتهام لباريس، المرجع المذكور، ص 21.

يجد ما ينتقدنا عليه كما جرت العادة أن يفعل كلما كانت تفشل محاولتنا السابقة. و لكان سيملك بذلك الوسائل للمشاركة مباشرة في العملية.³⁴⁴

عند وصولهما من المغرب، وُضع عددٌ و شروق في مخابئ منفصلة. و لقد كان انتظار تعليمات جديدة و أمر الشروع في العمل انتظارا طويلا و صعب الاحتمال بالنسبة لرجال طُلب منهم التقيد بالسرية التامة. و لم تتمكن الشقق الجميلة بالأحياء الراقية الباريسية، التي كانا يختبئان بها، و لا الضيافة الحسنة لأعضاء الشبكات المكلفة بإيوئيهما، من التخفيف من إحساسهما برهاب الاحتجاز الذي ظهر عندهما بعد عدة أسابيع من انحباسهما. و بعد أن وُضع، بـ 5 شارع فرانكلن³⁴⁵، بغرفة نوم صغيرة في الدائرة السادسة عشرة، انتهى بهما المطاف إلى عدم احتمال نفسيهما لشدة تأثير هذا القرب داخل الغرفة الضيقة عليهما. فقام كلاهما بمخالفة التعليمات أحيانا و كانا يخرجان في المساء للتجول أو يذهبان إلى السينما كما كان يفعل شروق مسلحا و مصمما على إطلاق النار في حال حدوث حادثة. و بطبيعة الحال، كان « سعيد » و « مجيد » يجهلان الأمر.

و في 5 سبتمبر، ذهب أوراعي لرؤيتهما لتدبير كمين لسوستيل. و بعد فشل هذه المحاولة الأولى، دُبّر كمين آخر بعد عدة أيام، و لكن اضطرّوا إلى إلغاء المحاولة الثانية، إذ كانوا بجادة كليبير، و هي جادة قليلة الزحام، و تفتن صائغ إلى وجود رجلين، تبين له أنهما يحرسان لأنهما كانا متمركزان على مسافة متساوية من جانبي الرصيف، و بما أنه كان خائفا على متجره فقد استدعى الشرطة.

و في الواقع، هذا هو السبب الذي دفع « مجيد » إلى جمع أقل عدد ممكن من المناضلين للمحاولة الثالثة. كانت الفرق الأولى مكونة من ستة أو سبعة رجال مدججين بالأسلحة، و كان هذا الأمر يلفت النظر بحي قليل الزحام و توجد به مصارف و محلات راقية عديدة. و بذلك، فوجود « شمال إفريقيين » لا يملكون شغلا معينا بالمكان لا يمكن إلا أن يثير أسوأ الظنون عند العديد من الكهنة و الحراس الآخرين لهذه الأماكن المعروفة.

« و بعد أسبوع آخر، جاء « مجيد » شخصيا لرؤيتي عشية المحاولة الثالثة و قال لي : « لقد أضعنا وقتا أكثر من اللازم، و حوّلنا عددا كبيرا جدا من

(344) المرجع السابق.

(345) من المرجح أنها جادة فرانكلن دلاتور روزفلت بالدائرة السادسة عشرة بباريس.

المناضلين . ستقسم الفرقة و يتمركز كل واحد من الأعضاء الثلاثة الذين يكونونها بمواقع مختلفة . سيتمركز الأول أمام الوزارة و الثاني أمام إشارة المرور ... إلخ [...] أعلمني مولود أنه سيكون هو أمام إشارة المرور مع اسماعيل عدور، في حين كان يقع على عاتقي تغطيتهما من الرصيف المقابل . و لم نتفق على أي إشارة . كان ذلك يوم 15 سبتمبر .³⁴⁶

اهتمت حرايف زينة، عند عودتها إلى مرسيليا بعد أن فككت جماعة المنظمة الخاصة التي كانت عضوة بها، اهتمت بصيانة و نقل الأسلحة المخصصة لـ « فرق التدخل » و لعمليات تعقب أهداف محتملة للمنظمة الخاصة . و بما أنها شاركت في حفظ عادات سوستيل لمدة ثلاثة أشهر أو أربعة، باتت تعرف الضواحي معرفة جيدة . و إضافة إلى ذلك، كانت هيئتها الأوروبية و عيناها الزرقاوان ما يلزم بالتحديد لتغطية « مجيد » الذي كان هو نفسه متنكرا جيدا . كان ملتحيا لحية عقدية و يرتدي بزة و ربطة عنق و يحمل جريدة مطوية بيده، و كانت زينة بجانبه تحمل مظلة، و كانا يبدوان حقيقة كزوج من الناس الجادين يتحدثان بهدوء عن قضية مهمة ما .

« بعد دراسة المسألة، أدرکنا أن السيارة التي كانت تُقل سوستيل كانت، عند ذهابه إلى وزارته، تتوقف أغلب الأوقات عند إشارة المرور كلما كانت تصل إلى مفترق الطرق بإتوال . و كان يحدث ذلك دائما بين الساعة الثامنة و الثامنة و النصف . فقرّرنا القضاء عليه هناك . كان معنا الأخوان الإثنان اللذان كانا مكلفان بإعدامه، و كنت و آيت مختار مكلفان بالحراسة من بعيد . كان عليّ أن أعطي لهما الإشارة، و بما أنني كنت أعرف جيدا سيارته و سائقه، فكان عليّ أن أفتح مظلتي عند مروره . شهدت عملية إطلاق النار [...]³⁴⁷ .

يبدو أن الروايات تختلف في هذه النقطة الأخيرة، نقطة الإشارة . ربما كانت هذه الإشارة موجهة إلى فريق آخر متمركز في الأرجاء، لكن مولود تحرك بعد إشارة أخرى صدرت من « مجيد » .

« تمركزنا على طول جادة فريدلاند و انتظرنا الإشارة التي من شأنها أن تنبئنا إلى مرور سوستيل . كان آيت مختار المكلف بذلك من خلال فتح الجريدة، التي

(346) ع . شروق، المرجع المذكور .

(347) ز . حرايف، المرجع المذكور .

كان يحملها بيده، بكامل عرضها. كنا قريبين من ساحة إتوال و كان هناك الكثير من الشرطيين، و عندما أُعْطِيت الإشارة، بدأت أبحث عن السيارة المعنية. كان من المفترض أن تكون سيارة دس و كانت الإشارة المتفق عليها لا تزال تُلَوَّح و لكنني أطلت قليلا قبل أن أُلَمَح السيارة. كانت في الصف الثاني بالنظر إلى الرصيف الذي كنت واقفا عليه. و عند مفترق الطرق، كانت الإشارة حمراء و كانت السيارة متواجدة وسط صف طويل يجعل من فرارها أمرا مستحيلا. كانت وضعية مثالية لتنفيذ مهمتنا. كنت أنظر باتجاه زملائي. كانوا جميعهم هناك لكن رشاشاتهم كانت لا تزال مُخَبَّأة تحت مُشمعاتهم إذ كان يبدو أنهم لم يروا الإشارة و لم يكونوا بذلك مستعدّين للهجوم. ³⁴⁸.

حدث إرتباك إذن في البداية أكّده شروق الذي كان قابعا في مكان جانبي على الرصيف المقابل. كانت الجادة واسعة جدا و الازدحام كبيرا، فكان تدفق السيارات يعيق من حين لآخر رؤيته، و وجد صعوبة في لمح عدور و أوراغي، ثم فرقع صوت رصاصة. لم يكن متأكدا من ذلك، قد يكون صوت أسطوانة الانفلات. و من الجانب الآخر من الطريق كانت العملية تستمر.

» اندفعت نحو السيارة الوزارية. كنت على يمين الجادة في حين كان سوستيل جالسا على مقعده ينظر من اليسار، فلم يكن باستطاعته رؤيتي في اللحظة التي كنت أتجاوز فيها عقبة الصف الأول من السيارات متجها نحوه. كانت زجاجة نافذة الخلف اليمنى مفتوحة حتى نصفها. أخرجت مسدسي و وجهته نحوه. كان السلاح يكاد يلمس الصُّدغ. ضغطت على الزناد. لم تنطلق الرصاصة. كان يجب الإسراع. رميت الرصاصة الأولى و أطلقت الثانية، و في غضون ذلك، أدرك سوستيل ما كان يحدث فرمى بنفسه تحت المقعد في الوقت الذي أطلقت فيه الطلقة الثانية. كانت الرصاصة قد لامسته ثم بدأ الحارس الشخصي بإطلاق النار لكنه لم يُصِبنِي. كنت لا أزال في مستوى المقعد الخلفي. كان مسدسي، الذي كنت أعرفه جيدا، من عيار 11.43 و كنت أعرف أن رصاصاته ستخترق باب السيارة. فأطلقت رصاصة ثانية فثالثة، لكن هذه الرصاصة لم تنطلق إذ تعطل

(348) م. أوراغي، المرجع المذكور.

السلاح من جديد. آن الأوان كي أنسحب. قد أطلقت خمس رصاصات و كان من المستحيل أن أسمح بأن يُقبض عليّ. »³⁴⁹.

في تلك اللحظة، لمح شرّوق مولود يركض صوبه و شرطيّين يطلقون النار في جميع الاتجاهات. لم يعد هناك مجال للشك، من الجانب الآخر من الطريق، شُنت العملية. حدث الأمر بسرعة كبيرة لدرجة أنه لم يتسن للحارس الشخصي الوقت ليرد الفعل. كان أوراغي قد عبر الجادة و وصل إلى الأدراج المؤدية إلى المترو. توقف ليرى رد فعل زملائه. بدأ شرّوق، الذي تأكد من أنه سمع طلقات نار، بالتصرف هو بدوره و أفرغ مُشط رشاشه على سيارة الوزير. رأى مولود يتجه نحو المترو، فتبعه. و عند درجات مدخل المترو اعترض طريقه رجال مهددون حاولوا محاصرته ولكن سرعان ما تراجعوا عند رؤيتهم للرشاشة. رجع أدراجه و انعطف مع طريق مجاورة لجادة فريدلاند ؛ وجد صعوبة في إخفاء السلاح المعلق بإحكام على صدره، ولم يكن بإمكانه التخلص منه كذلك لأنه كان سيضطر لذلك إلى انتزاع سترته و ممطرته. و كان عدد الناس الذين كانوا يطاردونه يزداد أكثر فأكثر.

« كانت القطعان تطاردني عبر شوارع الحي صارخين : قاتل ! أمسكوه ! و بعد ذلك، كان الأمر يشبه فيلما. بدأ كل واحد يرشقني. ألقى أحدهم منفضة سجائر على رأسي. و حتى من الشرفات كانوا يحاولون إصابتي برمي خليط من الأشياء. كنت أختبئ خلف الأشجار، و كلما كنت أتوقف، كان الناس يتراجعون إلى الوراء و يُدبرون خوفا من أن أطلق النار. »³⁵⁰.

كان شرّوق قد سأل أوراغي من قبل إذا كان من الممكن تسهيل عملية الانسحاب باستخدام سيارة ما، ولكن هذا الأخير أجابه أن المشكل لم يكن في العثور على سيارة و إنما في العثور على مكان يركنون به السيارة في هذا الحي البرجوازي الملعون. كان على شرّوق إذن أن يتخذ تدابير عاجلة لتفادي تخليف ضحايا من بين المدنيين لأن التعليمات كانت واضحة، وحده الهدف المحدّد يجب أن يُصاب بالأذى، لا يجب إصابة

(349) المرجع السابق.

(350) ع. شرّوقي، المرجع المذكور.

المدنيين. أوقف سيارة مارة واحتلّ المقعد قرب السائق، ولكن بعد فوات الأوان لأن شاحنة صغيرة كانت قد اعترضت الطريق. أطلق عليه الشرطيون الرصاص وأصابوه.

« أطلقت الرصاص لمرات عديدة على الشرطيين الذين كانوا مختبئين وراء الأشجار. كان السائق، الذي فتح الباب للفرار، قد توقف فجأة عندما أحس بالسلاح في ظهره. لم يتوقف الشرطيون عن إطلاق النار ولا زلت أتساءل كيف لم يصيبوا السائق الذي كان يصرخ : أنا فرنسي ! لا تطلقوا النار ! فرغت لديّ الذخيرة. اخترقت الرصاصة الأولى قوس حاجبي اليساري وخرجت من قوس الحاجب اليميني. أفلت المسدس من يدي و سقط بالمقعد الخلفي. كنت أرى دمي على واقية الريح فيما كنت أنحني ببطء على المقعد. أصابتنى رصاصات أخرى بالبطن. »³⁵¹.

وصل الشرطيون و رموا الجسد الهامد فوق مجرى الماء. ما العمل بهذا الجسد الذي كان يبدو ما يزال يتخبط قليلا ؟

« تركوني ملقى هناك لفترة، في حين كانت الغوغاء تزداد، ثم سحبوني على الرصيف. كنت أحسّ بأعضائي مخدّرة ولم أعد أعرف إن كان الأمر حقيقة أو كابوسا. كان البعض يبصق عليّ و كان البعض الآخر يرغب في ضربي، لكن الشرطة لم تسمح لهم بالاقتراب مني. كنت مغطى بالبصاق ثم تمكن مدير شرطة متقاعد من تهدئة الجمع الغفير، على الأقل هذا ما قيل بالمحاكمة التي شهد بها. مرت ساعة قبل أن تجيء سيارة إسعاف الشرطة لأخذي. سمعت شرطيا يلعنني بسبب ثقلي [...] توقفت سيارة الشرطة للحظة وبدأ الشرطيون يتكلمون عن مولود الذي تم اعتقاله. [...] كنت عاجزا عن الحركة تمام العجز و كنت لا أزال أنزف. ربما كانوا ينتظرون أن ألقى حتفي جراء نزيف حاد. كانوا يتحدثون حين قال أحدهم أنني لم أمت بعدُ و أنه كان يجب القضاء عليّ. سمعت ضجة كبيرة. أخرج كل واحد منهم سلاحه و صوّبه نحوي. بدأت أتلو الشهادة. طبعاً كان الأمر صعباً، كنت أحس بأن رأسي سينفجر إلى أجزاء صغيرة، ثم قال أحدهم : « لن نقوم رصاصة بتغيير أي شيء، سينفق في كل حال من الأحوال. » بدأ عندها كل

(351) المرجع السابق.

العمليات

واحد يوسعني ضربا ؛ منهم من ضربني بعقب سلاحه و منهم من ضربني بالدبوس و منهم من ركلني . كان جسدي مخدرا، و بعد أول أربع أو خمس ضربات ، لم أعد أحس بشيء . دام ذلك لفترة من الزمن ثم أُغمي عليّ .³⁵²

من جهته، اندفع أوراعي عبر مدخل المترو، و لكن سرعان ما وجد نفسه محاصرا من قبل فريقين من الشرطة توجهوا إلى المحطة من مداخل عديدة. خلفت طلقاتهم العشوائية ميتا و سبعة جرحى من بين المدنيين الذين كانوا يتواجدون بالمحطة. علق مولود خلف بُوية الرصيف التي بقيت بغرابة مفتوحة و أُلقي عليه القبض دون أن يُبدي أي مقاومة. و عند وصوله إلى سيارة الشرطة، استُقبل بالركلات و الضربات بأعقاب السلاح. كان مقيد اليدين و حاول الدفاع عن نفسه لكن عبثا لأنه فقد الوعي بسرعة.

اتجهت سيارتا الشرطة نحو المستشفى و وصلتا، في الوقت نفسه تقريبا، عند مدخل المستشفى. أُلقي الجسدان مباشرة على الأرض على بعد عشرات الأمتار من المدخل.

« عُدت إلى وعيي في تلك اللحظة. كان هناك صفان من الشرطة على طول الممر، و في المقدمة كانت هناك مجموعة من الأشخاص يرتدون بدلات بيضاء، و هم أطباء و موظفو المستشفى. رأيت مولود الذي كان قبلي يوسع ضربا و هو يحاول الوصول إلى مدخل المصلحة، في حين كنت أزحف على أربع غير قادر على المشي. لم يُصَب مولود خلال الاشتباك مع الشرطة، لكنه أُبرح ضربا في الحافلة و في ممر المستشفى الشهير. مُزّق طحاله و كُسرت العديد من أضلعه و عانى من أضرار أخرى كثيرة. لم أُضرب بقدر ما ضُرب لكنني أتذكر تلك اللحظة و كأنها الطريق المستقيم (الطريق المؤدي إلى جهنم). كان موظفو المستشفى، الذين لم يجرؤوا على الخروج من أسوار المستشفى، يشجعونني بنداواتهم : « تقدم قليلا ! أسرع » و عندما وصلت إلى الباب، سُحبت إلى الداخل .³⁵³

لتقديم تقريره، كان على آيت مختار أن يتأكد من أن فشل العملية يعود إلى مصادفات مؤسفة و ليس إلى ارتكاب الكومندوس المكلف بالعملية لأخطاء. لما

(352) ع. شروق، المرجع المذكور.

(353) المرجع السابق.

أدخله أحد عناصر شبكة « أبولكر » إلى ساحة قسم الشرطة حيث رُكنت السيارة الوزارية، تحقّق من أنّ السيارة أُصيّبت بالفعل من اليمين و من اليسار بطلقات نارية. وفي الأخير، فإن حرايف زينة هي التي خلصت إلى الاستنتاج بخصوص عملية « سوستيل » هذه.

« بالرغم من فشل هذا الهجوم، كنا قد بلغنا هدفا آخر و هو خلق جو من القلق. فقد استعمرنا البلد تقريبا. من قبل، عندما كان يصعد جزائري إلى قطار بالمترو، كان الفرنسيون ينزلون منه أو يغيّرون القطار في المحطة التالية. أما بعد موجة الاعتداءات، كنت أرى عمالا مرهقين، حاملين حقائبهم على ظهورهم، يصعدون إلى المترو، و كنت أقول لهم بالعربية بالرغم من أنني مُنعت أن أتكلّم بلغتنا « هل ترى كم أنهم خائفون منّا ؟ » كنا نضحك من الصميم و كان ذلك يسعدني لأنه، قبل ذلك، لم يكن الناس يرغبون حتى في الجلوس أمامهم احتقارا لهم أو احتراسا منهم. »³⁵⁴

قنبلة برج إيفيل

في 24 سبتمبر، أشارت تقارير الشرطة إلى اكتشاف خادمة لحقيبة مفخخة بالطابق الأخير من برج إيفيل : « الرمز العالمي و البريء لمدينة الأنوار » حسب أقوال الصحافة. و بالفعل، يبدو أن هذه القضية أثارت جدلا لأن مصالح دعاية الحكومة الفرنسية، و على عكس الواقع، أرادت أن تنشر، بواسطة الصحافة، فكرة أن الاعتداءات تستهدف أشخاصا أبرياء أو أعمالا فنية من التراث العالمي. فيكون الهجوم الذي شنته جبهة التحرير الوطني بذلك ليس عملا سياسيا بأهداف سياسية، و إنما عمل همجيين جاهلين و مدمرين.

كانت عائشة عليوات وقتها قديمة في الميدان، كما يمكن تسميتها، عندما ضُمت إلى المنظمة الخاصة. و لقد صنعت لها مشاركتها بـ « فرق التدخل الريفي » سمعة متينة أكثر من عدد كبير من المناضلين الرجال. و بما أنها ثمرة زواج مختلط، فمنذ أن انضمت إلى جبهة التحرير الوطني، كان يُطلب منها أشياء أكثر من غيرها. و كانت هي بنفسها تطالب بالمزيد كي تثبت نفسها أكثر، و لم ترفض يوما تأدية

(354) ز. حرايف، المرجع المذكور.

العمليات

أي مهمة حساسة أو خطيرة. وقد طُلب منها حتى أن تقوم بدور الممرضة وأن تقدّم الإسعافات الأولى لمصابي الحرب. وعندما شُنَّ هجوم أوت، كانت هي التي قامت، بالإضافة إلى المهام الأخرى التي كلفت بها، بنقل المتفجرات. وأصبحت سمعتها عندها رهيبة. كانت تُثير الإعجاب، ولكن كان القُرب منها يعدّ أمراً خطيراً.

« يبدو لي أنني كنت أنقل قنابل كان يرفض الرجال لمسها. كان البعض منهم يقولون لي « عائشة، قنابلك، أخاف منها » ولقد قتلت يوماً مناضلين. كانت هناك قنابل من مختلف الأنواع، جميعها مصنوعة يدوياً من قبل « لوباريسيان » الذي عملت معه كثيراً، أو من قبل محمد « لوماروكان ». كانت بعض القنابل بسيطة التركيب مع 200 م من السلك الذي ينفجر عند التقاء الأطراف. وكان البعض الآخر معقداً أكثر. كانت مصنوعة بيد محمد « لوماروكان » بأنابيب جميلة لكنها تسببت في هلاكه في الأخير. ثم حصلنا فيما بعد على القنابل الموقوتة كتلك التي وضعت ببرج إيفيل. في البداية، كان بحوزتي العشرات من القنابل السلكية التي كان علي أن أوزعها بأرجاء باريس. اثنان منها بغانيي حيث كان عليّ اصطحاب « لو باريسيان » كي يذهب ليقوم بدورة تدريب عند محمد « لوماروكان ». أتذكر أنني كنت أمارح المناضلين الذين وجدتهم في نوع من الورشة. كنت أنصحهم بلف الأسلاك جيداً بالجرائد كي لا تلتقي، ثم غادرت برفقة « لو باريسيان » متجهين نحو المحطة عندما سمعنا، على بعد 200 متر منا، دوي انفجار قوي. استدرت ورأيت « لو باريسيان » قد شَحِبَ لونه. قال لي : « اذهب في طريقك، سأذهب لأرى. »، لكنني تبعته مع ذلك.

كان الأمر رهيباً. فقد وجدنا عوض الورشة، حُفرة شاسعة متناثرة بها أشلاء أياد و أرجل. أظن أن فكرة أنه كان بالإمكان أن نكون معهم وقت الانفجار لم تخطر ببالنا و لو للحظة. كنا نفكر في المهمة التي كانت معرضة للخطر و إلى ضرورة إعلام المسؤول بالأمر كي يتخذ التدابير اللازمة. [...] . »

ثم في يوم من الأيام ذهب « مجيد » لرؤيتها.

« — بما أنك تطلبين دائماً المزيد، ستضعين قبلة.

سأضع ثلاثة إذا أردت. »

كانت عائشة مسرورة لأن « مجيد » اختارها لتأدية هذه المهمة، واشتدَّ إعجابها بالمسؤول عن العمليات أكثر لذلك .

« - ستضعينها ببرج إيفيل . ستبحثين عن مكان تحت هوائي التلفاز و آخر داخل غرفة يوجد بها تمثال عرض و نظام استقبال تبث منه اتصالات الشرطة . سيكون عليك أن تنتظري مغادرة جميع الزوار . »

و لكي تتأكد من مخطط المكان، قصدت عائشة المكان حوالي السادسة مساء و صعدت إلى قمة التحفة الحديدية . هناك أخذت، بواسطة خيط، القياسات التي طلبها منها شايب عبد السلام « المروكي » ليعدَّ الشحنات و نوع جهاز الإشعال . و بعد ثلاثة أسابيع من الانتظار، وصلت المعلومة أخيرا لعائشة، ستنجز المهمة غدا اليوم التالي . سيكون عليها قبل ذلك أن ترى المختص في المتفجرات الذي فسر لها أنه جاء، هذه المرة، بنظام متميز . « هذه القنبلة ليست من طراز تلك التي اعتدت على حملها حتى الآن . تعالي غدا على الساعة الثالثة ، سأشرح لك . إنها تعمل عكس الساعة ... »

في اليوم التالي، على الساعة الثالثة بعد الظهر، لم يكن يوجد بالورشة إلا الحارس . كان « المروكي » قد غادر عند منتصف النهار و لم يعد بعد . كان فنانا في مجاله، و كان عيسى عبد الصمد يفتخر بذلك . كان يطلب من حرفي فرنسي أن يصنع له أنابيب حديدية جميلة طولها من 20 إلى 30 سم مع قعر صلب جدا و غطاء قابل للتحريك مثبت بمسمارين مُلوَّبين، و كان قد أوصى بصنع العشرات منها لمواجهة الطلب الملحّ لقادة المنظمة الخاصة . لكن هذا الطلب الأخير أثار فضول الحرفي العطار و تسبب في هلاك رجلنا . عاد حارس الورشة الذي ذهب ليستعلم و هو في حالة من القلق المضاعف، فبالإضافة إلى أن شايب اعتُقل و اغتيل بمركز الشرطة، كانت دوريات تحوم في الأرجاء بحثا عن الورشة دون شك .

« كان شايب قد وُضع تحت تصرف مجموعة المنظمة الخاصة الباريسية و كان مكلفا بصنع القنابل، و بالخصوص متفجرات لهذا الفريق . و يثبت التحقيق أنه قد تم إيواءه بمقر سري من مقرات المنظمة الخاصة بـ 33 شارع غرونيي سان لازار (الدائرة الثالثة) ؛ و بأنه كان يملك مقرا سريا آخر بـ 8 شارع سيموني يضع فيه

العمليات

المتفجرات و يصنع به القنابل . استُجوب شايب و اعتُقل في 19 سبتمبر 1958 عندما جاء يطلب صنع أنابيب و أغطية للقنابل . انتحر بأوتيل - ديو، لكن تفتيش مقر شارع سيموني سمح لنا باكتشاف 17 من خراطيش ديناميت و حزمة من الأسلاك الكهربائية و لترا من حمض الكلودريك .³⁵⁵ .

بالإضافة إلى القنابل، كانت توجد هناك كذلك مبالغ مالية كبيرة، و هو أمر لم يكن يجب أن يحدث في الأساس . كان يجب إخلاء المكان على جناح السرعة . ذهبت عائشة إذن حاملة قنبلتيها و قررت وضعها في اليوم التالي .

« ذهبت لقضاء الليلة عند « مارسيل »، و هي شابة صغيرة جميلة جدا عمرها 16 أو 18 سنة . كانت مكلفة بمساعدتي . تركت القنابل بمنزلها، خفية عن والديها، اللذين كانا هما بدورهما، دون علمي، يستقبلان مسؤولين سياسيين لجهة التحرير الوطني . كانوا يقطنون قرب بورت دو لا فيليت بطابق تحت أرضي مهياً . قررت ألا أفارقها قيد خطوة و أن أنام معها . و في اليوم التالي، رأيت حمادة الذي أكد لي موت المتخصص في المتفجرات و لكنه كان يجهل إن كان ذلك انتحارا أو اغتيالا .

حضنت قنابلي كالدجاجة التي تحضن بيضها خوفا من أن أعطى أمرا معاكسا، ثم جاءت لحظة تركيبها . قال لي المتخصص في المتفجرات : « عكس سير عقارب الساعة »، لكن ذلك لم يوضح لي الأمر . عبأت آلية القنبلة و ضبطتها على الساعة السادسة . بدأت الساعة الأولى بإصدار تكتكاتها أما الساعة الثانية فبقيت صامتة بتعتت . أدرتها في جميع الاتجاهات، زعزعتها، ضربتها بشدة . أدت العقارب أربع مرات دورة كاملة على ميناء الساعة دون جدوى . قررت إذن حمل قنبلة واحدة لأن المساء كان قد حلّ . استقلينا سيارة . كانت القنبلة مخبأة داخل مسندة و كان يتهى لي أن الجميع كان يسمع تكتكاتها داخل مصعد برج إيفيل . كانت الساعة السادسة مساء، و كان لا يزال هناك الكثير من الناس . كان قد خُيل لي أن ما كان يهم الأكثر هو تدمير جهاز إرسال الشرطة . كان يجب إذن أن أضع القنبلة بالمراحيض التي كانت المكان الأقرب من الهدف . في تلك الفترة، كان الزوار يصعدون حتى الطابق الأخير، و عندما صعدت إليه أصابني دوار إلى

(355) محضر غرفة الاتهام لباريس، المرجع المذكور، ص 15 .

درجة أنني استندت على الحائط . كانت البناية تترجرج قليلا بسبب الريح، كنت و كأن منفذ هواء كان يجذبني إليه . كنت مشلولة . لم يعد باستطاعتي التحرك . كانت الشابة، التي كانت تترصد، تروح و تجيء ثم تقول لي : « ما يزال يوجد ناس » . كنت أشعر بالغثيان، و لم أكن أتوقع هذا قط، و خاصة نسيت أمر القنبلة تماما . »³⁵⁶

و في نهاية المطاف، استجمعت عائشة قواها و تماكنت نفسها . أين تضع القنبلة ؟ كانت الأماكن التي يمكن وضع القنبلة بها مكشوفة جدا و ضيقة جدا . أجلت العداد بعشرين دقيقة إضافية ثم جاءت إليها الشابة الصغيرة مارسيل لتبلغها أن الجميع يبحث عنها للنزول، فاتخذت عندها قرار وضع القنبلة وراء الكرسي الإنجليزي تحت حنية الإفراغ و غطتها بجرائد .

كانتا سعيدتين عندما نزلتا أسفل البناية، مشيتا بضع خطوات و انتظرتا الانفجار لكنه لم يحدث . كانت عائشة مكلفة بالاهتمام بجريح كان ينتظرها ببوندي كي تُغير له الضمادات . تركت مارسيل عند منزلها و انتظرت بفناء مخبئها إلى غاية منتصف الليل أن يحدث الانفجار . لا شيء . انتابها القلق، فاتصلت في اليوم التالي بـ « حمادة » (مزرارة محمد، قائد المنطقة العسكرية الثانية) عبر الهاتف، و قالت له :

« - أخذت زوجة الأخ إلى المستوصف، لم تلد، سأذهب لإحضارها .

لا تتحركي، سأرسل لك أحدا . »

« وصل سداوي الذي كان قائدنا الكبير . لم يفارقني قيد خطوة طيلة الوقت الذي كنا نتسكع فيه من مقهى إلى آخر . كنت أطلب منه أن يدعني أذهب للبحث عن القنبلة، ربما تعطل شيء فيها خاصة أن الأخرى لم تُرد أن تشتغل . تركني بمقهى على الساعة الرابعة بعد الظهر ثم عاد بعد آونة بابتسامة كبيرة . »
انتهى الأمر، لقد وجدنا قنبلتك !

نعم، لكنها لم تنفجر !

خاب أُملي بشدة، و لكنني فهمت في تلك اللحظة السرور الذي كان يظهر على وجه سداوي . كان قد ظن دون شك أنني لم أضع القنبلة... و عند قراءتي

(356) ع . عليوات، المرجع السابق .

للجريدة فهمت الإرشاد الموجز للمختص في المتفجرات « عكس سير عقارب الساعة »، كان علي أن أعبئ الساعة بـ 24 ساعة مسبقاً. كانت القنبلة ستنفجر إذن في اليوم التالي على الساعة السادسة لكنها اكتشفت من قبل زائر وقام بتبليغ الشرطة. ³⁵⁷ .

لكن هموم عائشة لم تنته عند هذا الحد، ذلك أن القنبلة الثانية كانت لا تزال بمنزل « مارسيل »، و كان يمكنها أن تنفجر في أي لحظة و تؤدي بحياة مسؤولين بجبهة التحرير الوطني. وفي الأخير، حل الإخوة المشكل و هنا القادة عائشة على عملها الباهر. هذه القنبلة التي لم تنفجر أحدثت، مع ذلك، ضجة كبيرة، و أثارت الصحف صحبا كبيرا بشأنها. ولكن، تعليق رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في الواقع، هو الذي ألم الأكثر مناضلي المنظمة الخاصة، الذين يحملون له، إلى يومنا هذا، شيعاً من الضغينة. بالفعل، في 25 سبتمبر، كان تعليق الرئيس الجديد للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، عباس فرحات، يُلمح إلى أنه يتبرأ من العملية المعنية. ففي جواب قدمه لصحفي بجريدة تاغ الألمانية الذي سألته عن معنى « الهجوم الإرهابي بباريس »، أجابه أن « فيدرالية فرنسا كانت تطلب منذ زمن موافقتنا، فمنحناها إياها منذ أسابيع قليلة موضحين أنه على الاعتداءات أن تستهدف حصراً الأهداف الاقتصادية والعسكرية. هكذا هي الأمور ! عند احتداد القتال، تُخالف الأوامر في كل مكان. » ³⁵⁸ .

الجنوب يلتهب

منذ تاريخ 14 جويلية، وهو التاريخ الذي أُرسل فيه إلى مرسيليا لمساعدة عيساوي، انطلق محمد أوزناني في نوع من السباق مع الزمن لإعادة تشكيل فرق وصناعة القنابل و تعليم مناضلين كيفية استعمالها. ولم تكن المعدات التي وجدها بعين المكان مواتية إطلاقاً، فاضطر، بمساعدة بلحّواس، إلى مضاعفة المجهود ليكون على استعداد عندما يحدد التاريخ. و بعد أن شغل لوقت مسكن ناديه بحي بال دو ماي، غادره ليستأجر شقة عند فرنسية بلاكوت روج. كان يبدو ذلك المكان أكثر أماناً لأن شقة ناديه كان بها ذهاب و إياب غير منقطع للمناضلين،

(357) المرجع السابق.

(358) ذكره : A. Haroun, *Cp.cit.*, pp. 109 – 110

بالإضافة إلى أن المقرر كان يُستخدم في أغلب الأحيان لعقد اجتماعات . و لذلك لم يكن هو المكان المثالي لمتخصص في المتفجرات .

كان عدد من الأهداف قد حُددت لليلة 25 أوت . كانت الأوامر أن تندلع العمليات على الساعة الثالثة صباحا، أما في باريس فحدّدت لمنتصف الليل . و منذ أكثر من أسبوع، لم يذق محمد أوزناني طعم النوم لأنه كان عليه أن يضبط القنابل و أن يعلم أعضاء الكومندوس كيفية استعمال هذه الأشياء الحساسة، بقدر ما هي خطيرة، و أن يعطي التوصيات الأخيرة .

في تلك الليلة، كان جميع الأعضاء المشاركين في العملية ينتظرون بلهفة سماع دوي الانفجارات التي كانت ستخلصهم . كان شريف مزيان المدعو « ديدي » و مختار صغير نادية المدعوة « لوفيشي » يتسكعان بشوارع مارسيليا، متنقلين من مقهى إلى مقهى . و لم يحدث الانفجار إلا على الساعة السادسة صباحا .

« عندما رأينا ألسنة اللهب تصعد إلى السماء سعدنا . بدأت بعدها صفارات إنذار الشرطة و سيارات الإطفاء ضجتها . تم تحقيق المهمة، فذهبنا للنوم . »³⁵⁹ .

كان أوزناني، له صلة وحيدة مع الخارج هي الشابة أنطوانيت، ينتظر، في ملجئه بكوت روج، الجرائد ليستعلم عما نجح و عما فشل . و قد نجا كل من مصنع أوز دو مارتينيز و مستودع الغاز الذي يحاذيه من خطر حقيقي لأن القنابل الثلاث التي وضعت هناك لم تنفجر . تساءل محمد أوزناني عن السبب، فنظرا إلى الطابع المختلط للمعدات المتحصل عليها من محاجر المنطقة، وضع صاعقين عوض واحد . على كلّ، وقع خلل في مكان ما ...

كان يجب عليه أن يفكر في الأهداف الأخرى، و من بينها وسائل نقل الجيوش و سفن حربية أخرى من سفن الملاحاة الفرنسية . كان يوجد بالميناء نظام حراسة يعزل تماما البواخر و كان الاقتراب منها أمرا في غاية الصعوبة إذا لم تكن من الداخل . كان شريف مزيان قد كلمه عن جزائري منخرط في جبهة التحرير الوطني يعمل بأرصفة الميناء، و بهذا كان يمكنه التجوال في الميناء بحرية تامة . كان هذا الأخير، بطبيعة الحال، قد سمع عن التخريبات التي كانت تهاجم المنطقة و كان يقبل المشاركة في العمليات، بل كان فخورا جدا لاختيار المنظمة الخاصة له

(359) ن . صغير مختار، المرجع المذكور .

لأن وحدة القتال هذه بدأت تثير إعجاب الجالية الجزائرية برمتها. لكن المشكل هو أن عيساوي، بصفته المسؤول عن عمليات جنوب فرنسا، لم يكن مقتنعا بنجاح هذا المشروع إذ لم يكن يوجد لا البلاستيك المتفجر ولا متفجر ثالث نترات التولوين بمخزون المنظمة الخاصة. لكن رأي أوزناني كان مختلفا. كان الجميع منهمكا بمربأ عائلة بلحواس و كانت الأم، التي رأت أمورا أخرى من قبل، تتساءل ما الذي سيفعلونه ببراميل الـ 25 لتر للحليب تلك.

« كنت أفكر في استعمال أصابع الديناميت المتوفرة بزيادة الكمية. قد لا نتمكن من إغراق السفينة ولكن سنتمكن حتما من إلحاق أضرار بها. قررنا المحاولة، فعبأت برميل حليب من 25 لترا بالديناميت و أضفت له نظاما موقوتا. كان على سفينة «برزدان - كازالي» أن تقلع مع منتصف الليل من الميناء لتتنقل الجنود إلى الجزائر. قررنا إعطاءها بعض الوقت، حوالي ساعتين أو ثلاثة، حتى تكون وسط البحر عندما يحدث الانفجار، ولكن، مع ذلك، ليس بعيدا جدا كي تكون للبحارة فرصة للنجاة. نصحت العامل بالرصيف أن يضع القنبلة بعنبر السفينة و إلصاقها على الجدار، محاطة بأكبر عدد من الحقائق، كي يتجه نسييف الانفجار نحو جدار السفينة بالتحديد. لكن عامل الرصيف وضعها، لسبب أو لآخر، بغرفة الآلات، و على الساعة الثالثة و نصف حدث الانفجار. أرسلت السفينة فوراً طلب النجدة و تمت إغاثتهم مباشرة. »³⁶⁰

أحدثت العملية ضجة كبيرة، ففي اليوم التالي، تصدرت عناوين الصحافة التي أبرزت وجود أطفال جزائريين و فرنسيين على متن السفينة ذاهبين إلى مخيم صيفي. في الواقع، لم يكن هؤلاء الركاب مبرمجين و لم يتخذ قرار إرسالهم إلى الجزائر على متن السفينة الحاملة للقوات إلا في اللحظة الأخيرة. لم يسجل أي جرحى من بين الركاب، و أصيب فقط بعض الميكانيكيين بغرفة الآلات بجروح طفيفة.

و بما أنه هناك دائما خطر إحداث ضحايا بريئة بالهجوم على بواخر تجارية حولت إلى وسائل نقل للقوات، كان من الأفضل التركيز على أهداف عسكرية محضة. لكن استهداف قاعدة بحرية هي، بطبيعة الحال، مسألة عويصة لأنها ليست سهلة البلوغ سهولة موانئ الأساطيل التجارية، فالسفن الحربية محمية

(360) م. أوزناني، المرجع المذكور.

بجهاز رادار و من الصعب تجاوزه بالاقتراب على متن زورق يتحرك على سطح الماء. فكر عيساوي و أوزناني في المسألة جيدا. و لقد كان هناك جزائري يعمل غواصا لدى شركة فرنسية للجرف المينائي. لم يكن بوجمعة مناضلا بجبهة التحرير الوطني و لكن، منذ هجومات جبهة التحرير بفرنسا التي تصدرت عناوين الجرائد، كان هناك الكثيرون الذين كانوا يرغبون في المشاركة و كان هذا الأخير من بين هؤلاء.

« لقد قصّدتنا العديد من المناضلين - رجال، نساء، شبان، شيوخ - للتوصل إلينا بأن نضمهم إلى المنظمة، حتى أن البعض منهم بكوا عندما اضطررنا إلى رفض طلبهم. كان الغواص يدعى بوجمعة، و لقد قبل المشاركة في العملية على الفور، و لكن ظل مشكل تغطيس القنبلة، و بما أنني كنت أحتاج إلى نظام إشعال مغناطيسي، طلبت من عيساوي أن يذهب ليحضر لي جهاز راديو نادية القديم. استخرجت المغناطيس من الجهاز و استعملت هيكل مكبر الصوت لأضع فيه شحنة ملفوفة بالنيلون. كانت قنبلة مصنّعة يدويا تماما. زودتها بصنارة في حال ما إذا غطي الهيكل بالطحالب والأصداف التي قد تمنع المغناطيس من العمل، و بذلك سيكون على الغواص أن يثبتها فحسب بسلسلة الإرساء. كان هدفنا أن نحدث ضجة لا أن نغرق السفينة لأنه، على أي حال، لم نكن نملك شحنة كافية لذلك. »³⁶¹.

و لقد أصيب الهدف، ففي اليوم التالي، أخرجت الصحافة عناوينها على خمسة أعمدة : « رجال ضفادع، دربهم الروس، اقتحموا ميناء تولون و خربوا سفينة جون بارت و طرّاد لو يوفي و غواصة لو دوفان. » لم يفهم عيساوي شيئا و ذهب لرؤية أوزناني.

« لم أكن أملك أدنى فكرة عن الأمر مثله تماما، لا يعقل أن يكون مكبر الصوت المسكين ذلك قد دمر ثلاث سفن حربية. إنها قنبلة ذرية إذن ! ».

في الواقع، اضطر الغواص إلى الفرار لأن مصلحة المراقبة شكّت فيه، و لم يتم القبض عليه يوما لكن الصحافة ضخمت القضية عمدا لأسباب سياسية داخلية.

(361) المرجع السابق.

العمليات

أما القنبلة التي استهدفت جون بارت، فلم تنفجر حتى لكن الضجيج الذي أحدثته الصحافة كان له أثر مدمر أكثر. كان الأمر كذلك كلما اكتُشفت قنبلة.

أما بمعمل تكرير النفط بليتون دو باغ، فقد ترك الكومندوس الشحنة بعين المكان لأن الصاعق لم يعمل. وفي اليوم التالي، وجدت مصالح الأمن الشحنات وأبلغت مصالح إزالة الألغام. قام أربعة رجال بتمشيط الموقع وجمعوا جميع القنابل كلما تمّ إبطال مفعولها في مؤخرة سيارة الجيب التي كانوا يقودونها. قاموا بنزع الصواعق وكانت القنابل بذلك، منطقياً، غير ضارة. ولكن مع ذلك، انفجرت إحدى القنابل مودية بحياة المتخصصين في المتفجرات الأربعة. وأحدثت هذه القضية جلبة كبيرة، إذ استخلصت الصحف أنه تم استعمال نظام إشعال مزدوج غير معروف إطلاقاً. في الواقع، كان محمد أوزناني قد مزج الشدّيت بالديناميت، وهما متفجران لا يفترض، مبدئياً، مزجهما. ومن المحتمل إذن أن يكون احتكاك حراري أو ميكانيكي قد سبب الانفجار رغم غياب الصاعق.

بدأت اعتقالات أعضاء المنظمة الخاصة بالإخلال بسرعة بالنظام الذي تمّ بناؤه. ولم يبق إلا إتمام عملية بور دو بوك مع «موستاش» وأحمد [بريمة؟]، واستمرت بعض العمليات كذلك بالأس ومارتيف ولاغراندي كومب وآرل بالإضافة إلى عملية تخريب بغرنوبل. لكن القمع والاستعمال الممنهج للتعذيب بمراكز الشرطة كان يجب أن يُواجه برد فعل.

كانت أنطوانيت إدريجيري وقتها عميلة ارتباط تابعة للمنظمة الخاصة، وكانت كذلك صلة أوزناني الوحيدة بالخارج. ومنذ أن التحقت بالمنظمة كانت تطلب عدم حصرها في هذا الدور الذي عهد إليها. كانت تريد القيام بالمزيد لأن أصولها المختلطة لا يجب أن تكون بالنسبة لها حجة لاستبعادها. وبذلك وجد المتخصص في المتفجرات، الذي كان يبحث عن وسيلة لدخول مقر الشرطة دون إثارة الانتباه، وجد في هذه الأخيرة الناقل المثالي لجهازه المتفجر.

«لم تكن ترغب في الاقتصار على دورها كعميلة ارتباط وكانت تريد، بأي ثمن، القيام بعمل مأثور. كنا نتكلم عن ذلك في كثير من الأحيان، وبما أنها كانت ترغب في ذلك، فلم لا نستغلها. كان يوجد بقسم الشرطة فريق من الجلّادين أصبحوا مشهورين لاستخراجهم معلومات من العديد من المناضلين

تحت التعذيب . طلبت منها أن تحاول اكتشاف موقع مكتب المفتشين المكلفين بالاستجوابات بالقسم أو إيجاد موقع لن يلحق ضررا بالمدينين . »³⁶² .

ذهبت أنطوانيت إذن إلى قسم الشرطة بحجة البحث عن عمل . كان السبب الذي جلبها إلى القسم معقولا لأنها شابة و ترغب في القيام بعمل مشوق أكثر من إدارة فندق ، وعند طلبها استمارات عن المهن المتوفرة ، قامت بالتجوال حول المكاتب و استطلعت المكان . لم تكن تعلم شيئا عن سبب قيامها بعمل التفتيش هذا ، وفي اللقاء الثاني بأوزناني ، كان هذا الأخير أكثر دقة و أخبرها بأن الأمر يتعلق بوضع قنبلة .

« كان عليّ أن أحصل على حقيبة صغيرة بقياسات محدّدة ، وفي اليوم الحاسم ، أرسلت إلى بال دو ماي لألتقي بأحدهم بحديقة عامة . وصلت نادية و مشينا معا لبعض الوقت ثم ذهبت و بحوزتها الحقيبة ، و عندما عادت مشينا قليلا ثم أعادت لي الحقيبة . كانت القنبلة بالداخل ، ولم يبق عليّ إذن إلا أن أضعها . قيل لي قبل ذلك أنه عليّ أن أضع القنبلة قبل الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، وهي الساعة التي بُرمجت فيها القنبلة لتنفجر . كان المكان المختار لوضعها معزولا كفاية و درست الساعة كي لا تنفجر في وقت خروج الموظفين لتفادي تخليف ضحايا مدينين . [...] ركبت سيارة أجرة و قصّدت المحافظة . [...] كان يوجد ، قبالة مبنى المحافظة المفتوحة للعامة ، مبنى الشرطة . اجتازت المحافظة متجمّلة و مرتدية قفازات صغيرة بيضاء على مرأى من شرطيين يقومون بالحراسة عند المدخل الرئيسي و الذين كانوا يرمقونني بنظرات ودودة . كنت قد موضعت المغاسل الموجودة بالقرب من مكاتب المفتشين ، لكنها كانت منيعة ، و على وجه الخصوص ، مكشوفة أمام أعين الماضين و القادمين . لم أكن أريد أن يتم اكتشافها قبل الأوان . كانت هناك سلسلتان من الأدراج تربطان بين سطوح درج طابقين . و عند هذا المستوى ، كانت هناك نافذتان كبيرتان تطلان على الساحة و كانت توجد أمام إحداها صناديق الإطفاء . و من الجانب الآخر من سطح الدرج ، كان المصعد يصعد و ينزل بلا توقف و ظننت للحظة أنني لن أتمكن من وضع حقيبتني في مكان

(362) المرجع السابق .

ما . و لحسن الحظ، كان أحد صناديق الإطفاء مفتوحا و عميقا كفاية . اضطرت إلى الانتظار لعدة دقائق متظاهرة بأنني أراجع أوراقى لأن المارين كانوا ينظرون إليّ بسهولة . و اغتنمت فرصة لحظة هدوء لوضع حقيبتى الصغيرة داخل صندوق الإطفاء و صعدت من جديد إلى الطابق الثانى لطرح بعض الأسئلة الإضافية ثم غادرت . لم يفطن لي أحد . و عند العودة اتبعت التعليمات بحذافيرها، فغيرت سيارة الأجرة لمرات عديدة و جُبت أنحاء المدينة . و عندما وصلت إلى الفيلا التي كان ينتظرني بها محمد، فهمت فوراً أنني نجحت . لم أسمع الانفجار لكن محمد نعتني **بالفلافة** و كان بقية المناضلين يبتسمون . و لقد أُطلع الجميع عما حدث على موجات الراديو .³⁶³

و في اليوم التالي، وضعت الصحافة من جديد عناوينها الكبيرة . كان الدمار المادي في الواقع ينحصر في بعض الحيطان المتشقة و بعض زجاجات النوافذ المكسورة، لكن الأثر أصاب مباشرة الرأي العام . و أصبح جليا مع هذا النوع من الهجمات أن جبهة التحرير الوطني و المنظمة الخاصة يمكنهما أن يضربا في كل مكان حتى بقلب جهاز الأمن الفرنسي . و ليؤكد على هذه الحقيقة، قام أوزناني باختيار مُفَوَّضية كابلتي، حيث كانت هناك جماعة شرطيين ساديين كانوا يعيشون فسادا منذ بعض الوقت . و كان الهدف الوحيد الذي صنعت من أجله قبلة بغرض القتل، فأرسل إليه كومندوس مزود بقنابل يدوية . كانت كل واحدة منها مصنوعة بخرطوشة ديناميت مع تشكيلة كاملة من الخُرْدُق و الكريات الفولاذية عند الوُصلات، بالإضافة إلى فتيلة لتكملة جهاز الإشعال . و هنا كذلك كان لهذه العملية صدًى كبير .

استطاعت هذه السلسلة من العمليات، التي مست كامل التراب الفرنسي، من تحقيق هدفها . خيّم جو من الخوف في كل مكان و اضطرت الحكومة الفرنسية، تحت ضغط الرأي العام، إلى سحب جزء من قواتها من الجزائر . و وجب كذلك حراسة البنى التحتية البترولية و الموانئ و المطارات . بالإضافة إلى أنه بدأ يظهر، في كل مكان عام و في كل محطة، علاوة على الشرطة و رجال مديرية مراقبة الإقليم، رجال ببذلاتٍ و هم من تلك الفرقة الشمال - إفريقية الشهيرة المكونة

(363) 1. ي . إدجيرى، المرجع السابق .

من جنود خدموا بالمغرب و بتونس يتكلمون العربية بطلاقة و يعرفون عقليات المنطقة الشمال إفريقية. كانت السكك الحديدية بدورها محروسة، و كان قد وضع في بعض الأماكن جندي كلّ مئة متر مع كلب مدرب للكشف عن المتفجرات.

كانت المسألة جدية لأن مصالح فرنسا الحقيقية قد مُسّت و كانت أوساط الأعمال تجد أنّ الخطر لا يُحتمل. لقد فهم مناضلو المنظمة الخاصة ذلك جيدا. و حدث ذلك بعد الهجوم على باخرة برزدان كازالي.

« في تلك الفترة، كان ذلك بالنسبة لي تخريبا مثل غيره و لكننا قمنا، من دون قصد، بضرب مصالح جماعات الضغط الفرنسية و الشركات متعددة الجنسيات. الآن فقط فهمت ذلك. كنا قد مسسنا الشركات متعددة الجنسيات البترولية و قطاع البحرية التجارية حيث كانت مصالح كبيرة، إنجليزية و أمريكية و ألمانية، على المحك. فما دامت الحرب تدور بالجمال كان الجميع مستفيدا، و لكن المساس بمعمل تكرير البترول أو بسفينة تجارية، فتلك مسألة أخرى.

أصبحت الضغوط على الحكومة الفرنسية مباشرة أكثر. و كان على دي غول أن يتفاوض مع « الفلافة ». و كانت كذلك الفترة التي أثّرت فيها مسألة الجزائر بمنظمة الأمم المتحدة. و أظن أن يزيد محمد هو الذي استُقبل، بصفته ممثلا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، استقبالا حافلا من قبل ممثلي العالم الثالث. كنا قد شرفنا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، و كان علينا أن نستمر على هذا النحو. »³⁶⁴.

الهجوم على النائب بن حيلس

كان هجوم أوت 1958، الذي كان لا يزال مستمرا بفرنسا، يؤرق أوساط الأعمال الفرنسية التي رأت مصالحها معرضة مباشرة للخطر من قبل موجة الهجمات. و بدأت الضغوطات على الحكومة الفرنسية تشتد، مما أرغم الجنرال دي غول، الذي سرعان ما تبعه وزيره الأول دوبري ميشيل، على مراجعة مواقفه فيما يخص الحرب و السلم بالجزائر. و من الواضح أن الانفتاح على حل مُناقش، كان يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الثقل السياسي لجيش قد أطاح بالجمهورية الرابعة. من

(364) م. أوزناني، المرجع المذكور.

العمليات

جهة أخرى، قام هذا الجيش نفسه، في الجزائر، بتشديد الضغط على مقاومة جيش التحرير الوطني في الجبال بوضع مخطط شال، الذي يمتد من وهران إلى الشرق، موضع التطبيق. كان الهدف المُعلن يتمثل في سحق المقاومة عسكريا و لم تلبث النتيجة أن ظهرت، في المستوى المادي على الأقل. و كانت النجاحات المحققة من قبل القوات الفرنسية بميدان المعركة لا زالت تؤثر بعض الشيء على التصريحات العلنية للأوساط الرسمية. و في مارس 1959، قدم دي غول، في خطاب ألقاه بقسنطينة، تصريحاً مطمئناً لممثلي الحزب الاستعماري.

« أول شيء أرغب في قوله لكم، تكرار لا يكلّ و ضروري بلا كلل، هو أن فرنسا موجودة بالجزائر و باقية فيها [...] لا يمكن التفكير في الفصل بين فرنسا و الجزائر. »

و في نهاية الشهر نفسه، خاطب العسكريين مباشرة بواسطة الجنرال آلا ر :
« آلا ر، يمكنك أن تخبرهم أننا لن نتفاوض أبداً، أن فرنسا لن تتخلى عنهم يوماً. »

و في أبريل، صرّح الجنرال شال لجريدة لو موند أنه من الممكن أن يوجد حل عسكري. و في ماي و جوان، كانت المواقف العلنية و تصريحات الوزير الأول بمجلس النواب تسير في الاتجاه نفسه.

« [...] الجزائر فرنسية ؟ هل من الضروري قول ذلك بما أن الأمر كذلك ؟ ليس علي أن أعترف بهذه المنظمة [جبهة التحرير الوطني] ... » « لا يمكننا أن نطلب من الجيش أن يقدم تضحيات و أن نقوم، في الوقت نفسه، باتباع سياسة تهدر هذه التضحيات ! ».

و أخيراً، في جويلية، صرح رئيس الجمهورية بسعيدة بالغرب الجزائري :
« طالما أنا حي، لن يرفرف أبدا علم جبهة التحرير الوطني بسماء الجزائر العاصمة ! ».

كانت المواقف واضحة أتم الوضوح. ففي الوقت نفسه الذي كانت تعرض فيه السلطات السياسية على جنود جيش التحرير الوطني عقد « سلام الشجعان »، كانت تبحث عن « محاورين مقبولين » من غير ممثلي جبهة التحرير الوطني. كان عليها أن تتجه نحو سياسة إصلاح العلاقات بين الجزائر و فرنسا لتنفيذ خطط

الإدماج في المجموعة الفرنسية مستقبلا. واستأنف لاكوست روبير محاولات جاك سوستيل لخلق « قوة ثالثة »³⁶⁵، و طلب من المحافظين المكلفين بمهام استثنائية، لومبير و باريت و بابون، بأن يجدوا له مرشحين لاثقين لتقديمهم أمام الرأي العام الوطني والدولي. كان الأمر مستعجلا لأنه، كما سبق أن قلنا، كانت ضغوط أوساط الأعمال تشتت. و كانت هناك كذلك الضغوط الخارجية، فقد كانت جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحرز نقاطا على الساحة الدولية. فكانت الولايات المتحدة، الساخطة على خط دي غول المناوئ للحلف الأطلسي، تدفع في اتجاه إيجاد حل تفاوضي مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. كان يجب إذن، بأي ثمن، تقديم هؤلاء المسلمين المعتدلين القادرين على تهدئة انشغالات الحزب الاستعماري والجيش.

ونجد، في مجموعة المنتخبين المسلمين الجزائريين، مرشحين مثالين بمجلس نواب الجمهورية الخامسة. وبرزت، من بين هؤلاء، شخصية شريف بن حبيلس. فمنذ سنة 1914، و هو التاريخ الذي أصدر فيه كتابا يدعو فيه إلى إصلاح ليبرالي للنظام الاستعماري³⁶⁶، كان يناضل من أجل تكوين و ترقية طبقة وسيطة مكونة من « رجال جدد »، مثقفين مقاولين أو تجار، منفتحين على التقدم، و مختلفين، في الوقت نفسه، عن « الإقطاعيين من السكان الأصليين » و عن النخبة من الأشراف و العامة. بدا أن آماله بعد خمس و أربعين سنة، و بعد أن أصبح قاضيا ثم كاتب عدل بشوفروي و أخيرا عضوا بمجلس الشيوخ بقسنطينة، كانت على وشك أن تتحقق. فقد أعلن دي غول عن فتح مكتب مكلف بدراسة خطة تطوير اقتصادي و اجتماعي مرتكزة على استنتاجات تقرير ماسباتيول. ثم تبعه لاكوست روبير الذي أعلن، من جهته، عن إقامة مخطط ترقية اجتماعية و مهنية اشتهر عند الأجيال التالية تحت اسم « دفعة لاكوست ».

كانت المسألة جدية بما فيه الكفاية لتقلق قيادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني التي كانت ترى في ذلك إمكانية هدم النتائج التي حُققَت بفتح الجبهة الثانية. و باتفاق مشترك مع اللجنة الوزارية المشتركة للحرب،

(365) في فيفري 1955، أطلق جاك سوستيل برنامجا معروفا ببرنامج الإدماج.

(366) Cherif Benhabylès, *L'Algérie française vue par un indigène*, Alger, 1914

العمليات

التي كانت مكوّنة من الثلاثي كريم و بوصوف و بن طوبال (هيئة قيادية موازية لتلك التي كانت تمثلها رئاسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية)، اتخذ بوداود عمر وقادة المنظمة الخاصة قرار استهداف حجر الزاوية في النظام.

ولد مدادي سليمان³⁶⁷ بإحدى أفقر المناطق بمنطقة القبائل الصغرى. و هو ابن فلاح صغير فقير. غادر عائلته و هو في سن السابعة عشرة ليحرب حظه في مواطن موالية أكثر. عمل في الجزائر العاصمة حمّالا بالأسواق المركزية، لكن حياة البؤس استمرت، وجعلته الأخبار التي كانت تصله عن الضفة الأخرى من البحر المتوسط يقرر تجريب حظه من جديد باتباع خطوات من سبقه إلى هناك. استقر بليون حيث كان يقوم بأعمال يدوية بمصنع أو بالسكك الحديدية. وفي 1956، ذهب إلى باريس و وجد عملا بشركة هدم كبّناء و دهّان بالرذاذ³⁶⁸. وهناك التحق بفرق التدخل لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و رقي إلى مرتبة قائد مجموعة بالمنظمة الخاصة للمنطقة الباريسية. كان معروفا بشجاعته، و كان لديه في سجله العديد من العمليات السابقة عندما التقى به، في 24 أوت 1959، « مجيد » المدعو « لو باربو ». كان سليمان قد اختير لتأدية مهمة بالغة الأهمية، إذ كان عليه أن يقضي على عضو بمجلس الشيوخ، شريف بن حبيلس، زعيم حركة « القوة الثالثة ». و لقد كانت قد بلغتهم معلومات أكيدة، من شبكة المخابرات التابعة للمنظمة الخاصة، حددت مكان هذا الأخير بمركز استجمام بفيشي حيث ذهب برفقة زوجته من أجل العلاج.

كان مدادي المدعو « برونوي »³⁶⁹ فخورا، بطبيعة الحال، شأنه شأن العديد من المناضلين، لكونه اختير للقيام بهذه المهمة التي كانت ذات أهمية قصوى بالنسبة للثورة. تحدث مع قائد العمليات عن خطة التنفيذ و عن الشريك الذي يمكن أن يكمل الفريق. كان يجب أن يكونوا اثنين لإتمام العملية لأنه كان

(367) من مواليد 1932 بقرية بومخلوف، بدوّار حرييل، بلدية غنزات، سطيف.

(368) عناصر بيوغرافية مستخرجة من محضر غرفة الاتهام لمحكمة الاستئناف لريوم التي اجتمعت بيوم الأربعاء 9 مارس 1960.

(369) انتحل مدادي هذا اللقب استلهاما باسم الطريق المسدود حيث كان يقطن بالدائرة الثانية عشرة بباريس (ممر برونوي، باريس الدائرة 12).

يجب ضمان تحقيق الهدف، و لم يكن يُسمح بأي خرق للتعليمية. و لقد كان مدادي قد تعرف، بفرق التدخل، بمناضل جيّد عمل كثيرا كسائق بمختلف المهام التي شارك فيها منذ هجوم 1958. و كان فرحات غريب هو هذا المناضل المثالي الذي أوصى به سليمان بحرارة لدى قائده. كان فرحات من تيزي هيل آيت حمود، و هي قرية بالقبائل الكبرى حيث درس عند الآباء البيض، و كان يبلغ من العمر 22 سنة في عام 1958. كان يعرف قراءة و كتابة اللغة الفرنسية عندما التحق بأخيه المقيم بباريس. و هناك، عمل كبناء مبتدئ و كمفرغ عند تاجر نبيذ و كسائق توصيل³⁷⁰.

في 28 أوت 1959، على الساعة الحادية عشرة، توقفت سيارة أمام محطة أوديون بباريس، كان الحاج مكلفا بالتكفل بعضوي المنظمة الخاصة و قادهما إلى غاية مخرج المدينة حيث سلمهما مفتاح السيارة. كانا مهندمين لأن التعليمية تنص على عدم لفت الانتباه بتلك المحطة التي كان يرتادها أناس أثرياء إلى حد ما. و للقيام بذلك، قصد سليمان أحد أصدقاء الطفولة و استعار منه بدلة جديدة كان قد استلمها لتوه مقابل 45000 فرنكا فرنسيا آنذاك. و بعد أن قادا السيارة طيلة النهار، وصلا إلى فيشي على الساعة السابعة عشرة. كانت المهمة هامة إلى درجة أن مناضلة سبقتهم لتحجز لهم غرفة بفندق و تسلّم لهم الأسلحة التي عليهم استعمالها في العملية. كانت من طراز بريتا 7.65 مع مشطين من 7 رصاصات لكل واحد.

كانت حرايف زينة بعين المكان منذ أيام. قامت بحجز غرفة بنزل صغير و تأكدت من روحت و غدوات عضو مجلس الشيوخ التي قدمها له أحدهم على أنها قريبة جاءت لتستفيد من الآثار المفيدة لهذا المنبع ذائع الصيت. و في اليوم الحاسم، كانت هي عليها أن تدلّ الرجلين المكلفين بتأدية المهمة على الهدف.

« بعد أن ضبطنا خطتنا، حددنا موعدا بالمطعم – المشرب « لو رويال ». كنا قد اتفقنا على إشارة تدلنا بها الأخت زينة على الشخص المعني. كانت تحمل رواية كان من المتفق أن تنقلها من يد إلى أخرى عند وصولها أمام عضو مجلس الشيوخ. لكن مع الأسف، لم يكن الرجل في ذلك اليوم جالسا بالطاولة التي

(370) محضر غرفة الاتهام بريوم، المرجع المذكور.

العمليات

كانت تُحجز له عادة. فقد جلس مع زوجته بالشرفة أمام زوج آخر و ضابط بالقوات الجوية الذي اتضح أنه الجنرال الذي يقود منطقة قسنطينة³⁷¹. كان هناك كذلك الحارس الشخصي لعضو مجلس الشيوخ الذي لم أعرف اسمه إلا فيما بعد. كان من الصعب بالنسبة لنا أن نحدد من بين أولئك الرجال هو بن حبيلس. أهو الجنرال؟ كيف كان لنا أن نعرف ذلك بما أنه كان يرتدي ثيابا مدنية. كان لون بشرته و شعر كليهما أبيضاً، و كان الاثنان كبيرين في السن و من الصنف الأوروبي. اضطرتت إلى الاقتراب من الأخت زينة و سؤالها من منهما هو هدفنا. [...] لم يكن باستطاعتي التصرف على الفور لأنه كان يجب القضاء على عضو مجلس الشيوخ فقط ولم أرد أن أخلف ضحايا أخرى. كنت مضطرا إلى الصبر و إلى انتظار اللحظة المناسبة. «³⁷².

في 28 أوت 1959، غادر عضو مجلس الشيوخ المطعم – المشرب على الساعة 19.11، و توجه إلى المنبع الذي كان يوجد على بعد بضعة مئات الأمتار من هناك. و غادر قارعة الطريق عبر الساحة للاقتراب من فندق كارلتون، و كان مصحوبا بحارسه الشخصي عمر لونس. تنحى مدادي سليمان عن طريق الرجل ثم أطلق عليه النار عن كثب. أُصيب عضو مجلس الشيوخ برصاصتين في الرأس و هوى أرضاً، و أصابته كذلك أربع رصاصات في منطقة القلب. لم يتسن الوقت للحارس الشخصي كي يدرك ما كان يحدث، و عندما عاد إلى رشده و حاول التدخل أطلق عليه سليمان الرصاصة الأخيرة في الورك الأيمن.

نفذت الرصاصات من سليمان ليحمي هروبه، و مع رفيقه الذي كان متمركزا لتغطيته حاولا الانسحاب و كانا مطاردين من قبل حشد متزايد من الناس. عندما لاحظ مدادي حالة الذعر التي بدأت تنتاب غريب، انتزع من يديه المسدس و أعطاه مسدسه الذي فرغت منه الرصاصات. تنبه المعاون عريف موريل، الذي كان متمركزا عند مفترق طرق نهج أرسنيد بجادة الولايات المتحدة، إلى صرخات الحشد و لاحظ غريب يشهر سلاحا في وجه مطارديه و يهددهم به.

« الشيء الوحيد الذي بقي عليّ فعله هو حماية رفيقي. كنت أرى العريف يشرع في سحب سلاحه من الغمد ليحاول القضاء على غريب. بصدق، لم أكن

(371) يذكر محضر المحكمة وجود الزوجين فقط بلو بروي.

(372) مدادي سليمان، شهادة.

أرغب في قتل ذلك الشرطي . كنت قد أتممت مهمتي ولم أكن أرغب في إصابة أشخاص آخرين . كانت مهمتي سياسية حتى ولو أخذت العملية شكلا عسكريا . فحتى ولو نفذت العملية باستخدام السلاح ، كان الهدف من العملية ومعناها سياسيا . كانت مهمة ذات أهمية قصوى بالنسبة للثورة الجزائرية . »³⁷³ .

أطلق سليمان الرصاص سبع مرات على العريف مصوبا على الرجلين³⁷⁴ من أجل حماية رفيقه . ومع أن هذا الشرطي كان مصابا إلا أنه أطلق النار وكاد أن يصيب هدفه . استطاع مدادي الفرار والالتحاق بفندقه ، في حين أُلقي القبض على غريب . ويمكن لبقية القصة أن تُدرج في أي كتاب كلاسيكي من نوع السلسلة السوداء مع مغادرة غرفة الفندق في وسط الليل وإقامة حواجز من قبل الشرطة والدرك . لكن ، بالرغم من أجهزة الأمن المنتشرة حول فيشي ، تمكن مدادي من قطع 28 كلم عبر الحقول قبل أن يصل في الصباح الباكر إلى محطة فارين . اشترى مدادي تذكرة لقطار باريس ، الذي كان انطلاقه مبرمجا على الساعة الحادية عشرة ، و ذهب إلى مطعم – مشرب ليتناول وجبة إفطار و يقرأ الجريدة ، وعند تصفحه الجريدة أدرك بسرعة تسارع الأحداث . كان غريب قد تكلم و كانت صورته الآن تحتل صفحة كاملة من الجريدة مع تعليقات عن العملية . لم يعد مدادي في أمان و كان عليه أن يجد بأي ثمن مكانا منعزلا أكثر و انتظار انطلاق القطار إلى باريس . و في اللحظة التي غادر فيها ضواحي المدينة لمحتة امرأة تعمل بمحطة بنزين و أبلغت الدرك . و بعد أن حاصرته فرقة راكبي الدراجات النارية ، قبل بتسليم نفسه .

« [...] سلّمت بفكرة اعتقالني و مواجهتي لمنصة الإعدام . لم أكن أهاب الموت ، لكنني كنت أريد الدفاع عن شرف بلدي ، شرف الثورة الجزائرية . اتخذت هذا القرار بعد أن حاربت بالسلاح . و الآن جاء دور الكفاح السياسي . و كان من المهم أن أبرّر فعلي أمام جميع أولئك الشبان الجزائريين الذين التحقوا بالكفاح من أجل الاستقلال . أردت أن أفسر السبب الذي دفع شابا في سن العشرين أو الثانية والعشرين أو الثلاثة والعشرين إلى القتل . أردت أن أبرهن أننا لم نكن

(373) المرجع السابق .

(374) و هي رواية أكّدها شهادة المعاون عريف .

العمليات

مجرمين، قتلة كما كانوا يسموننا، وإنما رجالا يدافعون عن شعبهم، عن حريته و عن كرامته. »³⁷⁵.

كان لاغتيال بن حبيلس صدى أكبر من الاعتداء الذي أودى بحياة شكال علي و أثار ردود فعل قوية . فبالفعل، كان البحث عن طريق ثالث بين مؤيدي الاندماج في فرنسا و مؤيدي الاستقلال التام للجزائر يبدو معرضا للفشل . فلم يكن يمكن للجنرال دي غول أن يعرض، بمناسبة الزيارة المبرمجة للرئيس آيزنهاور إلى باريس، شخصيات بارزة، مثل عضو مجلس الشيوخ، على أساس أنها البرهان الحي على وجود حل على طريقة نغو دين ديم.

و يبدو أن النتائج السياسية لهذا الاعتداء كانت لها نفس الوقع وسط قيادة الثورة الجزائرية في حد ذاتها. بالفعل، يبدو أن عضو مجلس الشيوخ لم يقبل بدور **المحاور المقبول** إلا بعد أن تأكد، عن طريق قنوات آمنة، أن ذلك يسير في اتجاه مناورة تكتيكية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، و لنكون أكثر وضوحا، في الاتجاه الذي يسير فيه الرئيس عباس فرحات بنفسه . إذ يبدو أن هذا الأخير، بوساطة عمروش جون (كاتب من أصل جزائري يتبع الديانة المسيحية و هو من المقربين من الجنرال دي غول) و فارس عبد الرحمن (مؤسس « شبكة أبولكر »، و المسؤول الرئيسي عنها، و الذي يكون الجنرال قد اقترح عليه في جوان 1958 منصب وزير بالحكومة الفرنسية)، يكون قد قبل بفكرة الحصول على الاستقلال تدريجيا، و بدأ في البحث عن حل يتم التفاوض عليه سياسيا . من جهتهم، كان أعضاء اللجنة الوزارية المشتركة للحرب، الذين كانوا يعتبرون عباس فرحات ممثل الجزائر الرسمية و ليس ممثل الجزائر الحقيقية، قلقين لهذه المحاولة التي قد تُحوّل الثورة عن هدفها الاستراتيجي . و بهذا، عرفت القضية تطورا غير متوقع خلال إحدى الجلسات الأكثر صخباً للمجلس الوطني للثورة الجزائرية .

و لنوضح هذه النقطة، المهمة بوجه خاص، لخبايا الأزمة التي عرفتھا قيادة الثورة الجزائرية بين 1958 و 1959، سنقوم بتناول مقطع معبر، بكامله، من مذكرات ل . بن طوبال .

(375) س . مداي، المرجع المذكور .

« اضطررنا إلى قطع الطريق على الجنرال دي غول الذي حاول استعمال الجزائريين الخمسة عشر الذين كانوا يسعون، بالرغم من الرأي المغاير للحركة الوطنية الجزائرية، إلى فرض أنفسهم كقوة وسيطة بين المتعاونين مع فرنسا من جهة و جبهة التحرير الوطني من جهة أخرى .

أعطينا إذن الأمر بإعدام بن حبيلس زعيم ذلك الاتجاه . و لقد أثار هذا أزمة كبيرة وسط المجلس الوطني للثورة الجزائرية لأن بن حبيلس كان قد أعلن، عندما بلغته التهديدات الموجهة ضده، أنه التقى بأحمد فرانسيس بجنيف و بعباس فرحات طالبا منه النصح . كان يريد أن يعرف منهما إذا كان عمله السياسي لا يضر بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . كان يقول عن نفسه أنه مستعد للعب لعبة القوة الثالثة، و البقاء في الوقت نفسه على صلة بنا، و طلب الاستقلال مثلنا تماما . كان يعتبر أنه سيلعب اللعبة، بصورة أو بأخرى، و أنها طريق قد يؤدي إلى الاستقلال و تستأهل أن نسلكها . و المشكل في كل هذا أنه صرح بأن عضوي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قد أعطيا موافقتهما .

عندما قصّـدنا بوداود عمر، بالقاهرة، طلب منا إذا كان القرار الذي اتخذناه، كريم و بوصوف وأنا، يبقى ساريا . كان يخشى أن يتسبب استهداف شخصية سياسية بهذه الأهمية بأضرار جسيمة في وسط المجلس الوطني للثورة الجزائرية .

قلنا له : — نحن نتحمل مسؤولياتنا، عليه أن يموت و إذا حل آخرون محله، عليهم أن يلقوا المصير نفسه شرط أن نفسر المعنى السياسي وراء ذلك . ليس هو من يُقضى عليه، على أساس أنه متعاون، و إنما على بداية القوة الثالثة .

و عندما اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية، طُرح المشكل من جديد . كان عباس و فرانسيس، اللذان لم ينفيا أقوال بن حبيلس، قد احتجا على موته . كانت إذن تلك الفترة التي بدأ فيها الصراع بيننا و بين مجلس القيادة . كانوا يستغلون هذه الانقسامات ليسبّبوا لنا المشاكل . لكننا قاومنا . لم ينفوا لقاءهم به، لكنهم نفوا في المقابل أنهم أعطوا موافقتهم . ثبت إذن أن اللقاء قد جرى، لكن لم يُقدم عنه قطعا تقرير إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

العمليات

لم يكن بن حبيلس يفهم الوضع جيدا. كان يبدو له، إلى حد بعيد، أن عباس هو رئيس المجلس، لكنه كان مخطئا في ذلك. و من جهتهما، كان عباس وفرنسيين متأكدين من أن جيش التحرير الوطني سيُهزم و أنه كان يجب تدبّر حل سياسي. و كانا هما بدورهما مخطئين على طريقتهما، لأنهما كانا يجهلان أن قوة كريم و بوصوف كانت تنبع من الأدوات التي كانت بحوزتهما. كان جيش التحرير الوطني هو الذي يمنحهما السلطة الحقيقية داخل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. كانا يفكران أنه عندما يختفي جيش التحرير و يتم تجميع الشعب الجزائري في معسكرات، سيتمكنان من قلبه و دفعه إلى الانتهازية. و في تلك اللحظة فقط، كانا سيتركان القوة الثالثة تؤدي عملها دون اعترافهما باتفاقهما العميق مع هذا الخيار. و في حال التوصل إلى حل سياسي، كان سيكون لهما مكان في النظام الجديد.

كان هذا الخطأ أحد أسباب سقوط عباس و إقصائه من رئاسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. كانت مناورة سياسية خطيرة جدا. ³⁷⁶ «

و هكذا، وضعت المهمة، التي كُلف بها سليمان حدا، ليس فقط لمشاريع السلطات الفرنسية، بل و كذلك لمشاريع البعض من القادة السياسيين بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

(376) ل. بن طوبال، المرجع المذكور.

الجزء السادس

التداعيات

رد قوات الأمن الفرنسية

الخسائر البشرية

عند قراءة أعمال الحرب التي شنتها المنظمة الخاصة، قد نعتقد أن العملية التي انطلقت ليلة 24 إلى 25 أوت 1958 قد تختتم بسلسلة من نشرات النصر حيث ستتمكن وحدات الكومندوس، المستعدة بشكل جيد للحرب التخريبية، من التحرك على مسرح العمليات مثل السمك في الماء. لكن، هذه الصورة الرومانسية إلى حد ما ليست صحيحة تماما.

إن الحقيقة أصعب بكثير على أرض الواقع. فخلال الأشهر الأولى لهجوم أوت، لم تكن وحدات الكومندوس هذه تملك بعد لا أسلحة ولا معدات مناسبة لشن حرب تخريبية بهدف تشويش شبكة الدفاع عن الأراضي الفرنسية وإحلال جو من القلق العام. سنحت لنا الفرصة أن نذكر شهادات المسؤولين عن المنظمة و المناضلين المكلفين بتنفيذ الهجمات الفردية و مهام التخريب ضد أهداف استراتيجية. ولقد وصفنا، مرارا و تكرارا، المرارة التي كان يحس بها قادة المنظمة الخاصة و هم يرون مناضليهم يشنون هجوما، مسلحين أحيانا بمسدسات و رشاشات تم الحصول عليها من مخازن مشكوك في صلاحيتها، على مراكز أو عربات الشرطة أو تجمعات أخرى لقوى عسكرية مُجهزة بشكل أفضل بكثير و معززة بالأسلحة. كانوا متيقنين أنهم، شأنهم شأن رجالهم، « المتطوعين للموت »، ذاهبون بلا رجعة³⁷⁷. و يقدر آيت مختار بـ 50%، بل أكثر، عدد أفراد المنظمة الخاصة الذين تمّ شلّهم خلال المرحلة الأولى من هجوم أوت 1958.

(377) توجد بالملحق قائمة للخسائر البشرية لهجوم أوت 1958.

التكفل بالجرحى

بمجرد أن بدأت الاشتباكات الأولى، كان يجب بسرعة ارتجال هياكل تتكفل بالجرحى من أجل تقديم الإسعافات الأولية ونقلهم خارج الأراضي الفرنسية. ولقد تكفل أساسا أحمد حميدي وديافي محمد بهذا الجانب من الأمور، واستفادا من شبكة روني بورت لنقل الجرحى إلى بلجيكا أو ألمانيا. ولكن بالنسبة للمساعدة الطبية، كان يجب، في الأيام الأولى، اتخاذ تدابير عاجلة.

كانت عائشة عليوات تملك خبرة طويلة في الميدان منذ الفترة الصعبة لتجابهات جبهة التحرير الوطني مع الحركة الوطنية الجزائرية اضطرت، بالرغم منها، أن تتحول إلى ممرضة. وكانت أول جراحة لها هي إخراج رصاصة استقرت بقفا رقبة مناضل. كانت تملك للقيام بالعملية ملقطا وشفرة حلاقة فقط، وكان الميركروكروم والمسحوق اللائم للجرح يكملان مجموعة أدوات الممرضة الريفية المثالية. حدث ذلك في 1956. وبعد سنتين من النشاط بفرق التدخل، زادت خبرتها في استعمال الأسلحة وفي استعمال المِبيض على حد سواء. وفي الأخير، وفّر لها أحد مسؤوليها العدة اللازمة، وعيّنها فجأة رئيسة الممرضات بفرق التدخل. كانت تقدم الإسعافات الأولية وتنقل المصابين بجروح خطيرة وتسهر طويلا على المرضى، وترسل في طلب الأطباء أحيانا تحت التهديد بالسلاح. كل هذا جعل منها الجنية المحسنة لمعظم جرحى المنطقة الباريسية. وبما أنها ليست مصنوعة من حديد، فقد انتهى بها المطاف إلى أن أُصيبت بمرض السل في بدايته، ولكن ضرورات الكفاح لا تتوقف عند تفاصيل من هذا النوع. وهذه المرة كرسست مهاراتها لخدمة المنظمة الخاصة.

كانت في ذلك الحين مشغولة بنقل المتفجرات وبدعم وحدات المنظمة الخاصة، عندما قصدها مسؤولها ليكلفها بعملية غير عادية.

« زادت نشاطاتي كممرضة أكثر بكثير من ذي قبل، ولكن هذه المرة لحساب المنظمة الخاصة فقط. وهنا كذلك، أتذكر الجريح الأول الذي اضطرت إلى خياطته بمشبك. كانت فترة الهجومات على مراكز الشرطة، وكان « سبوتنيك »³⁷⁸

(378) من المحتمل أنه لخضر حمداني الذي أصبح من بعد قائد الولاية الأولى ثم ب 3 (الولاية الثالثة، المنطقة الكبرى ب) بين 1961 و 1962.

عضوا بإحدى هذه الفرق بمنطقة بوندي. كان عليّ أن أقصد منزل أحد بورت دو لافيليت، كنت أخزن عنده قنابلي، من أجل أن أعالج جريحا. كنت أحمل معي دائما الحقيبة الطبية الجميلة المملوءة بالأدوات التي قدمها لي مكي. كان الجريح يدعى سعيد أو بلقاسم و كان كامل منتصف رأسه مفتوحا، فاضطرت إلى حلاقته. كنت أرتعش كالورقة وأنا أفكر في الجراحة التي كنت بصدد إجرائها. كانت أول مرة أقوم فيها بوضع مشابك. عندما رأى والد المجروح يدي ترتجفان قال لي : أنت تدخنين كثيرا يا ابنتي. لا يمكنك تقديم العلاج إذا كنت ترتجفين بهذا القدر. » في الواقع، كنت أرتجف لشدة خوفا، لكنني مع ذلك وضعت المشابك ولم يتعفن الجرح. بعد ذلك، عالجت [محمود] حمداني الذي أصيب برصاصة في الفخذ. كنت قد عملت معه في الهجوم على مستودع لا كورنوف حيث كانت مهمتي تتمثل في نقل القنابل التي لم تعمل جيدا في نهاية المطاف. وجدته إذن و عالجته بفندق خاص كان يقع بين بلون ميسنيل و أوبرفيبي. لا أعلم إن كان يديره جزائريون لكنني التقيت فيه بالكثير من المناضلين التابعين للمنظمة الخاصة و آخرين كنت لا أعرفهم. »³⁷⁹.

الاعتقالات

تضاف إلى الخسائر المباشرة المتكبدة خلال الاشتباكات مع قوى الشرطة أو المخافر أو الوحدات العسكرية، عملية الاعتقالات و الوفيات عقب الاستجابات و الإعدادات بدون محاكمة و حالات الاختفاء القسري. لكن الهجوم المضاد لوحادات القمع الفرنسية لم تستهدف فقط المجموعات المتفرقة التابعة للمنظمة الخاصة فحسب، التي كانت محمية إلى حد ما بسريتها النسبية و فصلها عن باقي المجموعات، بل قامت بشن حملة اعتقالات لا مثيل لها مست مجمل الجالية الجزائرية المهاجرة. ففي كل مكان، وضعت حواجز و تم التحقق من الهويات و نظمت مطاردات لأصحاب الهيئة الشمال إفريقية. و يشهد أرشيف الشرطة على نقطة التحول هذه في السياسة القمعية للسلطات الفرنسية. « قامت الشرطة، بين 25 و 31 أوت 1958، باعتقال 105 فردا في حالة تلبس بالجريمة أو قادتنا إليه التحقيقات المتعلقة بالجرائم أو بالتخريبات »³⁸⁰. في 2 سبتمبر، تم حظر تجوال

(379) ع. عليوات، المرجع المذكور.

(380) الأرقام المذكورة في هذا الفصل منقولة من كتاب : R. Muelle, *Op.cit.*

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

« الشمال إفريقيين » بالمنطقة الباريسية، من الساعة 21.30 إلى الساعة 5.30، ما عدا لأسباب مهنية. وفي غضون أسبوع، أُجري 14.000 تفتيش متبوع بـ 306 اعتقالات. كان مناضلو المنظمة السياسية - الإدارية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني مستهدفين على وجه الخصوص من قبل الشرطة، التي كانت تأمل، عبثاً، استخراج معلومات منهم بالتعذيب، قد تساعد مديرية مراقبة الإقليم في العثور على أعضاء كومندوس المنظمة الخاصة الشهيرين. وفيما كانت تدابير الأمن والاعتقالات الجماعية تتضاعف، يبدو أن عمليات الكومندوس كانت تستمر وتثير حالة من القلق المتصاعد وسط الرأي العام. كان إحساس انعدام الأمان يسود، وكانت الصحافة تطالب بصرامة أكبر في حماية التراب الوطني. و خُلصت، العمليات التي شنتها الشرطة في 26 إدارة، إلى 220 اعتقالاً، أما تلك التي جرت بباريس وضواحيها فأدت إلى 120 اعتقالاً.

و لقد حل جو من الحرب، واضطرت السلطات الفرنسية، في 17 ديسمبر، إلى استدعاء حوالي 15.000 احتياطي من الدرك. أما بباريس، فقد قامت مديرية الشرطة بتشكيل فرق خاصة. وفي 19 سبتمبر، مُنح وزير الداخلية سلطة استثنائية. وفي 28 سبتمبر، سُنّ قانون لمكافحة الإرهاب متبوع باعتقالات جماعية و بترحيلات إلى الجزائر لمجرد الاشتباه فيهم. وقبل ذلك كان 15000 منهم محشورين في معسكرات اعتقال ينتظرون محاكمتهم. كان الجهاز القضائي قد بدأ يترنّح وكانت الحريات المدنية للفرنسيين معرضة للخطر. بالإضافة إلى ذلك، أُجريت تغييرات في التسلسل الهرمي القضائي و المتعلق بالشرطة. و بذلك، عُيّن فيردبي مديراً للأمن الوطني و هاك بالشرطة القضائية و فيف بالاستعلامات العامة.

و في باريس، بعد عمليات الـ 174 اعتقالاً و الـ 110 ترحيلاً التي حدثت في الأسبوع الممتد من الـ 2 إلى الـ 29 من سبتمبر، أدى الـ 3.754 شخصاً مستجوباً إلى اعتقال 113 و إلى 11 ترحيل بين 29 سبتمبر و 6 أكتوبر. وفي 8 أكتوبر اعتُقل 75 جزائرياً بكورباي و 7 بسواسون و 7 ببايون و 8 بساون-إي-لوار. و في 14 أكتوبر، تكلمت الصحافة عن اعتقال 43 فرداً بباريس في أسبوع واحد...

استمرت وتيرة الاعتقالات طوال عام 1959 دون الوصول مع ذلك إلى النواة الصلبة للمنظمة الخاصة. و استمرت كذلك الهجمات بالقنابل و ضد الشخصيات

السياسية البارزة مما جعل السلطات الفرنسية تتجاوز الشرعية الدستورية لمكافحة جبهة التحرير الوطني و اللجوء إلى وسائل غير معتادة . فقامت مصلحة تنسيق الشؤون الإسلامية، التي أنشئت بمديرية الشرطة بباريس للتصدي، بفعالية أكبر، لأعمال الجماعات المسلحة لجبهة التحرير الوطني، قامت بنشر بيانات حرب تشبه النشرات الإحصائية .

« في المنطقة الباريسية، خلال شهر أكتوبر [1959]، تم التحقيق مع 10.000 جزائري تقريبا . و لقد تمّ وضع حد لنشاط 67 فردا يجمعون التبرعات و 38 من قادة الجماعات المسلحة و 14 من قادة الخلايا و 22 من قادة الفرق و 21 من قادة الفصائل و 8 من قادة القسامات و قائد منطقة و قائد ولاية . »³⁸¹ .

في 9 نوفمبر 1959، اتُخذت « إجراءات جديدة لمكافحة الإرهاب » : تكثيف عمليات الشرطة .

ترحيل المشتبه فيهم المحتجزين بمراكز الاستقبال بالحاضرة إلى الجزائر . إنشاء فرق إضافية مجندة بالجزائر تحت قيادة ضباط الأقسام الإدارية الحضرية و وضعها بالمناطق ذات الكثافة الإسلامية الكبيرة .

و هكذا، قامت مديرية الشرطة و الجيش الفرنسي، كما فعلت في الجزائر، باستغلال أسلوب الحرب التخريبية لصالحها . و مع أن الجنرال دي غول كان يقول و يكرر خطابات تاريخية عن مبدأ تقرير المصير للشعب الجزائري، لكن كان لا بدّ من التفاوض مع جبهة تحرير و جيش تحرير تم إضعافهما . ففي الجزائر كما في فرنسا، كان يجب كسر العمود الفقري للثورة، قوتها المسلحة، و قطع العلاقات التي تربطه بشعبه و إصابة الروح المعنوية لقواته من الداخل . و قامت، الأقسام الإدارية الخاصة و الأقسام الإدارية الحضرية، بإتمام عمل تطويق المهاجرين و نشر دعاية انهزامية .

و مع استدعاء الشبان المجندين في الجيش و إعداد وحدات دعم [من الحركيين] تحت قيادة النقيب رايموند مونتيرو الملازم الأول روجو، انتشرت الحرب المناهضة للثورة، التي بدأها ماسو و العقيد بيجار، و اتسعت بفرنسا نفسها .

R. Muelle, *Op.cit.*, p. 152 (381)

قضية « موستاش »

في 27 سبتمبر 1958، قامت مديرية مراقبة الإقليم باعتقال قائد منطقة الجنوب و معظم أعضاء المنظمة الخاصة بمرسيليا و منطقتها. و اكتُشف فيما بعد أن عملية الشرطة هذه جاءت على إثر انشقاق و خيانة قائد ولاية بالمنظمة السياسية - الإدارية لجبهة التحرير الوطني.

و لقد أشرنا في الفصول السابقة إلى الاحتياطات التي اتخذها مسؤولو المنظمة الخاصة ضد هيكل كان قد تزعزع كثيرا بسبب رحيل قائدها السابق حرايف عمر. و قد تمكنت، محاولة إعادة هيكلة و إعادة تقسيم المناطق و إدماج أعضاء جدد غير معروفين عند أجهزة الشرطة، من الحد من الضرر، لكنها لم تتمكن من احترام نظام الفصل احتراماً تاماً. كان أعضاء المنظمة الخاصة يستخدمون شقة مختار صغير نادية كملجأ و مستودع و مقر لعقد الاجتماعات. و كانت لا بال دو ماي مراقبة من قبل الشرطة منذ بعض الوقت، و كان محمد أوزناني قد فضل الطقس الألف بـمنطقة كوت روج، و لحسن حظه لأن ذلك سمح له أن يُفلت من حملة الاعتقالات التي تمت في 27 سبتمبر.

« بعد بضعة أيام [بعد هجوم أوت 1958]، اعتقلنا. كان شريف مزيان و عيساوي بمنزلي عندما جاءنا رجل كان يسأل إذا كانت الشقة شاغرة. أجبته بلا. عندها قدّم لي بطاقته بطاقة الفرق الشمال إفريقية. كانت مداهمة للشرطة و أخذنا جميعاً إلى مركز الشرطة ليفيشي. استجوبوني هناك لمدة ثلاثة أيام، و بطبيعة الحال، نفيت كل شيء من الاتهامات التي وجهت ضدي قائلة أن : شريف مزيان خطيبي و عيساوي، صديق من أصدقائه رأيته لأول مرة. و لم يكتشفوا إلا بعد ثلاثة أيام، عندما رجعت الشرطة إلى الشقة و قامت بتفتيشها بمنهجية أكبر، بطاقة تعريف مزيفة كنت قد خبأتها تحت خزانة و رشاشا ملفوفا داخل حقيبة سفر صغيرة كنت قد خبأتها بفرن الغاز. و في القبو اكتشفوا مخزون أسلحة المنظمة الخاصة. ففرضت عندها إلى ضرب مبرح حسب الأصول. كنت أرشح دما من كل مكان و نقص وزني بثمانية كيلوغرامات في أسبوع. لكنني واصلت في النفي لأنه في التكوين العسكري الذي خضعت له كانت هذه إحدى القواعد التي كان يجب

الالتزام بها لأطول وقت ممكن. ولهذا السبب كنت دائماً أحمل سلاحاً معي في حال ما اشتدت الأمور. أما بالنسبة للاستجابات، كان عليّ ألا أتفوه بشيء، لا أكثر ولا أقل. لم أكن حتى أعلم بأن أختي كانت تناضل بجبهة التحرير الوطني وبأنها توفيت تحت التعذيب. [...] رجال الشرطة هم الذين أخبروني بأنها كانت هي كذلك عضوة بالمنظمة. وخلال الاستجواب، سألتني أحد المفتشين بمديرية مراقبة الإقليم إذا كانت لدي أخت تدعى مختار صغير نادية وتعمل ببلدية مليانة. أجبت بنعم، فأضاف قائلاً: « إنها فلاقة ». أما موتها، فعلمت به في السجن من قبل موظفة اجتماعية. فقد خانت الشجاعة أخواتي الأصغر سناً، اللاتي كنّ يرسلنني، ولم يتمكنّ من إخباري بنبأ وفاتها. »³⁸².

من جهتها، تعرضت عائلة بلحّواس، التي قدمت خدمات لا تعد ولا تحصى لقضية الاستقلال الوطني، هي بدورها إلى هذا الانقلاب الكبير.

« في اليوم الذي جاءت فيه الشرطة لاعتقال ابني، وهم يحملون الرشاشات، كانت زينة قد أحضرت لي حزمة. لم أكن أعرف ماذا أعمل بها فخبأتها بخزانة المرأب وأقفلته بالمفتاح. وعلى الساعة الثالثة صباحاً، جاؤوا وأحْدثوا بلبلة، فتشوا كل شيء وبحثوا عن محمد بدون فائدة. وبعد أيام قليلة، ألقوا القبض على جعفر. أخذوني مرتين إلى مركز ليفيشي ولكن لم يحتفظوا بي. كان المفوض يقول: « أنا قادم من الجزائر، فلا تكذبي عليّ ! » كنت أنفي باستمرار، لم أكن أعرف شيئاً. حدث هذا بعد اندلاع أحداث 25 أوت، وكان شريف مزيان و عيساوي ومختار صغير نادية بالمركز كذلك و كنت أخشى أن يواجهونا. لم يحتفظوا بي، لكنهم كانوا يجيئون للبحث عني ليل نهار، والسؤال الوحيد الذي كانوا يطرحونه عليّ هو « لماذا ترتبطين بهذه المنظمة ؟ لماذا ترتبطين نفسك بهذه الأمور في الوقت الذي يلتحق فيه أولادك بالمدرسة وحتى أن أحدهم سيجتاز شهادة البكالوريا ؟ » [...] فتشوا كل شيء وبعثوا أغراضنا في كل أنحاء الشقة. قرؤوا رسالة لابني عبد الغني باهتمام شديد. كان يدرس الكيمياء بالمدرسة المتعددة الفنون بزيورخ فصرخ الشرطيون أنه هو الذي كان يصنع أصابع الشدّيت الموجودة بالمرأب. قلت أنني لا أعرف ما هي الشدّيت. في الحقيقة،

(382) ن. صغير مختار، المرجع المذكور.

كانوا يبحثون عن ابني محمد لأنه، بعد أن قبضوا على مجموعة مكلفة بوضع قنبلة، جاء السائق، وهو أصهب، على ذكره. ³⁸³.

عندما اقتحمت الشرطة المكان، كان يبدو أن معلوماتهم أكيدة، و كانت كذلك بالفعل. ولكن كانت تنقصهم عناصر أساسية، وفوتوا فرصة القبض على صيد أهم بكثير.

« لقد صادف أنهم لم يكونوا يملكون صورة لمحمد، فلم يتمكنوا إذن من التعرف عليه في حين كان بيننا. ادّعت أنني هو وأُخذنا إلى المرأب أولاً ؛ كان عبارة عن موقف سيارات داخلي حيث كان سكان الحي يستأجرون مكانا لركن سياراتهم، و كان حتى مفوض الحي يضع فيه سيارته. كان والذي قد أعطى مفتاحا لكل زبون، مما جعل أي شخص يستطيع أن يدخل إلى المرأب. كانت هناك أسلحة مخبأة بسيارة قديمة مفككة قابعة بركن من أركان المرأب. كان المناضل الذي يأتي لتأدية مهمة يأخذ سلاحا ثم يعيده ما أن تتم العملية. وبالإضافة إلى الأسلحة، كانت توجد بعض المعدات التي كانت ستستخدم في عملية مبرمجة لمساء اليوم ذاته ³⁸⁴. لكن الجزء الأكبر من الترسانة كان مخبأ بمخزن بالورشة و لم تكتشفه الشرطة أبدا. كانت توجد به أربع حقائب مملوءة بالرشاشات و المتفجرات و الصواعق... و لم يكن يعلم الفدائيون، الذين كانوا يجيئون للبحث عن سلاحهم أو عن معدات، بوجود هذا المخبأ. و كانوا يستعملون فقط أسلحة السيارة القديمة المفككة. بسطت الشرطة اكتشافها على الأرض و بعد مواجهة مع السائق الذي لم يكن يعرفني، اقتادونا جميعا إلى مركز لفيشي.

و في طريقنا إلى المركز، أتذكر استغراب أحد شرطبي العربية « يا للوقاحة ! ترسانة كاملة بالقرب من مركز شرطة ! » بالفعل، كانت حيطان مركز الشرطة محاذية لبنائتنا و كان مبنى البلدية يقابلنا. [...] على الساعة الخامسة صباحا، قام والدي و أخي إلياس، اللذان تمكنا من النجاة من حملة الاعتقالات، بإخلاء المعدات المتبقية. و حوّلت الحقائب الأربع التي كانت موجودة بالمخزن إلى

383) السيدة بلحّواس الأم، شهادة.

384) يقدر عمر سعداوي الأسلحة و المعدات التي اكتشفت بالمرأب إلى : 21 مسدس من كل نوع (أسترا، برينا إلخ.) و 311 خرطوشة و 23 كلغ من البلاستيك المتفجر و العديد من الصواعق.

مخبأ آخر. أما الشرطي المكلف بحراسة المكان، فلم يجرؤ على التدخل لأنه كان جارنا بسان مارسيل، واستمر إذن طوال ذلك الوقت في ذرع المكان ذهاباً وإياباً دون التفوه بكلمة. وقبل أن تذهب إلى المركز طلبت أمي من المفوض أن يسمح لها بتغيير ملابسها، واستغلت الفرصة كي تدسّ بنهديها الـ 500.000 فرنك المخبأة بالمنزل. لم نكن من الناس الذين يمكنهم أن يملكوا مبلغاً مالياً كهذا و كان سيكون من الصعب تفسير مصدر هذا المال.

على الساعة الحادية عشرة صباحاً، أغلق رجال الشرطة المرأب وصادروا المفاتيح. [...] قام محمد، الذي اكتُشف أمره تماماً، بأخذ المال وحقبة من الملابس التي سلمها له إلياس و اتّجه إلى الحدود. »

ولقد أدى هذا الذهاب والإياب للشرطة و عناوين الصحف المزودة بصور مناضلي و مناضلات المنظمة الخاصة، إلى اكتشاف سكان الحي لتورّط عائلة بلحواس. و ذات يوم، تقدمت جارة فرنسية و الجريدة بيدها صارخة : « ها هم ! هذا هو الرجل ذو العيون الخضراء، ذلك المسمى زينر جون [حرايف عمر]، و ذاك و تلك ... » كانت جميع صور المناضلين، المحالين إلى المحاكم، ظاهرة بالجريدة من بينها صور علي من قالمة و نادية و شريف مزيان و عيساوي. و كانوا جميعهم قد ترددوا على منزل عائلة بلحواس و قد تعرّف عليهم الجيران.

و كما سبق لنا أن قلنا أعلاه، لم يكن من الممكن القيام بحملة الاعتقالات المذهلة هذه لولا « مستاش » المعروف بـ « مراد »³⁸⁵ الذي تهاوى تحت ضغط الشرطة و أعطى أسماء قادة المنظمة الخاصة و أماكن اختبائهم. و العديد من الشهادات تذكر ذلك.

كان محمد أوزناني، كما رأينا، قد بدأت تنتابه شكوك عندما لم تنجح سلسلة من الاعتداءات بالقنابل. كان قد حرص على وضع نظام صاعق مزدوج و لكن، مع ذلك، لم تنفجر القنابل. و في حالة من الحالات على الأقل، كان متأكداً أن العطب كان بفعل إنسان. و يكون « مستاش »، الذي أخذ على عاتقه التحقيق في الأمر، قد اكتشف أن المناضل المكلف بوضع متفجرات قد نسي ببساطة إحضار

(385) عبد الله يونس، قائد ولاية مرسيليا ثم ليون، و الذي حكمت عليه جبهة التحرير و أعدمته في جوان 1962.

بطارية من أجل الإشعال. أُعِد هذا الأخير من قبل مسؤول الولاية، ولم يعرف أحد حقيقة الأمر إلا بعد أن تنبه المسؤولون الفيدراليون، في نهاية المطاف، عقب استمرار الاعتقالات و التفكيك المنهجي لخلايا المنظمة بالنسبة لمنطقة مرسيليا ثم منطقة ليون.

و يشير سداوي عمر بصورة عرضية، في كراس صغير حيث دَوّن مذكراته، إلى التصرف المثير للريبة لقائد ولاية مرسيليا.

« حسبما أتذكر، حوّلني آيت مختار، في حوالي شهر جوان 1959، إلى مرسيليا لأشغل منصب مسؤول عن جنوب فرنسا : ليون، أفينيون، تولون، إستر، بور- دو- بوك، تولوز، بوردو... إلخ. [...] ولدى وصولي إلى مرسيليا، وُصِلت بالمدعو « مراد »، المسؤول عن المنظمة السياسية، وبسي طاهر، مساعده. وجدت صعوبة في التعامل مع « مراد » الذي لم يرغب في تقديمي إلى رؤوسيه كي أختار من بينهم عناصر يصلحون من الجماعة المسلحة كي أضمهم إلى هيكل المنظمة الخاصة. كان يحاول دائما اكتشاف ماذا كان دوري و ماذا كنت أريد أن أفعل بهؤلاء العناصر و أين كنت أقطن. كان غريبا جدا... »³⁸⁶.

بمرسيليا، دامت اللعبة المزدوجة لـ « مستاش » إلى غاية اليوم الذي بدأت تتحول فيه شكوك هذا و ذاك إلى أمر شبه مؤكد³⁸⁷. و يتحدث بونو روبير عن هذا في شهادته.

« كان الطرف الجزائري أحيانا أخطر من الطرف الفرنسي. هل تعرفون قضية مراد، قائد ولاية مرسيليا ؟ كان مخبر مديرية مراقبة الإقليم لكنه لم يكن يشي بالجميع. كان يحصل على 10% كمقابل للاعتقالات. و كان المال يوضع في حساب مصرفي يملكه مفتش، و كان من المتفق أن تسلم له الثروة بعد انتهاء الحرب. لم يكن يعطي أسماء الجميع لأن ذلك كان سيثير الشكوك. و قد بدأ البعض، في نهاية الأمر، يشكون في أمره. من المؤكد أن المسؤولين الجزائريين، الذين كانوا يرون مناضليهم يسقطون واحدا تلو الآخر، بدؤوا يتساءلون. كان يسمى « جاك » أو « بول » و كان يصعد في السلم الهرمي كلما كان يسقط

(386) ع. سداوي، المرجع المذكور.

(387) انظر في الملحق الرسائل التي تخص هذه القضية.

مناضلون . أنا لم ألحظ شيئا، على أي حال لم أكن أعرفه جيدا . كان يحتاج أن يقدم بعض المضيفين الفرنسيين ككبش فداء لكنه لم يكن يعرف الجميع .³⁸⁸ »

وقامت مصادر الشرطة التي نقلت، في 27 سبتمبر، خبر تفكيك هيكل ولاية الجنوب الشرقي، بإعادة بث نشرتها الانتصارية، في 13 ديسمبر، معلنة بأنه : « تمت الإطاحة بقيادة الولاية الثالثة التي أعيد تشكيلها و سجنّت الشرطة 24 فردا من بينهم 3 أوروبيين، منهم امرأتان ؛ و أحد الرجال عضو ناشط بالحزب الشيوعي . »

إن الشكوك التي كانت تدور وسط أعضاء المنظمة الخاصة لمنطقة مرسيليا الناجين قد وصلت كذلك، من خلال قنوات أخرى، إلى آذان « مجيد » آيت مختار . و بالفعل، كان قد أعلمه مخبر شبكة « أبولكر » عن إشاعة كانت تدور في أروقة مديرية مراقبة الإقليم الباريسية مفادها أن هناك مسؤولا ببجبهة التحرير الوطني قد أصبح مخبرا عند الشرطة . و لأسابيع، لم يتوقف آيت مختار عن بعث رسائل للمكتب الفيدرالي كي يفتح تحقيقا من أجل اكتشاف الخائن . و ليتأكد من حقيقة الأمر، قام « مجيد »، الذي أصبح، في تلك الأثناء، مسؤول المنظمة الخاصة الوحيد الذي كان لا يزال مقيما بفرنسا، بتكليف سداوي عمر « بوعلام »، مراقب المنطقة الباريسية، بأخذ زمام أمور منظمة منطقة جنوب فرنسا و تصفية الأمور . فأكد هذا الأخير، في تقرير بعثه إلى مسؤوله، خداع « مراد » قائد الولاية الثالثة .

سقوط نساء المنظمة الخاصة بدورهن

إن الاعتقالات الجماعية للمشتبه فيهم أو لأعضاء الجماعات المسلحة المشاركة في العمليات العسكرية، و الاستعمال المنهجي للتعذيب، و تسلل العملاء المزدوجين، قد أدت، في نهاية المطاف، إلى فقدان جزء هام من عناصر المنظمة الخاصة . كل هذا أدخل بنظام الهيكل لفترة، و أدت، محاولات الناجين المختلفة للاتصال بمسؤوليهم بباريس، إلى تعريض عملاء الارتباط و مناضلين آخرين من مختلف الشبكات إلى خطر اكتشافهم .

و بعد حملة اعتقالات 27 سبتمبر، انقطعت اتصالات مرسيليا بقيادة العمليات . كان محمد أوزناني أحد الناجين المتبقين، شأنه شأن بلحّواس محمد

(388) بونو روبر، المرجع المذكور .

و بطروني عبدالعزيز، و كانت إدجيري يمينية أنطوانيت هي كذلك حرة طليقة، فلجأ إليها أوزناني كي يعاود الاتصال ببوعزيز.

كان يعرف، منذ عودته من المغرب، أن إيدير زينات، مدير فندق - مطعم موجود بـ 17 شارع بيريري بباريس، هو أحد اتصالات قائد المنظمة الخاصة. كان يجب أن يتصل به ولكن كيف ؟ و بما أنه مطلوب من قبل الشرطة التي أصبح في نظرها عدو الشعب الأول، لجأ إلى شبكات الدعم. فقام كاهن من مرسيليا بإخفائه ببوتان، بإقليم الفار، ثم وضعه برفقة بلحّواس محمد بين أيدي طائفة مناهضة للعنف يقودها المعلم ديل باستو لنزا. كانت هذه الطائفة معروفة بمعارضتها لحرب الجزائر و لكن كذلك بكفاحها ضد التجارب النووية و ضد صنع المفاعل الذري الشهير بالمنطقة.

و عندما أصبح بمأمن، أرسل أوزناني إدجيري يمينية أنطوانيت إلى شارع بيريري بباريس آملا أن تتمكن من الإمساك بالخييط الصحيح الذي قد يضعها على اتصال بقائد المنظمة الخاصة. اتضح أن الزيارة الأولى كانت غير مثمرة، أما الزيارة الثانية فكانت مهلكة بالنسبة للمرشولة.

« بعد مرور أسبوع على عملية تفجير مديرية الشرطة، أرسلت إلى باريس. كنت قد ذهبت إلى هناك من قبل حيث أرسلني محمد عند ثنائي مختلط [الثنائي زينات]. كان الرجل جزائريا و الزوجة فرنسية و كانا يعيشان مع أولادهما. كان من المفترض أن يسلمنا الرجل أسلحة لأنها كانت تنقصنا بشدة، و بما أننا لم نتلق شيئا، طلب مني محمد أن أعود إلى هناك لأستعلم عن سبب هذا التأخر. « أخبريه أن الأمر ملح جدا. لقد تم تفكيك كل شيء، لم نعد نملك لا الأسلحة و لا المال. لا يمكننا الصمود هكذا. يزعجني أن أرسلك إلى هناك مرة ثانية و لكن يجب الذهاب. » كان محمد يعرفهم جيدا، كانوا من أصدقائه و أوصاني بشراء حلويات للأطفال. »³⁸⁹.

و لكن ما كان يجهره أوزناني و إدجيري هو أنه، في الثالث من أكتوبر، أُلقت مديرية مراقبة الإقليم القبض على إيدير زينات و وضعت فندقه تحت الرقابة. وصلت أنطوانيت إلى باريس صباح اليوم التالي، و كانت قد غيرت مظهرها بقص

(389) ي. أ. إدجيري، المرجع المذكور.

شعرها لتجعله قصيرا جدا. و في ضواحي المكان المحدد، وجدت ستائر الفندق-المطعم مسدلة و أحسّت بنوع من الضيق ينتابها. كانت الأجواء هادئة زيادة عن اللزوم، ففكرت للحظة أن تعود أدراجها لكنها عدلت عن ذلك لأن مسألة الأسلحة بالغة الأهمية بالنسبة لمناضلي مرسيليا. دخلت أنطوانيت المكان و صعدت إلى الطابق العلوي حيث وجدت السيدة زينات. أخبرتها هذه الأخيرة أن زوجها قد خرج و أنه سيعود قريبا. ماذا كان يسعها أن تفعل في الوقت الذي كانت مخاوفها تكبر. كان محمد يعرفهم جيدا و كانت قد جلبت البسكويت للأطفال كما أوصاها. من جهة أخرى لم تكن تعرف باريس، و كان ذهابها إلى مكان آخر لتناول القهوة ثم العودة إليه سيشكل مشكلة بالقدر نفسه إذا ما عادت و وجدت نفسها في الوضعية نفسها. أنزلتها السيدة زينات و أدخلتها إلى قاعة الانتظار.

« كنت غير مرتاحة و متوترة، لكنني لم أشك فيها و لو للحظة. قدمت لي القهوة و كتابا لن أنسى عنوانه أبدا « شارع القط صائد السمك »، ثم عادت لتخبرني بأنه عليها أن تخرج لاصطحاب أبنائها إلى المدرسة و تعود بعد ذلك مباشرة. و هو ما فعلته حقيقة، فبعد تغيبها لعشر دقائق، عادت لتتفرغ لأشغالها المنزلية.

و على الساعة التاسعة، دخل رجلان ضخمان إلى المطعم. بقيت هادئة. فهمت أنهما شرطيان عندما رأيت شخصين آخرين، يرتديان ممطرة، يدخلان من الباب الصغير الرابط بين المطعم و منزل المديرية. لم يعد هناك مجال للشك، لكن ربما لم يكن ذلك إلا تفتيشا روتينيا أو كيسة... لم أتأكد من الأمر إلا بعد توجه أحد الشرطيين إلى السيدة زينات و زعق بأعلى صوته « إذن، أهذه هي التي قدمت من مرسيليا ؟ ! » شُحِب وجهها و أجابت « نعم »... عندها اتجه الشرطيان نحوي و سألاني : « - ما الذي تفعلينه هنا ؟ »، و أجبت بتعجرف : « يمكنكم أن ترو ذلك، أنا أتناول القهوة... » كان ذلك غباء مني، لم تعد لدي أوهام لكنني كنت أرغب مع ذلك في خداعهم، كان الأمر غريزيا. اصطحبوني معهم. »³⁹⁰

و بطبيعة الحال، خضعت أنطوانيت مباشرة إلى استجواب طويل. وبخوها و عثفوها و ضربوها حتى الواحدة صباحا، كي ينتزعوا منها أكبر قدر من المعلومات التي قد تساعدهم في الإيقاع بمناضلين آخرين من منطقة مرسيليا.

(390) المرجع السابق.

« احتفظوا بي بالمخفر ليوم كامل ضربني فيه شرطيان كأنني كيس لكم. كان الأمر صعبا جدا، أولا لأنني كنت ضعيفة البنية و ثانيا لأنني كنت جاثمة على كعبين عاليين كانا رائجين جدا في ذلك الوقت. أرغموني على البقاء على ركبتي لساعات على مسطرة، و لم يكن يجب أن أفقد توازني و إلا كنت سأعرض إلى وابل من الضربات بصورة أشد. و قد احتفظت بالندبات لأشهر. [...] بعد ذلك، عَصَبْتُ عيناى و أنزلت في المصعد إلى طابق سفلي ثم مشينا عبر عدة أروقة إلى أن بلغنا زنزانة صغيرة كانت موجودة بها آلة تعذيب كهربائية. مدّني الشرطيان على أريكة و وصلاني بأسلاك حول أصابع يديّ و قدميّ و حول أذنيّ، ثم شغلوا الآلة مرات عديدة. [...] دام ذلك ربما لساعة إلى أن تعرضت لأزمة قلبية كبيرة. أوقفا جلسة التعذيب و حبساني في زنزانة و توعداني بأشياء جميلة إذا واصلت في رفض التعاون. »³⁹¹.

و بعد أيام، أرسلت أنطوانيت إلى مرسيليا و هناك حاول شرطيو مركز ليفيشي استعمالها لإلقاء القبض على مناضلين آخرين من المنظمة الخاصة. قاموا بتجوالها من حي إلى حي بأرجاء مرسيليا لتستخدم كطعم. شاع نبأ اعتقالها في نهاية المطاف و بلغ مسامع أوزناني.

منذ عودتها من فيشي، رجعت حرايف زينة إلى الغرفة الصغيرة التي كانت تملكها بشارع لومبال بالدائرة السادسة عشرة. و استأنفت كذلك عملها كعميلة ارتباط لحساب المنظمة الخاصة، لكن الأمور أصبحت أكثر صعوبة مع الحصار المنهجي الذي طبق على السكان و الاعتقالات اللامتناهية. و في نهاية 1959 و بداية 1960، بدأ الخناق يضيق. كانت اللجنة الفيدرالية قد استقرت بألمانيا منذ بعض الوقت و كان تنسيق مواصلة العمليات من هناك يزداد صعوبة. كانت الشرطة تبحث في ذلك الوقت عن إطارات المنظمة الخاصة و قادتها، « مجيد » على وجه الخصوص، و لكن كذلك « سعيد » و « عمر ». و قد طلب آيت مختار من زينة أن تنقل جميع المعدات الموجودة بغرفتها لأنه أدرك أنها موضوعة تحت الرقابة. فقامت بإخلاء الأسلحة و الوثائق قطعة قطعة ثم اتصلت بهوشولتز إينج لتطلب منها إذا كان بإمكانها أن تترك حقيبة عندها. كانت تعرف من زمن طويل هذا العنصر الفعّال من شبكات المنظمة الخاصة، و في الواقع، إنها هي التي

(391) المرجع السابق.

قدمتها لـ « مجيد ». و منذ ذلك الوقت، كلفت، خصوصا، بإبقاء الاتصال بين « مجيد » وبين اللجنة الفيدرالية. وقبل أن تذهباً لتقضي الليلة بالشقة الملجأ الموجودة بشارع سانت - هونوري، قررتا الانفصال و الذهاب إليها بعد ربع ساعة من الفاصل الزمني كما اعتادتتا على فعله.

« انتظرت ربع ساعة قبل دخول البناية، عندما وصلت إلى الدرج سمعت ورائي حركة أفراد مستعجلين. انتابني شعور باطني، تنحيت جانبا لأدعهم يمرون قائلة أنني لست على عجلة من أمري، فأجابوني « ونحن أقل عجلة منك » عندها فهمت... صعدت إلى الطابق الثاني، كان يوجد الكثير من الشرطيين بالشقة. كان شعراينج منكوشا و كانت تبكي بعد أن تلقت سلسلة من الصفعات. [...] بدؤوا عندها الاستجواب : - « ماذا تكونين ؟ » - « فرنسية ... » - « ألا تخجلين من نفسك، تعملين مع الفلاقة أولئك الوحوش الذين يقتلون الفرنسيين ؟ » كانوا يعرفون أن إينج ألمانية بما أنها لم تغير يوما هويتها، أما أنا فكنت أحمل اسم بانيت هيلين. « ماذا يوجد بالحقائب ؟ » - « أغراضي ». كنت أريد إعفاء إينج، خاصة أنها كانت تبدو غير قادرة على تحمل الضغوط التي كانت تمارس عليها. لم أكن أرغب في أن يمسوها بأذى لأنها قد تبوح بكل شيء. أخبرتهم بأنني طالبة و بأنني نقلت كتيبي كي أقيم عند صديقة. « سنرى ماذا يوجد بهذه الحقائب ... » فتحوها و وجدوا بها الأسلحة. و في تلك اللحظة ثاروا « هل أنت من أحضر هذا ؟ ! أنت متأكدة أن الجزائريين ليسوا هم من أحضروها ؟ » - « لا، أنا التي أحضرتها. » فتحوا الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، كانت جميعا مملوءة بالمسدسات و الرشاشات و فتائل الديناميت و الذخائر. كانوا متحمسين بشدة لذلك الاكتشاف. [...] كانت لدي صورهم مع أسمائهم و عناوينهم على القفا. عندما وجدوها أصبحوا مصممين أكثر، و بمديرية مراقبة الإقليم استجوبت لساعات في هذا الموضوع. و ما بين الساعة الثامنة عشرة حتى منتصف الليل، كان لديهم متسع من الوقت كي يتحققوا من أوراقى، بالإضافة إلى ذلك، اكتشفوا بطاقة هوية أخرى عليها صورتي بمنزل إينج، ففضلت أن أعطيهم هويتي الحقيقية، ليكون ذلك أكبر ما استمتعت به في تلك الأمسية. - « من أنت ؟ » أعطيت اسمي - « أنا جزائرية عضوة بـجبهة التحرير الوطني » ثم أقيت عليهم خطبة مسهبة « أنا لا أعترف بالسلطة الفرنسية إلخ... »

عندها استشاطوا غضبا. كانت في قبضتهم أخت « عمر » حرايف، المحكوم عليه سبع مرات و الذي لم يتمكنوا يوما من اعتقاله، و أنا بنفسني كان قد حكم عليّ لخمس سنوات حبسا في قضية أسلحة. »³⁹².

يذكر تقرير الشرطة الذي يبلغ عن هذه الغنيمة اكتشاف « 9 حقائب من الأسلحة تحتوي على 27 رشاشا مع 60 مشط و 47 مسدسا أوتوماتيكيا و مئات الأمشاط و مختلف معدات التخريب. و من بين الوثائق العديدة : صور و عناوين ثلاثين شرطيا من المحافظة و من الأمن الوطني محكوم عليهم بالإعدام من قبل جبهة التحرير الوطني، و خطط تدمير منشآت صناعية بالجنوب و بالمنطقة الباريسية. »³⁹³.

ألقي القبض على عائشة عليوات مرة أولى برفقة مارسيل ثم أطلق سراحها بعد التأكد من هويتها، و نجت بالكاد مرة ثانية بستراسبورغ حيث كانت تُعد منذ بضعة أسابيع سلسلة من عمليات التخريب مع « بالسترو » و « لعربي ». كانت مقيمة عند بورون، و هو عضو بشبكات دعم جبهة التحرير الوطني، و خضعت للتحقيق بمحطة ستراسبورغ، لكن تدخل الكاهن سمح لها أن تستعيد حريتها. كانت مناضلة معروفة جيدا لدى الشرطة إضافة إلى أنها كانت تعاني من سل رئوي عاودها بباريس. قام « عمي » بلعيد، وصيها الدائم، بأخذها إلى المستشفى الفرنسي - الإسلامي بباريس لتخضع إلى صورة الأشعة السينية بمصلحة الطبيب بوجلاب. كان التشخيص قطعياً و بعد وقت قصير جاء « مجيد » طالبا رؤيتها. و تم اتخاذ قرار جعلها تغادر فرنسا لأنها كانت معروفة من قبل الشرطة و كانت مريضة إلى درجة أنه لم يعد بإمكانها القيام بالمهام التي كلفت بها من قبل.

« طلب مجيد رؤيتي و قال لي « أنت التي تحبين المهام الصعبة، ستذهبين للالتحاق بالمقاومة في الجبال ». صدقته. كنت متعجلة للمغادرة. و في الأخير، كانت الوجهة مختلفة إذ أرسلت إلى ألمانيا مع مناضلين هما « عمار لو تاتوي » و مناضل آخر يدعى « لو بايزان » »³⁹⁴.

(392) ز. حرايف، المرجع المذكور.

In R. Muelle, *Op.cit.*, p. 178 (393)

(394) ع. عليوات، المرجع المذكور.

المرحلة القضائية

معركة قضائية، معركة سياسية

عامان يفصلان بين المحاولتين الاثنتين لجبهة التحرير الوطني في فتح جبهة بفرنسا. تغيرت أشكال الكفاح و تغيرت معها أهمية العمليات و طبيعة الأهداف والأهمية، الاستراتيجية أحيانا، للأهداف المحددة. و بين 1957 و 1958، أعطى تطور الأحداث لأعمال الأطراف المتنازعة، بفرنسا و الجزائر على حد سواء، بعدا سياسيا أهم بكثير. فأصبحت وسائل الإعلام الفرنسية و الصحافة الدولية وسيطا فعالا أكثر فأكثر في العمل الدعائي. و هكذا عرفنا أن محاكمات المحاكم الجنائية أو المحاكم العسكرية يمكنها أن تكون أسلحة رهيبه تستعمل ضد المدعى عليهم الذين حكم عليهم بالموت، في أغلبيتهم، و طبق حكم الإعدام على البعض منهم. لكن العملة لها وجه آخر، إذ يمكن للمحاكم أن تتحول إلى منابر دعاية. و هكذا فقد تمكنت جماعة محامي جبهة التحرير الوطني و محامين آخرين من نقابة المحامين الفرنسيين من وضع استراتيجية دفاع عن المتهمين فعالة جدا. لم يعد يمكن التعامل مع هذه القضايا كأنها قضايا من القانون العام أو كمجرد جرائم بسيطة. أخذت الأمور بعدا سياسيا حقيقيا و دُعي الرأي العام إلى الفصل في لبّ المسألة. هل هم يساندون النظام الاستعماري المفروض على الجزائر أم يناهضونه؟ ما هو المضمون الذي يعطى إلى مبدأي الحرية و المساواة في وضعية يكون فيها شعب تحت سيطرة شعب آخر؟ هل لدى المستعمرين الحق الشرعي في الثورة و حمل السلاح للتحرر؟ هل يجب مساعدتهم في تحقيق ذلك، إذا كان الأمر كذلك فبأي شكل؟

هذا النقاش السياسي و الفلسفي في الوقت نفسه، ردد على نطاق واسع من قبل الفرقاء في الجانب الفرنسي و سنتطرق إلى ذلك بصورة عرضية فقط . ذلك أن ما يبدو لنا مهما في هذا الفصل هو الدور البيداغوجي للمحاكمات، ليس بالنسبة للرأي العام الفرنسي فحسب، بل كذلك بالنسبة لجالية المهاجرين الجزائريين و لجبهة التحرير الوطني و للمتهمين أنفسهم .

فعل معزول ذو بعد سياسي رئيسي

عندما بلغ محمد بن صدوق، مساء 26 ماي 1957، نبأ وفاة شكال علي، كان همه الأول النجاة بنفسه ثم تشييد شبكة وقائع قد تسمح له بتحويل انتباه أجهزة الشرطة عن الهجوم الذي يتم التخطيط له في السرية التامة . بالفعل، كان من الممكن أن لا يصدّق السيناريو الذي ابتدعه ليفسر فعله إذا ما اهتمت الشرطة عن كذب بتلك الخطة المخربشة على قصاصة ورق و منسية في أحد جيوب محفظة أوراقه . كان يجب عليه إذن أن ينفي انتماءه إلى جبهة التحرير الوطني أو إلى أي حركة سياسية أخرى .

« قررت أن موقعي سيكون أن أقول أنني لا أنتمي لا لجبهة التحرير الوطني و لا لحركة الشعب الجزائري و بأني ارتكبت ذلك الاعتداء من تلقاء نفسي و بمحض إرادتي . كنت جزائريا مدركا لوضعية بلده السياسية و الذي اتخذ قرار القضاء على شكال علي بعد أن قرأ منشورا من مناشير جبهة التحرير الوطني يقدم هذا الأخير على أنه خائن يحاول التكلم باسم الجزائريين في الأمم المتحدة . كان أحد أصدقائي قد اشترى السلاح و تكفل بتعقبه للحصول على أكبر قدر من المعلومات عن الشخصية . كان لاعب كرة سابق يدعى سليمان . أجرينا القرعة كي نعرف من سينفذ العملية و القدر اختارني أنا . »³⁹⁵

يبقى لنا أن نعرف إذا كان هذا الموقف قد تصوره بن صدوق تلقائيا أو اقترحه عليه ستيب بيير، و هو محام ذائع الصيت اختاره المتهم كي يُمثله . كان قد سُمع عنه و عن مرافعاته في محاكمات شهيرة كمحاكمة الذي استهدف الأميرال دارلان . من جهة ثانية، فالمحامي معتاد على استلام ملفات المناضلين الوطنيين

(395) م . بن صدوق، المرجع المذكور .

و كان يهتم، حتى قبل 1954، بملفات مناضلين من حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

نفذت إجراءات دعوى محكمة الجنايات بسرعة. و لمدة شهر كامل، استُجوب بن صدوق بمراكز الشرطة قبل تحويله إلى النيابة العامة. كان الإجراء غير عادي لأنه جرت العادة أن تدوم التحقيقات لأشهر إن لم تكن لسنوات. يبدو أن الأهمية السياسية للشخصية المستهدفة و الظروف التي وقع فيها الهجوم و خطر حدوث موجة انجراف وسط الجالية الجزائرية، كل هذا ساهم في جعل هذه المحاكمة محاكمة رادعة. كان الاتهام يريد إبقاء المحاكمة حامية و اختار الاعتماد على تغطية صحفية كبيرة لذلك. أما الرأي العام الفرنسي، الذي كان، حتى ذلك الحين، غير مهتم بعشرات الضحايا التي خلفتها المجاهبات بين جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية الجزائرية، فقد تأثر و قلق في الوقت نفسه لرؤية هذه الشخصية المقربة جدا من السلطات العليا للبلد تقتل. من هم هؤلاء الأشخاص الذين يتحدثون سلطة الدولة الفرنسية و يهددون النظام العام ؟ أهم مناضلون من أجل قضية عادلة أم هم مجرد مجرمين ؟

كانت المسرحية أولا من صنع الادعاء نفسه. سُجن بن صدوق بسجن فريز بزنزانة كان يشغلها نازي سابق و معدة لاستقبال ببيرو - لو - فو الشهير. لذلك شُدَّت الإجراءات الأمنية : عزل تام و قضبان حديدية مزدوجة و حراسة مشددة. كان بيريز سيمون، القاضي المُعين، من المعتادين على استلام القضايا المتعلقة بالإرهاب. كان قد ترأس محاكمة سويسبي عبد الكريم و محمد مشاطي في قضية مطبوعة سرية تابعة لجبهة التحرير الوطني و اشتغل كذلك على ملف بن بلة.

من جهته، كان الدفاع يحاول تأخير المحاكمة لأنها الفترة التي كانت فيها معركة الجزائر محتدمة. كانت قنبلة ميلك بار قد خلقت ضحايا، و كان الرأي العام الفرنسي مستعدا دون تردد لقبول طلبات تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة بحق المتهمين بالهجوم. فكان على المحامي ستيف أن يربح بعض الوقت بأي ثمن، حرصا منه على تجنب موكله حكم الإعدام، خاصة أنه كان يجد صعوبة في الحصول على مساعدة شهود الدفاع. و لقد أعطته دعوة المحكمة، التي سلمت مباشرة إلى موكله، الفرصة ليبلغ عن عيب شكلي في الإجراء القضائي، و سمحت

له بتأجيل محاكمة القضية في اللحظة الأخيرة قبل اختتام دورة جلسات محكمة الجنايات. أُجِّلَت المحاكمة لمدة ستة أشهر و سُلِّم الملف إلى قاض آخر.

خلال فترة التحقيق، أدرك بن صدوق تدريجيا البعد الذي اتخذته المحاكمة والأهمية التي يمنحها الجميع على ما يبدو إلى ما فعله. و دُفِعَ رغما عنه إلى واجهة المسرح. كانت التنقلات من السجن إلى المحكمة تجري تحت حراسة مشددة من خلال قافلة من ثلاث سيارات. و لأول مرة، هو الذي لم يغادر يوما ضواحي المدينة المخصصة للمهاجرين، أعطيت له الفرصة لزيارة الأحياء الراقية بباريس تحت الحراسة. و الأفضل من ذلك أن المحامين، محامي الاتهام و محامي الدفاع، قد حصلوا على وقت كاف ليستعدوا للقتال و ليجدا شهودا مهمين.

للتأثير في المحلفين أحضر الاتهام إلى منصة الشهود امرأة شابة مبتورة الرجلين جراء هجوم ميلك بار. أما الدفاع، فقد أحضر كشهود الفيلسوف جون بول سارتر و أندريه ماندوز و دانييل ماير من الشبيبة العاملة الكاثوليكية، و استدعى كذلك كشاهد جاك سوستيل نفسه.

في يوم المحاكمة، كانت القاعة ممتلئة عن آخرها. و باستثناء عائلة المتهم، كان الحضور مكونا تقريبا، بشكل حصري، من محامين جاؤوا لحضور الحدث القضائي، و لم يُخَيَّبَ أملهم. أبرز محامي بن صدوق النزعة المثالية للمتهم، و رَافَعَ على أساس الاعتراف بالفعل المنعزل. تدخل الفيلسوف جون بول سارتر في موضوع « الأيادي الوسخة »، فردَّ عليه المدعي العام أن « ידי بن صدوق ليستا وسختين إنما ملطختين بدم الفرنسيين ». و ثار جدال بين المحامي ستيب و جاك سوستيل. لماذا يقوم الأنثروبولوجي، الذي أصبح وزيرا، بالدفاع عن أطروحة الاستعماريين المتطرفين؟ إن المجازر المرتكبة من قبل « المسلمين » بسكيدة هي التي جعلته يغيّر موقفه. و علاوة على ذلك، أضاف القاضي قراءة رسالة لأكوست روبير. في المقابل، أثرت شهادة دانييل ماير من الشبيبة العمالية الكاثوليكية في الحضور. و قامت المرافعة بالإصرار على التمييز بين الفعل الإجرامي و أعمال المقاومة للاحتلال الأجنبي؛ و قدّم مثال فرنسا تحت الاحتلال. و سرعان ما تمت المقارنة بين الحالتين. و في الأخير، حصل بن صدوق على الظروف المخففة و حكم عليه بالحبس مدى الحياة.

كان للمحاكمة صدى كبير. ولقد جعل منه التجنّد الإعلامي حدثاً أساسياً في الأخبار القضائية الفرنسية. ومن ذلك الحين، لم يعد يمكن التعاطي مع الدعاوى المرفوعة ضد المناضلين الوطنيين الجزائريين كمجرد قضايا إجرامية. وقد أرغم تسييس النقاشات الإتهام على مغادرة مجال القانون العام للخوض في المجال السياسي. وتحوّلت المحاكمات، في معظم الأحيان، إلى محاكمة الاتهام نفسه. وأثرت القضية تأثيراً كبيراً على الرأي العام. ومن الجانب الفرنسي، لم يعد من الممكن اتخاذ موقف لا مبالاة بعد المواقف التي اتخذها زعماء الفكر الفلسفي والأخلاق المسيحية. ومن الجانب الجزائري، أصبح التأثير البيداغوجي، وبشكل من الأشكال، الدعائي، لصالح أطروحات جبهة التحرير الوطني، محسوساً. فرفعت الجالية المهاجرة، من تلقاء نفسها، مساهماتها المالية لجبهة التحرير الوطني وسرعان ما فاضت خزانة فيدرالية فرنسا. وكان للتأثير وقع على كامل المدن الفرنسية، ولكن كذلك على المقاومة في الجبال بالجزائر. أما بالنسبة للمتعاونين، فقد أصبح الخطر محدقاً، إذ لا يمكن لأي فرد النجاة من جبهة التحرير الوطني حيثما كان ومهما كانت تدابير الحماية التي تحيط به.

من محكمة الجench إلى المحكمة العسكرية

مرت أكثر من سنتين بين اغتيال شكال علي و اغتيال عضو مجلس الشيوخ بن حيبلس. كان نظام الدفاع عن المتهمين قد تطور لأن جبهة التحرير الوطني أدركت، في مجرى الأحداث، الأهمية السياسية للمحاكمات، والعامل المجدد الذي قد تستفيد منه بفضلها. وعرض هارون علي³⁹⁶ وكتاب آخرون، بصورة جلية، هذا التطور الذي حمل إلى تشكيل جماعة محامي جبهة التحرير الوطني ثم، في أفريل 1959، إلى « جزائرهم ». وأعطيت تعليمات لجميع المناضلين المحاكمين من قبل المحاكم الفرنسية تطلب منهم اعتبار أنفسهم كـ « محاربين » ورّد صلاحية العدالة الفرنسية. ومن ذاك الحين، لم يعد أي مناضل يتبنى خطة الدفاع المتّبعة في قضية شكال علي. وبالنسبة لأعضاء المنظمة الخاصة أضيف، إلى هذا الإدراك بأنهم « محاربون »، إدراك كونهم ينتمون إلى وحدات قتال عسكرية مكونة لمواصلة الكفاح على أراضي العدو. كان هؤلاء المناضلون المدربون بالقواعد

A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 170 et suiv (396)

الخلفية المغاربية يعتبرون منظماتهم كتيبة تابعة لجيش التحرير الوطني . فهم مناضلون يخوضون حربا تحريرية، لكن البعد السياسي لهذا الالتزام لم يأت إلا بعد عملية اختتام طويلة .

لم يدرك مدادي سليمان حقا المدى السياسي للعمل الذي قام به إلا في لحظة التحقيق القضائي . و كانت المعاملة التي عامله بها ضابط الدرك، خلال الاستجواب الأول، قد ساعدته على فهم وضعه فهما أفضل . اعترف الضابط الدركي بحقه في أن يعامل معاملة أسير الحرب و خاطبه بضمير الجمع . ثم، كما جرى مع بن صدوق محمد، أعطاه نشر قوات الشرطة اللافت على طول الطريق المؤدية من السجن إلى المحكمة، إحساسا أنه شخصية غير عادية إلى حد ما .

« نقلت و كأنتي كنت رئيس الجمهورية لكثرة السيارات المرافقة و راكبي الدراجات النارية و جميع العربات المسرعة على طول الـ 28 كلم التي كانت تفصلنا عن محكمة فيشي . »

يضاف إلى كل هذا الموكب من الشرطة، التأثير السياسي الذي أثاره موت عضو مجلس الشيوخ . و هذا الأمر لم يكن قد فسّر له مسؤولوه . كانت مهمته إعدام خائن فأتى المهمة بإتقان، لانضباطه، كما فعل مرات عديدة من قبل . و لكن لماذا أثّر إذن كل هذا الهيجان حول هذه الشخصية ؟

« عند التحقيق، كنت أجهل كل هذا . كنت مناضلا و ليس سياسيا . القاضي هو الذي أخبرني أن عضو مجلس الشيوخ بن حبيلس، الذي كنت قد قضيت عليه، كان يمثل القوة الثالثة بالنسبة لدي غول . كان هذا الأخير يريد تقديمه في مؤتمر قمة باريس الذي كان من المفترض أن يُعقد في 3 ديسمبر 1959 . كنت قد أعدمته 5 أيام قبل ذلك، منتزعا هكذا من الجنرال أي أمل في المضي في هذا الطريق . علمت بكل هذا خلال مواجهتي الثانية مع زميلي فرحات غريب . سمعت، في الوقت نفسه، عن الخطاب الذي أدلى به الجنرال دي غول في 16 سبتمبر، والذي أعلن فيه عن الاستفتاء الذي كان سيجرى حول تقرير المصير في الجزائر . فسر لي القاضي معنى كلمة تقرير المصير و شرح لي أن هذا الموقف السياسي الجديد هو النتيجة المباشرة للعملية التي استهدفت فيها عضو مجلس الشيوخ . [...] و هكذا، أصبح القاضي، بالرغم من الوضعية، صديقا . و قد

أعلمني كذلك أمرا لن أتمكن من نسيانه إذ قال لي : إن المرء الذي يخون والدته لا يمكن إلا أن يخون زوجة والده. ألن ينتهي الأمر بالجزائريين الذين خانوا وطنهم اليوم بخيانة فرنسا غدا ؟ هل يمكن الوثوق بهم ؟ لقد علمني هذا القاضي الكثير وفتح عيني على المسألة السياسية. ³⁹⁷ .

و من ذلك الحين فصاعدا، لم تعد القضية تدخل ضمن نطاق المحاكم المدنية وإنما ضمن نطاق المحكمة العسكرية. في جلسة 20 أبريل 1960، بمحكمة المنطقة العسكرية الثامنة، دارت النقاشات حول صفة الفعل و فاعله. و ما يتذكره مدادي سليمان من المحاكمة هي العبارة التي كان يكررها بلا كلل العسكري المنفذ للأوامر : « أنا عسكري، جندي من جنود جيش التحرير الوطني المقاتلين بالأراضي الفرنسية، الظروف هي التي جعلتني أقاتل هنا وليس بالجزائر. »

و يمثل اعتراف قضاته و محاميه بشجاعته و كبريائه نقطة راسخة كذلك بذاكرته. فبعد رد حاضر قدمه المتهم لرئيس المحاكمة، نهض المحامي أوصديق و توجه لسليمان باللغة القبائلية : « أنت رجل بحق ! » و كان ذلك الحدث الذي ميّز الجلسة. و في وقت آخر، شهد العريف، الذي أصيب بالعديد من الرصاصات، لصالح مدادي : « أشيد بهذا الرجل لأنه بفضل لا زلت على قيد الحياة [...] أشيد به، إنه رجل بحق. أنا، كنت أريد أن أمنعه من الفرار، كان ذلك واجبي، أردت قتله، في حين حافظ هو على حياتي. » انطلاقا من تلك اللحظة أصبح رئيس المحكمة يخاطب المتهم بـ « السيد » .

بطبيعة الحال، قد يبدو هذا أمرا تافها، لكن هذا هو ما رسخ في ذاكرة الفاعلين. فبفضل تفانيهم في الكفاح المسلح، و بفضل انتمائهم إلى هذه المنظمة « الخاصة »، لم يصبحوا ذلك « الشمال إفريقي، بسترة رمادية قديمة شبيهة بسترة من نوع تويد بنسيج مصّلب و شعر أسود مجعّد، متوسط الطول و لديه ندبة شقة - الأرنب. » أو كذلك « شخص مسلح و خطير » ³⁹⁸ دون اعتبار آخر لشخصهم أو لدوافعهم. أصبحوا « رجالا »، « مقاتلين »، و ليس فردا أو جماعة و إنما شعبا كاملا يخوض كفاحا.

(397) المرجع السابق.

(398) تقرير للشرطة المذكور ب : In R. Muelle, *Op.cit.*, p. 149

الاعتقال

منطقة المحكوم عليهم بالإعدام

كبير هو عدد أعضاء فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الذين حكم عليهم بسنوات حبس طويلة، و لكن مناضلو المنظمة الخاصة عوملوا، من بين البقية، معاملة صارمة على وجه الخصوص. و تحصى، بالمناسبة، في صفوفهم أكبر نسبة من المحكوم عليهم بالإعدام. و بما أنه ليس من الممكن إعطاء قائمة شاملة، كون ذلك يتطلب دراسة منهجية لأرشفيف المحاكم الفرنسية و مساعدة المنظمة الوطنية للمجاهدين، سنستند إلى القائمة التي وضعها آيت مختار باعتماده على شهادات أعضاء المنظمة الخاصة القدامى³⁹⁹.

في محاولتنا تتبع تاريخ المنظمة الخاصة، يبدو لنا من المهم سرد هذه اللحظة البارزة المتمثلة في المرور بزنزانة المحكوم عليهم بالإعدام، ذلك أنه، حتى و لو كانت هذه اللحظة جزءا لا يتجزأ من عملية الكفاح من أجل التحرير الذي قاده جميع المناضلين الوطنيين، فهي استثنائية بما فيه الكفاية، بطابعها الأقصى شدة و بالآثار التي تركتها في ذاكرة المتهمين، كي تستحق أن نتوقف قليلا عندها.

عندما عاد أوراعي مولود من المحكمة التي أصدرت عليه حُكما بالإعدام، اقتيد إلى منطقة أخرى من السجن. إذا لم يكن قد أدرك خطورة النتائج المترتبة عن وضعيته الجديدة، فلقد أدرك الأمر إدراكا تاما في أعقاب الأحداث و من خلال الجو الخاص الذي كانت عليه الأقسام الموضوعة تحت حراسة أمنية مشددة.

(399) انظر بالملحق قائمة المحكوم عليهم بالإعدام.

« في المساء، أخذوني في عربة المساجين . عندما وصلت إلى المصححة، جردت من ملابسني و سلموني الملابس المناسبة . كنت قد ذهبت للمحاكمة مرتديا ثيابا مدنية و ربطة عنق كان قد اشتراها لي الإخوة [...] و ها أنا الآن بملابس المحكوم عليهم بالإعدام . [...] أصبحت الأمور تزداد جدية بالنسبة لي و بدأت أطرح على نفسي أسئلة [...] وجدت زنزانتي الجديدة مناسبة من حيث النظافة، بلغني أنه أُعيد طلاؤها و نظفت بالكامل لاستقبال المحكوم عليهم الجدد . [...] لكننا كنا معزولين عن بعضنا البعض دون أي أثاث داخلي [حيث يمكننا وضع أغراضنا] كانت الخزانة بالخارج أمام الباب، و كان الحارس هو الوحيد المخول له فتحها . لم يكن يحق لنا حتى الحصول على قلم . كان كل شيء مشدودا بالحائط أو بالأرض : الكرسي، الطاولة، الفراش، كان كل شيء مثبتا بإحكام . كنا مقيدين بالسلاسل من معاصمنا و كان ذلك يثير أعصابنا في نهاية المطاف، كانت السلاسل هي التي تعكر أمزجتنا . ولكن، أكثر من السلاسل، كان الانتظار هو الذي لا يطاق . [...] حدثت إعدامات عندما كنت بذلك القسم . في يوم من الأيام، أُعدم سجينان اثنان في الوقت نفسه . كان ذلك أواخر سنة 1959، كنا مختلطين بسجناء القانون العام، بحيث كان البعض منهم يعدمون كذلك، من وقت لآخر، بالمقصلة . ذلك الانتظار هو عذاب لا يوصف . لا يحس بالجمرة إلا من أحرقتة . عدا ذلك، لم يكن الباقي يتميز بأي شيء استثنائي .

بقيت في عزلة تامة لبضعة أشهر إلى أن اكتشفت أنه يمكننا التواصل، من زنزانة إلى أخرى، من خلال أنابيب التدفئة المركزية . كنا نلصق آذاننا و نسمع « كلمات سر » كل واحد منا . كانت شفرتي تتمثل في أربع ضربات تجعل باقي المتهمين يميزونني عن الآخرين . كنا جميعنا نتكئ على واجهة المدفأة و نتبادل أطراف الحديث . و على المدى الطويل، أصبح خدي محروقا تماما .

كانت النظرة كذلك تتم على انفراد، كان كل واحد منا يذهب و يعود في الممر دون الالتقاء بأحد على الإطلاق . [...] لم يكن يحق لحراس ذلك القسم قراءة الجريدة و لم يكن يحق لهم كذلك ارتداء نعال جلدية، وحدها الأحذية المطاطية كانت مسموحة . كانت ربطات عنقهم عبارة عن عقدة فراشية مثبتة بسلك مطاطي . كانوا يتناوبون كل ساعتين كما في الجيش [...] .

سمح لي في يوم من الأيام الحصول على سيالة و كراس و بدأت أكتب . كنت أدون كل ما كنت أقوم به في اليوم و ما أسمعه و ما أراه و ما أكله . في كل يوم كان يمر، كنت أضيف بضعة أوراق إلى تلك المذكرات المرتجلة .⁴⁰⁰

في تلك العزلة الرهيبة، بقي المحكوم عليهم بالإعدام يحضون، مع ذلك، باهتمام خاص من قبل لجنة الاحتجاز و كنا نشهد أحيانا حارسا يناوب آخر، بتحليل مسبق، كي يوصل لهم بضعة علب من السجائر، و أحيانا حتى رواتبهم كأعضاء من المنظمة الخاصة . قد نفكر في أنه عزاء تافه عندما نقيس عظمة تعاستهم و الخطر الرهيب الذي كان يتهددهم . ولكنه أمر في غاية الأهمية أن تحس بأنك مساند، في ظروف كتلك، من قبل منظمة تتمكن من الوصول إليك حتى في أعماق عزلتك و تظهر بذلك تضامنها النشط معك .

أناس متميزون

في عالم السجون الفرنسية، كان أعضاء المنظمة الخاصة يصادفون سجناء يمضون هم كذلك مدة عقوبة متفاوتة الأهمية لمشاركتهم في كفاح التحرير . لكن ما كان يميز أعضاء المنظمة الخاصة عن غيرهم من المناضلين، هو أنهم كانوا يصرون على انتمائهم إلى جيش التحرير الوطني و ليس إلى الفرع المسلح لجبهة التحرير الوطني . و كونهم تلقوا تدريب كومنندوس بقواعد جيش التحرير الوطني بالمغرب و حوكموا في محاكم عسكرية، عزز لديهم هذا الشعور . في مكان ما من وعيهم، كانت تظهر هذه الخاصية على أنها تمييز و تعطيهم الحق في مزيد من الاحترام من قبل زملائهم، ليس بصفة امتيازات و إنما كإقرار من الآخرين بفضلهم .

في السجون، كان هناك قادة من جبهة التحرير الوطني و فيدراليون و قادة ولايات و قادة مناطق و أفراد دون رتب و سياسيون و آخرون أقل مرتبة . كان هناك كذلك أفراد من الشرق و من منطقة القبائل و من الغرب، و أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري القدامى و المصاليون و المركزيون و أعضاء شبكات الدعم، و كانت جميع هذه العوالم الصغيرة تعمل كأماكن تماهي و شبكات تضامن . و كانت المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني واحدة منها .

(400) م . أوراغي، المرجع المذكور .

علاوة على ذلك، كان يوجد، وسط أفراد المنظمة الخاصة، أفراد محكوم عليهم بالإعدام و كان هذا يضيف من الاعتبار الذي كان يبدو لهم أنّ من حقهم أن يبديه لهم الآخرون.

بعد وحدة طويلة بزنزانات المحكوم عليهم بالإعدام و السنتين التي قضاها في الحبس الانفرادي بالمصحة، نُقل شروق إلى سجن فرين حيث جُمع المتهمون السياسيون من جبهة التحرير الوطني. و لقد تركت فيه معاشرته الطويلة للتهديد الدائم بإعدام وشيك، و كذا الغياب التام للتواصل المباشر مع متهمين آخرين، آثارا عميقة. فكان نطقه صعبا و سلوكه مرتبكا بعض الشيء بالرغم من تحسين نظام السجن، و لم يحدث تغيير إلا بعد زمن. لكن ما يبرز الأكثر في الشهادة هو الاستقبال الذي خصصه له بقية المسجونين.

« أمضيت قرابة العام في ذلك السجن [فرين] حيث وجدت جوّ تضامن كبير وسط الإخوة الذين علموا تفاصيل القضية و ظروف اعتقالي. كنت أعامل بمراعاة كبيرة من قبل جميع المسجونين و مسؤولي المنظمة. »⁴⁰¹.

يشير أوراعي كذلك إلى هذا الجانب الخاص عندما يتكلم عن لقائه الأول مع مسجونين آخرين عندما خُففت العقوبة إلى السجن مدى الحياة.

« بالقسم المحروس حراسة مشددة، وجدت نفسي مع سجناء من القانون العام. كانوا رجالا من جماعة النصابين اعتقلوا بتهمة السطو المسلح. كانت هذه المنطقة نظيفة جدا و لولا القضبان لما ظننا أننا بسجن. كانت عندنا أغذية نظيفة و أفرشة. كان السجناء المتواجدون هناك يظهرون لي احتراما كبيرا. [...] وجدت رجالا أقوياء بينهم و آخرين ارتكبوا جرائم كثيرة، لكنهم كانوا جميعهم يحترموني. ربما ظنوا أنني ارتكبت أشياء أكثر منهم. كانوا يعرضون عليّ خدماتهم و يأتون لرؤيتي. [...] كانوا، أحيانا، ينادونني و يقرصون يدي حتى تنزف، يقال أن هذا يجلب الحظ، إذن، كانوا يقرصون كل بدوره. »⁴⁰².

عكس رفقائهن في السلاح، لم تجد مناضلات المنظمة الخاصة أنفسهن في سجون غالبية أفرادها من أصول جزائرية. فخلال السنتين التي قضتهما مختار

(401) ع. شروق، المرجع المذكور.

(402) م. أوراعي، المرجع المذكور.

صغير نادية بيومات، سنة ممنوعة من مخالطة الآخرين و سنة في زنزانة معزولة، لم تلتق إلا بمحاميتها، المحامي سيانو و فرلوس زوجته، من جماعة الدفاع التابعة لجبهة التحرير الوطني بمرسيليا. و من بين جميع المحتجزات بالسجن، كانت كعبوش حليلة الوحيدة الموجودة هناك لأسباب سياسية ؛ و قد نقلت إلى زنزانة نادية عندما وصلت فترة احتجاز هذه الأخيرة إلى نهايتها. و كان ذلك لشهرين فحسب، أما بقية الوقت فكانت نادية قد قضته في عزلة تامة تقريبا. و وحدها قراءة الكتب و المجلات، التي جلبتها لها امرأة مسخرة، سمحت لها بمقاومة عزلتها. و لقد قادت وحدها كفاحها للحصول على وضعية السجينة السياسية، دون دعم مجموعة تضامنية، بتعليقها على باب زنزانتها « سجينة سياسية ». و لم تجد نفسها وسط مجموعة، كبيرة نسبيا، من مناضلات جبهة التحرير الوطني⁴⁰³ إلا بعد تحويلها إلى سجن بو سنة 1961.

كانت حرايף زينة تُمثل حالة خاصة جدا، بما أنه كان يوجد بسجن « لا بوتيت روكيت »، حيث احتجزت، عدد كبير من السجناء السياسيين أكثر مما كان يوجد بسجن بومات. و يتفق أن العلاقات بين مناضلات جبهة التحرير الوطني و مناضلات شبكات الدعم كانت تشير مشاكل. و تكلم هارون دون إطالة⁴⁰⁴ عن « احتكاكات تافهة و مشاكل أخلاقية ». و لقد اشتكت زينة كثيرا من نساء شبكة جونسون إذ كان يبدو لها أنهن يتصرفن بـ « أبوية » لا تطاق.

« في ذلك السجن، كانت هناك المناضلات الجزائريات من جبهة التحرير الوطني و الفرنسيات. و كان يوجد، من بين هذه الأخيرات، تلك اللواتي كن يعملن مباشرة مع جبهة التحرير الوطني، مثل سيسيل دو كوجي التي اعتقلت في الوقت نفسه الذي اعتقل فيه بومعزة. كانت فتيات قد انخرطن في الكفاح و احتفظن، في الوقت نفسه، بشخصيتهن كفرنسيات. كانت هناك كذلك باتاي لورانس، التي كانت تنتمي إلى هذه الفئة، و ديدار فوزي، التي كانت مصرية عضوة بشبكة كوريل. كانت علاقتهن بالكفاح صادقة و نزيهة أما مناضلات شبكة جونسون، فكانت خيالية أكثر. كن ينسجن روايات عن مشاركتهن، أو على الأقل، هذا ما ارتأيته في أقوالهن.

(403) من بينهن : دانييل مين (جميلة عمران) و زهور زراي و آني شتاينر.

A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 160 (404)

عندما وصلت، لم يكن لدي شيء ضدهن، كنت أكن لهن الاحترام و لو طلبن مني أن أضحي بنفسي لفعلت، لأنني كنت أجد أن ما كن يقمن به أمر مدهش. وربما ما كنت لأكون قادرة على قيادة هذا الكفاح أو بلوغ هذا الإحساس المتطور بالعدالة. لا أظن أنهن كن يعتبرن عملهن تضحية [بمصالهن]. و مع ذلك، ما لم أكن أقبل به هو أبويتهم. كنت قد عرفت هذا بالجزائر و لكن بفضاضة أكثر. [...] وهذا هو الإحساس الذي انتابني مع مناضلات الشبكات. في المناقشات التي كنا نجريها كن يقترحن أفكارا و يرغبن في جعلنا نعتقد أننا من جننا بهذه الأفكار. باختصار، كن يفكرن مكاننا.

كنّ يقلن لنا : **يجب هذا أو ذاك، هذا جيد لكن أو هذا جيد لك**. كن يقترحن علينا طريقة التعامل مع إدارة السجن... لم أكن أحب هذه التصرفات. [...] كن يساعدن جبهة التحرير الوطني و لكن كن يرغبن كذلك في فرض نظرتهم الخاصة. كنت قد أحسست بذلك عندما كنت أحضر اجتماعات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني مع اليسار الفرنسي. و قد حدث شرخ في اليوم الذي أرادت فيه شبكة جونسون معرفة و مناقشة العمليات التي كانت تنوي جبهة التحرير الوطني القيام بها في فرنسا [...] كن يقلن، على سبيل المثال، بأنه دون شبكات جونسون ما كنا لنتمكن من تمرير مال التبرعات، أو أن الثورة ما كانت لتكون من دونهن. كن مخطئات، كان المال يُمرّر قبل مساهمتهم بكثير و كنت أنا بنفسني أنقل مبالغ مالية كبيرة، و أول من قام بفعل هذا على نطاق واسع كانوا القساوسة العمال لبرادو بليون. و لم تلجأ جبهة التحرير الوطني إلى خدمات الشبكة إلا في لحظة معينة.

كنت أقدر كثيرا سيسيل دو كوجي، كانت تحب بلدها و تحترمه، و كانت تساعدنا دون أن تكون ضد ذويها. و لقد قالت عبارة نبيلة جدا بمحاكمتها : **« إن تصرف فرنسا إهانة لفرنسا »**. كانت صديقة حقيقية، لقد علمتني أن أنتقي قراءاتي و المسرحيات... كانت تقوم بتوليف الأفلام بالسينما. و لكن، يجب أن أعترف بأنني تعلمت أشياء كثيرة كذلك من مناضلات شبكة جونسون. و لقد أخذت كل ما كنت أجده إيجابيا بفرنسا و تركت الباقي. ⁴⁰⁵.

(405) ز. حرايف، المرجع المذكور.

ولتلطيف الصراع الناشئ بين مناضلات جبهة التحرير الوطني و مناضلات شبكات الدعم، اقترح المحامي أوصديق على الجزائريات تهيئة حجيرة في المطعم و التوقف عن تناول الطعام برفقة الفرنسيات. في الواقع، لم يكن عدم التوافق سياسيا فحسب، بل كان كذلك من حيث العادات و التصرفات اليومية. كانت السجينات الجزائريات تُنعتن بالبرجوازيات الصغيرات في حين كانت هذه الأخيرات تلاحظن ميل زميلاتهن الفرنسيات الظاهر للمستهلكات الفاخرة (نُجود بالزنزانات، مقبلات، سجائر، عطور) عندما تحسن نظام السجن بالنسبة للجميع. و النزاع هو، في نهاية المطاف، نزاع معقد كانت كل جهة فيه تتنازع على الحق في أن يُعترف بفضلها و مساهمتها في الثورة الجزائرية. من جهة أخرى، هذا هو نوع النزاع الذي نجده في صفحات أبعد، بين جبهة التحرير الوطني و شبكات الدعم عندما تعلق الأمر بتغيير جبهة التحرير الوطني لمسارها السياسي للحرب.

الفرار كشكل من أشكال المقاومة

عرف الجوّ، الذي كان يسود بمختلف السجون، عودة مفاجئة للتوتر بالأشهر الأخيرة لسنة 1961. كان الاضطراب سائدا مع اقتراب عقد اتفاقيات السلام. تضاعفت الاضرابات عن الطعام و أدت إلى مرونة النظام الداخلي. لكن ذلك لم يمنع أن نقص المعلومات عن النوايا الحقيقية للفرنسيين كان يثير أسوأ المخاوف، و يزيد من الخطر الحقيقي أو المفترض لكومندوس المنظمة السرية المسلحة على المحتجزين.

قررت عندها لجنة الاحتجاز رفع أي قيود على خطط فرار محتملة. فبدأ كل واحد يعدّ خطته الخاصة و لم يكن أعضاء المنظمة الخاصة استثناء. في لوس - لي - ليل، وضع شروق، الذي كان يدرّس اللغة العربية، مقاعد القسم تحت تصرف فارين محتملين ليصنعوا منها سلما، و مع أوراغي، وضع خطة للفرار لكنهم لم يكونوا الوحيدين، إذ كانت مجموعات أخرى تخطط للأمر نفسه، كل لحسابه الخاص. و هكذا نجد، حتى في محاولات الفرار، انشاقات تشتغل من داخل المنظمة السياسية. و لقد كان يصب اهتمام جميع من بالسجن في المشروع الذي كان جار، فذاعت الأخبار و انتشرت بسرعة البرق. كانوا يراقبون بعضهم البعض، و كان الجميع في حالة تأهب : الحراس لمنع تحقيق أي خطة

من تلك الخطط، و المحتجزون لاغتنام أي فرصة تتاح لهم. و لكل هذه الأسباب، كانت بعض محاولات الفرار تفشل فشلا ذريعا في حين كانت محاولات أخرى تنجح نجاحا مذهلا.

« كان ذلك يوم جمعة، و في ذلك اليوم، كما في كل أيام الجمعة، كانت هناك جلسة سينمائية. و هو حدث لم يكن يفوته أحد ما دام كان هذا ترفا يخرجنا عن المألوف. بالإضافة إلى ذلك، كان فلما كوميديا، فحتى الحرس، الذين كانوا يعرفون أهمية هذا الحدث، لم يصروا كثيرا خلال تفتيش الزنانات قبل بث الفيلم.

و عندما انتهت الجلسة، انتشر خبر الفرار بسرعة البرق. كان ينقص أربعة سجناء لم يعثر عليهم رفقاؤهم. و بما أن الجميع بالسجن كان يعرف الطريق، بدؤوا يلقون بأنفسهم، الواحد تلو الآخر، داخل الحفرة التي كانت ستقودهم إلى الحرية. و لكن، بعد 10 دقائق، بدأ، كل من رمى بنفسه في الحفرة، يعود مغطى تماما بالطين و البراز. ففي غضون ذلك، لاحظت إدارة السجن غياب الفارين الأربعة و قامت بسد الحفرة كي لا يتمكن الآخرون من تتبعهم، و بهذا، وجد، كل من حاول التسلسل، نفسه بمجاري السجن. كان الحراس هناك يراقبونهم بنظرة ساخرة دون التدخل على الإطلاق.

أما بالنسبة للسجناء الأربعة، فقد تمكنوا من بلوغ الحدود البلجيكية و التي كانت تبعد عن السجن بـ9 كلم فحسب. و من هناك، استطاعوا الالتحاق بالمنظمة و نُقلوا إلى المغرب. »⁴⁰⁶.

إذا كانت المحاولات الفاشلة قد تسببت ببعض الإزعاج لأصحابها، فتلک التي نجحت أثارت دعاية هائلة لجبهة التحرير الوطني و للمحتجزين أنفسهم الذين لم ييأسوا من القيام بالمثل. و من بين كل عمليات الفرار، كانت الأكثر لفتا للانتباه عملية « لا بوتيت روكيت » حيث تمكنت مناضلتان من جبهة التحرير الوطني و أربعة من شبكات الدعم من الفرار⁴⁰⁷.

(406) ع. شروق، المرجع المذكور.

(407) حرايف زينة و حمود فاطمة و جاكلين كاري و ديدار فوزي و ميشلين بوتو و هيلين كونات.

التعديلات الموجعة

الحرب ضد التمرد، استراتيجية للمستقبل

تمثل سنة 1959 نقطة تحول أساسية في تاريخ حرب الجزائر. فبالتوازي مع الانفتاحات على جبهة التحرير الوطني، التي كان يدعيها الجنرال دي غول، كان الجانب الفرنسي يعد استراتيجية أساسها التمهيد لاستقلال الجزائر استقلالاً شكلياً. كان الهدف الخفي وراء « السلام المشرف » هو كسر وحدة القيادة و تأجيج التناقضات التي ظهرت بين قيادة الداخل (المقاومة بالجبال) و قيادة الخارج (الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية). كان التشريد الجماعي لسكان القرى و احتجازهم بمعسكرات التجمع يهدف إلى إحباط إمكانات مقاومة الشعب بقدر ما كان يهدف إلى إحباط معنويات وحدات جيش التحرير الوطني. و قام الجيش الفرنسي بإدخال وحدات فاصلة إضافية (الحركة و ميليشيات أخرى للدفاع الذاتي) بين القاعدة الشعبية لجبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني و قيادتها السياسية و العسكرية. و كانت تنشط كذلك على صعيد الحرب النفسية بوضع هياكل مكلفة بالتكفل بالحاجيات الاجتماعية و المادية للشعب، فقامت الأقسام الإدارية الحضرية و الأقسام الإدارية الخاصة بالتكفل بالإمدادات الغذائية و العناية الصحية و التعليم و الأحوال المدنية. و كانت مصالح أخرى تابعة للمكتب الثاني تنشط في مجال الاستخبارات و التسلل و تثبيط المهمة و تدمير البنية الفوقية لقيادة وحدات جيش التحرير الوطني.

على صعيد أوسع و في أعلى مستويات الدولة الفرنسية، أدت الاتصالات التي بدأت منذ 17 مارس 1959 مع ممثلين من الولاية الرابعة، إلى لقاء 10 جوان

بين الجنرال دي غول والعقيد سي صالح و بونعامة سي محمد و سي بوشامة لخضر. هذه المفاوضات تتماشى مع المفاوضات التي كان الجنرال دي غول ومستشاروه و وسطاؤه (إدموند ميشيل و تريكو برنارد و ماثون من جهة، و عمروش جون و لونتان ألبير بول من جهة أخرى) يرغبون في إجرائها مع ممثلين للجناح « المعتدل » من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. و كانت الرسالة الموجهة للعناصر الأخرى من الحكومة المؤقتة لجهة التحرير الوطني واضحة : « إذا لم ترغب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في التفاوض، عند الدعوة القادمة، فسيتم تنفيذ خطة السلام مع جيش التحرير الوطني الداخلي. »⁴⁰⁸. كان الخطر إذن واضحا كل الوضوح، و وسط اللجنة الوزارية المشتركة للحرب، بدأ خطر انقلاب التوجه يحوم. لم يكن كريم و بن طوبال و بوصوف، الذين يمثلون هذه اللجنة، يُشاطرون تحليل عباس و فرنسيس و مهري حول النوايا الحقيقية للجنرال دي غول، و من خلاله، حول نوايا الدولة الفرنسية.

« كان هو أيضا [دي غول]، كونه جنرالا، يخضع إلى ضغوط جيش يحاول استعادة شرفه بعد الهزائم العديدة التي تكبدها منذ 1939. كان عليه أن يأخذ ثأره، بأي ثمن، مما أسماه بحرب الجزائر و محو الهزائم العسكرية و الدبلوماسية التي تكبدها إلى ذلك الحين. و لبلوغ هذا الغرض كان دي غول يلقي الدعم الكامل من اليمين. فسخر إذن جميع إمكانات فرنسا لإعطائنا ضربة حاسمة و وضع حد لانتقادات العسكر.

كنا نعلم أن الأوقات ستصبح عصيبة و أن الجزائر ستتلقي ضربات لم تتلقها من قبل. بالفعل، كان دي غول رئيس الدولة الفرنسية الوحيد الذي فرض حربا حقيقية على الجزائر. كان الجيش الفرنسي قد بلغ تعداد 800.000 رجل مع 700 عقيد، إذا لم تخني ذاكرتي، و 200 جنرال من بين أفضل جنرالات ذلك البلد. و حدهم المشيرون كانوا غير موجودين لتقدمهم في السن.

لم يكشف دي غول، و لو للحظة، عن نواياه الحقيقية، لا في كتاباته و لا في تصريحاته للصحافة. و هذا قد حملني على التفكير بأن الجانب الجديد من

(408) جرت المفاوضات الأولى، بين ممثلي الحكومة الفرنسية و مندوبي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، بملون من 25 إلى 29 جوان 1960.

المشكل الذي كانت تطرحه علينا فرنسا لم يكن ذا طابع عسكري فحسب . كنت قد أخبرت كريم و بوصوف بأن هذا الجانب بالغ الأهمية، و لكن بما أننا كنا سنواجه شيئا أكثر خطورة بكثير، فمن وجهة نظري، كان دي غول يعدّ لعملية كانت ستظهر ارتداداتها على المدى البعيد .

كان يعرف أن قوة المسؤولين، الذين كانوا على علاقة عضوية بالثورة، كانت تأتيمهم من الداخل، و أن العمود الفقري للشعب هو جيش التحرير الوطني، و أن أغلبية الجنود ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الأكثر حرمانا و أن هذه المكونة من مكونات الثورة عندها شيء من نزعة ضد- فرنسية . إذن، لم يكن من الممكن أن يتوقع التوصل إلى اتفاق من أي نوع مع هؤلاء الناس أو أي تحسين في العلاقات مستقبلا، حتى و لو استقلت الجزائر .

و داخل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، لم يكن هناك شك في أنه، في يوم من الأيام، ستحصل الجزائر على استقلالها . لكن التباينات بدأت تظهر فيما يخص الطرق التي قد تقودنا إليه و فيما يخص طبيعة هذا الاستقلال [...] استقلال رسمي للدولة الجزائرية أو استقلال حقيقي للجزائر .

كان دي غول يهدف، على المستوى العسكري، إلى الإطاحة بجيش التحرير الوطني [...] و حمّله على قبول سلام الشجعان [...] و يضاف إلى هذا الحركة الوطنية الجزائرية [...] و هي كلها محاولات لكسر جبهة التحرير الوطني و جيشها بمثابتهما الممثل الوحيد و الثوري للشعب الجزائري . لم يبخل في الموارد و سخر كل القوات العسكرية المتوفرة لتحقيق ذلك . و كما هو الحال في أي ثورة، فالرهان المركزي هو الشعب، و لهذا سخرت جميع الوسائل لقطعه عن قواعده الثورية . فُجّع مئات الآلاف من الناس في معسكرات، و أنفقت مئات الملايير من الفرنكات لتشييد قرى جديدة . كانت خطة قسنطينة تعلن عن خلق مئة ألف فرص عمل جديدة، و هو أمر لم يُعرف له مثيل في تاريخ الجزائر . كان ذلك يمس ميدان التعليم و الصناعة و السكن و الزراعة و بنى تحتية للاتصالات، كل هذا بهدف الحيلولة دون التحاق الشعب بالثورة [...] .

كان هذا التحليل متوافقا مع تحليل كريم و بوصوف [...] كنا قد توصلنا إلى هذا التحليل قبل تفوق دي غول على الحزب العسكري و قبل محاولة انقلاب الجنرالات . »⁴⁰⁹ .

هذا هو السياق التاريخي لسنة 1959 .

قبعات زرقاء و يد حمراء

عندما أعلنت الحكومة الفرنسية، في 25 نوفمبر 1959، إنشاء قوات شرطة مساعدة، و هي امتداد مسلح لمصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية لمديرية شرطة باريس، كان الهدف مزدوجا، و يمكننا القول أنه تكتيكي و استراتيجي . هذا القرار يمثل في الواقع امتداد سياسة طبقت مسبقا بالجزائر منذ 1957، و تطبيقها على التراب الفرنسي، و كانت نتائجها على ما يبدو مرضية . و يعبر كذلك عن رغبة في تفكيك نظام فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، و تخفيف مصادر تمويل الثورة الجزائرية، و جعل وحدات مسلحة من المساعدين تكوّن حاجزا بين الجالية المهاجرة و مختلف جماعات الفدائيين بجبهة التحرير الوطني، و أخيرا، ضرب قيادة التنظيم .

و لكن لمنافسة الجانب الآخر على احتكار العنف، يجب استعمال مختصين في الحرب التخريبية . و كان ضباط سابقون، بالأقسام الإدارية الحضرية و الأقسام الإدارية الخاصة بالجزائر، يملكون خبرة طويلة في الحرب النفسية و القمع الجماعي للشعوب، و استُدعوا لقيادة وحدات المساعدين الجزائريين المعروفين أكثر باسم **الحركة** .

« إن قوات الشرطة المساعدة هي وحدة مستقلة، لا عسكرية ولا بوليسية . و إذا استغلتها مديرية باريس و جهزتها و ألبستها » على طريقة سرايا الأمن الجمهوري «، فإن إطاراتها الأوروبيين كانوا من العسكر و أسلحتها مستأجرة من الجيش . فقد كانت تسدّد كلفة العتاد، المستعمل في التدريب أو في القتال، للإدارة العسكرية . و من بين الحركة، تم تجنيد حوالي إثني عشر متطوعا بباريس لتشكيل هيكل تأطير . و قد أثبت هؤلاء

(409) ع . بن طوبال، المرجع المذكور .

فعايتهم في الكفاح ضد جبهة التحرير الوطني. كانوا يعرفون الوسط الذي سينشطون فيه ويعرفون كذلك العاصمة والأحياء الساخنة والضواحي مع بيوتها القصدية ومدنها القديمة. [...] وصلت الفرقة المجندة الأولى، التي جندت من الأقسام الإدارية الخاصة من الجزائر، إلى باريس في 26 ديسمبر 1959. وصل خمسة وخمسون جزائرياً، قذرين ومهملين في ثياب رثة ويتضورون جوعاً ويقلبون أعينهم مثل دواجن مذعورة، إلى محطة ليون من قطار مرسيليا. كان الأمر يتعلق بجعلهم وحدة مرنة وفعالة قادرة على إنجاز مهامها بالملابس العسكرية، وبالملابس المدنية بالنسبة للبعض، وتعليمها استعمال الميترو والحافلات والتلفون والأسلحة...»⁴¹⁰.

وفي أواخر عام 1960، أصبحت وحدات الشرطة المساعدة تضم ثلاث كتائب: الأولى استقرت بالدائرة الثالثة عشرة، والثانية بالدائرة الثامنة عشرة، والثالثة، التي تلقت تدريبها بحصن نويزي - لو - سيك، كانت تشارك غالباً في عمليات تنفيذ بالضواحي أو بباريس.

وبفعل المصادفة أو هكذا يبدو، كان مركز قيادة وحدات الشرطة المساعدة موجوداً برومانفيل، بحصن نويزي - لو - سيك حيث كانت تتساكن مصلحة تعبئة تابعة للجيش، ووحدات من المظليين، وفرع تابع لمديرية التجسس والتجسس المضاد.

كانت مصلحة العمليات، التابعة لمديرية التجسس والتجسس المضاد والمعروفة عند الجزائريين باسم اليد الحمراء، قد اشتهرت مع الأسف بالجزائر حيث خلفت العديد من الضحايا. كانت، الاغتيالات المبرمجة والاختفاءات المفاجئة واختطافات مسؤولين سياسيين وإعدامهم والاعتداء بالمتفجرات، من اختصاصها. وكانت تستهدف كذلك القواعد الخلفية لجبهة التحرير الوطني بالمغرب وتونس وبلجيكا وألمانيا، وبكل مكان حيث لا يمكن للمصالح الرسمية للدولة الفرنسية القيام بذلك بصفة قانونية. ولكن الوزير الأول دوبري ميشيل كان قد استعان بهم، منذ بضعة أشهر، ليقوموا بعمليات على الأراضي الفرنسية نفسها. وقام بماتينيون، وبواسطة كونستونتين مالنيك، بتنسيق عمل

التداعيات

مصلحة العمليات التابعة لمديرية التجسس و التجسس المضاد، التي كان يقودها فوكارت، و عمل مديرية مراقبة الإقليم و عمل مديرية الشرطة. و لكن، للتمكن من قيادة الاستراتيجية الجديدة المخطط لها من قبل مصالح الرئاسة على أفضل وجه، كان يجب استعمال وحدات ذات خبرة و قدرة على التنقل بسهولة وسط الجالية المهاجرة.

كان الهدف المحدد لقوات قمع الحركة الوطنية بفرنسا يتمثل في « تشكيل منظمة، بالحاضرة، مسلحة حصرا، قادرة على التصدي لجهة التحرير الوطني باستعمال طرقها نفسها ». كان الاسم الرمزي للمهمة، التي أشرف عليها رسميا عقيد من القوات الجوية، هو **علون**.

إذا كان هدف الحركة يتمثل في الانتشار على نطاق واسع و التسبب في إحداث نزيف كبير في الجزء الأكبر من قوات جبهة التحرير الوطني، فقد تمثل هدف القوات الخاصة في التخلص، بطريقة انتقائية، من القيادة المحتملة للثورة. و بعد أن وُزعت قيادة الوحدة بين خدمات الشرطة و خدمات الجنود الإضافيين و العملاء الخاصين جدا لمصلحة العمليات التابعة لمديرية التجسس و التجسس المضاد، لم يبق إلا الانتقال إلى الهجوم.

كان هذا الهجوم مميتا، و في الوقت الذي كانت تستمر فيه موجة الاعتقالات و حصار الأحياء ذات الكثافة الجزائرية العالية⁴¹¹، قرر النقيب مونتائر، بموافقة من المحافظ بابون، استهداف الدائرة الثالثة عشرة بباريس، و هي إحدى معازل جبهة التحرير الوطني. و بأواخر مارس، قامت الشرطة البلدية بإخلاء مقاهي - فنادق الحي و اقتياد القاطنين بها لنفيهم إلى الضواحي المحيطة، و وضعت مكانهم جماعات من الحركة مع الأسلحة و الأمتعة. أقام النقيب مونتائر مركز قيادته بالرقم 9 من شارع هارفي. و كان رجاله، طوال سنة 1960، يمارسون العنف و يعذبون و يخترقون الجالية الجزائرية و يذيعون معلومات خاطئة. و يبدو أنهم اعتقلوا أو سمحوا باعتقال مئات الأشخاص المتعاطفين مع جبهة التحرير الوطني أو المناضلين بها أو قادة القطاعات أو قادة الفرق أو جامعي التبرعات المالية. و قد تم حجز مبالغ مالية كبيرة.

(411) في 14 ماي 1960، أحصى وزير الداخلية عدد الذين خضعوا للمراقبة و الفحص إلى 119000 في عام واحد.

وإلى جانب العمل التقويضي الذي كان يقوم به الحركة وسط الجالية المهاجرة، كانت مصلحة العمليات التابعة لمديرية التجسس و التجسس المضاد تستهدف إطارات جبهة التحرير الوطني أو اتصالاتها العاملة، بفرنسا أو بالخارج، في مؤسسات رسمية إلى هذا الحد أو ذاك. في الواقع، كان الهدف هو تحطيم البنى التحتية اللوجستية و شبكات دعم جبهة التحرير الوطني. فكان الصحفيون و المحامون و وفود جبهة التحرير الوطني أو المنظمات التابعة لجبهة التحرير الوطني و تجار الأسلحة، من الأهداف الرئيسية لهذه الخلية.

في ألمانيا، أخذت حرب الظل التي شنتها أجهزة المخابرات الفرنسية، قبل 1958 بكثير، بعدا لفت انتباه الرأي العام بألمانيا. كانت الضحايا حتى ذلك الوقت من عناصر شبكات اللوجستية و تموين جبهة التحرير الوطني في الأسلحة، لكن دائرة الانتقام امتدت و باتت تهدد بالتحول إلى حرب حقيقية غير معلنة على الأراضي الألمانية. فقام وكيل ولاية هيس، وولف هانز، بالتنديد بهذه الأعمال السرية للأجهزة الفرنسية و التذكير بقائمة الاعتداءات : 28 سبتمبر 1956 و 3 جوان 1957، اعتداء على أوتو شلوتر و عائلته ؛ 5 نوفمبر 1958، اعتداء على المحامي آيت حسن مندوب جبهة التحرير الوطني ببون ؛ في 3 مارس 1959، اعتداء على جورج بوشار⁴¹².

في الصحافة، روت، صحيفة دار شبيغل الألمانية، بالأحرف الكبيرة هذه الأحداث التي كانت تهز ألمانيا و أعطت تفاصيل كثيرة عن العلاقات بين أجهزة البلدين و التنقلات المتكررة للعقيد ميرسي مارسيل إلى ميونيخ. و قالت المقالات أساسا أن فرانكفورت و بون لئستا وهران أو قسنطينة، و أن ألمانيا لا علاقة لها بالحرب القائمة بين فرنسا و الجزائر. و يتذكر عيسى عبد الصمد هذه الفترة التي وقرت فيها مصلحة اللوجستية موضوعا تكتب عنه الصحف الألمانية.

« يكون هذا قد حدث في بداية سنة 1960، فقد وقع بوكهارت جورج ضحية انفجار سيارته المفخخة، و تعرض هاينز سبرينجر لتهديدات بالقتل و خلفت العديد من الاعتداءات بالمتفجرات ضحايا من بين الألمان أصدقاء القضية الجزائرية. لا أعلم ما الذي حدث حقيقة بالبعثة الجزائرية بالمغرب، و لكن

حراساً أخطروا بوجود شخصين مشبوهين يحومان حول سيارة عباس فرحات . فاستغللنا المسألة على الفور و أعلننا بأن رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية استُهدف من قبل أجهزة المخابرات الفرنسية، و أننا تمكنا من استرجاع القنبلة . و ارتكزنا على التفاصيل المقدمة في الصحافة الألمانية لنصنع واحدة من الطراز نفسه لتلك التي استعملت في الاعتداءات التي ارتُكبت في هذا البلد . فلقد سمحت الصور، التي تحصل عليها الصحفي عن جسم القنبلة و نظام تشغيلها، من أن يكتب سلسلة من المقالات التي سمحت بتوعية الرأي العام .⁴¹³

في بلجيكا كان نفس الجو من القلق ينتشر في صفوف اللجنة من أجل السلام بعد سلسلة من الاعتداءات التي استهدفت أعضاء جبهة التحرير الوطني ببوريناج . و في مقال افتتاحي قَدَّم، أثناء الأزمة، حصيلة الأحداث التي كانت قد هزّت بلجيكا، كَتَبَ لو بوركوا با ؟ في عدد الفاتح من أبريل 1960 ما يلي :

« لا نريد هذا عندنا ! إن اللجنة من أجل السلام في الجزائر لم تكن تخشى الاعتداءات على وجه الخصوص . لم تكن إمكانية حدوثها مستبعدة، لكنها كانت بعيدة الاحتمال . مع ذلك، لم تكن اللجنة تجهل بأن كومنندوس ضد الإرهاب – بمعنى : ضد جبهة التحرير الوطني – كان قد عبر الحدود الفرنسية، منذ بعض الوقت، مصمما على التصرف، أي على الهجوم . »⁴¹⁴

في 10 مارس 1960، اغتيل عيسيو آكلي، ممثل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ببلجيكا، بطلقات نارية بإيكسيل . و بعد عشرة أيام من دفنه، استلمت عائلة لا غريف ببريدها نسخة عن كتاب كرامان حفيظ (التهديدة) . كان طردا مفخخا موجهها لهؤلاء المناضلين لصالح القضية الجزائرية . و لقد تمكنت السيدة لا غريف، في آخر لحظة، من تجنب انفجار القنبلة . و في اليوم نفسه، تلقى البروفيسور جورج لا بارش، عضو آخر باللجنة من أجل السلام في الجزائر، كتابا مفخخا و الذي، لسوء حظه، انفجر ممزقا يديه و وجهه . و قد جندت مراسيم دفنه جزءا كبيرا من الرأي العام البلجيكي .

(413) ع . عبد الصمد، المرجع المذكور .

In J-L Doneux et H, *Le Paige, Op.cit.*, p. 125 (414)

و في فرنسا كذلك، كانت مصلحة العمليات تستهدف كذلك الشخصيات التي لم يكن يمكن للشرطة أو للقضاء شل نشاطها بطريقة قانونية. وقد تلقى الكثير من أعضاء جماعة محامي جبهة التحرير الوطني تهديدات بالقتل. فقام جاك فيرجيس و مراد أوصديق و خمسة محامين فرنسيين آخرين بالاختباء لفترة بسويسرا، في حين اغتيل المحامي ولد عودية أمقران، في ماي 1959، بباريس. و في 27 سبتمبر 1960، اكتُشفت جثة معمّر محمد، مذيع باللغة القبائلية بمحطة الإذاعة و التلفزيون الفرنسية، بغابة رامبويي. و قد كلفته تعليقاته عن الجزائر الجزائرية، المتبوعة على نطاق واسع من قبل الجالية المهاجرة، حكما بالإعدام من قبل أجهزة المخابرات الفرنسية. و تعرّض العديد من المناضلين أو المتعاطفين مع جبهة التحرير الوطني إلى الإجراء « إ » مثل الإبادة أو الاختفاء.

الهجوم على شبكات الدعم

لم يكن التعرض إلى هيئة المنظمة السياسية – الإدارية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا أمرا كافيا، ذلك أنه، طالما يبقى الرأس المدير سالما و الأعضاء يستمرون في النشاط، فيمكن دائما للهيكل أن يُشكّل من جديد، مثل طائر الفينيق الذي يُبعث من رماده. و كان المختصون في الحرب المضادة للثورة يعرفون هذا الأمر حق المعرفة، و أصبح هدفهم يتمثل في تضيق الخناق على الخصم بقطعه عن وسائله في الاتصال و بتدمير قواعده اللوجستية. و كانت مهمة الاعتداء على شبكات الدعم قد أُنيطت، إلى حد كبير، بأجهزة مديرية مراقبة الإقليم.

لم تكن المهمة سهلة بسبب تمسك عناصر هذه الشبكات تمسكا بالتزامهم للقضية الجزائرية، و أحيانا لكونهم متمرسين بقواعد العمل السري. إضافة إلى أن التعرض لشخصيات من عالم الفن و الأدب أو حتى إلى عظماء الفكر المعاصر، ليس أمرا من دون عواقب. كيف يمكن تفسير اعتقال أعضاء من رجال الدين أو من الطوائف الدينية بفرنسا ؟ فالعواقب السياسية التي ترتبت عن الضجة التي أحدثتها الاعتقالات وسط الرأي العام، و خاصة، الدعاوي القضائية المرفوعة ضد هذه الشخصيات أو الجماعات كان يمكنها أن تتحول، على المدى الطويل، إلى نتيجة عكسية بالنسبة للأهداف المحددة لتلك العمليات. لكن ذلك لم يكن مهما

لأن الأهم، في أعين بعض الأوساط القمعية الفرنسية، هو محاربة جبهة التحرير الوطني ونشر بيانات انتصارها وتصفية حساباتها مع ذلك « اليسار الصغير » الذي لطالما هاجمه، مرارا وتكرارا، كلا فيل مورييس و اليمين المتطرف .

مع ذلك، فالحصيلة كانت ثقيلة. في 27 جانفي 1960، شنت الشرطة إحدى أهم عملياتها على « حاملي الحقائق »، وألقي القبض على حوالي عشرين فردا من بينهم . وفي أوائل مارس 1960، تضررت شبكة جونسون بشدة. ففي كل الدائرات الفرنسية تم تفكيك سلسلات و ترتب عن مدامات قامت بها الشرطة سلسلة من الاعتقالات . و في أبريل و ماي، جاء دور شبكات بعثة فرنسا و قساوسة برادو، بليون، لتحمل عواقب حملة الاعتقالات التي نفذتها مديرية مراقبة الإقليم . و في صيف و خريف سنة 1960، اعتُقل عدد من أعضاء شبكة كوربييل هنري الذي كان قد خلف في تلك الأثناء جونسون فرانسيس . و في 20 أكتوبر، قامت مديرية مراقبة الإقليم بمداومة بـ 176 شارع غرونيل حيث أُلقت القبض على كوربييل هنري نفسه و دو فانغن جهان . و في 28 نوفمبر، جاء دور بوغلين جون ماري ثم تبعه، في 18 ديسمبر، إتيان بولو .

« الفريق الدارئ » و الحرب الدفاعية

كان للهجوم العام الذي شنته السلطات الفرنسية، بين 1959 و 1960، على حركة التحرير بأسرها آثار مهمة على فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . بالفعل كانت الخسائر، كما رأينا، كبيرة على جميع مستويات الهيكل الفيدرالي . و المنظمة الخاصة نفسها تضررت في تعدادها القتالي بقدر ما تضررت شبكات اللوجستية والاتصالية . و لقد عرفت كذلك هذه الفترة، التي شهدت سقوط العديد من الإطارات، تقليصا في قواعد الانسحاب . و بهذا، وجد الباقون على قيد الحياة أو الذين نجوا من حملات الاعتقال الكبيرة، وجدوا أن مهمتهم، التي كانت صعبة أساسا، قد ازدادت صعوبة و ازدادت خطورتها على وجه الخصوص .

كان المشكل الأهم، فيما وراء الآثار المتوقعة في آخر الأمر، لحملات الاعتقال التي مست كامل هيكل جبهة التحرير الوطني بفرنسا، و الذي طُرح، ابتداء من

أواخر 1958 و أوائل 1959، هو مشكل تنسيق العمليات بين مختلف مستويات الهيكل الفيدرالي وإعادة تشكيل الخلايا وإعادة نشر وحدات القتال .

فمنذ صيف 1958، جعلت، مضاعفة الأهداف الموكلة إلى وحدات المنظمة الخاصة و عمليات تحويل انتباه العدو و الحاجة إلى التصدي لهجمات قوات الشرطة، من اللجوء المتزايد لأعضاء فرق التدخل أمرا ضروريا . و أصبحت الحدود الموضوعية بين وحدات المنظمة الخاصة و وحدات المنظمة السياسية - الإدارية أقل وضوحا . فانطلقت عملية إزالة نظام الفصل و هو الأمر الذي عرض للخطر كامل العمل الذي تم إنجازه منذ أن تكفل بوعزيز و آيت مختار بالمنظمة الخاصة . و كبرت بذلك مخاطر تسلل العدو و تفكيك الشبكات . أما الضربات الكبيرة التي تسببت فيها الشرطة، في مستوى السلم الهرمي المحلي و الإقليمي لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، فقد ترتب عنها نوع من غياب السلطة لأن المسؤولين الفيدراليين اضطروا إلى الانسحاب إلى ألمانيا على سبيل الاحتياط .

و مع بداية الفصل الثاني لسنة 1959، كان آيت مختار نصر الدين، الذي اضطر إلى تنسيق معظم العمليات بعين المكان، يقوم بكل شيء في الوقت نفسه . و اضطر إلى العودة إلى رؤسائه كي تحدد صلاحياته و صلاحيات المنظمة الخاصة بصورة واضحة أكثر، وخاصة، كي يعاد تنظيم الأمور بالمنظمة . عندها دعا بوداود عمر إلى اجتماع للجنة الفيدرالية يضم المسؤولين عن الولايات، و شارك في الاجتماع آيت مختار و بن يحي طاهر و عمرون رابح و العربي دريس . كان جدول الأعمال يتمثل في : تقديم تقارير عن الولايات و تقديم حصائل و تقديم حلول للوضعية و تقديم التعليمات الجديدة . و أغلب الظن أنه تم، خلال هذا الاجتماع، اتخاذ قرار تشكيل « الفرق الدائرة » المسماة كذلك بـ « الجماعات المسلحة » .

« كانت الفترة فترة مضطربة، كلفتني خلالها اللجنة الفيدرالية، التي كان مقرها الرئيسي موجودا في تلك الفترة بجمهورية ألمانيا الاتحادية، كلفتني بالتكفل بالمنظمة السياسية بفرنسا بهدف إعادة الاتصال بمختلف

قادة الولايات. و كان عدد كبير من هؤلاء قد تعرض إلى الاعتقال. و من بين الوحيدين الذين بقوا أحرارا كان هناك « مراد » من مرسيليا و « شابو » من الشرق (و الذي أُلقي عليه القبض هو كذلك بعد وقت قصير) و « محمد » من الشمال. و بباريس، كان علي أن أعاد الاتصال بقائد المنطقة بوطالب⁴¹⁵، و أن أسترجع مال الاشتراكات و أن أُرسله إلى الخارج. و بشكل مواز، كان علي أن أتكفل بإعادة تنظيم المنظمة الخاصة التي كنت أتولى قيادتها برفقة بن يحيى طاهر « علي » (المسؤول عن باريس و منطقتها). كان علي كذلك إعادة تشكيل شبكة الاستخبارات و التي أدمج بها شريف فارس و ابن عمه زهير فارس، المسؤول عن الفروع الجامعية.

« سدّ الثغرات، و تجنيد تعداد جديد غير معروف لدى الشرطة، و تدريب الأعضاء، و بعث تقارير مفصلة عن كامل الوضعية بفرنسا، و انتظار تعليمات جديدة، [كل هذا كان محصّل نشاطاتي]. [في التقارير التي كنت أبعثها]، كنت أصرّ، في المقام الأول، على نقطتين :

1- ضرورة إعادة تنظيم شامل مع إقامة لسته أشهر، على أقصى حد، و تخريج التعداد أو تناوبه بعد هذه المدّة.

2- ضرورة التحقيق، نظرا لوجود مخبرين في صفوفنا. فهذه الفرضية هي وحدها التي تفسّر الانتظام المتقارب للاعتقالات.

كنت أصر كذلك على عملية زرع الحكومة الفرنسية لـ « بزة الوقاد » أو « الحركة » الذين كان يجب إيقاف عملهم التهديمي الموجه ضدّ المنظمة الخاصة. ⁴¹⁶

خلال سنة 1959، كان علي « مجيد » أن يقوم بربط الخطوط التي انحلت في المنظمة السياسية – الإدارية و المنظمة الخاصة، و أن يستعيد المال العالق و يبعثه عن طريق عناصر شبكة كورييل. و استعمل لتحقيق ذلك المخابئ و السلاسل غير المعروفة بعدد لدى الشرطة. ولكنه كان يقوم، في كل مرة يعيد فيها الاتصال بأحد، بتعريض نفسه للخطر بما أنه جلي أن المناضلين الذين أطلقت الشرطة

(415) محمد ميري، قائد ولاية الشمال ثم قائد الولاية الأولى من 1959 إلى 1961.

N. Ait Mokhtar, Document, *Op.cit.*, pp. 40 – 41 (416)

سراحهم، أو الذين لا زالوا أحرارا، قد يكونون طعما لجذب الأسماك الكبيرة. كان العديد من المناضلين مراقبين و « حددت أماكن تواجدهم »، فلم يكونوا يهتمون مديرية مراقبة الإقليم إلا لأنهم قد يقودونهم إلى غنائم أكبر شأنًا.

ولقد تمكن آيت مختار، الذي كان لا يزال يستفيد من المعلومات التي كان يقدمها له عملاء شبكتي « أبولكر » و « صادق »، من إبطال عمليات التعقب. لكنه أدرك بسرعة أن زينة مراقبة، كانت شقتها مراقبة بما في ذلك شقة باتاي لورانس بشارع ليل. و كان قائدا ولاية الشمال و الشرق، بوطالب و محند سعيد، الذي كان قد خرج لتوه من معسكر لارزاك، يخضعان للمراقبة بدورهما.

كانت حرايف زينة، التي استأنفت نشاطاتها كعميلة ارتباط، من الاتصالات القلائل الذين احتفظ بهم المسؤول – المساعد للمنظمة الخاصة من بين عناصره المستمرين في النشاط على الساحة الفرنسية. كانت هذه اللحظات، في ذاكرتها، من بين أصعب اللحظات التي عاشتها المناضلة.

« كانت فترة أواخر 1959 و أوائل 1960، فترة مضطربة حيث كلفت اللجنة الفيدرالية، المقيمة بألمانيا، « مجيد » بالاهتمام بالمنظمة السياسية و الاتصال بمختلف الولايات. اتصل بين يحي طاهر و بإخوة آخرين لسد الثغرات و تشكيل مجموعات جديدة غير معروفة لدى الشرطة. كانت فترة صعبة جدا. كانت المنظمة الخاصة قد فُككت و بقيت وحدي مع « مجيد » نواجه الوضع على أرض الواقع. كنا مثل اليتامى، لا نعرف وجهتنا و لا لدينا مكان نقصده، بالإضافة إلى أننا كنا متعقبين من قبل الشرطة. كان « مجيد » ينهك نفسه في العمل، و أظن أنه أصيب بمرضه⁴¹⁷ في تلك الفترة. نحن النساء، نلاحظ أشياء لا يلاحظها الرجال دائما. عندما كنت أنظر إليه، كان يبدو تعباً و لا يعتني بهندامه و تظهر عليه قلة النوم [...] كنا نقوم باتصالات بانتظام، و كان علينا أن نمشي لكيلومترات كي نضل المتعقبين. لم يكن يكلمني عن مشاكله لكن كان قد أعلمني بذلك مناضلون آخرون. [...] أدرك « مجيد » أنه متعقب. كان يقول

(417) في الفترة التي أجريت فيها المقابلة، في 1984 - 1985، كان آيت مختار نصر الدين يعاني من مرض تصلب الأقرص الدموية.

لي أنه لم ير يوماً هذا العدد من الناس ينزهون كلابهم المجعدة الشعر بالدائرة السادسة عشرة. »⁴¹⁸.

قامت ديدار فوزي، من شبكة كورييل، بتقديم الملاحظة نفسها عندما تحدثت عن هذه الفترة حيث غالبا ما اضطرت إلى مخالفة قاعدة نظام الفصل.

« لم يكن دوري يتمثل في تولي أمور عبور الحدود جسدياً، وإنما كنت أقوم فقط بتنظيمها. لكن كانت هناك ثغرات و كان علي سداً من سيارات المقدمة إلى السيارات الناقلة، حسب الحاجة. و ذات مرة، اضطرت إلى الانطلاق على جناح السرعة لمساعدة شاب جزائري على العبور عبوراً مزدوجاً : من فرنسا إلى لوكسمبورغ و من لوكسمبورغ إلى ألمانيا. مشياً على الأقدام. [...] كنت أعمل كثيراً مع دو فانغن جهان، و لكن خدمت أحياناً كذلك كسائقة لبوداود عمر قائد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني [...] »⁴¹⁹.

و بالرغم من الخناق الرهيب الذي كان يضيق عليه، قام آيت مختار، الذي كان يملك أماكن يلجأ إليها، بإعادة إرساء المنظمة الخاصة و تشكيل « الفريق - الدارئ » الشهير. كانت مهمة هذا الفريق تتمثل في تكوين نقطة ربط، نوعاً ما، بين « فرق التدخل » و المنظمة الخاصة. عُين مسعود (س) لتولي قيادته و ضمان انتقاء دقيق، بالطريقة ذاتها التي يُنتقى بها أعضاء للمنظمة الخاصة. و حسب هارون علي، كان عددهم يتغير حسب المناطق، لكنه لا يكون قد تجاوز خمسين فرداً بالنسبة للمنطقة الباريسية⁴²⁰.

« هؤلاء العناصر، الذين تم تجنيدهم من « فرق التدخل »، كانوا ينضمون بمحض إرادتهم إلى فريق « المتطوعين للموت ». كان الأمر يتمثل، بالفعل، في انخراط طوعي بجيش التحرير الوطني. كانوا يُجربون و يُمتحنون على هذا المستوى. كانوا يحظون بوقت للتفكير في المسألة لاتخاذ قرارهم و العدول عن الأمر إذا لم يكونوا متأكدين تماماً من أنفسهم. فكان العناصر الذين لم يكونوا

(418) كانت هوشولتز إينج، التي كانت تعمل كجهة اتصال لزينة بألمانيا، قد اكتشفت أمرها من قبل الشرطة و كانت تحت حراسة دائمة. و لقد أُلقي القبض على زينة بشقتها. ز. حرايف، المرجع المذكور.

In G. Perrault, *Op.cit.*, p. 323 (419)

A. Haroun, *Op.cit.*, p. 60 (420)

يفون بالمعايير المطلوبة أو الذين كانوا يفضلون، لسبب أو لآخر، العودة إلى المنظمة الأم، يقومون بذلك بحرية تامة و دون أي عتاب من قبلنا فكل واحد حسب درجة استعدادده و روح التضحية لديه .⁴²¹ .

و تم هكذا إقامة نوع من تقسيم للعمل في أواخر 1958 و أوائل 1959 . استمرت « فرق التدخل » في ضمان الحفاظ على النفوذ الذي يُسط على حساب الحركة الوطنية الجزائرية و دعم مسؤولي المنظمة السياسية و الإدارية و جمع المساهمات المالية و تأمين الحماية المقربة لقواعد و مسؤولي جبهة التحرير الوطني . كانوا يشكلون كذلك رأس المال البشري الذي كان يأخذ منه قادة المناطق و الولايات أفرادا ليحوّلهم إلى الجماعات المسلحة أو المنظمة الخاصة .

كانت مهمة « الفرق الدائرة »، من جهتها، تتمثل في الهجوم على قوات الأمن : سيارات الشرطة و المظليين و ضباط الجيش، و أخيرا، وحدات الحركة . و استمرت المنظمة الخاصة، بمختصاتها في المتفجرات المدربين على تقنيات التخريب و الكومندوس الخاص بها المدرب عسكريا على الحرب التخريبية، استمرت في استهداف أهداف اقتصادية و سياسية ذات أهمية استراتيجية . أرسلت، بهذه المناسبة، ثلاث فصائل إلى المغرب لتلقي التدريب . و استمرت المنظمة الخاصة في العمل مع أن مسؤوليتها أصبحت أثقل و شاقة أكثر . أما أصدقاء القضية الجزائرية، الذين أفلتوا من عمليات الاعتقال الكبيرة، فقد استمر بعضهم في « حمل حقائب » جبهة التحرير الوطني، في حين، خاض بعضهم في مغامرة جديدة .

و عكس حسابات المختصين في الحرب الثورية المضادة، لم تكن جبهة التحرير الوطني و ذراعها المسلح، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، قد شلت تماما، لأن الأمر لم يكن يتعلق بحرب كلاسيكية و لكن بحرب ثورية تقودها حركة وطنية للتحرير مدعومة من جزء مهم أكثر فآكثر من الرأي العام الفرنسي و الدولي . كانت الإحصائيات و نشرات الانتصار الأخرى، التي كانت تصدرها مديرية مراقبة الإقليم و المديرية الفرعية للتجسس و التجسس المضاد

التداعيات

أو التي كانت تصدرها قوات الشرطة المساعدة، ذات معنى ظرفي فقط، فنّدتها عمليات مشهدية خلطت الحسابات السياسية لقصر الإليزي و مكاتب الولاية. و كان الهجوم الذي استهدف عضو مجلس الشيوخ بن حبيلس، سنة 1959، من بين هذه العمليات و كانت عمليات أخرى مبرمجة لأنه كان للمختصين في المتفجرات الوقت الكافي لتكوين مختصين آخرين جدد. في دفتر ملاحظاته، كتب آيت مختار عن وصول سيارتين، في أواخر سنة 1959، معبأتين بالقنابل و كتلات من البلاستيك المتفجر و مسدسات و رشاشات⁴²². و لقد سمحت إعادة تشكيل المنظمة الخاصة و تأسيس « الفرق الدائرة » بشن عمليات واسعة النطاق على جميع المواقع المحصنة للشرطة و للجيش بفرنسا. كانت الحكومة الديغولية قد تسببت بخسائر في صفوف جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني، و لكن كان عليها كذلك أن تتكبد بدورها خسائر كبيرة في صفوف قواتها و أن تتلقى ضربة في المستوى السياسي.

لم يتمكن من الاطلاع على التقارير التي بعثها آيت مختار إلى اللجنة الفيدرالية، لكنه يذكر في دفتر ملاحظاته سلسلة من العمليات التي نُفذت بالمنطقة الباريسية. و سنذكر البعض منها كنقطة استدلال :

الهجوم الأول : ثلاث خلايا تتكون كل واحدة منها من ثلاثة عناصر، محمد بوعزيز، زغودي محمد أعراب، كَنّاش موفق.

رشيد رمضاني، حريش يحي، سعدون محمد.

خنّاش نافع، محمد زروقي، مولود حمدان.

الحصيلة : 26 قتيلا و العديد من الجرحى في صفوف العدو. جندي واحد، يحي حريش، أُصيب لكن لم يتم القبض عليه. اعتقال واحد، محمد سعدون (حكم عليه بالإعدام).

الهجوم الثاني : ثلاث خلايا تتكون كل واحدة من ثلاثة عناصر.

بوعكاز محمد، محمد زروقي، شرابط محمود.

(422) انظر بالملحق سرد حمولات الأسلحة التي وصلت إلى فرنسا بين سنتي 1959 و 1962.

رشيد رمضاني، حناش محمد، مولود حمدان .

علي عيساوي « ميشيل »، شطّاب عبد القادر، درّاش عبد القادر .

الأهداف : مركز حركي و محافظة شرطة باربيس .

الحصيلة : 17 قتيلا و العديد من الجرحى من بين قوات القمع . مصاب واحد، علي عيساوي، نقل إلى بلجيكا . ميت واحد بالمعركة، شرايط محمود .

الهجوم الثالث : ثلاث خلايا تتكون كل واحدة من ثلاثة عناصر .

بوعكاز محمد، محمد أعراب زغودي، حناش موفق .

رشيد رمضاني، شطّاب عبد الرحمن، درّاش عبد القادر .

نافه محمد، مليم عبد الله، قدّور بن مسلم .

الأهداف : مركز حركي و محافظة شرطة .

الحوصلة : 14 قتيلا من بين قوات القمع .

الهجوم الرابع : ثلاث خلايا تتكون كل واحدة من ثلاثة عناصر .

بوعكاز محمد، محمد أعراب زغودي، حناش موفق .

رشيد رمضاني، رامابح خلوفي، علي أجاوود .

محنّد أعيشون، محمد أعوف، برياش محمد .

الأهداف : مركز حركة و مركز محافظة شرطة الدائرة الثامنة عشرة بشارع لا شابيل .

الحصيلة : 10 قتلى بشارع شاربونيير، بـ 17 ساحة لوبيرا ؛ و 7 بمترو أليزيا من بين قوات القمع . رامابح خلوفي، مصاب لكن غير معتقل . برياش محمد، قتل بالمعركة [. . .] .

الهجوم السابع : ثلاث خلايا من ثلاثة عناصر + واحد و عشرون هاربا من الجيش الفرنسي .

ماي - جوان 1961، عملية واسعة النطاق بمشاركة 21 جنديا جزائريا كانوا يخدمون بصفوف الجيش الفرنسي (ثكنة فرساي) ثم أخذوا إجازة لمدة 15 يوما للمشاركة بالعملية . وقد كان الوسيط جزائري برتبة رقيب . و خلال مدة الـ 15 يوما من إجازتهم، تكفلت بهم مصالح اللوجستية التابعة للمنظمة الخاصة، و في

التداعيات

4 جوان 1961، على الساعة الثامنة ليلا، تموضعت فرقتان مكونتان من خمسة عناصر و خمس فرق مكونة من أربعة عناصر، بأربع سيارات مسروقة في حين وضعت سيارتان احتياطيتان بـ 27 شارع تومبل [...].

الأهداف :

ثكنة الحركة بالدائرة الثامنة عشرة و محافظة الشرطة المجاورة (سيارتان) .
الدائرة الثالثة عشرة، الأهداف نفسها (سيارتان) .

الحصيلة :

35 حركيا و شرطيا ميتا، 7 من بين سرايا الأمن الجمهوري، 2 من بين الحرس المتنقل . 36 مصابا بجروح بليغة و 77 بجروح طفيفة حسب الصحافة .
من بين أعضاء الكومندوس : 13 عسكريا جزائريا التحقوا بصفوف جبهة التحرير الوطني و نجهل أسماءهم . حناش محمد الذي رفض الاستسلام و الذي قُضي عليه باستعمال الغاز الخانق . « و قد قام المحافظ بابون برفقة مفرزة من الأمن بتحيته تحية عسكرية » . قُتل كذلك علي أجاوود و عبد المجيد (س) و محمد شرابت و مقاتلان اثنان نجهل اسمهما . أصيب واحد، عيشون محمد، بثلاث رصاصات . تم التكفل به ثم التحق بقواعده . ألقى القبض على اثنين و حكم عليهما بالإعدام (سعيد غاوة و يوسف أرزقي) . و من بين أولئك الذين أعدوا هذه العمليات و استطاعوا الالتحاق بقاعداتهم : بلعدي رمضان و بلعابد براهيم « فليتي » و بورياحي ابراهيم « بروتون » و 8 عساكر أرسلوا إلى ألمانيا . المسؤولين عن استعادة الأسلحة و نجدة الجرحى : رشيد رمضان و قمار محمد « جودوكا » بالنسبة للضفة اليسار .

ما يظهر من هذه القائمة التي وضعها آيت مختار مستندا على شهادات جمعها من عند رجال المنظمة الخاصة، هو الجانب المحدود للأهداف المختارة . فعكس المرحلة الأولى لهجوم أوت 1958، لم تعد عمليات الجماعات المسلحة بفرنسا تستهدف إلا أهدافا دفاعية . سد الطريق أمام سياسة الجنرال دي غول الهادفة إلى تشكيل « قوة ثالثة » و مجابهة وحدات الحركة للاحتفاظ بالنفوذ على الجالية المهاجرة .

الجزء السابع

تغيرات في المسار و تغيرات في الأهداف

ها قد تجندت قوى جبهة التحرير الوطني بفرنسا من جديد في مواجهات، تتم تقريبا حصريا داخل الجالية. و كان هذا التحول الذي قامت به الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 1959 - 1960 مريبك لأكثر من سبب. و من جديد عاد المشكل، الذي أثير بين 1956 و 1958، لي طرح من جديد. هل يجب أن نحارب بفرنسا لإرغام العدو على الاعتراف بجبهة التحرير الوطني و التفاوض معه على أساس أنه الممثل الوحيد و الأوحد للشعب الجزائري ؟ أم هل علينا القيام بذلك للتخفيف على المقاومة في الجبال الجزائرية من الضغط الذي كان يثقل عليها ؟ و ما هي أهداف الحرب ؟ ماذا يجب أن يكون عليه دور وحدات القتال المختصة و ماذا ستكون عليه سياسة التحالف مع الحركات السياسية الفرنسية المعادية لاستمرار الحرب في الجزائر ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، من الضروري، مرة أخرى، التوقف عند سرد الحقائق وإعطاء صورة عن السياق التاريخي لسنوات 1959 - 1961، لأن ما كان يحدث في فرنسا كان له علاقة مع ما كان يُقرّر في أعلى مستويات هيئات الأركان في طرفي النزاع.

الريح الجديد

من الجانب الفرنسي

سبق لنا أن تكلمنا عن استراتيجية الدولة الفرنسية و الأهداف التي كانت تسعى وراءها السلطة الديغولية على المدى القريب و البعيد. و على أرض الواقع، تجسدت هذه الاستراتيجية من خلال شن العمليات العسكرية الكبيرة لمخطط شال بالجزائر. في 6 فيفري 1959، شنت الوحدات الخاصة من الجيش الاستعماري هجوما على المقاومة في الجبال بوهران و وصلت حتى منطقة الجزائر العاصمة في 18 أفريل و تابعت تمشيظها للمناطق إلى غاية 19 جوان. في 8 جويلية، مست عملية « إيتانسال » منطقة الحضنة، ثم تبعتها، في 22 جويلية، عملية « جوميل » بمنطقة القبائل، و في 4 سبتمبر، شنت عملية « بيبير بريسيوز » بمنطقة القبائل الصغرى. و في الوقت نفسه، كانت الطائرات الفرنسية تشن غارات جوية على القواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني بالحدود المغربية و التونسية. و امتدت هذه العمليات العسكرية، التي كانت ترمي إلى سحق أكبر جزء من القوات المسلحة الوطنية، إلى الأراضي الفرنسية بما أنه في ربيع 1959 بالذات وضعت مخطط علون قيد التطبيق. و خلال سنة 1960، على وجه الخصوص، بلغ الهجوم الذي شُنَّ على الجماعات المسلحة لجهة التحرير الوطني بفرنسا أوجّه.

و النتائج التي ترتبت عن هذا الهجوم، الذي استعمل جميع الموارد المادية و المعنوية المتوفرة لدى الدولة الفرنسية، هي نتائج معروفة. فقد خلفت الآلاف

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

من الضحايا وسط المدنيين الجزائريين و خسائر معتبرة بصفوف جيش التحرير الوطني و المنظمة السياسية لجهة التحرير الوطني. و قد تعرّض قادة ولايات و ضباط رفيعي المناصب إلى القتل⁴²³، و قام البعض بتسليم نفسه⁴²⁴، و أخيراً، قام البعض الآخر بالتفاوض في إطار مسألة « سلام الشجعان » على حدة. و بطبيعة الحال، كان قادة الجيش الفرنسي متأكدين من أن فرنسا قد كسبت الحرب في المستوى العسكري. و عندها، بدأت تنفذ العملية التي كانت ستسمح للسلطة الديغولية بالخروج من الصراع.

وجب تدخل العسكريين لخوض الحرب، الآن يجب تدخل السياسيين لتحقيق السلم. لم يستحسن قادة الجيش الاستعماري هذا الموقف الجديد و بدؤوا يثيرون على ما كانوا يعتبرونه تخلياً عنهم إن لم تكن خيانة من قبل رئيس الدولة. نشر الجنرال ماسو، في 18 جانفي 1960، مقابلة بجريدة ألمانية حيث انتقد سياسية الرئيس الفرنسي، فاستُبدل فوراً بالجنرال كريبان. و في 3 فيفري، استُدعي رئيس أركان فيلق جيش الجزائر العاصمة، آرغود، إلى فرنسا، شأنه شأن المقدم غارد و المقدم بوازات. عُين العقيد بيجار بإفريقيا السوداء، و ترك جاك سوستيل و كورنوت جونتي الحكومة. و في 22 مارس، اتهم المقدم غارد، من أركان جيش الجزائر العاصمة، في « قضية المتاريس ». و في 30 مارس، استُبدل الجنرال شال بالجنرال كريبان كقائد عام للقوات الفرنسية بالجزائر. و في 11 نوفمبر، اتخذ المشير جوان موقفاً ضد التخلي عن الجزائر.

و بالرغم من هذه المقاومة التي أبدتها جزء من الجيش الفرنسي، تم اتخاذ قرار تعبيل الطريق لجزائر جزائرية مرتبطة بفرنسا. التفت دي غول بعزم نحو المستقبل، و كانت كامل سياسته مركزة عندها على وضع أسس العلاقات المستقبلية بين البلدين، بطبيعة الحال تلك التي تخدم مصلحة فرنسا.

(423) العقيد عميروش و العقيد حوّاس (قائدا الولاية الثالثة و الولاية السادسة)، في 28 مارس 1959، و العقيد محمد بوقرة (الولاية الرابعة)، في 5 ماي، و العقيد لطفي (الولاية الخامسة)، في 27 مارس 1960. و كذا القائد العسكري ميرة (الولاية الثالثة)، في 5 نوفمبر 1959.

(424) علي جميلي من الولاية الأولى، في 26 مارس 1959، برفقة نصف كتيبته، و تبع أحمد قادة، من الولاية الخامسة، الطريق نفسه في 25 ماي.

من الجانب الجزائري

كانت سنة 1959 سنة حاسمة بالنسبة للقيادة السياسية والعسكرية للثورة الجزائرية. فالضغط الكبير الذي كان يمارسه الجيش الاستعماري على المنظمة السياسية وعلى جيش التحرير بالجزائر، أدت إلى التشكيك في الخط الذي كانت تدافع عنه، حتى ذلك الحين، الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وهيئات إدارتها. وقد اندلعت مسائل خطيرة جدا تنبئ بالأسوأ فيما يخص وحدة قيادة الثورة. في المقام الأول، كانت المقاومة في الجبال بالبلاد تشتكي من جمود الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والقيادات العملياتية بالشرق والغرب المرتكزة بحدود البلاد. إضافة إلى أن الولايات لم تعد تتلقى الأسلحة والذخائر التي أصبحت أكثر من ضرورية لصمود المقاومة في الجبال. فكانت ارتدادات البعض ومحاولات البعض الآخر التفاوض في قضية « سلام الشجعان » كلها علامات مثيرة للقلق بخصوص تفكك محتمل لجيش التحرير الوطني.

على الصعيد الخارجي، حاولت الدول الشقيقة وقادتها التدخل في الصراعات الداخلية التي كانت تهز الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ووحدات جيش التحرير الوطني بالحدود. ولقد تيمّن الإعلان عن المفاوضات الأولى بمخرج محتمل من الصراع مع تحصل الجزائر، المرجح، على الاستقلال. كان يجب إذن إقامة تحالفات مستديمة مع الزعماء المستقبليين لجزائر ثورية.

و أدى تظافر هذه العوامل إلى تفاقم الصراعات الداخلية وتسبب، في أسوأ الأوقات، في شل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ولأنه أصبح من الملح مواجهة الاستراتيجية الجديدة التي وضعتها الدولة الفرنسية بخط سير جديد للحرب والسلام، فأى موارد قد تُكلف غالبا، ليس في المستقبل القريب فحسب، بل كذلك في مستوى الأشكال المستقبلية لحكومة الجزائر المستقلة.

« بالنسبة لكريم، كان مصدر الشر يكمن في خمول القيادة [السياسية]، في عجزها التام عن التقيّد بالتزاماتها. ولكي تكون في المستوى المطلوب لمواجهة هذه الظروف، كان يجب تغييرها. وفي هذه النقطة، كنا متفقين ووصلنا حتى إلى قبول فكرة نزع الرئاسة من عباس. ولكن عندما تعلق الأمر بتحديد أسس هذا التغيير، فتح الاتفاق المبدئي المجال لخلافات عميقة. [...] ⁴²⁵ ». و بما أنه استحال على

(425) ع. بن طوبال، المرجع المذكور.

الحكومة المؤقتة التوصل إلى إجماع في الآراء، لجأ عباس فرحات إلى تحكيم قادة المقاومة في الجبال بداخل البلاد.

« كانت مبادرة غير مسبوقة. فلأول مرة منذ 1954، لجأنا إلى القاعدة لتفصل في نزاع قادة الثورة. في الواقع، كان الأمر بالنسبة للحكومة تنازلاً عن مسؤولياتها أكثر منه علامة عن سلطتها. و لقد اعترفنا من خلال هذا الفعل بعدم الكفاءة التامة للقيادة و لجأنا للفصل بيننا إلى أولئك الذين عيّنّاهم نحن بأنفسنا. »⁴²⁶.

هكذا، خلال صيف 1959، بدأ أحد أهم اجتماعات تاريخ الثورة الجزائرية. هذا الاجتماع المعروف بـ « اجتماع العقدة العشرة » تبعته فيما بعد، في 18 ديسمبر 1959، جلسات المجلس الوطني للثورة الجزائرية. كانت تتمثل مهمة هذه السلطة في المصادقة على القرارات التي اتخذها العقدة و وضعها على شكل برنامج سياسي. بطبيعة الحال، ليس من السهل اختصار نقطة التحول هذه من تاريخ الثورة دون المخاطرة بابتعادنا كثيراً عن قولنا فيما يخص رسم صورة عن السياق التاريخي و السياسي الذي كان وراء تغييرات مسار فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني. لذلك، سنستحضر بإيجاز تحليل حربي محمد للأمر.

« إن أزمة صيف 1959 تفسر مماطلات قيادة جبهة التحرير الوطني أمام خطاب الجنرال دي غول حول تقرير المصير [...] إن القيادة التي كانت تواجه المبادرة الفرنسية كانت قيادة منقسمة، غائصة في الصراعات الداخلية و كان هم أعضائها الوحيد هو عدم الظهور في شكل مُراخصين. في مواجهة المبادرة الفرنسية لم يكن يمكن لأحد أن يعبر عن آرائه بحرية. و كان كامل اهتمام كريم و بن طوبال و بوصوف و بن خدة مستقطبا في مخطط شال. ففي نظرهم، كان الجنرال دي غول يريد تحقيق الانتصار بقوة السلاح. [...] و لقد حددت الأزمة التي كانت تمر بها القيادة موقف عباس و فرنسيس و مهري و يزيد. كانوا يعتبرون أن عصرا جديدا قد بدأ في العلاقات الفرنسية – الجزائرية و اقترحوا عدم غلق الباب على الانفتاح الفرنسي و إلا سيتدهور الموقف الدبلوماسي الجزائري. و كان رد الفعل الذي يميل أكثر إلى السياسة هو رد فعل دباغين لمين الذي، بعد أن استحضر مغامرات سوريا و الفيتنام و تونس في مفاوضاتهم مع فرنسا، أوصى بـ « إجراء

(426) المرجع السابق.

لا يسمح [لها] بأن تأخذ بيد ما أعطته بالأخرى. » [...] فكان رد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على دي غول يعبر، في الوقت نفسه، عن الخوف من الالتزام والخوف من الفشل في الانفتاح. ⁴²⁷

ولقد كان لمماطلات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، فيما يتعلق بالموقف الذي يجب اعتماده أمام خطوات الجنرال دي غول، تأثير حتمي على فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وعلى قيادته للحرب على التراب الفرنسي. وكان عليها كذلك أن تتحيز إلى جانب في الصراع الذي كان قائما بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، على وجه الخصوص اللجنة الوزارية المشتركة للحرب، و هيئة الأركان العامة.

مهام جديدة

بالنسبة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

من الواضح أن أول من فوجئ بتغيير مسار القيادة السياسية هم مسؤولو فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أنفسهم. منذ سبتمبر 1959، كان يبدو أن الأمور لم تكن على ما يرام داخل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وعموما، لم تكن استراتيجيتها واضحة جدا. كانت السياسة المزدوجة التي كان يتبعها عباس فرحات، من جهة، و تلك التي تتبعها « السلطة الثلاثية »، من جهة أخرى، كانت أكثر من محيرة. ولقد رأينا أنه للمضي في عملية اغتيال عضو مجلس الشيوخ بن حبيلس، اضطر بوداود عمر إلى الذهاب إلى القاهرة لطلب تأكيد الأمر من أعضاء اللجنة الوزارية المشتركة للحرب، لأنه كان يخشى من أن يثير ذلك مشكلا في وسط الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. لكن الاتجاه إلى سلام متفاوت عليه كان اتجاها قويا و الذي قامت الاعتبارات التكتيكية وحدها و ترتيب ميزان القوى الداخلية بتأجيله. فالعلاقة بين اللجنة الفيدرالية و الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تترجم جيدا هذه الوضعية.

« هناك كلام عن استطلاعات الرأي وعن اتصالات وعن مقابلات بين المبعوثين الديغوليين و مبعوثي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ولقد أدت، من 25 إلى 29 جوان 1960، إلى مفاوضات ملون، و التي لم تفض في نهاية الأمر إلى نتيجة. و لكن، أرادت الحكومة الجزائرية، على الفور، أن تظهر إيمانها بنجاحها. قامت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، هل هي سداجة أو تكتيك، بتوجيه تعليمات إلى الفيدرالية بتاريخ 21 جوان 1960، و تنص تعليمتها

الأولى على : « وقف أي عمل مسلح ضد أي فرد فرنسي أو جزائري، داخل المنظمة أو خارجها. »

لم يكن يحق للفيدرالية مناقشة الأوامر المتلقاة. كانت تنفذها، ولكنها كانت تعتبر أنه عليها أن تعبر عن وجهة نظرها. وبهذا، [أرسلت] اللجنة الفيدرالية ملاحظاتها في تقرير موجه، بتاريخ 23 جوان، إلى تونس. ⁴²⁸.

يذكر هذا التقرير، أساسا، أنه، حتى ولو كان للتعليمية ميزة أنها قد تؤثر تأثيرا إيجابيا على الرأي العام الفرنسي، إلا أنه قد يكون لها كذلك تداعيات سلبية على معنويات القوات. فمنظمة جبهة التحرير الوطني بفرنسا كانت تخضع لضغوطات الضربات العنيفة التي وجهتها لها مديرية رقابة الإقليم و المديرية الفرعية للتجسس و التجسس المضاد ⁴²⁹ و قوات الشرطة المساعدة، وبهذا فالتنازل، في تلك اللحظة الحاسمة، و تسريح الجماعات المسلحة و وحدات المنظمة الخاصة، كان ليعني : « التزام من جانب واحد و بدون مقابل من الجانب الفرنسي » ⁴³⁰.

في ماي 1960، اضطرت آيت مختار، بعد أن تم التعرف عليه إثر اعتقال هوشولتز إينج و حرايف زينة، إلى مغادرة فرنسا. كانت جميع قوات الشرطة تطارده على أساس أنه « عدو الشعب الأول »، و كانت صورته عندها تنصدر الصحف الرئيسية لأكبر الجرائد الفرنسية. كان لا بدّ له أن ينسحب، فقام جورج ماتاي، من شبكة كوريل، باقتياده داخل صندوق سيارته إلى الحدود السويسرية، و انطلاقا من هناك، التحق باللجنة الفيدرالية التي كلفته بمهمة جديدة. و حل بن يحي طاهر « علي » محله بعين المكان إلى أن أُلقي عليه القبض في أوت - سبتمبر 1960. فقام « سعيد » بوعزيز، لدى عودته من باريس لفترة وجيزة، بتدبر أمر تعويضه بتعيين بن سعيد عبد القادر المدعو « قادر » على رأس المنظمة الخاصة بفرنسا. و كان الأمر يتم على هذا النحو كلما كان يتم القبض على مسؤول. ففي كل مرة، كان يرقى مسؤول منطقة آخر أو مسؤول دائرة و يعوّضه ليضمن استمرارية العمليات. حسب آيت مختار، في جوان 1961، تم القيام بتعيينات جديدة :

(428) A. Haroun, *Cp.cit.*, p. 406، التسطير من عندنا.

(429) مصلحة الوثائق الخارجي و التجسس المضاد.

(430) تقرير 23 جوان 1960 الموجه من قبل فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني إلى الحكومة المؤقتة

للمهورية الجزائرية. In A. Haroun, *Cp.cit.*, Annexe n°29.

عين برايك أزواو مسؤولاً عن المنظمة الخاصة، و بن بورنان بوجمعة (مسؤول عن المنطقة الباريسية)، و فرقاش أرزقي (مسؤول عن ليون) و بن يحي محمد « تكساس » (مسؤول عن مرسيليا).

و قد سجّلت مغادرة آيت مختار إلى ألمانيا نقطة تحول هام جدا في تاريخ المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. فمع رحيله القسري، وُضع حد لتصور كامل للمنظمة الخاصة. كان « مجيد » من بين أولئك الذين شاركوا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في وسط اللجنة الفيدرالية الموسّعة، في النقاشات المتعلقة بتحديد الأهداف إن لم تكن أغراض الحرب بالأراضي الفرنسية. ورث شبكات كانت قد خدمت المنظمة السياسية و قام بتحسينها و توسيع وظائفها. شارك كذلك في اختيار الرجال و حرص على تدريبهم. و قد كان موجودا على ساحة العمليات نفسها و شكّل هذا عامل تماسك و تقارب لا مثيل له بين وحدات قتال جبهة التحرير الوطني بفرنسا وقادتها. لم يكن لأولئك الذين خلفوه هذه التجربة في التنظيم و لا نطاق العلاقات بداخل و خارج الهيكل التي مثلت قوة المنظمة الخاصة. كانوا يأتون من المستويات الوسيطة و عينتهم اللجنة الفيدرالية الموسّعة، و عينوا لهم تحت قيادتهم رجالا كانوا بالكاد على صلة بهم و كانوا أحيانا لا يسيطرون عليهم. و لقد زادت من ضعفهم الفوضى التي كانت تعم في نظام لا يسيطرون عليه إلا جزئيا. و لعب الوقت، في الأخير، في غير صالحهم بما أن مدة نشاطهم بالولاية لم تتجاوز ستة أشهر، في أفضل الأحوال.

في الواقع و بالرغم من إنكار هارون علي الذي ادّعى، بعديا، أنه لم يكن واردا بالنسبة لجبهة التحرير الوطني إخضاع الأراضي الفرنسية كل مساء إلى ليلة 20 أوت⁴³¹، إذ لم تكن تملك الوسائل لذلك. يبدو بالفعل أن مشكلا قد طُرح على مسؤولي المنظمة الخاصة فيما يتعلق بمدة و طبيعة العمليات التي كان عليهم أن يقوموا بها في فرنسا. فالنقاش الذي بدأ في وسط اللجنة الفيدرالية، في 1956 – 1957، و أجهض في 1958، عاد ليُطرح نفسه من جديد مرة أخيرة في 1961.

بعد قرابة عامين من الاشتباكات الدامية مع وحدات مساعدتي الشرطة الفرنسية و أجهزة الأمن، يبدو أن الجماعات المسلحة لجبهة التحرير الوطني بفرنسا

و المنظمة الخاصة قد تمكنوا من تجاوز الصدمة و أعادوا هيكلة أنفسهم حول الهدف الأساسي الذي كان يتمثل في حماية قواعد الدعم و إطارات المنظمة و الشعب من تجاوزات الشرطة. فقد أُعيد تشكيل سلاسل العبور و شبكات اللوجستية، و استمر جمع أموال المساهمات و تحويلها إلى خزانة جبهة التحرير الوطني بسويسرا و ألمانيا. كانت الأسلحة و الذخائر تدخل عبر الحدود. كان كل هذا يحدث، بطبيعة الحال، في سياق لم يخف فيه ضغط الشرطة و القمع، بل بالعكس. فقد أشارت التقارير إلى تراجع في التعداد أو في حجم الاشتراكات و حدث انقطاع مع بعض الاتصالات و تعطلت بعض المراسلات، و قد وقع كذلك بعض الإطارات في قبضة الشرطة التي كانت دائما فعّالة جدا، و كانت مبالغ مالية كبيرة تُكتشف أحيانا في الملاجئ و تصادرها الشرطة. في هذه الظروف العسيرة، استُقبلت تعليمات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بشيء من التحفظ.

و في سبتمبر 1961، كان الاستياء لا يزال شديدا في وسط مسؤولي المنظمة العاملين على أرض الواقع. و تترجم رسالة، مؤرخة في سبتمبر 1961 و موجهة من قبل قائد ولاية إلى العدلاني قدور، هذا الإحساس على أحسن وجه.

» أخي العزيز

[... 3] يوم الخميس 05-09-1961، تم عقد اجتماع استثنائي مع المسؤولين المراقبين الثلاثة لتلقي التعليمات الأخيرة و التأهب ليوم أول نوفمبر و مناقشة التدابير الجذرية الأخيرة التي اتخذتها مديرية الشرطة :

غلق إجباري لجميع مقاهي الجزائريين على الساعة 19.

حظر التجوال لجميع الجزائريين انطلاقا من الساعة 20.30 و منع الجزائريين من التجوال في مجموعات من 2 أو 3 أو 4 أفراد. (مرسوم رنبي).

من جهة أخرى، تعمل الشرطة الآن تحت غطاء « المنظمة المسلحة السرية »⁴³² لتفجير فنادق شمال إفريقية. علاوة على ذلك، فهم يقومون بإيقاف جزائريين عشوائيا و يقومون بإعدامهم ببرودة بالغة أو يقومون بريمهم بنهر السين. ستصلكم قريبا تقارير موثقة جيدا. و حاليا، أبلغنا باكتشاف ثلاثين جزائريًا تم

(432) منظمة الجيش السري أسست بالجزائر من قبل أقلية أوروبية و ممثلين للجيش الفرنسي المعادين لسياسة الجنرال دي غول.

إغراقهم بنهر السين. و وفقا لهذا، قررنا أن هذه التدابير الاعتبارية لم يكن من شأنها الإنقاص من « حجم » عملياتنا. و هكذا، سيستمر الكفاح ضد الخونة بلا هوادة. أما فيما يخص الشرطة، فإن التعليمات قطعية، لم يستهدفوا أبدا عمدا. وحده الدفاع الذاتي قد يفسر هذا النوع من « الحوادث ». ستصلكم تقارير موضوعية عن جميع هذه العمليات. ⁴³³ »

في الواقع، تطورت الأمور كثيرا منذ هجوم 1958 و مماطلات الحكومة الفرنسية بالأشهر الأولى من سنة 1959. ففي 8 جانفي 1961، أعطى الاستفتاء عن تقرير المصير، نسبة تأييد وصلت إلى 75%، و هو ما يعني صك على بياض للجنرال دي غول ليتفاوض بشأن استقلال الجزائر. و في 16 جانفي، أعربت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عن استعدادها هي الأخرى للتفاوض. و في 20 فيفري، التقى بومنجل أحمد و الطيب بولحروف بجورج بومبيدو و دو لوس برونو بلوسرن.

إن عملية المفاوضات، التي باتت وقتها حتمية، لم تحل دون تصعيد في الاشتباكات المسلحة على أرض الواقع. بقيت الدولة الفرنسية متمسكة بالأهداف التي حددتها حتى قبل 1958. التفاوض، بالتأكيد، و لكن ليس دون الحد من إمكانيات مقاومة الشعب الجزائري و ذراعه المسلحة إلى أبسط صورها، بفرنسا و بالجزائر على حد سواء. التفاوض، و لكن كذلك الإبقاء بحوزتها، لأطول وقت ممكن، على أوراق سياسية أخرى. و كانت الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي إحدى تلك الأوراق. كانت المديرية الفرعية للتجسس و التجسس المضاد تعمل سرا، مع ممثلين « معتدلين » للشعب الجزائري يعيشون بالخارج و مع عناصر من الحركة الوطنية الجزائرية، لتساعد في إيجاد موطئ قدم لهذه « القوة الثالثة » الجديدة. و بعد عملية علون، جاء دور عملية كافي. فالهدف الدائم للسلطات الفرنسية، منذ 1957 – 1958، كان يتمثل في الحد، سياسيا و عسكريا، من إمكانيات مقاومة الشعب الجزائري. و كانت الترجمة الدبلوماسية لهذه السياسة

(433) رسالة مؤرخة بتاريخ 6 سبتمبر 1961 و ممضاة باسم « موريس » على الأرجح محمد الزواوي، قائد الولاية الأولى ثم قائد الولاية الثالثة و أخيرا مسؤول مراقب، موجهة إلى العدلائي قدور. أرشيف خاص. يبدو أن رسالة العدلائي المؤرخة في 6 سبتمبر توحى بأن مراسلة « موريس » جاءت كجواب على رسالة ق.و. قد تعود إذن الرسالة إلى ما بعد تاريخ 6 سبتمبر. السطر من عندنا.

هو ما يسميه الفرنسيون « الطاولة المستديرة » حيث يمكن أن يشارك بها جميع « المتحاورين الصالحين » دون استثناء.

لكن هذه السياسة اصطدمت بالمعارضة الشرسة لأوساط « المتطرفين » الاستعماريين. وقد كان هؤلاء يرغبون في إنقاذ « الجزائر الفرنسية » رغم كل العقبات. وقد سعى « المتطرفون » جاهدين لإنقاذ الجزائر الفرنسية من خلال تنظيم أنفسهم ، في جانفي 1960، تحت شعار حزب التجمع من أجل الجزائر الفرنسية ثم، في جوان، تحت اسم جبهة الجزائر الفرنسية، وأخيرا، في مارس 1961، باسم منظمة الجيش السرية. ومن جهتهم، بقي مؤيدو « القوة الثالثة »، بالرغم من إعدام قائدهم، مصممين على المضي قدما.

« لم يقتصر الأمر على مشاركة مسلمين (الطبيب قارة سيدو عبد القادر براكروك) كوكلاء وزارة حكومة بورجيس – مونوري و غايار فيليكس، بل تجرأ العديد منهم على المشاركة في « لجان الخلاص العام المنحدرة من ثورة 13 ماي : تشارك الطبيب قارة سيد مع الجنرال ماسو رئاسة لجان الخلاص العام الجزائر – الصحراء. وقد أرسلت الانتخابات التشريعية، في نوفمبر 1958، 45 نائبا إلى قصر بوربون، وقام معظمهم بالانخراط في مجموعة « وحدة الجمهورية » و اعترضوا على سياسة تقرير المصير. وكان أحدهم بجانب بيير لاغيارد خلال أسبوع المتاريس [24 – 31 جانفي 1960]، وكان العديد منهم بلجنة تسيير جبهة الجزائر الفرنسية في 1960. و صوت عدد معتبر من المنتخبين المسلمين بالجمعيات البلدية و الدائرية، في أفريل 1961، لصالح اقتراحات دعم ثورة الجنرالات الأربعة المناهضة للمفاوضات مع جبهة التحرير الوطني. يمكننا أن نعتبر إذن أنه، عند نقطة التحول الحاسمة بتاريخ الجزائر، قام جزء لا بأس به من النخبة المسلمة بمناهضة الاستقلال و تأييد الإدماج. »⁴³⁴.

إن محاولة الانقلاب العسكري التي قام بها « عدد ضئيل من الجنرالات المتمردين »، و التصفيات الجسدية لمناضلين جزائريين و مؤيدين فرنسيين لاستقلال الجزائر، و التهديدات الموجهة إلى المساجين من جبهة التحرير الوطني الموجودين بالسجون الفرنسية، كلها مؤشرات ما فتئت تثير، على أرض الواقع،

قلق إطارات المنظمة بفرنسا. هذا القلق شديد خاصة لأن التهديد يأتي من داخل بعض أجهزة الدولة الفرنسية نفسها.

و يصف تقرير « موريس » للجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وصفا جيدا هذا التطور، و كان على هذه اللجنة الفيدرالية نفسها أن تجد حلا وسطا بين ضرورة التصدي لضربات أجهزة القمع الفرنسية و احترام تعليمات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي كانت تشارك في مفاوضات حاسمة.

بالنسبة للمنظمة الخاصة

رأينا من قبل كيف توصلت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني إلى تقسيم عمل الجماعات المسلحة وفقا للوضع الجديد الذي ظهر مع ظهور الوحدات المختصة في الحرب الثورية المضادة على الساحة. كان على « فرق التدخل » أن تستمر في تأدية دور الشرطة في الأحياء ذات الكثافة العالية من المهاجرين، و كان على « المجموعات المسلحة » أن تخدم كنقطة ربط بين هؤلاء و المنظمة الخاصة. كانت مهمة الجماعات المسلحة تتمثل، منذ 1959، في التصدي لوححدات الشرطة و قوات الشرطة المساعدة و تأدية دور « الفرق الدائرة » المكلفة بامتصاص ضربات أجهزة الأمن الفرنسية، و بهذا حماية المنظمة الخاصة. و كان على المنظمة الخاصة، مع عناصرها المدربين بقواعد المغرب، أن تستهدف أهدافا « استراتيجية » أكثر. و مع مرور الوقت، دفعت محاصرة أحياء المهاجرين و حظر التجوال بعد ساعات معينة و الاستعمال المنتظم للترهيب ضد الجاليات و ضد المناضلين الوطنيين ، دفعت اللجنة الفيدرالية إلى توسيع الجماعات المسلحة التي امتد « حجم » نشاطاتها.

حمل هذا الامتداد لدور الجماعات المسلحة على مجمل التراب الفرنسي و ضرورة وقف العمليات ذات الطابع الاستراتيجي، حمل اللجنة الفيدرالية على مراجعة الدور الذي كان حتى ذلك الحين على عاتق المنظمة الخاصة. و أصبحت مهمة هذه الأخيرة، من تلك اللحظة فصاعدا، تتمثل في الاهتمام بالحركة مع استبعاد أي عمل آخر.

لم يتسن لنا الاطلاع على الوثائق التي تشير إلى التاريخ الدقيق لهذا التغير في الاتجاه، ولكن بعض رسائل العدلاني قدور المؤرخة في خريف 1961 لا

تترك أي مجال للشك حول الأمر. وقد حدث حقا تغيير في أهداف الحرب، وبالتالي تغيرت الوظائف التي كانت تقع على عاتق المنظمة الخاصة. كان الدافع وراء كتابة مسؤول التنظيم باللجنة الفيدرالية لهذه الرسائل هو الخلط في المهام الذي كان يسود على ما يبدو في القاعدة. فمنذ بضعة أشهر، بدأت الجماعات المسلحة تزداد قوة على حساب المنظمة الخاصة. وفي رسالته المؤرخة في 6 سبتمبر 1961، قدّم « مورييس » طلبا عاجلا.

« [...] نطلب منكم السماح لنا بـ « الاهتمام » بالحركة دون انتظار التعاون مع أشقائنا من المنظمة الخاصة. فبالفعل، كان مسؤول المنظمة الخاصة دائما في الخارج أو في مكان آخر، أما مستبدله المؤقت، الذي تجاوزته الأحداث على ما يبدو، فهو متخف ولا يمكن الوصول إليه. والاتصالات مع المنظمة الخاصة تنحصر حاليا في لقاءات عرضية مع بعض عناصر الجماعات المسلحة السابقة. إن وسائلنا محدودة، ومهما كان عدد الحركة الذين ستمكن جماعاتنا المسلحة من القضاء عليهم، سيبقى، مع الأسف، ما يكفي لـ « شغل » الجميع [...] ». أبلغك بأن الأخ من المنظمة الخاصة للولاية الثالثة يتواجد حاليا بغرونوبل ولا يريد الذهاب إلى ليون ليتكفل بالثلاثين عنصرا من جماعاتنا المسلحة الذين طلبتم منا أن نضعهم تحت تصرفه. يبدو أنه لا يملك الوسائل ولا التعليمات اللازمة. »⁴³⁵.

في رسالة مؤرخة في 10 سبتمبر، فصلت اللجنة الفيدرالية في أمر أهداف الحرب ووضّحت لمسؤولي المنظمة خط السير.

« أخي العزيز،

وصلتنا مراسلتك المؤرخة في 8 سبتمبر 1961.

1) نريد أن نعرف من الذي يرتكب الاعتداءات على الشرطيين، وخاصة، على أي مبدأ نركز لمهاجمة مجرد رجال شرطة بسطاء. عادة هذا العمل هو من بين مهام المنظمة الخاصة وهي كذلك لا يمكنها أن تتصرف كيفما كان و ضد أي كان. »⁴³⁶.

(435) المرجع السابق.

(436) رسالة مؤرخة في 10 سبتمبر 1961، تحمل إمضاء ق.ر. (العدلائي قدور). أرشيف خاص.

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

في 15 سبتمبر، بعثت اللجنة الفيدرالية بتوضيحات أخرى .

« الإجابة عن الأسئلة الأخيرة :

(1) في كل ما يتعلق بدفاع الجماعات المسلحة عن ذاتها، فإنه لأمر غير وارد أن يسمحوا بأن يُلقى عليهم القبض و هم مسلحون دون أن يحركوا ساكنا . ما يجب تفاديه هو استهداف رجال الشرطة البسطاء عمدا بينما هناك سفاحون طليقون بشوارع باريس .

(2) يجب التوضيح بأن تعليمية 61/9/1، لا تذكر أن مسألة الحركة عُهدت إليكم، إن المنظمة الخاصة هي التي لا زالت « مكلفة » بهؤلاء الخونة . ولكن، إذا صادفتهم جماعاتنا المسلحة أو إذا أظهروا أنفسهم في إقاماتنا عندها « استقبلوهم » كما ينبغي .

(3) إن استئناف العمليات يهدف، فيما يخص المنظمة، إلى تطهير الجالية الجزائرية من جميع الخونة و من الطفيليات [...] .

تعليمات جديدة

ب) قررت الفيدرالية نشر المنظمة الخاصة على كامل التراب الفرنسي . و بهذا، إعداد عناصر حيثما يمكن ذلك . فعلى سبيل المثال بليون و مرسيليا يجب إرسال ثلاثين (30) عنصرا إلى هاتين المدينتين، عناصر من الجماعات المسلحة بطبيعة الحال [...]⁴³⁷ .

إن إعادة النشر هذه للمنظمة الخاصة و المهام الجديدة التي كلفت بها لم تجر دون التسبب في تجاذبات، و أحيانا حتى، في خلافات بين الهيكلين، هيكل العدلاني و هيكل بوعزيز . فلا يمكن، دون عواقب، نزع السلاح من جماعات مدربة خصيصا للحرب التخريبية أو جعلها تقوم بمهام تبدو لها أقل مجدا من المهام التي كانوا يشعرون بأنهم دربوا لأجلها . فمنذ 1959، قامت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بفتح مدرسة لإطارات جبهة التحرير الوطني مقرها بألمانيا . و كانت كتائب المنظمة الخاصة العائدة من تدريبها بالمغرب (أرسل على الأقل

(437) رسالة مؤرخة في 16 سبتمبر 1961، أرشيف خاص . هذه الرسالة هي في الواقع سابقة لرسالة « موريس » المؤرخة في 6 سبتمبر .

اثنان بين 1959 و 1961) قد التحقت بالمدرسة لمتابعة دروس تكوين تكميلية . فبالإضافة إلى تلقيهم مبادئ المختص في المتفجرات المثالي التي علمهم إياها عيسى عبد الصمد و من خلفوه، حضروا دروسا في التكوين السياسي التي قدمها لهم شيطور عبد الكريم و حسين مُمجي و بن يحي بلقاسم ويشنيوسكي هانس يورغن نائب من الحزب الاجتماعي - الديمقراطي .

لم نتمكن من الاطلاع على أرشيف هذه المدرسة، و بالتالي لا نعرف لا محتوى البرامج و لا أعضاء المنظمة الخاصة الذين مروا بهذه المؤسسة . و مع ذلك، ما هو أكيد، هو أن الهيكل شبه العسكري المتمثل في المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بدأ يفكر . فبدأت المنظمة على ما يبدو تفكر في دورها الجديد و تناقشه . كان هذا المشكل خطيرا، في ذلك الوقت، لدرجة أنه من المهم جدا كشف بعض الجوانب التي تظهر في المراسلات المتبادلة بين أولئك الذين بقوا على أرض العمليات و أولئك الذين كان عليهم اتخاذ قرار حول أشكال الكفاح و الغايات منها .

و مرة أخرى، طرحت على أعضاء المنظمة الخاصة المسألة المؤرقة المتمثلة في معرفة ما هي السلطة التي ينتمون إليها . هل هم مُفرزة تابعة لجيش التحرير الوطني أم هيكل شبه عسكري لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ؟ على أي حال كانت المسألة واضحة في ذهنهم، هم جنود جيش التحرير الوطني كما أعلن عنه أمام المحاكم كل أولئك الذين حوكموا و هم متأكدون، مثل أولئك الجنود، أنهم يقودون باسم جيش التحرير معركة عسكرية على الجبهة الفرنسية . فبدأ لهم تغيير الوجهة، في 1960 - 1961، عبارة عن تخلص لم يكونوا مستعدين له . و من ثم، كانت مفاجأتنا كبيرة، عندما وجدنا في إحدى المراسلات، التي وجهها قائد الولاية الثانية، المشكل مطروحا من قبل هذه المجموعات التي أصبحت مثار إزعاج كبير .

» الوضعية العامة :

[... ج] أعلمتُك في المراسلة السابقة عن تفكيك المنظمة الخاصة، أبلغك أن المناضلين الذين لم يتم القبض عليهم يهددون الإطارات المحلية و الإقليمية بردود فعل عقابية عاتبين على المنظمة بأنها قد تخلت عنهم . بحثت بنفسني

عن رجل يدعى أرزقي « جودوكا »⁴³⁸ يعرفه الأخ « سعيد » لإيجاد حل لهذا المشكل. و لكنه، مع الأسف، تعذر العثور عليه و هو غير معروف لدى مناضليه رغم أنه كان هو بنفسه مسؤولاً عن المنظمة الخاصة. »⁴³⁹.

و في نقاط أخيرة لرسالة مؤرخة بتاريخ 5 جانفي 1962، يشير مسؤول الولاية الثانية إلى علاقات المنظمة الصعبة مع المنظمة الخاصة.

« [...] (21) تبين أن الاتصال بالمنظمة الخاصة أمر صعب، يوجد فقط بعض المناضلين المتوعدين و المتهورين (تقول المعلومات أنه أُلقي القبض على « جودوكا » بدوره). »⁴⁴⁰.

و في رسالة تحمل إمضاء باسم « دانييل » أي بن يونس محند آكلي، المسؤول عن الرقابة و قائد الولاية الأولى (باريس)، بدأ أن الأمور، هناك كذلك، لم تؤل مآلاً حسناً بالنسبة للناجين من المنظمة الخاصة المتبقين.

« [...] حاشية : بالنسبة للعنصر الذي قرر القضاء على رجال شرطة بليون، علمنا أنه عضو بالمنظمة الخاصة و ليس أحد أعضاء جماعاتنا المسلحة كما قد أشرنا إليه من قبل. و لكن، بما أن مسؤوله قد اعتُقل، أمرنا هذا العنصر بإيقاف العمليات. و هو ما فعله. و مع أنه رفض في بادئ الأمر، إلا أنه قبل كذلك بتسليم العتاد الذي بحوزته (هو و فريقه). أما فيما يتعلق به، سيتم استدعاؤه إلى باريس حيث سيكون عليه أن يقدم تفسيرات، و لكنه يعتبر خطراً نوعاً ما، لأنه، في الواقع، محبط تماماً بسبب خوفه من المنظمة و من العدو الذي يبحث عنه كذلك. »⁴⁴¹.

ماذا حدث بين ماي 1960، تاريخ ذهاب آيت مختار إلى ألمانيا، و جانفي 1962، و جعل المنظمة الخاصة تصبح فجأة بهذا القدر من الخطر و التهور في أعين المنظمة ؟ هذه مسألة وحده أرشيف فيدرالية فرنسا لجبهة

(438) محند أرزقي فمار أو أرزقي رابحية المذكور في وثيقة آيت مختار تحت لقب « جودوكا » الذي كان مكلفاً بين 1960 و 1961 بالاستعلام في الشبكات التابعة للمنظمة الخاصة.

(439) رسالة مؤرخة في 30 ديسمبر 1961، تحمل إمضاء « البير » أي عليان حميمي قائد الولاية الثانية. أرشيف خاص.

(440) رسالة غير ممضاة. أرشيف خاص.

(441) رسالة مؤرخة في 27 جانفي 1962، تحمل إمضاء « دانييل » أي بن يونس محند آكلي. أرشيف خاص.

التحرير الوطني و أرشيف المنظمة الخاصة يمكنه أن يكشف عنها يوما ما . مع ذلك ، ما يبقى أكيدا هو أن المنظمة الخاصة لم تفكك يوما بصفة رسمية . و هناك مراسلات ، إلى غاية مارس 1962 ، تشير إلى وجودها و حتى إلى نوع من انبعائها .

« 2) اتصل بنا كذلك أحد الإخوة من المنظمة الخاصة الذي طلب منا أمورا مختلفة : الاتصال من جديد بأعضاء المنظمة الخاصة السابقين ، و بأماكن الإقامة و أماكن الاجتماع . سنبدل قصارى جهدنا لمساعدته في مهمته . قدمنا له كذلك مبلغ الـ 200.000 فرنك الذي طلبه منا . »⁴⁴² .

و دائما في هامش الصفحة ، بمثابة حاشية ، ورد في إحدى المراسلات الأخيرة الممضاة باسم « مجيد » :

« أخي العزيز ،

أخذ الإجراءات اللازمة للحد من بقية المخزونات و الحفاظ عليها .

تغيير مكان الأموال التي يعرف الكوميديان ، عن قرب أو عن بعد ، مكانها . و قطع الاتصال تماما مع عناصره .

مراجعة نظامكم في الارتباط و في الإيداع لاكتشاف مصدر التسرب أو العناصر الذين تكون الشرطة قد اعتقلتكم من جديد و الذين قد يتمكن رجال الشرطة من خلالها من تتبع السلسلة . الاستمرار في التحقيق و تقديم التقارير .

و في حال لم تكن بقية الأموال في أمان ، و ليس لديكم الإمكانيات لإخفائها ، يجب إبلاغنا على الفور .

في طيه رسالة تركها الأخ .

نعتقد أن الإخوة سيكونون معنا غدا أو بعد غد .

سلام سياسي أخوي .

مجيد .

أخبر المسؤول عن المنظمة الخاصة أن يرسل لنا عميل ارتباط للأسبوع المقبل⁴⁴³ .

(442) رسالة بتاريخ 3 مارس 1962 ، تحمل إمضاء دانييل . أرشيف خاص .

(443) رسالة بتاريخ 4 مارس 1962 تحمل إمضاء مجيد أي آيت مختار نصر الدين . أرشيف خاص . السطر من عندنا .

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

هل اتُّخذ في الأشهر الأخيرة للحرب التي كانت تقودها جبهة التحرير الوطني بفرنسا قرار يكلف آيت مختار بترتيب الأوضاع داخل المنظمة و تمهيد الطريق للانتقال الكبير ؟ على كل، هذه الرسالة المؤرخة في 4 مارس 1962 توحى بذلك . لماذا اتخذ قرار كهذا قبل أيام من قرار وقف إطلاق النار ؟ ما هي المهام الجديدة التي استُدعي أعضاء المنظمة الخاصة لتأديتها و لحساب من كانوا سيعملون ؟ هذه كلها أسئلة سنحاول الإجابة عنها في شكل فرضيات في الفصل الأخير من الكتاب .

تغيير أهداف شبكات دعم جبهة التحرير الوطني

حتى قبل اندلاع الكفاح المسلح، دافع فرنسيون، بفرنسا و بالجزائر، عن تحرير الشعب الجزائري من الاستعمار. و لقد أكسبهم كفاحهم، الذي قادوه غالبا في الخفاء، و لكن أحيانا كذلك علنا، عداوات بقدر ما أكسبهم مجدا. كان هذا الطريق الذي رسمه لهم ضميرهم مثاليا. فقد أظهر إرادة تحريرية متعلقة بشدة بحرية الأفراد و بتحرير الشعوب. فلأسباب أخلاقية أو دينية أو سياسية ذهبوا حتى إلى المخاطرة بحياتهم أو بحريتهم من أجل قضية كانوا يعتبرونها عادلة. هذا الفعل الفردي و الفريد، الذي كان منعزلا في البداية، أصبح، مع مرور الوقت، جماعيا أكثر. فبدأت شبكات دعم لجبهة التحرير الوطني تنشط و ساهمت المواقف العلنية لكبار عالم الفن و الأدب و الفكر المعاصر مساهمة كبيرة في توعية الرأي العام الفرنسي بالرهانات الحقيقية للحرب التي كانت تجري بالجزائر.

عرّفنا فيما سبق ببعض هذه الجماعات و وصفنا ما يدفعها إلى ذلك في اللحظة التي انضمت فيها إلى الكفاح من أجل الحرية و ضد النظام الاستعماري المفروض على الجزائر. و إذا كانت سنوات 1956 – 1958 سنوات توسيع مجال الالتزام إلى جانب جبهة التحرير الوطني، فإن سنوات 1959 – 1962 كانت سنوات إعادة تمركز الشبكات الفرنسية حول انشغالات، دائما ثورية، لكنها تهتم أكثر بمستقبل المجتمع الفرنسي. ذلك أنه بين 1957 و 1960 أصبحت جبهة التحرير الوطني بفرنسا قوية أكثر. فالانتقال إلى أشكال كفاح تعتمد على اللجوء إلى الهجوم على أهداف اقتصادية و سياسية فرنسية حصرا، و لم تعد داخل الجاليات، بدأ يطرح مشكلا بالنسبة لبعض الشبكات إن لم يكن لبعض زعمائهم. و أقلق ذلك

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

الاعتقالات و تفكيك السلاسل اللوجستية، الكثيرين. وبصفة عامة، أثارت المواقف المؤيدة للثورة الجزائرية مسألة أخرى كانت تبدو، بالنسبة للبعض، ملحة أكثر و هي مسألة الثورة الاجتماعية بفرنسا و بالعالم. عندها ظهرت مسألة تحديد، أو إعادة تحديد، العلاقات مع جبهة التحرير الوطني و العلاقات بين الشبكات في حد ذاتها.

في الشهادات التي جمعناها، أردنا أن نقف على جلية الأمر فيما يتعلق بمواقف البعض و البعض الآخر حول أشكال الكفاح الجديدة التي اعتمدتها جبهة التحرير الوطني منذ هجوم أوت 1958. و ستسمح لنا، وثائق من الأرشيف مكتوبة تمكنا من الاطلاع عليها، من فهم، حجج أولئك الذين اعتبروا، من بعد، أن الثورة الجزائرية كانت المحفز لاندلاع ثورة أوسع و أعمق في الوقت نفسه، فهما أفضل.

مع الكفاح المسلح بفرنسا أم ضده ؟

في الأسابيع، إن لم يكن في الأشهر، التي سبقت اندلاع هجوم أوت 1958، يبدو أن هناك نقاشا قد حصل بين قائد فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و مسؤول إحدى أهم شبكات الدعم الفرنسية. فحسب التصريحات التي يكون قد قدمها لمؤلفي كتاب « لي بورتور دي فاليز » يبدو أن جونسون فرانسيس يكون قد احتج على العمليات المخططة لها لتشن بالأراضي الفرنسية. و بالاختصار، يكون موقفه قد ارتكز على عدة حجج :

الحجة التكتيكية :

– أن الإرادة التي أظهرها بوداود عمر في خلق جو من القلق بفرنسا و جعل الفرنسيين يعرفون هم أيضا معنى الحرب، بنشر الرعب في وسطهم، هي مغامرة جنونية لا يمكنها إلا أن تؤدي إلى كارثة. فبعد الـ 24 ساعة التي سيتسنى لوحداث جبهة التحرير الوطني من الاستفادة من مفعول المفاجأة، ستحاصر فرنسا و لن يتمكن أحد من الحراك.

الحجة الاستراتيجية :

– أن فرص علاقات مستقبلية بين الشعب الفرنسي و الجزائري ستُعرض للخطر نهائيا. و لما كان عمل الشبكة مبنيا على أفق الصداقة الجزائرية الفرنسية، فيصبح،

بناء على هذا، من المستحيل الاستمرار في دعم جبهة التحرير الوطني . و سيضطر بذلك إلى تفكيك شبكة جونسون .

جراء هذه الاعتراضات و التهديدات بتفكيك الشبكة، يكون بوداود عمر قد حصل من لجنة التنسيق و التنفيذ على تنازلات فيما يتعلق بطبيعة أهداف الهجوم « لا تقام هجومات بلا تبصر و لا تخلف ضحايا مدنية » .

في روايته الخاصة للأحداث، يعارض هارون علي هذه الرواية للوقائع في نقاط عديدة :

– إن كبار المسؤولين بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني هم وحدهم الذين كانوا يعرفون تاريخ هجوم أوت 1958 و الأهداف المحددة . « إن أولئك الذين لم يكن لديهم دور يؤدونه في العملية لم يكونوا يعرفون شيئا عنها » .

– لا يمكن أن يكون هذا اللقاء قد جرى في التواريخ المذكورة، أي بين 25 جويلية و 25 أوت 1958 . و ليس من الممكن أن يكون بوداود عمر قد بعث برسالة إلى تونس و تلقى جوابا من القيادة الوطنية للحركة التي كانت موجودة عندها بالقاهرة .

– لم تكن جبهة التحرير الوطني تنوي، بأي حال من الأحوال، تخليف ضحايا، عن قصد، في وسط المدنيين لأي غرض بيداغوجي كان . فالحرب التي كانت تشنها جبهة التحرير الوطني لم تكن حرب « شعب ضد شعب » إذ كان أحد أهدافها كذلك يتمثل في الحفاظ على حريات الشعب الفرنسي المهددة من قبل جيش الاحتلال الاستعماري⁴⁴⁴ .

رغبنا في معرفة المزيد، فطرحنا السؤال على الفاعلين أنفسهم و تبقى أجوبتهم، ولو أنها جاءت تالية للوقائع، مثيرة للاهتمام لأكثر من سبب . سنضيفها إذن لملف هذا النقاش الشهير .

بالنسبة لراي روجي، ليس هناك أي لبس في المشكل :

« حدث هذا دون علم منا، كنت أتحادث مع قبائلي موسى و هارون علي، لأنه كانت لدينا علاقات بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . والتقيت كذلك ببوداود الذي آوئته لمرات عديدة و آويت كذلك

« بيدرو » (العدلاني قدور) و « لويس » (بوعزيز رابح)، الذي كان وقتها زعيم المنظمة الخاصة (الفرع العسكري لفيدرالية فرنسا). إذن حدث أن التقيتهم. كنت أكنّ لهم المودّة لكنني لم أكن أعرفهم جيدا. وطوال سنة 1958، أكون قد التقيت ببوداود عمر ثماني أو عشر ساعات على أقصى حد [...] تحدثنا، قمنا ببعض الأعمال معا، لا أكثر. كانت علاقتنا تتسم بالتحفظ، لم أكن أرغب في تعريضهم للخطر، أما هم فكانوا يعانون من مشكل الارتياب، وهذا أمر كان يخصصهم. كنت أكتفي بتقديم الخدمة و أنا أدرك بأنهم يكافحون من أجل شيء كان يهمني، و كنت أعتبر أنه يمضي في طريق التقدم. لم يبلغونا عن أشكال الكفاح الجديدة. لم تجر الأمور على هذا النحو. دردشت في الأمر لمرات عديدة و كان لدي في الأمر انطباع شخصي، ربما يختلف عن انطباعات رفقائي. و بفعل ماضي كنت ناشطا أكثر، مندفعاً أكثر نحو العمل النضالي من العديد من رفقائي و هكذا، عندما طرحت عليّ المسألة، كنت موافقا مسبقا. عندما نخوض حربا، نخوضها فحسب، ليس علينا أن نهتم بموقف أولئك الموجودين بالجبهة المقابلة. إما أن يكون العمل العسكري مفيدا للقضية و إما أن يكون غير مفيد [و لكن لم يكن من حقنا نحن أن نقرر ذلك]. و هو الأمر الذين جعلني على خلاف تام من شخص مثل جونسون فرانسيس. عندما أقول خلافا [فأنا أستعمل كلمة تلطيفية] فقد تبادلنا الشتائم في 1958. كنت مؤيدا، و كان مناهضا. أكان على حق أو على باطل، ليست هذه هي المسألة. كنت في الأساس من أجل [التحريض على] اتخاذ موقف بفرنسا، كي يحس المهاجرون أكثر بأنهم معنيون بالأمر و كي يشاركوا في كفاح تحرير الشعب الجزائري. فليس هناك من سبب يجعل الفلاحين المنحدرين من الجبال و حدهم يشاركون، كان على الجميع أن يشارك. و كان هذا موقفي.

تم اتخاذ قرار القيام بالعمليات في ذلك الوقت هنا بمنزلي. فقد عقدت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني اجتماعا هنا في جويلية 1958. أما أنا فكنت غائبا في إجازة. عندما عدت، كانت فترة التراجع قد بدأت، و بهذا، لم [أعط] رأبي في المسألة و لم أشارك فيها مباشرة. لقد علمت عنها من طريق الصحافة.⁴⁴⁵

(445) ر. راي، المرجع المذكور.

و يذهب جواب بونو روبير في نفس الاتجاه .

« شخصيا، كنت أرى أن نقل جبهة التحرير الوطني للحرب إلى فرنسا يسير مع منطق الأحداث و لم يكن يزعجني أن أساعد جبهة التحرير الوطني بما أن الخدمة الأولى التي قدمتها كانت تتمثل في تخبئة الأسلحة . أظن أن الأسلحة لم تكن للمنظمة الخاصة وإنما لجبهة التحرير الوطني . كان يُعدّ لهذا كي يحدث في جويلية 1958، بعد انقلاب الجزائر العاصمة⁴⁴⁶ على كل حال . كانت فترة ماي 1958 دون شك اللحظة الحاسمة التي ساعدتنا على اتخاذ القرار ثم، بفعل الصدفة، التقيت بجوبلان . في تلك الفترة، طلب مني أن أقدم له الخدمة الأولى . لم يكن جوبلان شيوعيا، كان سارترية فيلسوفا، جونسون المارسييلي نوعا ما . عندما كان طالبا بـ إكس - أون - بروفانس أسس حلقة سارترية، كانت الفلسفي الوجودية و الالتزام و الحرية، في المستوى الفلسفي، رائجة . . . إلخ، و كانت هناك كذلك الماركسية التي كان التوجه السارترية متأثرا جدا بها و حتى بالينينية . لم يكن جونسون معاديا للشيوعية، شأنه شأن جوبلان، أما أنا فكنت عضوا بالحزب الشيوعي . [. . .] كان جوابي إذن أن الأمر لا يشكل عندي أي مشكل لا على المستوى الأخلاقي و لا على المستوى السياسي . كان يبدو لي أن هذه العملية تدخل في منطق الحرب . كنت قد شهدت، عندما كنت مجندا سنة 1956، الدور الذي لعبه على أرض المعركة الجنود الفرنسيون الصغار [. . .] رأيت في الجزائر نفسها تحولا عسكريا إلى درجة أن نقل الحرب إلى فرنسا لم يكن يشكل عندي مشكلا . [. . .] حسب علمي، لم يكن هناك موقف رسمي يطالب بالاعتدال من قبل شبكات الدعم . يبدو لي أنها كانت على الأرجح توصيات صادرة من جونسون، و أكثر منه، من كورييل . لو استشاروني في الأمر، لما أعطيت هذا النوع من النصائح، و لكنني بقيت متحفظا . صحيح أن جونسون كان يعدّ من الطبقة السياسية، و كان يلتقي بالكثير من الناس، بمسؤولين من الحزب الشيوعي مثل كازانوف و آخرين من « اليسار الجديد » و بأناس من « لوبسرفاتور » . ربما كان أهلا أكثر لتقدير رأي هذا اليسار الفرنسي الذي كان محترما و الذي كان يجب أخذه بعين الاعتبار [. . .] من المرجح أنه أعطى هذا النوع من النصائح . »⁴⁴⁷ .

(446) في 13 ماي 1958، قامت مجموعة جنرالات بالإطاحة بالجمهورية الرابعة و أقامت لجنة السلام العام .

(447) ر . بونو، المرجع المذكور .

يصر جورج ماتي، من شبكة كورييل، هو بدوره على الطابع الافتراضي لمثل هذه الخطوة لجونسون .

« لم ألتحق بالنضال إلا في 1959 . إذا كان خط سير جبهة التحرير الوطني محل نقاش، فيكون ذلك قد حدث قبل [انضمامي إلى الشبكات] . و الشهادة الوحيدة التي يمكن أن أقدمها هي شهادة شخص كنت معجبا به كثيرا، و هو المحامي ستيب الذي أيد الفيدرالية الأولى [فيدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا] . كان قد أعطى وجهة نظره، التي كان يشاطرها فيها بودية محمد، و من دون شك أن هذا هو السبب الذي أدى إلى نوع من الانغلاق من الجانب الجزائري . و أرى أنه كان على حق : إذا كانت الاعتداءات ستتحوّل إلى اعتداءات إرهابية عمياء، فمن هي المجموعة الفرنسية التي كانت ستؤيد الجزائريين سياسيا ؟ من كانوا سيجندون ؟ في 1959، لم يعد المشكل يطرح، و بهذا لا يمكنني أن أقدم شهادتي . من الخطأ تماما أن نقول أن الشبكات كانت تناقش القرارات السياسية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . بما أنكم تعرفون الجزائريين، القادة السابقين، مزاياهم و عيوبهم، هل تظنون أن هذا النوع من التفاوض ممكن ؟ إنها أمور مختلفة لتبرير شيء . و لأننا عملنا معا، اتخذ الجزائريون وحدهم، كأولاد كبار، القرارات التي اتخذوها . قاموا بذلك حتى و لو كانت العلاقات بين الفرنسيين و الجزائريين معقدة على الدوام . فالعلاقات بين جزائري و فرنسي ليست هي نفسها بين فرنسي و مغربي أو فرنسي و تونسي . كانوا قد شنوا هجمات في لحظة معينة، و كان مفعولها لافتا، و لكن ما هي النتائج ؟ إنني من الذين يعتبرون أن الحرب هي السياسة و بوسائل أخرى، و أن الجزائريين ربّحوا الحرب سياسيا و ليس عسكريا . إن قول العكس يكون مجرد أسطورة و لهذا ظهر الجيش السري الفرنسي لأنهم لم يفهموا هذه الحقيقة . في الجزائر، كانوا قد ربّحوا الحرب، إن كانت الحرب هي القتل و التصفيات و إثارة الفوضى، لكنهم لم يكونوا يفهمون لماذا كانت جبهة التحرير الوطني الرابع الحقيقي . لا أصدق الكلام الخادع حول تأثير الفرنسيين على عمل فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، لكنني أؤمن بالتأثير الموضوعي للعمل الجماعي، و هذا أمر أصعب على التقنين . أظن، في المقابل، أن المحامي ستيب أعرب عن موقفه و قدّم شروطه و لكنه قبل

بالرفض . يمكننا أن نتكلم عن أشياء مختلفة في النقاشات الفردية و لكن ليس عن مواقفنا كمجموعة، خاصة أنه كان مستحيلا من الناحية النفسية .⁴⁴⁸

و انطلاقا من هذه الشهادات، يبدو أنه حتى ولو طرح جونسون فرانسيس مسألة مشروعية دعم جبهة التحرير الوطني بفرنسا، إلا أن هذا بقي بالمستويات العليا دون أن يكون له صدى بالمستويات الأدنى . و الذين كانوا ينتمون إلى شبكته استمروا في النشاط إلى أن اعتُقلوا أو، بالنسبة لبعضهم، إلى غاية جويلية 1962، تاريخ الاستقلال . و إذا كان هناك تغيير في أهداف الشبكات، يجب إذن أخذ أسباب أخرى بعين الاعتبار .

بادئ ذي بدء، هناك واقع كون تعداد الشبكات كان، منذ 1959، قد بدأ يعرف تناقصا بسبب حملة الاعتقالات التي استهدفتهم . كانت القواعد اللوجستية و سلاسل العبور قد عرفت اختلالات في التنظيم . و كان جونسون فرانسيس نفسه مطلوبا من قبل جميع أجهزة الشرطة بفرنسا، و كانت اللجنة الفيدرالية قد بدأت تخشى على أمنها . فقررت قيادة الجبهة القيام بتغييرات و اقترحت على كوريل هنري بأن يحل محل جونسون على رأس الشبكات⁴⁴⁹ . و مع كوريل واجهت جبهة التحرير الوطني مشكلا آخر .

تأييد الثورة، و لكن أي ثورة ؟

بعد حملة الاعتقالات التي مست، في جانفي و فيفري 1960، جزءا كبيرا من تعداد شبكة جونسون، بدا أن قرار وضع بديل يحل محل هذا الأخير كان نهائيا . هل كان هذا نتيجة موقف الفيلسوف الناشط المتعلقة باستقلالية الشبكات عن جبهة التحرير الوطني ؟ أم هل كان ذلك بسبب الخلافات فيما يخص أهداف التعاون بين المنظمين ؟ أم هل كان ذلك يعود ببساطة لأسباب أمنية دفعت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني إلى اتخاذ هذا القرار ؟ يبدو أن معظم الكتب التي تتناول المسألة تميل إلى الفرضية الأخيرة .

و يذكر هارون علي هذا الواقع مسلطا الضوء على الجانب الأمني المحض .

(448) ج . ماتاي، المرجع المذكور .

(449) انظر : هـ . هامون، ب . بورتمان، ج . بيرو، المرجع المذكور .

« و لكن، بما أنها كانت تخشى وضع كل أوراقها في سلة واحدة، قامت اللجنة الفيدرالية، انطلاقاً من أفريل 1960، بتنصيب شبكة جديدة مستقلة عن السابقة. عهدت إلى أصدقاء كورييل هنري، و كانت تعمل بالتوازي مع شبكة جونسون. و هكذا، عندما واجهت الشبكة الأولى مشاكل خطيرة جراء الاعتقالات التي فككتها طوال أشهر، قامت المجموعة الثانية بتلبية الاحتياجات و تم تمويل الحرب دون عقبات. »⁴⁵⁰.

و استعاد بيرو جيل ما ورد في كتاب هامون و روتمان، و اتبع المسار نفسه. « لكن القادة الجزائريين الذين وافقوا على جرأة المؤتمر الصحفي [في 15 أفريل 1960، بـ1 شارع شين بباريس] خلصوا إلى استنتاج واضح عن الوضع : لقد اكتشف أمر جونسون تماماً. و هو حكم غير قابل للاستئناف. و هكذا عاد في غاية الإحباط إلى باريس في ماي 1960، مخالفا رغبات الجزائريين، بعد أن اختبأ بسويسرا. و لاحظ أن كورييل هو الذي يسير الشبكة و وضع رجاله بجميع مراكز القيادة و أن العملية كانت قد بدأت قبل اعتقالات جانفي - فيفري. و بما أنه أصبح غير مرغوب فيه من قبل الجزائريين، أصبح جونسون يعتبر غير ضروري في شبكته ذاتها. فطالب بتفسيرات و قبل كورييل ملاقاته. »⁴⁵¹.

اتسمت الأشهر الأولى لسنة 1960، بالفعل، بسلسلة من الاعتقالات، و لكن كذلك بمحاكمات ذات صدى كبير و بنشر العديد من مؤلفات و شهادات الفرنسيين المعارضين لاستمرار الحرب بالجزائر. هذه الحركة المعارضة للسياسة الاستعمارية لفرنسا تجاوزت عندها الحيز الضيق للشبكات السرية و انتشرت بكامل التراب الفرنسي. فبدأت أوساط مختلفة، عمال و طلبة، بتنظيم نفسها. و أصبح عدد الشبان الرافضين للاستجابة لنداء الخدمة العسكرية في تزايد أكبر. و تحولت حركة « المقاومة الشابة »، شيئاً فشيئاً، إلى حركة جماهيرية، و بدأ قادتها يجدون أن حمل الحقائق ليس غاية في حد ذاتها. و كان الضغط، الذي كان يزداد قوة من قواعد الحزب الشيوعي على قيادتهم و مغادرة عدد كبير من مناضلي هذا الحزب، توجي إلى إمكانية وجود نقطة التقاء بين مختلف الحركات اليسارية،

A. Haroun, *Op.cit.*, p.324 (450)

G. Perrault, *Op.cit.*, p.301 (451)

إذ يبدو أن قضية التحرير الوطني للجزائر قد لعبت دور كاشف لقابلية التعبئة والعمل من أجل « يسار جديد » فرنسي. و كان يبدو أن الماركسية، بمثابرتها إيديولوجية التحرير، استعادت هي بدورها ألوانا زاهية مع نشأة المجموعات الجديدة. كل هذا الغليان جعل، بطبيعة الحال، شبكات دعم التحرير الوطني تلمح أفقا آخر، مما سي طرح مشكلا لا محالة في المستويات العليا.

إن الشهادات التي جمعناها من عند فرقاء هذا المنعطف في العلاقات بين الشبكات و فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، بالإضافة إلى بعض الأرشيف غير المنشور، ستسمح لنا بفهم رهانات البعض والبعض الآخر بصورة أفضل.

بعد أن عاد، في غاية الابتهاج، من المهرجان العالمي للشباب بفيينا، حيث كان قد أسس « المقاومة الشابة » برفقة دافري روبير و كورييل هنري، أصبح هورست جون لويس يرى عمله بفرنسا في ضوء جديد. فالحماس الذي استقبل به الشباب المؤتمرون نداه و أفق اندفاع جديد للحركة الثورية الفرنسية دفعاه إلى إعادة موضعة نفسه بخصوص الدعم المقدم لجبهة التحرير الوطني حتى ذلك الحين.

« بمجرد عودتي [من مهرجان فيينا] كان علي أن أتكفل بعملية عبور. كان الأمر يتعلق ببوداود شخصا. مر الخليفة برفقة سيسيل ماريون، ولأول مرة، سبقتهم قليلا ففقدتهم في الغابة. وجدتهم بعدها مختبئين وسط مُنسغة. و تمت عملية العبور لكننا مررنا بأوقات عصيبة. التقينا كالعادة بفندق أربعة نجوم بنوفشاتال. كان هذا مبدأ فيدرالية فرنسا : كلما كنا عند الأثرياء كلما قلّت فرصة اكتشافنا. و كوني شيوعيا، كنت أقول لنفسني أنني كنت أشهد نشأة برجوازية. و كانت لدي أسباب جعلتني أسأم من تأديتي دور الخادم و أسأم من رؤية رفقائي الفارين غير مستغلين. »⁴⁵²

حدث هذا في البداية عن غير وعي و أدرك فرانسيس جونسوس بوضوح هذا المسعى و رأى في فصل الغابة هذا محاولة فاشلة. لأن جونسون كان يحتاج في الواقع، شأنه شأن هورست، إلى إعادة موضعة نفسه. و تكون الواقعة قد حدثت بخريف 1959 أي قبل اللقاء الشهير مع كورييل الذي تحدث عنه بيرو. و لقد دفع

(452) ج. ل. هورست، المرجع المذكور.

الضغط الذي كانت تتعرض له شبكات جونسون⁴⁵³ و التطورات التي حدثت جراء ظهور وحدات الحركة على الساحة، إلى إعادة النظر في الاستراتيجيات. فالتقى جاك فيني ودافزي روبير و جونسون فرانسيس و هورست جون لويس بوداود عمر لمناقشة الأمر. و في هذا الصدد، فإن رواية هورست، فيما وراء طابعها القصصي، تُبصّرنا جدا بالذهنية التي كانت تسود في تلك الفترة.

« و بدأ جونسون : - « مارك » (كنت ألقب هكذا) محاولة فاشلة ؟ يتعلق الأمر بالعبور الذي كاد أن يفشل. استشطت غضبا. - أتعلم، أنا لا أتعاطى كثيرا بهذه المفردات. ألك أن تترجم ؟ - ثورة على الأب ؟ - حسنا ! أنت على علم بالمهرجان. لتكلم في الأمر. ما هي « م. ش ؟ » - لنوضح الأمور. هؤلاء الفارون ضائعون في حين أنهم رأس مال. إن جيلنا ينحط. الحزب الشيوعي لا يقوم بشيء، و الشبكات لا تقوى على الاهتمام به، و المشكل ليس مشكل جبهة التحرير الوطني. يجب علينا أن ننظم أنفسنا بصورة مستقلة، مستقلين و منضمين إلى جبهة التحرير الوطني. يجب إلغاء الدمج. التفت جونسون إلى بوداود الذي كان يخلل أسنانه، فأجاب هذا الأخير قائلا : - نعم، هذا أمر معقول، كيف ستتدبروون أمركم ؟ و في غضون ثانية فكرت في الفرق بين الناس الذين نعمل معهم. كورييل هو روح الثورة، جونسون هو المحلل النفسي، بوداود هو البقالة. رفعت التحدي، حتى أنني استفزته : لا يوجد مشكل بالنسبة للمال، ستوفره لنا الحركات الأوروبية. أجاب بوداود : - جيد إذا، سنفترق بصورة مؤقتة و كما قلت عن حق، نحن حلفاء موضوعيون. بدأ الأمر هكذا، و لم يعد أمامنا مفر. و من تلك اللحظة، انفصلت عن الشبكة. و برفقة لويس أورهان و ماير جيرار، الذي فررت معه من الخدمة العسكرية، و اثنين أو ثلاثة آخرين، قمنا بتقليد أنفسنا مجلس قيادة المقاومة الشابة. »⁴⁵⁴.

المسألة هي إعادة تموضع أول إذن لحركة المقاومة الشابة التي انفصلت عن شبكات الدعم لتكرس نفسها لتعبئة المتمردين و القيام بالدعاية التحريضية بالثكنات و حركات الشباب.

(453) الاعتقالات التي حدثت بجولية لأفراد من شبكة ليون، و بسبتمبر لـ جيرارد سبيتزر و جورج لورن من الطريق الشيوعي، و بنوفمبر لأنيت روجي من شبكة مارسيليا.

(454) ج. ل. هورست، المرجع المذكور.

« كانت توجد من قبل تباينات داخل شبكة جونسون بين مؤيدي العمل الجماهيري و مؤيدي العمل السري. وفي المستوى الإيديولوجي، كان ذلك يعني قيام الشيوعيين بالعمل الجماهيري، وعندما كان بوداود يقول « **على وجه الخصوص، لا للعمل الجماهيري** » لم يكن ذلك لأسباب أمنية فحسب، بل كانت خشيته من الشيوعيين تزداد، فكان يمدح جونسون مدحا ويقول له : « **ضع حدا لهذا.** » [...] ⁴⁵⁵.

أصبح الهدف يتضح تدريجيا في ذهن « المقاومة الشابة » و كلما ازداد وضوحا، كلما أبعدهم عن تقديم المساعدة لجبهة التحرير الوطني. إيقاظ أكبر عدد من الشباب، إخافة الحزب الشيوعي، إرغامه على التصرف باستعمال الشبيبة الشيوعية كوسيلة للضغط. وفي 29 جويلية 1960، أكد أول مؤتمر للمقاومة الشابة هذا الاتجاه الهادف إلى تنبيه المجتمع الفرنسي و الانتشار في البلاد و تطوير التضامن الدولي. و بمؤسسة التضامن بباريس، التقت المقاومة الشابة لأول مرة بالجماهير بلقائها طلبة الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا.

« كنا منقسمين بين من سميناهم بالجونسونيين و الكورييليين. كنت لا آبه لهذه التسميات [...] كنا نقول أننا ربحنا، لكن، بطبيعة الحال، لم نكن نكتفي و نتوقف عند هذا الحد. لقد فُتحت الثغرة، و لم يعد هناك فرنسي واحد لا يعرف أنه يمكن الفرار، و أنه يوجد شباب يفرون. و إذا كانوا يعتقدون أننا بالملايين، فذلك أفضل بكثير. و على مستوى العمل الجماهيري، ما كان ذلك يمثل بالنسبة للثورة الجزائرية هو أمر مُذهل. كان أصدقاؤنا بتونس، و جماعة ماشينو، و جماعة شولي بجريدة المجاهد، يقومون بنقل ذلك بكل سرور. كنا قد ربحنا على المستوى السياسي. كان الجونسونيون يقولون : « **إن الحركة تفلت من بين أيدينا، سيقوم الحزب الشيوعي بضمها إليه.** » أترى ذلك ! كان الحزب الشيوعي لا يزال ضد ما يحصل. إن الحزب الاشتراكي الموحد هو الذي سيستفيد. ⁴⁵⁶.

في الواقع، طرأت تغييرات كثيرة منذ ربيع 1960. كان استمرار قمع الشرطة و حتى توسعه، و ظهور جماعات مسلحة فاشية، تنبئ بالأسوأ بالنسبة لحركة

(455) المرجع السابق.

(456) المرجع نفسه.

المقاومة الشابة هذه و لمستقبل الثورة التي أرادوا تفجيرها بفرنسا . فالمفاوضات الأولى بين الجزائر و فرنسا كان لها بالفعل تأثير ضار لأنها دفعت الشبان إلى التسوية و الركض وراء التأجيل عوض الفرار فعلا .

إن العبارات القوية لجون – لويس هورست ، الذي اكتشف سبلا جديدة للثورة الاجتماعية بفرنسا و الذي ابتعد عن شبكات دعم جبهة التحرير الوطني ، سرعان ما امتُحنت على أرض الواقع . فكما سبق لنا أن قلنا ، تسببت الضربات العنيفة التي وجهتها أجهزة الشرطة في الإخلال بنظام الشبكات و أصبح من الخطير محاولة القيام بأي اتصال مع السلاسل التي كانت لا تزال تنشط ، كون الأعضاء الذين لم يتم القبض عليهم كانوا يخضعون لحراسة مشددة . ما العمل إذن ؟ أيجب الاعتماد على قوانا الخاصة لتعبئة مقاومة الشباب و تنظيمها لمواجهة الفاشية الناشئة من جديد ؟ هذه فكرة وجدت صعوبة كبيرة في التجسد لأنه كان يوجد في المقام الأول تضارب في الرأي في وسط المقاومة الشابة نفسها .

« كان هناك اختلاف حقيقي . فقد أصبحت المقاومة الشابة حالة ذهنية انفجرت في الوقت نفسه الذي نشأت فيه . عدنا جميعنا سرا إلى فرنسا . فتكفلت بمنطقة الجنوب الغربي و هي منطقة ليست بها صناعات كثيرة و بهذا عدد قليل من الجزائريين . اهتممت بالفارين الذين وضعوا على عاتقي [...] و قمنا ، أنا و بونو ، بتقديم دورة تدريبية ، لشبان الجنوب و الشرق و الغرب ، بجمال سيفين . قال لي : **لا حياة لمن تنادي ، هذا في الواقع مشكل .** إضافة إلى ذلك ، من الذي كان سيفر ؟ طلبة أساسا ، فهم الذين كان يصلهم شيء من الأفكار الأممية . و لكن ، نظرا لوجود مفاوضات ، كانوا يستفيدون من تأجيلاتهم إلى أقصى حد . كان يجب الاستمرار في العمل بالرغم من كل شيء . [...] وصلت إذن سنة 1961 إلى ليون لإنشاء شبكة دعم [كان بوغلين جون ماري و شبكته قد سقطت] و كان عليّ أن أنشئ المقاومة الشابة ، عندها اكتشفت طالبا شابا على استعداد كبير ، و هو بيرينو جون لويس . كلفته بأمور المقاومة الشابة و كرست نفسي للشبكة . علمت أن أعضاء المقاومة الشابة بباريس قد اعتقلوا ، و هم ، في معظمهم ، الجونسونيون أُرْهانت و برتلات ... في الواقع ، لم يفر برتلات يوما ، و قد كان لاهوتيا فاضلا يعارض الحرب و سُرَّح من الجيش ثم ذهب إلى سويسرا حيث أصبح رجلا من

رجال جونسون. عندما رصدته الشرطة كان عاطلا عن العمل. التحق بالمقاومة الشابة لكنه لم يكن متمردا على الإطلاق، وقد أثار فوضى هائلة. زد على أن جماعة جونسون كانت قد تسلمت إليها الأمانة الرابعة. ومن هنا جاء برنامجهم [...] القيام بالثورة، توقيف القطارات، أي كانوا يخططون خبط عشواء. كنا منشغلين بعمل الشبكة إلى حد بعيد، و كنا نجد أنهم مجنونون إلى درجة أدت إلى حدوث الانقطاع [...]»⁴⁵⁷.

بالإضافة إلى الاختلافات الداخلية، كان على المقاومة الشابة أن تحسب حساب التيارات السياسية الأخرى. كان كورييل هنري يعمل على إقامة حركة واسعة أكثر لكنها تبقى مناهضة للاستعمار. كان يرغب في الخروج من عمل الشبكات السري لتكريس نفسه للعمل الجماهيري. فقد كان يعتبر أن الحركة المناهضة للاستعمار هي أنجع طريقة لتطوير روح تضامن الشعب الفرنسي مع الشعوب المكافحة للحصول على حريتها. ومن هذه الفكرة نشأت، في 20 جويلية 1960، الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار. و كان برنامجها ينص على « تشديد جميع الأعمال الجماهيرية المناهضة للحرب التي تقوم بها الأحزاب و النقابات و المجموعات و المنظمات أيا كانت، و بعثها كلما أمكن ذلك. »

وهكذا، تغيّر الهدف في ذهن بعض أعضاء شبكات دعم جبهة التحرير الوطني. لم يعد يتمثل في مساعدة جبهة التحرير الوطني بحمل الحقائق، وإنما في دفع المجندين الشباب و العمال و مناضلي الأحزاب اليسارية إلى التمرد على المؤسسات. فلم تصبح مساعدة جبهة التحرير الوطني غاية في حد ذاتها وإنما وسيلة لخدمة الثورة الاجتماعية بفرنسا و بالعالم.

كان مشكل دعم جبهة التحرير الوطني يكمن، من جهة الشبكات، في هذه المسألة. أما من جهة المنظمة السياسية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني فيبدو أن الأمور كانت مختلفة.

سوء التفاهم

هكذا، يبدو أن واقع الكفاح السياسي على أرض الواقع قد خفف من جذوة الحماس الاستقلالي الثوري لهورست جون لويس إلى درجة أنه استأنف عمله

(457) المرجع السابق.

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

بمساعدة إعادة تشكيل شبكة الدعم بليون. و كانت جبهة التحرير الوطني تشكو في هذه المدينة من اتفاق مافياوي بين قائد الولاية (« مراد » المدعو « فابيان ») و ضابط شرطة كان يستخدمه ليختلس لحسابه جزءا من أموال جبهة التحرير الوطني. فكانت جميع الخلايا و الشبكات الموضوعة تسقط عاجلا أم آجلا. و بالرغم من التحذيرات و التقارير المتعاقبة التي كان يبعثها مسؤولو المنظمة الخاصة و إطارات المنطقة، لم تتمكن اللجنة الفيدرالية بعد من تحديد مصدر الخطر بوضوح⁴⁵⁸. و في مرسيليا ثم في ليون تمكنت الشرطة من تتبع السلاسل و قامت كذلك بمداهمة المستودعات الباريسية. و في أكتوبر 1961، استدعي هورست إلى باريس حيث ساعد، حسب أقواله، بن يونس على إعادة تنظيم هياكل فيدرالية خلخلت تماما.

و دون التشكيك في شهادة « موريان »، نلاحظ أنه هذّا كثيرا من روعه. فم منذ لقاء فندق نوفشاتال و قرار انفصاله بصورة مؤقتة عن جبهة التحرير الوطني و عن إطاراتها « المتبرجزين »، تغيرت الأمور كثيرا. عاد أعضاء « المقاومة الشابة » إلى حملهم للحقائب و لكن دائما مع نية استخدام الثورة الجزائرية للحض على الثورة بفرنسا. و قد استاء إطارات جبهة التحرير الوطني الذين تعاملوا مع هؤلاء « المستقلين المنضمين » من هذا السلوك الذي لم يكن دائما مماثلا لسلوك « الحلفاء الموضوعيين ».

في رسالته المؤرخة في سبتمبر 1961 (بالتالي قبل أكتوبر، التاريخ المفترض لعودة هورست إلى باريس)، قام « مورييس » بتقديم تقرير لقدور العدلاني عن تجاوزات « المقاومة الشابة ».

« علمت لتوي بأن غي جون من « المقاومة الشابة » يقوم بزيارة بعض أصدقائه، بكل مكان تقريبا، لإشباعهم بالشتائم لأنهم يستمرون في مساعدة الجبهة دون شروط، و لأنهم نسوا كذلك أن يفكروا في ثورتهم الخاصة. و لأن المبدأ الآن عُمّم، فأني فرنسي يرغب في مساعدتنا يقوم بذلك بصفة فردية. إذا استند إلى مجموعة ما أو شبكة ما، سنستغني عن خدماته. فالسير الحسن لمنظمتنا لا يجب أن يخضع، بأي شكل من الأشكال، إلى الاستعداد التقريبي للفرنسيين

(458) لم تصدر محاكمة وإعدام « مراد » إلا في ... 1962. انظر : Cf. A. Haroun, *Op.cit.*, p.313.

الأصدقاء في مساعدتنا. لم نتدخل يوما في شؤون « المقاومة الشابة » لكننا نتعجب من تحول تصورهم للمساعدة التي ينبغي تقديمها للجبهة تدريجيا إلى تخريب منهجي : الذهاب إلى كل مكان تقريبا و وصف جميع الفرنسيين الذين يقبلون العمل معنا دون شروط، بالأغبياء و الحمقى . فهذا يشكل في نظرنا عملا إجراميا يجب أن يلفت كامل انتباهكم .

وقد جاء كلام جون غي تقريبا على النحو التالي : - تعملون هنا مع مسؤولين جزائريين ليسوا سوى « ريفيين متخلفين » . ابتداءً من هذا الأسبوع سأقصد قاداتهم بالخارج و سترون كيف سينتهي بهم الأمر بالإذعان و قبول شروطنا إلخ... إلخ. ⁴⁵⁹

حالة مجموعة « الدفاع عن الماركسية »

لا يجب أن يطمس انطباع التوتر الخطير الذي ينبعث من التقرير الذي قدمناه، حقيقة أن هناك عددا كبيرا من المناضلين الفرنسيين الذين استمروا، بصفة فردية أو جماعية، في مساعدة جبهة التحرير الوطني بفرنسا دون أحكام مسبقة و دون شروط . و العديد منهم دفعوا حريتهم ثمن ذلك، بل أن مسيرة البعض المهنية، بعد 1962، قد تعرضت للخطر الدائم في فرنسا، تعرض للخطر إلى الأبد . لكن يبقى من الضروري للغاية تحليل هذه الحقائق، بصورة موضوعية قدر الإمكان، بوضعها في سياقها التاريخي .

انطلاقا من وجهة النظر هذه، ساعدتنا وثائق تاريخية مؤرخة، على غرار مراسلات بين مجموعة « الدفاع عن الماركسية » ⁴⁶⁰ و اللجنة الفيدرالية لجبهة التحرير الوطني، على فهم رهانات هؤلاء و أولئك فهما أفضل، و على توضيح السياق و الفاعلين بصورة أفضل . تتميز هذه الوثائق بتناقضات كبيرة، فهي تعبر، في الوقت نفسه، عن عدم اهتمام قريب من التضحية و أهداف لا تعبر عن ذلك . و تصر جميع هذه الوثائق على العلاقة الوثيقة بين الثورة الجزائرية و الثورة التي كان يبدو لهم أنها كانت تختمر بفرنسا . لكنهم حرصوا على

(459) رسالة مؤرخة في 6 سبتمبر 1961 ، بباريس . تحمل إمضاء « موريس » و موجهة إلى اللجنة الفيدرالية .

(460) انظر : رسالة - برنامج بالملحق .

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

الفصل بين المهام و الهياكل . و لم يتمكن من معرفة ما إذا كان اسم « مَبَارِبِي » المعروف كذلك بـ « لو ليبرار »، صاحب الرسائل الموجهة لفيدرالية فرنسا، هو لقب أو أنه في الواقع الاسم الحقيقي لهذا الشخص⁴⁶¹. إن المكتبة المفتوحة بمال جبهة التحرير الوطني موجودة حقيقة و الوثائق التي راجعتها تحدد مكانها بـ 42 شارع غاي - لوساك بباريس . كانت وظائفها متعددة و كان « لو ليبرار »، الذي كان مكلفا بإدارتها، يقوم بتقديم تقارير لجبهة التحرير الوطني كالمدیر الذي يقدم تقريراً لصاحب الملكية . و بعكس مجموعة « المقاومة الشابة »، كانت علاقات الهياكل التنظيمية تبدو وثيقة للغاية بقدر ما هي وُدِيّة و مرتبطة بسلسلة قيادات تؤدي، عن طريق « لو ليبرار »، إلى اللجنة الفيدرالية في مكان ما بألمانيا .

« إخوتي الأعزاء،

أبعث لكم، و بسعادة كبيرة، هذا التقرير بعد « انقطاع » دام أشهراً طويلة بسبب اعتقال ماتيو⁴⁶².

سأحاول الاختصار و أقترح عليكم إذن معالجة المواضيع التي سأعرضها بالتالي، حتى و إن تطلّب ذلك مراسلات عديدة :

الوضع الحالي و إمكانيات الشبكة .

حسابات نفقات المكتبة .

الآفاق التقنية و التجارية للمكتبة .

إمكانيات مجموعة « الدفاع عن الماركسية » و آفاقها .

العلاقات السياسية و التقنية مع المقاومة الشابة و الحركة الفرنسية المناهضة

للاستعمار و الطريق الشيوعي [. . .] .

الوضع الحالي و إمكانيات الشبكة .

(461) أيمن أن يكون هذا الشخص هو جيلبير باربيي، نائب الرئيس السابق للاتحاد الوطني لطلبة فرنسا و عضو « المقاومة الشابة » ؟

(462) يتعلق الأمر على الأرجح بدافزي روبير الذي اعتُقل في 29 جانفي 1961، بعد يومين من اعتقال القيادة الباريسية لـ « المقاومة الشابة » .

– يجب التمييز بين الشبكة الصغيرة التي بدأت بإنشائها و مجموعة « الدفاع عن الماركسية » التي أنتمي إليها و التي ينتمي إليها بعض أصدقائي، إلا أن مهامهم كانت محددة بوضوح [...] .

لدي حاليا :

بنتين :

أ) سيارة، آلة، شقة (استعمالها محدود)، إمكانية الانتقال – مخرصة .

ب) شقة (الدائرة الخامسة)، آلة، مخرصة – عدم إمكانية الانتقال .

سبعة أولاد :

– من 20 إلى 40 سنة – 3 سيارات – 3 شقق غرفة واحدة – إمكانيات مختلفة – تنقلات – خفارة – إرتباطات إلخ تنبيه 5 أوروبين و جزائريين .

مجموعة شبان :

– من 10 إلى 12 عنصرا، مقر غير قابل للاستعمال، ربما نزلًا – قد نتمكن قبل ديسمبر من الحصول على 3 عناصر ناشطين على الأقل .

آلة طباعة من طراز جيستاتنر :

يتم إصلاحها.... مطلوب عامل تشغيل .

4 سيارات

سيارتان من طراز دوفين، و سيارتان بقوة حصانين ، قابلتان للاستعمال للنقل و التنقل شريطة دفع النفقات .

مدرسة المناضل :

4 أساتذة و دروس منظمة جيدا في علم الاقتصاد السياسي و تاريخ الحركة العمالية و الماركسية اللينينية و تاريخ الفلسفة و مفاهيم في الأنثروبولوجيا الاجتماعية المادية... و ستطبع الدروس. و لقد أعارتنا الكنفدرالية العامة للشغل – القوة العمالية بعض القاعات .

[...] و أخيرا هناك أنا... و لست تماما شخصا غريبا. جميع هؤلاء الرفقاء يمكن أن يبدأوا النشاط ابتداء من سبتمبر [1961] .⁴⁶³

(463) رسالة تحمل إمضاء م.ب، غير مؤرخة. يرجع تاريخها على الأرجح إلى أوت 1961 .

و يتناول الجزء الثاني من هذه الوثيقة، المكرس لظروف العمل، الجوانب المرتبطة بالسرية و بنظام الفصل و بالتنسيق بين هياكل الشبكة و هياكل جبهة التحرير الوطني. بعد ذلك يتطرق إلى المحاسبة التجارية و أخيرا يتناول مسألة مشاريع بائع الكتب و « طموحاته ». و في الختام، أعرب باربيي عن رغبته في عقد لقاء بباريس بين مسؤولي مختلف المجموعات الطليعية بفرنسا بمساعدة جبهة التحرير الوطني و تحت رعايتها. و دوافع هذا الطلب مثيرة للاهتمام لأكثر من سبب، لأنها تُمثل بوضوح وجهة نظر هذا « اليسار الجديد » الذي ظهر بفرنسا أواخر الخمسينيات.

« هناك أحداث مهمة تحضّر بإسبانيا و أظن أن الوضعية الفرنسية، شأنها شأن الوضعية الجزائرية، « ناضجة » بما فيه الكفاية كي توحد الطليعة قواها و وسائلها لتدفع الحزب الشيوعي لإعداد و قيادة الهجوم النهائي على النزعة الديغولية... تنتظرنا أشهر من التحضير و عمل كثير. لا زالت الجبهة هي التي تملك أفضل الأوراق في هذه اللعبة الصغيرة... و بالتالي، بما أنه لا توجد تصورات رائعة و لا مواقف قيّمة، ففيما يخصنا نحن، بما فيها المقاومة الشابة أو الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار أو الطريق الشيوعي أو غيرهم، يمكننا، على الأقل، أن نكون المنفذين الجيدين لسياسة منسقة تكون نتيجتها شيئا آخر غير رضانا لكوننا « على حق ! ... »⁴⁶⁴.

و تكشف قراءة هذه الرسالة بوضوح اللبس الذي اشتغل على أساسه العديد من المناضلين إن لم يكن العديد من مجموعات اليسار المتطرّف. فبالنسبة لجبهة التحرير الوطني، لم يكن الكفاح السياسي يتمثل في تنظيم حركة ثورية فرنسية لشن الهجوم على النزعة الديغولية، و إنما كان يتمثل في تعبئة طاقات الشعب الجزائري لتحرير الجزائر من السيطرة الاستعمارية. و كان من المفترض أن تُستخدم القوات المنظمة، في وسط المجتمع الفرنسي و في العالم، كمساعدة إضافية لهذا الجهد. و خلافاً للآمال الصادقة في بعض الأحيان لمناضلين أمميين، لم يكن من ضمن مشاريع جبهة التحرير الوطني أن تجعل من منظمتها الأداة الطليعية لشن معركة ثورية بفرنسا ناهيك عن ثورة في العالم.

(464) المرجع السابق.

جبهة التضامن مع الثورة الجزائرية

في 23 و 24 و 25 سبتمبر 1961، عُقد ببلجيكا اجتماع سري لأعضاء الشبكات الذين لم يلق عليهم القبض. كان في الواقع اجتماعا تقييما و كذا نقاشا حول آفاق الدعم، ليس لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و لكن للثورة الجزائرية. و في تقرير استهلاكي⁴⁶⁵، يذكر « هنري » (جونسون فرانسيس) ظروف نشأة الشبكات، و معنى المساعدة العملية و مضمونها، و طرق العمل و تطوره، و جوانبه الإيجابية و السلبية. و ما يبدو مهما في هذا النص، هو النقاش حول مفهوم تغيير أهداف الشبكات.

لم يعد استقلال الجزائر يشكل مشكلا في هذه الأواخر من سنة 1961. أوقفت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مفاوضات إيفيان الأولى، لكن السبل التي كانت ستؤدي إلى الاعتراف بسيادة الدولة الجزائرية كانت الآن مفتوحة. بالنسبة لجونسون كان يجب تحديد أهداف جديدة. « يجب تمكنا من التأثير إيجابيا على السياق الفرنسي [...] يجب القيام بعمل ضخم لشرح الأمور، و فتح آفاق لمناضلي اليسار - و ربما بهذا التأثير في الأحزاب نفسها - انتشار الكفاح من موضعه الحالي لإعطائه أبعادا جديدة، و إظهار ما هي مشاكل الثورة الجزائرية و العلاقة التي ستربطها بمشاكلنا. [...] يجب أن يستمر الدعم الذي قدمناه إلى حد الآن طالما لم ينته الكفاح، و لكن يجب أن يقترن بانتقال إلى مرحلة البناء. من الواضح أن الجزائر لن تقوم بثورتها دون مساعدة خارجية [...] يبدو أنه سيكون علينا أن نجند رجالا و نساء يكونون مستعدين، إذا طلبت منهم الثورة الجزائرية ذلك، لخدمتها و تقديم تعاون تام و مخلص. »⁴⁶⁶.

و هكذا، فقد طُرحت حقا مسألة تغيير أهداف الدعم حتى و لو كان دانييل (فيني) يعترض على استعمال هذه الكلمة لأن المهم، بالنسبة له، هو توحيد أولئك الذين عملوا بمجالات مختلفة استعدادا للمرحلة الجديدة. و كان من

465 وثيقة مطبوعة على الآلة الكاتبة تتضمن محضر الاجتماع. كان حاضر بها : برنارد، كلود، كلود موريل، دانييل (فيني)، جيرارد، جيل، كاتيا، مازيا، نيكول، روجي، رولاند، سيلفان، تييري (جونسون). (المعذورين أو الغائبين : آنيت، كاثرين، إيزابيل، جيف، م.، موريس، صوفي، ف.ل، دنيس، ج. 466 المرجع السابق، ص 6 - 7.

تغييرات في المسار و تغييرات في الأهداف

المقرر أن تستمر المهام الملموسة، و يفهم من ذلك بالأشكال نفسها، و القيام حتى بتكثيفها بهذه الفترة الأخيرة من الكفاح المسلح. « إن تغيير أهداف الدعم الحالي أمر غير وارد، إنما يتعلق الأمر بتحضير تحويل هذا الدعم من أجل المرحلة الثانية. »⁴⁶⁷.

إنّ تعلّق الأمر بتغيير للدعم أو بتحويله، فقد كان المشكل الجوهري بالنسبة لجميع هؤلاء المناضلين من اليسار الثوري الفرنسي يكمن في تحديد شروط العلاقة بين عمل الدعم و العمل السياسي في المستوى الفرنسي، و بين الثورة الجزائرية التي كان البعض يرون أو يأملون أن تتحول إلى ثورة اشتراكية و الثورة بفرنسا. و لنقل كختام أن هذا البرنامج لم يكن عليه أن يكون بالضرورة برنامج القيادة السياسية و العسكرية للثورة الجزائرية. و ما هو أكيد على أي حال، هو أن هذه الأخيرة كانت قد دخلت، في حد ذاتها، مرحلة صدامات إيديولوجية و سياسية حددت من بعد لوقت طويل الطرق التي قامت الدولة الجزائرية الجديدة بسلوكها حاملة معها آمال و أوام المناضلين الوطنيين و من دعمهم من الفرنسيين.

(467) المرجع نفسه، ص 10.

الجزء الثامن

طريق العودة الطويل

المنفى بالبلدان المجاورة

المرحلة الألمانية

كان عبور الحدود، بالنسبة لعدد كبير من المناضلين، بمثابة انسحاب قسري؛ إبعاد عن مسرح العمليات. ولكونهم كانوا مقتنعين بشدة بأنهم ينتمون إلى وحدة خاصة من وحدات جيش التحرير الوطني، طلبوا الالتحاق بالمقاومة في الجبال بالجزائر لمتابعة الكفاح. لكن الطرق التي تقود إلى قلب المقاومة بالجبال ليست دائما سهلة. فبالمانيا، البلد الذي كانت تمرر إليه سلسلات العبور مناضلي المنظمة الخاصة، كانت توجد بعين المكان منظمة ذات تشعبات عديدة. كانت هناك أولا فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني التي استقرت هناك مع هياكلها التنظيمية السياسية والإعلامية، و كان هناك كذلك مكتب جبهة التحرير الوطني ببون التابع للشؤون الخارجية مع كرامان حفيظ « مالك » ومساعديه. وفي الأخير، كانت هناك شبكات اللوجستية والتسليح التي كانت تابعة هي بدورها لوزارة التسليح والعلاقات العامة من خلال محمد يوسف و معابد مهدي. وهكذا، عندما وصل مناضلو وإطارات المنظمة الخاصة إلى هذا البلد، كانت هناك أشياء كثيرة يجب القيام بها بعين المكان لدرجة أن فكرة الالتحاق بالمقاومة في الجبال انتهت بالتحول إلى فكرة افتراضية.

وصل بن دالي حسين، قائد شبكة « صادق » بالمنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني، إلى كولونيا سنة 1959. وبعد مرور ثلاثة أيام أو أربعة من الانتظار، حيث بقي محتجزا بشقة برفقة صديقه بلحّواس محمد، التقى

أخيرا بوداود عمر الذي اقترح عليه أن يواصل العمل الذي بدأه بفرنسا . و للقيام بذلك، وضعه تحت سلطة كرامان حفيظ قائد بعثة جبهة التحرير الوطني بألمانيا . في الواقع لم يكن، لا بوداود ولا كرامان، يعرفان ما العمل بهذا المختص في الاستخبارات، و حتى هو لم يكن مرتاحا جدا لما طلب منه القيام به .

« طُلب مني دراسة الميدان لكن وظيفتي لم تكن واضحة . كان كرامان يلتقط معلومات كثيرة . كان يقدم لي بلا ترتيب أوراق و أسماء و أرقام هواتف و ملاحظات صغيرة كنت أحاول استثمارها، لكن دون نتائج تذكر . لم يكن هناك جهاز مخابرات حقيقي، و بقينا نبحث على غير هدى على هذا المنوال دون منظمة حقيقية لتتكفل بالمعطيات . كنت منقطعا تماما عن فرنسا، و لهذا كنت أستغل المعلومات الصادرة من ألمانيا فقط . ربما كانت توجد الخطوط العريضة لمصلحة لكن كان يجب متابعة الأمور لتكون منتجة . و أفضل ما كان يمكننا الحصول عليه هو ومضات صغيرة . كنا نتناقش مع عمر في الأمر و لكن دون قناعة كبيرة . في نهاية الأمر، لم يكن الوقت الذي قضيت بألمانيا مرضيا جدا . »⁴⁶⁸

كان بن دالي لا يزال تحت تأثير المعارك التي خاضها بالأراضي الفرنسية، و لم يكن يفهم سبب عدم تركه يحقق حول عادات مرباح مولاي الذي كان يتنقل بحرية لإلقاء محاضرات هنا و هناك . فقام بمبادرة منه بتعقب هذا المسؤول المهم بالحركة الوطنية الجزائرية حتى منزله . لكن التعليمات كانت صارمة . لم يكن كيرامان و بوداود يرغبان في حصول حادثة قد تعرض للخطر وجود جبهة التحرير الوطني بألمانيا . و لكونه لا يعرف أحدا بهذا البلد الذي لم يكن يحسن لغته، فقد بقي بن دالي في عزلة تامة . كان يستمر في تطبيق تعليمات الأمن و قواعد الحياة التي كانت المنظمة الخاصة تفرضها على إطاراتها بفرنسا . فكان يبقى بعيدا عن الجالية الصغيرة الجزائرية و كان فريسة للملل بين لقاءين رسميين . و ليتلهم، كان يضايق باستمرار كرامان عبر الهاتف كي يقوم هذا الأخير، المقيم ببون، بزيارته أكثر بكونولونيا .

و بعد شهرين أو ثلاثة أشهر لم يعد يحتمل الأمر، و كان يتساءل لم قدّموه لكرامان و قاسم مولود . إنهما طيبان لكن ليس هذا هو نوع العمل الذي يناسبه

(468) ح . بن دالي، المرجع المذكور .

مطلقا. و في الأخير قدّمه بوداود عمر لمصطفى بّري المدعو « لو بوتي بوم » الذي كان عليه أن يعمل معه من تلك اللحظة فصاعدا. كان بّري ممثل وزارة التسليح و العلاقات العامة بألمانيا و كانت وظائفه بحق تتمثل في الاستخبارات. و هكذا، استأنف بن دالي الخدمة كنائب مسؤول عن مصلحة الاستخبارات بوزارة التسليح و العلاقات العامة بألمانيا. و بالتالي، هو الذي قام، برفقة محمد بلحّواس، بإدراجهم أعضاء المنظمة الخاصة، الذين عبروا إلى هذا البلد، في نشاط بالغ السرية بهدف التصدي لعمل المديرية الفرعية للتجسس و التجسس المضاد. فأصبحت المهام الجديدة لجزء من مناضلي المنظمة الخاصة الذين عبروا إلى ألمانيا تتمثل في الاستخبارات و التجسس المضاد و العمل المباشر.

لكن بما أن الخلافات بين مختلف مجموعات و تيارات القيادة السياسية و العسكرية الجزائرية كانت تتفاقم، أصبحت كل مؤسسة و كل هيئة تنفيذية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تعمل وفقا لمصالح التسلسل الهرمي الخاص بها أو مسؤولها المباشر. ما الهيئة التي تتبعها فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني و قائدها بوداود عمر؟ أهى تابعة لرئاسة المجلس، أي بعبارة أخرى عباس فرحات ثم بن خدّة؟ أم لوزارة الداخلية و بذلك لبن طوبال؟ أم لوزارة الحرب، أي لكريم؟ و ربما تتعدى كذلك على صلاحيات وزارة المالية و وزارة الشؤون الخارجية بتولي نفقات وفود جبهة التحرير الوطني بالخارج؟⁴⁶⁹ و هل أن المنظمة الخاصة تابعة لجيش التحرير الوطني، و بهذا لكريم بوساطة بوعزيز، أم هي تابعة لوزارة التسليح و العلاقات العامة، و بالتالي لبوصوف من خلال منصور بوداود و محمد يوسف و معابد مهدي؟

لهذا، ليس من العجيب رؤية هذه المصلحة، التي عُين بها بن دالي حسين، تراقب و تتحرى و تضع سجلات عن الجميع، بما فيهم مسؤولو المنظمة الخاصة الذين كانوا لا يزالون ينشطون و مسؤولو فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني. و هو أمر شكّل، بطبيعة الحال، مشكلا ضميريا كبيرا لمناضل من المنظمة الخاصة مخلص إخلاص بن دالي حسين. و لكن هل كان يعلم بأن وزارة التسليح و العلاقات العامة كانت تراهن على النزاعات المستقبلية حول السلطة في الجزائر المستقلة؟

(469) انظر : A. Haroun, *Op.cit.*, p. 138 et suiv

بما أن سداوي عمر قد افترض أمره تماما لدى أجهزة الشرطة، فقد هُرب إلى ألمانيا برفقة عضو آخر من المنظمة الخاصة أصيب بجروح. و بعد لقاء أول مع كرامان، عُيِّن بمصلحة مصطفى بَرِّي عميلا منفذا.

« كان دورنا يتمثل في تتبّع فرنسيين لأن اليد الحمراء كانت قوية و تسببت في موت عدد كبير من المناضلين [...] شكلنا فريقا من أجل تأدية مهمة بكوبلانس حيث كان علينا القضاء على جاك أورتيز. بحثنا عنه لمدة ثلاثة أيام، حتى أن مصطفى دخل مطعم ضباط المدينة، لكننا لم نجده بأي مكان. كان يقوم بجولة حول حاميات الجيش الفرنسي لإقناعهم بتأييد قضية الأوروبيين بالجزائر. [...] كُلفت بعدها بالتنقل إلى برلين الشرقية لاستلام حقيبة كان سيسلمني إياها م. نجار. كانت حقيبة ثقيلة جدا مليئة بأختام من جميع الأنواع و من جميع الأحجام لصناعة أوراق مزيفة. سلمت الحمولة إلى كرامان و مساعدته « الطيب »⁴⁷⁰، كان ذلك أواخر 1959 و أوائل 1960. [...] أُرسلت بعدها إلى جيش التحرير الوطني عند مصالح بوصوف [...] »⁴⁷¹.

كان هذا هو إذن الطريق نفسه و المسار نفسه الذي تبعة أعضاء المنظمة الخاصة الذين اضطروا إلى مغادرة مسرح العمليات للقيام بمهام جديدة ببلدان جديدة.

ذهب آيت مختار إلى ألمانيا في ماي 1960. و من الواضح أنه لا يمكن معاملة نائب رئيس المنظمة الخاصة بالطريقة ذاتها التي يُعامل بها المناضلون أو الإطارات المتوسطة. إضافة إلى أنه يبدو أن آيت مختار كانت له علاقة وثيقة مع فارس عبد الرحمن و المجموعة التي تحيط بعباس فرحات. و بالرغم من إصراره على الالتحاق بالمقاومة في الجبال، أقنعه بوعزيز بالاهتمام أولا بتنظيم عمليات عبور مناضلي المنظمة الخاصة المطلوبين من قبل الشرطة و السهر على عملية إرسال الأسلحة و الأوراق إلى فرنسا. و من أواخر 1960 إلى غاية 1961، بقي آيت مختار إذن على اتصال بالمنظمة الخاصة في الوقت ذاته الذي كانت تعرف فيه مهام هذه الأخيرة تغييرات عميقة. و لكن بما أن

(470) على الأرجح عبد القادر معشور.

(471) سداوي عمر « بوعلام »، المرجع المذكور.

طريق العودة الطويل

هذه المهمة ليست كافية لإرضاء الرجل الذي كان يرغب بأي ثمن في الالتحاق بالجهة إرضاء تاماً، كُلف بالتكفل بلوجستية أوروبا و باستقبال الكومندوس القادمين من المغرب .

و هكذا، قام « مجيد » بالسفر بجميع أنحاء أوروبا تحت غطاء جولة فريق كرة القدم الجزائري، و لكنه، في الواقع، قام بذلك لحساب وزارة التسليح و العلاقات العامة. فمر بيوغوسلافيا لاستلام قوالب الوثائق المزورة : بطاقات تعريف، جوازات سفر، شهادات عمل، قسائم الدفع، بطاقات العضوية بالنادي و بُنزل الشباب ... إلخ. و ثائق عديدة يمكنها أن تستعمل كجوازات مرور للفارين من الجيش و للأنصار بنقاط تفتيش الشرطة. و رفقة محمد يوسف و عيسى عبد الصمد و شايب طالب وجد نفسه مندمجا تماما في سلاسل وزارة التسليح و العلاقات العامة التي لم تكن مهامها تقتصر على التكفل بالتسليح و بالعلاقات العامة لفيدرالية فرنسا و إنما لكامل الثورة الجزائرية .

و بينما كان يستمر في تزويد الجماعات المسلحة الناشطة بالأراضي الفرنسية بالأسلحة، انتقل جهاز اللوجستية و شبكات الاستخبارات و الاتصالات لفيدرالية فرنسا ليصبح تابعا لوزارة التسليح و العلاقات العامة إلى درجة أنه لم تعد صلاحيات البعض و البعض الآخر واضحة تماما . لم تعد مهام المسؤولين السابقين للمنظمة الخاصة بالإبقاء على العمليات المسلحة بفرنسا و تعزيز فعاليتها، و إنما التأكد من وضع القوى الكفاحية للمنظمة في خدمة بوصوف، مثل سداوي عمر و محمد أوزناني، المتخصص في المتفجرات بمرسيليا، اللذين أرسلوا إلى المغرب . و مع الأسف، نظرا للمصادر الكتابية و الشفوية التي نملكها حاليا، لا يمكن تقديم دراسة شاملة عن مصير المناضلين السابقين للمنظمة الخاصة الذين انتقلوا إلى ألمانيا . ربما سيسمح لنا، في يوم من الأيام، الأرشيف الذي بحوزة بعض الأفراد باكتشاف ذلك .

الانتقال الصعب لنساء المنظمة الخاصة

بعد مرور عام من المحن خضعت فيه إدجير يمينه أنطوانيت إلى التعذيب و المحاكمة و الحبس، أُفرج عنها مؤقتا في الفاتح من أكتوبر 1959 . و لكن ليس لوقت طويل لأنه بعد أربعة أشهر أعيد استدعاؤها للمثول في

محاكمة أخرى أمام المحكمة العسكرية بباريس. ولما لاحظ المحامي أوصديق الاتجاه الذي بدأت تسلكه الأمور خلال الجلسات الأولى، نصحتها بأن تأخذ حقيبة صغيرة وتختفي عن الأنظار. وبعد أن بقيت مختبئة لشهر ونصف بشقة صغيرة بباريس، نُقلت من قبل شبكات الدعم إلى سويسرا ثم إلى ألمانيا.

عندما وصلت، في آخر المطاف، إلى بون ليلا، لم يكن أحد لاستقبالها. فالمنظمة كانت مشغولة جدا عن الاهتمام بأمور صغيرة مثل استقبال أعضاء المنظمة الخاصة العابرين من ألمانيا. وهكذا، أخذت سيارة أجرة أقلتها بالمصادفة بعد عدة محاولات فاشلة إلى فندق زبائن شمال إفريقيا، وكان يُستخدم على ما يبدو كمكان لقاء لمناضلي جبهة التحرير الوطني. وهناك قامت مناضلة شابة من المنظمة السياسية والإدارية، التي كانت قد صادفتها لمرات عديدة بمرسيليا والتي كانت تقيم بذلك الفندق، بمساعدتها على الاتصال بكرامان.

وضعها المسؤول عن بعثة جبهة التحرير الوطني بألمانيا والطبيب ألبرتو بفندق صغير بآسان حيث كانت تقيم معها في الغرفة أغتاي باية، عضوة بشبكة «صادق»، والتي نقلت هي كذلك إلى ألمانيا. وشأنها شأن رفقاتها في الكفاح، كانت تطمح إلى الالتحاق بالمقاومة في الجبال بالجزائر ولكن، مثل رفقاتها، أرسلت إلى بلدان أخرى.

«عندما كنت أقول أنني أريد الالتحاق بالمقاومة في الجبال، كانوا يسخرون مني «أنت صغيرة القد ولا تعرفين حتى العربية، إضافة إلى ذلك، بما أنك جئت من فرنسا، إذا قبضت عليك الشرطة، لن تطلق سراحك هذه المرة» صحيح، كان ذلك غباء. قيل لنا بأن نذهب إلى جنيف وبأنه هناك سيتكفل بنا مسؤولون «سنقرر فيما بعد مصيركم»⁴⁷².

بعد شهرين ونصف، أرسلت يمينة إلى سويسرا حيث وجدت بوعزيز رابح وزوجته صحراوي سليمة. وأخبرتهم عن رغبتها في الالتحاق بالمناضلات الأخريات الموجودات بالحدود التونسية، ولكن يبدو أن هناك مشاكل قد ظهرت بين منظمة جبهة التحرير الوطني بتونس والنساء اللواتي سبقنها إلى هناك. فتم توقيف الرحلات.

(472) 1. ي. إدجيري، المرجع المذكور.

« بما أنه لا يمكنك العودة إلى فرنسا ولا الذهاب إلى تونس ، ستستأنفين دروسك. كنت قد وصلت إلى السنة الثانية ثانوي و كنت شغوفة بالقانون والصحافة. لكن قالوا لي أن المدارس التي كانت جبهة التحرير الوطني تملك بها معارف كانت تقبل أعدادا محدودة، بالإضافة إلى أن دراسة القانون و الصحافة تتطلبان فترة أطول من الدراسة. فلم يكن عندنا خيار إلا بين تكوين موظفة اجتماعية أو ممرضة أو قابلة. اخترت الأخير و كذلك أغتاي باية. »⁴⁷³.

بالنسبة لمناضلات المنظمة الخاصة، كانت المرحلة السويسرية شبيهة بالطريق الجانبي. و لعدم وجود آفاق دمج حقيقية في أشكال الكفاح الجديدة، وضعن بمدارات حيث لن يزعجن أحدا.

و تطيل شهادة أنطوانيت إيدجيري قليلا في الحديث عن دور الزوج بوعزيز في التكفل بالمناضلات و بمشاكلهن. فالكثير منهن حصلن على المساعدة من عندهما. و تبقى نقطة يجب توضيحها، و هي أن هذه الشهادة تُظهر لنا عَرَضًا زوجا مقيما بسويسرا يهتم بإيواء مناضلين عابرين بهذا البلد و تقديم العون لهم. و في مقاربتنا عن مصير المنظمة الخاصة خارج الأراضي الفرنسية، لم نكن نتوقع أن نجد المسؤول عن المنظمة الخاصة في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني يقوم بمثل هذه المهام و بعيدا كل هذا البعد عن مركز القرارات. و هناك شهادات أخرى تشير إلى قيامه بمهام في ألمانيا، بعد 1961، و لم تعد هناك تقريبا أي إشارة إلى وجوده بالمسائل التي تمس التنظيم. فالوثيقة التي ذكرناها أعلاه كانت ممضاة من قبل آيت مختار. هل حدث استبعاد أو تحويل للمسؤوليات ؟ وحدها شهادته و الوثائق التي بحوزته قد تساعدنا في يوم من الأيام على فهم التغييرات التي أُجريت في المنظمة بين 1960 و 1962.

كنا قد تركنا عائشة عليوات مصابة بداء السل، كانت معروفة لدى الشرطة و نقلت إلى ألمانيا، مرورا بسويسرا، من قبل السلاسل التي كانت لا تزال تنشط. و بعد مغامرة طويلة كان عليها القيام بها برفقة مناضل آخر، هُرب هو كذلك إلى ألمانيا، تمكنت من الاتصال بالمنظمة.

(473) المرجع نفسه.

« كان مجيد قد أعطاني رقم هاتف بألمانيا حيث كان عليّ أن أتصل
برجل يدعى مالك [كرامان]، ولكن بما أنني لم أكن أتكلم العربية قال لي :
« تذكرني هذا يعني ملاك باللغة الفرنسية ». وعندما وصلت إلى وجهتي،
اتصلت هاتفيا من الفندق الذي نزلنا به. وقلت أنني جئت من قبل فلان لرؤية
ملاك... وبارتياب، طلب مني ذلك الشخص الانتظار بمكاني [...] وبعد
مرور بعض الوقت، سمعت طرقا على الباب، فتحت فدُفِعَ الباب بعنف من
قبل رجل مسلح كان يصوب السلاح نحوي، كان ذلك مالك. بطبيعة الحال،
كان حذرا، ربما كان ذلك استفزازا. [...] بقيت بذلك الفندق حيث التقيت
بالعديد من الناس من بينهم كاتب ياسين الذي قدّم لي الكثير على المستوى
الإنساني والثقافي. »⁴⁷⁴.

بعد أن تكفل بها الطبيب ألبرتو، التقت عائشة ببن مغنية فطيمة التي قدمت
من مونبوليي وبواسطة مريم من مرسيليا. لكن الوقت بدأ يبدو لها طويلا و كان
عدم نشاطها يجعلها تحتج بشدة فهي كذلك كانت تتوق إلى الالتحاق بالمقاومة
في الجبال، ولا يمكن كبح مناضلة كهذه بتكوينها السياسي و سجل خدماتها
بـ « فرق التدخل » وبالمنظمة الخاصة التي لا يستهان بهما. فطلب بوداود
وبوعزيز رؤيتها، وبعد أن قدّراها، قررا إرسالها إلى تونس وأعطياها وثيقة سرية
لتسلمها لـ « سي علال » ثعالبي الطيب، المسؤول عن القاعدة بتونس.

بعد هروبها من سجن لا بوتيت روكيت، منعت حرايف زينة من مخالطة غيرها
وعزلت بفندق خاص بنويي. وهناك، تم عزلها عن ديدار فوزي، رفيقتها في
الهروب. وضعت عند المغنية سوفاج كاترين حيث انتظرت لشهر أن تُنقل بدورها
إلى ألمانيا. وبعد أن استضافتها بشتوتغارت عائلة مولعة بالموسيقى حيث كانت
البنات يرقصن أمامها كل صباح، أقامت مؤقتا بفندق صغير بدوسلدورف حيث
التقت بحمود فاطمة الهاربة هي الأخرى من سجن لا روكيت.

« عند وصولي انتزعوا مني جواز سفري السويسري (جواز سفر حقيقي).
كنا أنا وفاطمة لا نحمل وثائق، وكانت التعليمات أن نقول، في حال التحقق
من الهوية، أن جوازات سفرنا موجودة بالسفارة المغربية. وبعد شهر التقيت

(474) عائشة عليوات، المرجع المذكور.

بوداود عمر. كان سعيدا جدا. و قال لي، ما كان يجب أن يقوله في الواقع لجميع المناضلين، بأنني قمت بعمل جيد و أنه كان يجب الآن التفكير في المستقبل، فلم يعد يمكنني فعل شيء بفرنسا و بدأ ينصحني .

ستفعلين مثل البقية، ستذهبين لإتمام دراستك و تحاولين تعلّم شيء. اذهبي إلى جنيف. أم تفضلين الاستمرار في العمل لدى جبهة التحرير الوطني ؟

أريد الذهاب إلى الحدود.

كان قد قيل لنا أن المناضل « المكتشف » يلتحق بالمقاومة في الجبال. لم يكن باستطاعتي التخلي عن العمل الذي بدأت به. لم أكن لأستطيع إتمام دراستي و بالي منشغل. كان يمكنني تقديم خدمات أخرى. و في الأخير، ذهبت إلى الرباط مع فطيمة التي اختارت الشيء نفسه. ⁴⁷⁵.

و بهذا تمكنت مناضلتان اثنتان أخريان من الهروب مؤقتا من دور القابلات.

طنجرة الحدود

سواء تعلق الأمر بوجهة تونس أو المغرب، فقد وصل عناصر المنظمة الخاصة، الذين غادروا ألمانيا و سويسرا و إيطاليا، إلى بلدان كانت ظروفها بعيدة عن أن تكون مثالية. ففي 1960 ثم، بصورة أكبر، في 1961 و 1962، كانت نزاعات الفصائل و الجماعات تمزق صفوف القيادة السياسية و العسكرية للثورة. و كانت الأزمات تتعاقب و تدفع إلى عدد من تشكيل و إعادة تشكيل للتحالفات. كان على فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أن تنحاز، طوعا أو كرها، إلى جانب، خاصة أن قائدها بوداود عمر كان عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

وبالتالي، استقبل ركاب السفينة، التي كان على متنها المناضلون القادمون إلى تونس، بشيء من التحفظ. بدأ هذا من قبل التونسيين أنفسهم الذين احتجزوا المسافرين الجزائريين للتدقيق في أوراق هويتهم. وهي ضربة قاسية لمعنويات أولئك الذين يرون لأول مرة في حياتهم، مثل عائشة عليوات، الضفة الإفريقية و الذين كانوا يحلمون بأن تطأ أقدامهم هذا

(475) ز. حرايف.

البلد القريب جدا من الجزائر الأسطورية. و بعد مرور يوم من المباحكات، جاء فَرُوخي مصطفى ليتكفل بهم رسميا باسم جبهة التحرير الوطني. لكن تونس ليست باريس ولا كولونيا أو جنيف، كانت العادات صارمة أكثر، والعقليات متخلفة قليلا. إذا كان هناك تسييس، فهو مختلف، على أي حال، عن التسييس الذي عرفه أعضاء فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني.

« رأيت أعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و المناضلين الذين كانوا يحومون حول قاعدة تونس. و احتفظ من ذلك بشعور بالضيق. ففي نظرهم، كنا طيوراً نادرة؛ و لم يكن هناك كفاح بفرنسا، كنا نحارب فقط بالفنادق و الملاهي. و بالنسبة لي أنا التي لم تطأ قدمي يوما ناديا ليليا، كانت خيبة أملي كبيرة. أردت أن ألتقي بالمقاومات اللواتي كنت سأرفعهن على رأسي لدرجة رمزيتهن في ذهني. لكن أبقينا بعيدا. كنت أتساءل أحيانا عن سبب هذا التحفظ، لماذا لم يكونوا يضعوننا معهم؟ كنا مع مناضلين، لكن الجو لم يعد هو نفسه جو الكفاح و الالتزام الأخوي الذي عرفناه بفرنسا. كنا غير مرتاحات. »⁴⁷⁶

كانت رحلة عائشة عليوات بتونس رحلة مضيئة شبيهة بدرب الصليب، فكان عليها أن تظهر مثابرة كبيرة و جلدا كي تتمكن من تحقيق هدفها. كان عليها، بعد أن وضعت في شقة صغيرة مع ثلاث رفيقات أخريات من فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، أن تستعمل كل عبقريتها كي تتمكن من الصمود بالمبلغ المالي الضئيل الذي قَدَّم لها. كانت أجرة السكن تكلفها، هي و رفيقاتها، تقريبا كل مالهم و ليس من السهل دائما الصمود بتذكرة مطعم واحدة لليوم. لكن هذا لم يكن موضوع احتجاجها، كانت عائشة مكافحة و كانت ترفض أن تعيش حياة مُتقاعدَة من جبهة التحرير الوطني.

قام بوداود عمر الذي اشتكت له من الأمر بتشجيعها « أنتن مناضلات، يجب أن تكافحن. » بدأت عندها تدق على جميع الأبواب، بدءا بزوجات المسؤولين. لم يكن من الممكن بلوغ المقاومات بتونس، بالإضافة إلى ذلك، كانت هي كذلك تستقبح هاته المناضلات القادمات من فرنسا اللواتي تكنّ في ظنها « تعاطين الدعارة من دون شك. » ...

(476) ع. عليوات، المرجع المذكور.

لفتت القضية الأنظار إلى درجة أن شنتوف عبد الرزاق، رئيس ديوان وزارة داخلية الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، أرسل في طلبها.

« - من الذي سمح لك بجمع النساء ؟ ما الذي تحسبينه ؟ يوجد مسؤولون هنا . إذا احتجنا خدماتك سنتصل بك من طريق السيدة شنتوف فهي المسؤولة عن النساء، وإذا كررت فعلتك ستجدين نفسك بدنندان .

لم أكن راضية لهذا . - جئت إلى هنا لأناضل و ليس لأبقى مكتوفة اليدين . لازلنا نكافح، وإذا كان لا يمكنني العمل سأعود من حيث جئت !

رأيت بالقاعدة لنجي صالح [لواجي س] الذي كنت أعرفه منذ الوقت الذي قضيته بستراسبورغ، و كان إنسانا رائعا . كان يتفهم أفضل نفاذ صبري . لكن مقابلي مع شنتوف كانت قد أثارت سخطي فأثرت فضيحة بالمكاتب، و كانت إدارة جبهة التحرير الوطني موجودة بالكامل هناك فوجدت جمهورا لأنفس عن غضبي . كانت فاطمة تدعمني بتقديم حجج إضافية . كانوا قد حاولوا تزويجي، لكنني كنت عنيدة . كانت مريم قد زوّجت، و كانت فاطمة زوجة سجين، كنت العازبة الوحيدة لكنني لم أذهب إلى هناك لأتزوج .⁴⁷⁷

أثارت الحادثة ضجة و وصلت إلى آذان بوداود عمر . هل كان تدخل سعيد بوخالفة، من الولاية الأولى (الأوراس - النمامشة)، بطلب منه أو من غيره، يبقى أنه استدعاها هو بدوره .

« - تريدین حقا الكفاح ؟ [...] استعدي، سأخذك غدا و سنرى ما أنت قادرة عليه . »

في اليوم الموالي، على الساعة الخامسة صباحا، وجدت عائشة نفسها بمنزل الزوجين بوخالفة اللذين قدما لها زيا عسكريا و عدة إسعاف شكّلها الطبيب نقّاش .

« لم يحملني على محمل الجدّ . كان يريد فقط اختباري لكنني تشبّثت بمنطقة الحدود و لم أرخ قبضتي . عملت بجميع معسكرات تونس، و كنت أنسحب إلى العاصمة عندما كنت أحس بتعب شديد ... كنت عندها أذهب إلى

(477) المرجع السابق .

الشقة الصغيرة لأتفلى لأننا كنا نعج بتلك الكائنات الصغيرة ثم كنت أعود إلى المعسكرات. »⁴⁷⁸.

و هكذا، أتت الأيام التي قضتها في تطبيب الجنود و اللاجئين و الليالي التي قضتها بالمعازل محتجة تحت سقف رقيق مصنوع من أغصان الأشجار، أتت على صحتها التي كانت أساسا ضعيفة، مما أدى إلى تفاقم مرض السل الذي أصيبت به خلال هجوم أوت 1958، إلى درجة أنها بدأت تبصق الدم. عندها أرغمها الطبيب حساني على المغادرة و قضاء ثلاثة أشهر بهنغاريا. و عند رجوعها، عادت إلى المخيمات لمداواة النساء و الأطفال و جميع المرضى الذين كانت تكتشف بقربهم وجها آخر للمجتمع الجزائري.

« كانت الحياة بالمخيمات قاسية جدا. كان الطعام قليلا للآجئين و بالتالي لي أنا. لم تكن لدينا شراشف، فكنا ننام و سط البؤس و القمل، لكنها كانت فترة رائعة بالنسبة لي. كنت أدخن دائما بفضل النساء اللواتي كن يحضرن لي القليل من التبغ الذي كان يحتفظ به أزواجهن. لاحظت كذلك أمرا طريفا جدا، فعندما كنت أضع سماعة الطبيب على صدورهن لمعاينتهن، لأنني كنت دائما مهووسة بمشكلاتي الشخصية، و كنت أحسب أن الجميع يعاني من مشاكل رئوية مثلي، كنت أسمع طيننا، كان ذلك في الواقع صوت علبة التبغ. كانت جميع النساء تشم حتى الشابات. كنت وحدي و كنت في سلام. وجدت قليلا مما كنت أبحث عنه، ليس المقاومة في الجبال، و لكن هؤلاء لأدويهن. لا يمكنني أن أقول أنهن كنّ مهملات، كانت توجد وسائل قليلة و كن يعشن مما كان يمنحه لهن الهلال الأحمر. فمن وجهة النظر الأخلاقية كنّ يستفدن مع ذلك من المساعدة لأنه لم يكن يمكنهن مغادرة المنطقة و كنّ يمشين لكيلومترات للعثور على الماء. كان الاتحاد العام للعمال الجزائريين و قاعدة تونس يزودونهن بالملابس و الأدوية، أما فيما يخص التبرعات، فقليل أن التونسيين كانوا يستولون على جزء كبير منها. »⁴⁷⁹.

(478) المرجع السابق.

(479) المرجع السابق.

و عن إقامتها بالحدود الجزائرية - التونسية لم يؤثر في عائشة تعايشها مع البراغيث بقدر ما أثرت فيها لقاءاتها مع النظام العسكري - البوروقراطي الذي بدأ يرسى قواعده. كان الطبيب نقّاش متمسكا بالانضباط، و سمح لها بالبقاء في المخيمات و لكن شريطة ألا تجلب يوما أحدا. و بما أنها غارقة في مهامها الصحية التي كان عليها القيام بها، انتهى بها المطاف إلى طلب المساعدة من المقاومات. لكن هذا لم يعجب المسؤول عن الخدمات الصحية بالحدود الذي منعها من دخول بعض المخيمات و مراكز قيادة جيش التحرير الوطني بالحدود. و مرة ثانية، جاء دور النقيب سعيد لمعاقيتها لأنها لم تقف في وضعية استعداد كما يفعل في حضور ضابط كل الذين يرتدون بدلات عسكرية. فوجدت نفسها مُعينة بـ «بيك دو كانار» و هي منطقة قتال متصلة بخط مورييس و تتعرض باستمرار لقصف الطائرات الحربية الفرنسية.

و لكن هل يمكن احتمال فكرة مناضلة ترتدي زيا لا شكل له يصلح أكثر لإخفاء منحنيات جدها منه لإعطائها هيئة عسكرية. امرأة عنيده لا تهدأ حركتها بمخيمات اللاجئين، و تناقش أمور السياسة مع زوجات المسؤولين و تجمع حولها مجاهدات و تتجاهل الأنظمة المعمول بها في جيش من الجنود الذين بدأوا يتحولون إلى عساكر. كان ذلك بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، فكان يجب تزويجها. فماذا يمكن أن يكون أفضل لطمأنة القوات غير الزواج ؟

و خلال إحدى تنقلاتها بتونس العاصمة، عرفها جيلالي مبارك، الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين، بزوجها المستقبلي. و بين ليلة و ضحاها، تغير سلوك الناس اتجاهها، فلم تعد تمثل خطرا، و عندها أصبحت لها حظوة عند جميع العائلات الجزائرية الموجودة بتونس. فيما أنها أصبحت متزوجة رسميا تحت رعاية الاتحاد العام للعمال الجزائريين و جبهة التحرير الوطني، أصبحت لديها المزيد من الفرص للتعرف على عائلات الإطارات المقيمة بالمنار. فربطتها صداقة عميقة بعمر أوصديق و بلنجي صالح و بالرائدین صادق و عز الدين و بفرانز فانون... إلخ. و اكتشفت كذلك طبقة أخرى من الجالية الجزائرية القاطنة بتونس، و هي الطبقة البرجوازية التي كانت تستقبل استقبالا جيدا مقاتلي اليوم و قادة المستقبل. ما أشد الاختلاف مع تلك الجموع من اللاجئين الذين كانوا يعيشون من المساعدات الدولية ! و لكن هذه قصة أخرى.

بالنسبة لحرايف زينة لم تجر الأمور بصورة مختلفة عن البقية. فعندما ذهبت إلى المغرب مع فطيمة حمود، كانت تحمل القليل من المال و عنوانا. لم يكن ينتظرهن أحد بالمطار و استقلنا سيارة أجرة للذهاب عند رجال عبد اللطيف. استقبلتنا استقبالا حسنا عند هذا الجزائري الذي كان موظفا ساميا بالإدارة المغربية و لكن، بعد أسبوعين من الفراغ، بدأتنا تحتجان بدورهما.

ولقد جعلت الكثير من الانطباعات و الأحاسيس و الكلمات و التصرفات إقامة زينة بالمغرب لا تطاق أكثر فأكثر.

« بعد مرور بعض الوقت، طفح كيلى من التلمسانيين. فكل ما لم يكن تلمسانيا أو على الأقل من وهران كان لا قيمة له. في وجدة، عندما وصلت، كان التلمسانيون، و بصورة أقل، الوهرانيون قد احتلوا المكان. كانوا قد احتكروا جميع مناصب المسؤولية. في الواقع، لم يكونوا يقومون بالكثير، كانوا موظفين بالإدارة المغربية يعيشون عيشة جيدة. بالإضافة إلى ذلك، كانوا جهويين، ينعتون كل واحد حسب منطقته الأصلية. لم أر شيئا مماثلا قط بفيدرالية فرنسا. وصلت إلى المغرب للمساعدة و يسألوني من أي جهة أنا. - جزائرية. - نعم، و ماذا بعد؟ - أنا من قسنطينة. - آه، زواوية! [...] هذا رغم أننا كنا قد وصلنا متحمسات بشدة. كانت هناك فطيمة و أنا و مريم بلحؤاس (بلحمزة) و ثلاث بنات من وهران : مليكة و كريمة و فضيلة اللواتي كانت أعمارهن بين 18 و 19 سنة. كن قد درسن التمريض بروان، ثم بدأن بخدمة جبهة التحرير الوطني عندما انتهين من دراستهن. »⁴⁸⁰

كان عليهن البحث عن عمل، لكن الفيدرالية المغربية كانت مهتمة بأمور أخرى غير إيجاد وظيفة لمناضلات لم يكن يرغب فيهن أحد. كان العمل الوحيد الذي كان يمكن أن يقترح عليهن هو الاهتمام باللاجئين. لكن ذلك لم يعجب إطلافا زينة التي كانت قد ذهبت إلى المغرب لتستمر في كفاحها.

« اقترحوا علينا الذهاب للعمل مع اللاجئين. ما الذي كنا سنحاربه هناك؟ الجرائيم؟ أجابونا أن المقاومة في الجبال قد انتهت، و أن جميع البنات استُدعين إلى الحدود. - إذهبن إلى وجدة، يوجد غداء و حليب يجب توزيعه! كنت

(480) ز. حرايف، المرجع المذكور.

مصدومة من الطريقة التي كانوا يعاملون بها الناس، لا يهتمون مطلقا لكرامتهم، الصدقة دائما. [...] وجدنا بوجدة علواش ميمي التي كانت هي كذلك زواوية. فسّرت لي الوضعية - لن تجدي هنا الحلم. إن الناس هكذا، هم لا يحبون فيدرالية فرنسا. كانت امرأة تعمل بكد، امرأة ملتزمة جدا. »⁴⁸¹.

في الواقع، اكتشفت مناضلات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، مثلما في تونس، عقلية نقيضة لتلك التي عرفنها في فرنسا بصفوف المنظمة السياسية. فقد كان لديهن الانطباع أن المناضلات، بالنسبة لإطارات المناطق الحدودية، تصلحن فقط للتزويج.

« بالنسبة لهم، كانت البنات المناضلات، تصلحن فقط للتزويج. لذا أرادوا تزويجنا. أولئك الرجال الذين كانوا يتبخثرون طيلة النهار داخل سيارات فخمة و يغازلون، سيتكرمون و يتزوجون بنا !!! كان ذلك مريعا. [...] كي يتجسس علينا، ليرى إن كنا نرتدي سراويل أو نضع القليل من أحمر الشفاه، كان [نائب عمر غربي بمكتب جبهة التحرير الوطني بوجدة] ماهرا، لكن عدا ذلك لم أر دوره كمناضل. لم نكن هكذا خلال الثورة و لا حتى قبلها. [...] بفيدرالية فرنسا، كنا نتبع دروسا في السياسة، كنا نتعلم كيف ندافع عن أنفسنا و كيف نتصرّف. بالمغرب، كان الأمر بمثابة صدمة كبيرة. كان انحدارا حقيقيا. هل كنت أتعامل حقا مع الناس أنفسهم ؟ كنا تحت الرقابة لأمر تافهة، لم تكن لدينا الحرية للعمل و لا للقيام بأي شيء آخر. أوشكت على الزواج من مغربي لم أكن أحبه فقط للحصول على جواز سفر و الهروب. لم يعد يوجد هناك أي إحساس لا بالنزعة النضالية و لا بالنزعة الوطنية. كان اللاجؤون أنفسهم لا ينظرون إلينا بالكثير من الاحترام. أظن أنهم كانوا قد تلقوا مفاجآت غير سارة مع أعضاء الفيدرالية المغربية. »⁴⁸².

و من حسن حظ زينة أن بن سالم فضيل « نور الدين »، قائد ولاية سابق بفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني⁴⁸³، كان قد جاء، في تلك الغضون، لاستلام

(481) المرجع السابق.

(482) المرجع السابق.

(483) فر من سجن فرين في 7 جانفي 1961.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

زمام فيدرالية المغرب . فتحسنت ظروفها و ظروف رفيقاتها بعض الشيء . و قد كلفتهم مصلحة الشؤون الاجتماعية بالاهتمام بمستشفى صغير قديم بوجدة لتحويله إلى مستشفى للأطفال . و هكذا، عملت مناضلات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني كمرضات أطفال إلى غاية وقف إطلاق النار .

هل كان الأمر يعود إلى أسباب مرتبطة بالتكوين السياسي للمناضلين أو إلى عقليات المسؤولين عن جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني بالمناطق الحدودية، لكن يبقى أن المصير الذي خُصص لرجال المنظمة الخاصة كان، في المجمل، مختلفا عن الذي عرفته نساء المنظمة .

عاد سداوي عمر، الذي عُين بمصلحة وزارة التسليح و العلاقات العامة بألمانيا الاتحادية كضابط منفذ، عاد إلى المغرب في أوائل سنة 1960 . و عُيّن بمصالح الاستخبارات التابعة لبوصوف و اهتم إلى غاية 1962 بنظام أمن قاعدتي قنيطرة و بوزنيقة حيث كان يُصنع سرا جزء من أسلحة جيش التحرير الوطني .

و كان محمد أوزناني، المختص المسؤول في المتفجرات بجنوب فرنسا، هو كذلك قد عبر إلى ألمانيا و لم يكن يوجد هناك حل آخر غير إعادة إرساله إلى نقطة الانطلاق، أي إلى المغرب . في ذهنه، كان اختصاصه لا يزال يمكن أن يقدم خدمات لوحدة جيش التحرير الوطني التي تخوض المعركة بالجزائر . لم يكن يقبل بالتأسن بالدار البيضاء بالمصالح الإدارية التي يشرف عليها سي مسعود، مسؤوله السابق . و بالتالي، فضل الذهاب إلى قواعد جيش التحرير الوطني الموجودة بالحدود حيث يمكن الالتحاق بوحدة قتال . لكن الأمور جرت بشكل مختلف، إذ أنه أُرسل إلى زغن-غن ثم إلى قاعدة الناضور لتلقي تكوين في الإشارات . و مع هذا الاختصاص الجديد كان يفكر أنه ستكون لديه فرص أكبر للدخول إلى الجزائر . و قد دخل بالفعل إلى الجزائر، و لكن حدث ذلك في مارس 1962 مع كتيبة كانت تحت قيادة لطرش عبد الحميد .

العودة إلى البلاد

أيام الاعتقال الأخيرة

من الصعب عزل مجموعة أو أفراد من سياق عام، كما بالنسبة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، حيث لا يمكن فهم مسارات أعضاء هذه المنظمة و مواقفهم دون النظر إلى ما كان يدور في مستوى أعلى و أثر على الأمة الجزائرية بأكملها. فنحن نتعسف شيئا ما على منطق الإجمال بمحاولة تفريد تجربة البعض. ولكن، من خلال أعينهم، حتى وإن كانت تعتمت أو شوهدت مع انقضاء الزمن، نجد ما يكون قد عاشه و أحس به مناضلو جبهة التحرير الوطني و جنود جيش التحرير الوطني بتلك الأشهر التي عرفت اضطرابات لا توصف سبقت يوم الاستقلال ثم تلتها.

عندما توصلت مفاوضات إيفيان إلى اتفاقيات السلام بين الجزائر و فرنسا، جاء قرار إطلاق سراح جميع المعتقلين في جو من اللاأمن العام. فكانت، الجماعات المسلحة لمنظمة الجيش السري و العناصر المتمردة من الجيش و الشرطة الفرنسيين، قد بدأت تطبق سياسة « الأرض المحروقة ». و عرضت لمخاطر كبيرة الجزائريين أو الفرنسيين الذين كافحوا السيطرة الاستعمارية. و هكذا، فقد عاش، أولئك الذين أُسروا بسجون فرنسا، الأشهر الأخيرة التي قضوها خلف القضبان، في جو من التخوّف.

تدافعت الأحداث و تسارع الزمن و أخذت الحياة بالسجن منحى آخر. كانت الأخبار عن الخارج تداع بالساحات و الزنانات، و تلك عن داخل السجون تصل

إلى الخارج كعلامات لتضامن المحتجزين مع المكافحين الذين لا يزالوا طليقيين .
و لكن بالنسبة لهم جميعا ، كانت إذاعة الأخبار و تحليلها أعدارا كذلك من أجل
مواقف سياسية و تحالفات جديدة . فقد أصبح المساجين و زعمائهم يؤثرون في
القرارات السياسية التي كان يجب اتخاذها .

فمنذ محاولة انقلاب الجنرالات التي حدثت في 22 أبريل 1961، كانت
الإشاعات الأكثر جنونا، التي كانت الصحافة تضخمها، تروج بممرات السجون، إذ
قيل أن هناك من يحاول تصفية السجناء الجزائريين جسديا، و شاعت حتى أخبار
عن إعدامات بلا محاكمة تكون قد حدثت بسجن وهران . و من أجل ضمان الأمن،
قامت السلطات الفرنسية العاصمية بنقل عشرات الأسرى من الجزائر من بينهم
المحكوم عليهم بالإعدام و ضباط بجيش التحرير الوطني و قادة ولايات سابقين
و إطارات في جبهة التحرير الوطني .

و أدى وصول مجموعات هؤلاء المساجين الجدد المحولين من الجزائر،
سنة 1961، إلى نوع من إعادة توزيع للأدوار بلجان السجن . ففي السجن المركزي
بلوس - دو - ليل، أدى وجود المناضلين و الإطارات القادمين من الجزائر إلى
إعادة طرح مسألة السلطة الشرعية و المعترف بها من قبل جميع المسجونين .
نحن نجهل كيف طرحت مسألة الشرعية و السلطة، و لكن ما هو أكيد هو أن
التسلسلات الهرمية القديمة قد أبطلت . و وُضعت أشكال جديدة للسلطة مُجَرَّدَة
بهذا القيادات القديمة من أهليتها .

« أعيد تنظيم السجن تماما . كانت أبواب الزنانات تبقى مفتوحة طيلة النهار،
فكان يمكن للسجناء التنقل على هواهم و كان يمكنهم القيام بالنشاط الذي
يريدون القيام به و حتى البستنة إذا رغبوا في ذلك .

قام بن علة⁴⁸⁴ باستدعاء كل سجين و أصلح الأمور في وضعية كانت قد أصبحت
متوترة بشكل خطير، إلى درجة أنه لم يعد يتم التنقل دون حمل أسلحة بدائية .
أصغى إليهم جميعا، الواحد تلو الآخر، و هكذا تم سماع من 350 إلى 400 سجين،
و كل واحد اقترح حلا للمشكل الذي طرح .

(484) حاج بن علة، قائد سابق للمنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري بوهرا، و في نوفمبر 1954، قائد
عسكري بالولاية الخامسة تحت قيادة بن مهيدي العربي .

شُكِّلت لجنة سجن جديدة ترأسها بن علّة. واتُّخذت إجراءات صارمة وأُنذرت اللجنة السابقة بعدم خلق مشاكل وإلا كانت ستعرض لعقاب شديد. وكان يوجد برفقة بن علّة، مراح عبد القادر و بن غزال عمور⁴⁸⁵ ومسؤولان اثنان آخران [أحدهما لشقر محمد العيد].

و تم الاندماج مع السجناء القادمين من الجزائر تدريجيا وعادت الأمور إلى وضعها الطبيعي. وأثناء ذلك، أنشئ صندوق مشترك ؛ وكان أولئك الذين كانوا يستلمون المساعدة من الخارج يقومون بوضعها تحت تصرف اللجنة التي كانت تقوم بتقسيمها بعدد السجناء. وكان التضامن سائدا خاصة في صالح أولئك الذين قدموا من البلاد لأنهم لم يكونوا يملكون، مثل أولئك الذين قدموا من فرنسا، أقرباء يبعثون لهم النقود أو يجلبون لهم السلال. كان معظمهم من المحكوم عليهم بالإعدام الذين خففت عقوبتهم إلى السجن مدى الحياة ولم يكونوا يملكون موارد كثيرة. ومن بينهم، كان هناك غريب و بريكى يحي، صحفي بجريدة **آلجي ريبوبليكان**⁴⁸⁶، ومُحيوت و كذا مجموعة من المثقفين القادمين من الجزائر. ⁴⁸⁷ «

أشار مدادي سليمان، من جهته، إلى وجود حمّوش المدعو « موح الطويل »⁴⁸⁸ و جندر في مجموعة المساجين المحوّلين من الجزائر. و لقد تزامن وصول هؤلاء مع وصول معلومات متناقضة حول التقدم الذي أحرزته المفاوضات و حول نوايا السلطات الفرنسية فيما يخصّ الذين حكم عليهم بقضاء مدة عقوبة طويلة. وكانت التعليقات المتعاقبة للمفاوضات الجزائرية الفرنسية تجعلهم يخشون الأسوأ، في حين كان أولئك الذين يقضون مدة عقوبة قصيرة قد بدأوا يفكرون في الإفراج المبكر عنهم. وكانت الحيرة كبيرة إلى درجة أن إشاعات بدأت تدور فحواها أن أولئك الذين سجنوا في قضايا جرائم قتل سيقون بالسجن حتى بعد عقد السلام.

(485) كان محتجزا من قبل بسجن فرين ثم تم تحويله.

(486) عضو بالحزب الشيوعي الجزائري الذي التحق بصفة شخصية جيش التحرير الوطني و جبهة التحرير الوطني، و هو صاحب محاولة اغتيال فاشلة ضد الجنرال ماسو في 6 أكتوبر 1956. حكم عليه بالإعدام.

(487) ع. شروق، المرجع المذكور.

(488) مسؤول سابق بحزب الشعب الجزائري بمنطقة القبائل الكبرى و أحد رجال الفاتح من نوفمبر 1954 بمنطقة القبائل الكبرى.

حدث تغيير في العادات، و حل مسؤولون جدد ثم جاءت إشاعات من كل نوع من الخارج لتزيد من قلق المساجين وإحساسهم بالحبس. كل هذا أدى إلى خلق جو من الاضطراب و الانفعال إلى درجة أن لجنة السجن قامت برفع جميع القيود عن محاولات الهروب. فقام الجميع أو الجميع تقريبا بوضع خطط للفرار، و هناك من طبقها فعلا. و اندلعت كذلك إضرابات عن الطعام، كان أطولها الإضراب الذي دام 21 يوما كاستجابة للشعار الذي أطلقته في 26 أكتوبر 1961 الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية للحصول على نظام سياسي في صالح المعتقلين من جبهة التحرير الوطني⁴⁸⁹.

نستخلص من جميع هذه الأحداث، التي عرفتها الأشهر الأخيرة إن لم تكن الأسابيع الأخيرة لسجن أعضاء المنظمة الخاصة، أنه، خلال هذه الفترة، عقدت صداقات جديدة و أنماط تضامن جديدة. فلقاء إطارات جبهة التحرير الوطني و إطارات فيدرالية فرنسا بسجن فرين⁴⁹⁰، و العمل السياسي الذي حققه بن علة و مجموعة قدماء الحزب الشيوعي الجزائري بلوس - دو - ليل، كل هذا ترك بالضرورة آثارا.

« كنت أميّا إلى غاية سن العشرين. تعلمت القراءة و الكتابة خلال انخراطي بالكومندوس [بالمنظمة الخاصة] بفضل الإخوة. سمح لي السجن بتحسين معارفي بالعربية و خاصة بالفرنسية. [...] لم أكن الوحيد في هذه الحالة، كان 75% من الإخوة أميين، فتعلموا قراءة الجريدة و كتابة الرسائل... إلخ [...] و بعد إضراب الـ 21 يوما، سُمح لنا بالخروج إلى الساحة طيلة اليوم، كنا نأكل أفضل، و كانت الزنانات تبقى مفتوحة. كنا جميعنا نحصل على الدروس التي نرغب فيها [...] كان التنظيم تنظيم دولة حقيقية : كان مال الحوالات يجمع على مستوى أمين صندوق كان يتكفل بالمشتريات في الخارج و يوزع السجائر و الطعام و غيره بالتساوي على جميع المساجين. لم يكن أحد صاحب الحوالات التي كان يستلمها، لم يكن هناك لا قائد و لا مجرد مناضل. منذ بداية سجنني، كنت أستلم، بمثابتي عضوا بالكومندوس، مبلغا ماليا يبلغ 10.000 فرنكا للشهر

489) لكل ما يتعلق بمشكلة الاحتجاز انظر : A. Haroun, *Op.cit*

490) شكل كل من يوسف خواجه « حداد حماده » و بومعزة بشير و قبائلي موسى و أحمد بناتيف « سوامي » و احسن فزيري و رمضان بوشبوية لجنة فرين في 1961 - 1962.

[من لجنة دعم المساجين] في حين كان يتلقى باقي المناضلين 5000 فرنك . فيما بعد أصبح الجميع يستلم راتبا متساويا مقداره 5000 فرنك .⁴⁹¹

و من المؤكد أن الخيارات السياسية لأعضاء المنظمة، الذين عرفوا السجن، قد تأثرت بهذه الفترة، مع الروح التي كانت تسود فيها و العلاقات التي نسجت بها. بالفعل، فنحن ننتقل من التضامن المجتمعي القروي إلى أشكال جديدة من الوعي و التضامن. فترسخت فكرة الوطنية بعمق أكبر و ترسخت معها فكرة العدالة الاجتماعية التي كان لها دور كبير في المواقف المستقبلية.

بلغهم خبر وقف إطلاق النار، لـ 19 مارس 1962، عبر موجات الراديو، و استقبلوه بسعادة متفاوتة لأن تلك الشائعة تشير إلى أن البعض سيقون في السجن. و لقد زاد، خروج المجموعة الأولى من السجناء، بشكل مفارق، من توتر الباقين إلى غاية اليوم الذي اقتادت فيه سرايا الأمن الجمهوري، في حوالي الفاتح من ماي 1962، المحكوم عليهم بعقوبات طويلة، إلى مطار ليل. و كانت وجهتهم : الجزائر.

« كانت الطائرة التي كانت ستقلنا ملك شركة سويسرية. كان استقبال الطاقم استقبالا لطيفا جدا و مطمئنا. أعلمنا الربان بخطة الطيران و وزعوا علينا حلوليات. و عند وصولنا، عاد قلقنا من جديد لأننا كنا بالمنطقة العسكرية لتلاغمة. كانت الطائرات الحربية تقلع و تحط باستمرار محدثة ضجيجا مصمّا. و كانت توجد بالمكان وحدات مظليين فرنسيين مع كلابهم البوليسية. و لحسن حظنا، سرعان ما أحاط بنا درك حفظ الأمان و أقلّونا في شاحنات ج.م.س. استلم كل واحد منا مبلغ 15.000 فرنك و انطلقت العربات، تواكبها دبابتان، إلى لامبيز. »

ما رآه الوافدون الجدد بهذا السجن الشهير للأسف، يفوق تصوراتهم، قذارة مقرفة و أفرشة قش عفنة، و هي ظروف صحية لم تتمكن الأبواب المفتوحة للزنايات و حرية التجوال بمختلف الأماكن من تخفيف أثرها على المساجين. و مثلما كان الأمر بسجن لوس - دو - ليل، قام الوافدون الجدد بتقاسم المال الذي كانوا قد استلموه مع الموجودين بالمكان، و من جهتها، قامت لجنة سجن لامبيز بتوزيع ملابس مدنية للذين كانوا يملكون ملابس السجن فقط. و كانوا

(491) س. مدادي الذي حكم عليه بالحبس مدى الحياة و احتجز بالسجن المركزي بلوس - دو - ليل، شهادة.

ينتظرون، بالدرجة نفسها من القلق الذي كان يشعر به الموجودون بفرنسا، أن يتم إطلاق سراحهم.

و الرواية عن الأيام الأخيرة للاعتقال و عن التحويل إلى سجن لامبيز هي، عدا بعض التفاصيل، الرواية نفسها التي يرويها أوراجي مولود و محمد بن صدوق وغيرهم من أعضاء المنظمة الخاصة الذين كان محكوما عليهم بالإعدام أو بالحبس مدى الحياة. ولكن يجب مع ذلك الإشارة إلى أن هؤلاء عاشوا، ربما أكثر من شروق، الذي كانت لديه اتصالات برفقائه في الحبس، سنوات طويلة في عزلة تامة. و هكذا، واجهوا عودتهم إلى الحرية المسترجعة بصعوبة أكبر.

لم الشمل و ردّة الفعل

بلامبيز، كان أكثر من 3000 سجين ينتظرون دورهم كي يطلق سراحهم. و يتذكر كل من مر بهذا السجن الرهيب الاستقبال الذي استقبلتهم به المنظمة السياسية لجبهة التحرير الوطني و سكان المنطقة. فقد كانت الظاهرة من الاستثناء في أعين الذين كافحوا من أجل هذه البلاد و هذا الشعب لدرجة أنها تستحق أن نشير إليها كأكثر اللحظات بروزا بتاريخهم. و فيما وراء جانبه المتفرد، يمكن اعتبار شهادة مدادي سليمان كشهادة نموذجية.

« أطلق سراحنا في 4 ماي 1962، حدث ذلك بدفعات مكونة من مئات الأشخاص، و سرعان ما اتضح أن وسائل النقل غير كافية. لن أنسى أبدا استقبال منظمة مدينة باتنة، لن أنسى الحماس و حرارة الناس. كان ذلك يوم الجمعة، و كانت جميع سيارات الأجرة و الحافلات قد انطلقت فجرا لمرافقة المغادرين الأوائل إلى مناطقهم المختلفة. كان عددنا حوالي ست مئة طليق و لم تبق وسيلة نقل واحدة متوفرة. قام المسؤول عن المنظمة بطلب المساعدة من السكان عند خروجهم من صلاة الجمعة : - إن إخواننا ليسوا من هذه المنطقة، و هم لا يملكون شيئا، أين سيأكلون و أين سيقضون الليلة ؟ من الذي يريد التكفل ببعض منهم حتى الغد صباحا ؟ فتطوّع الجميع : منهم من طلب أخذ اثنين،

و منهم من طلب ثلاثة و منهم من طلب التكفل بـ 15 أخ . و أمام هذا الحماس نصّحهم المسؤول بأخذ العدد الذي يقدرّون عليه فقط .

استقبلتنا العائلة التي ذهبت إليها مع أربعة من الإخوة بحفاوة كبيرة . و جلب الرجل علما كبيرا، كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها الشعار الوطني يرفرف هكذا . كنت أرتعش بالغرفة التي استقبلنا فيها، إذ كنا متأثرين بشدة . في اليوم الموالي، تناولنا القهوة في جو من السعادة، سعادة لا مثيل لها، في جو من الأخوة و كرم لا حدود له .

أخذنا مُضيفنا لرؤية المسؤول السياسي بالمنطقة . كنا خمسة . و بعد أن سألنا عما إذا كنا قد استقبلنا استقبالا جيدا، سألنا عن وجهتنا . - إلى سطيف . - خمستكم ؟ - نعم، نحن الخمسة - إذن، ها هو سائق سيارة الأجرة، سيقلّكم إلى سطيف . لقد أعطيت له تعليمات فلا تقلقوا بخصوص أي شيء .⁴⁹²

أنزل جميع من اتجه إلى سطيف أمام مقر جبهة التحرير الوطني الموجود بالمنطقة، بنادي عبّاس . و بعد تناولهم للشاي و الحلويات، وُضعت سيارة أجرة تحت تصرفهم، و كان قد أُعطي السائق تعليمة عدم تركهم قبل وضعهم بين أيدي المسؤول السياسي المحلي لجبهة التحرير الوطني . و لفهم هذه التعليمه، يجب العلم بأن المناضلين، الذي خرجوا من فترة احتجاز طويلة و أحيانا من فترة عزلة تامة، كانوا يعانون جميعهم من صعوبات نفسية مختلفة : اضطراب حركي نفسي، اضطراب في النطق، اضطراب في النشاط الحسي، رهاب الخلاء، رهاب الاحتجاز، و أعراض أخرى كثيرة . و يضاف إلى كل هذا أن العديد منهم كانوا قد غادروا قراهم و منازلهم و هم في سن المراهقة، و هكذا عادوا و هم يحملون سنوات الكفاح و العذاب الثقيل، عادوا إلى أرض الوطن و إلى منزلهم، إذا لم يُحطّم هذا الأخير خلال الحرب .

« في اليوم الموالي، أخذني مضيّفي، و هو مسبق بسائق دراجة نارية ليفتح له الطريق، إلى غاية ميشلي (عين الحمام) . كنت قد قضيت أربع سنوات في الحبس دون التحرك و دون المشي . عندما وصلت إلى ضواحي القرية، أردت شكر

(492) المرجع السابق .

مضيفي و الاستمرار سيرا على الأقدام . كان المكان بعيدا بعض الشيء عن منزلنا ، و من المؤكد أنني كنت سأصل في اليوم الموالي . لم أكن أعرف أنه كان يوجد ذلك القدر من الطرقات ، كنت قد غادرت البلد قبل أن يفتح الجيش مسالك بكل مكان . و فور نزولي من السيارة تكفل بي سكان ميشلي . لم يكونوا يعرفون من أنا بالضبط ، كانوا يعرفون فقط أنني كنت مسجوناً و أنه قد أطلق سراحه . و أصروا كثيرا كي أقبل ضيافتهم . و هكذا ، تعشيت ثانية عند أحدهم قبل أن ألتحق بالقرية التي ولدت فيها . »⁴⁹³ .

و فيما عدا الجانب الحداثي لهذه العودة ، يبرز ، من خلال الرواية للوقائع ، معنى عميق ينطبق على جميع المشاركين في حرب التحرير . فبعد قدومهم من أعماق سجونهم و من المخابئ السرية و من المخيمات بالحدود وجدوا ، بحزن ، وراء الجزائر المؤسطرة ، البلد الحقيقي . و مرة ثانية ، تحمل رواية مدادي سليمان في حد ذاتها ، أكثر من أي تحليل لا طائل من ورائه ، بعدا نموذجيا . و هو أمر لا يصلح لذاته و إنما في حالة جميع من عاد إلى البلد الحقيقي .

« لم أكن أعرف بوقاعة جيدا لأنني لم أكن قد رأيتهما إلا مرتين بحياتي . لا يجب أن ننسى أنني غادرت قريتي في سن السادسة عشرة . و في ذلك الوقت ، لم يكن من السهل على الفلاح الفقير أن يقطع يوميا 19 كلم سيرا على الأقدام ليقصد مدينة المنطقة ، ففي الدواوير كان هناك الكثير للقيام به . و في المرتين اللتين قصدت فيهما المدينة كان عمري حوالي 14 عاما و نصف و كنت قد ذهبت لبيع العنب بالسوق الأسبوعية .

و من بين رفاقي في السفر ، كان هناك أخوان من المنظمة الخاصة ، كمار عمار و سليمان حمّادات الذي كان قد حكم عليه بالسجن مدى الحياة . أما بالنسبة للآخرين اللذين لا أذكر اسمهما ، فقد كان أحدهما من ولاد عياد ، قرب بوقاعة ، و الآخر من واد السيت ليس ببعيد عن حمام قرقور . و قد نزلا أولا . بقيت وحدي بسيارة الأجرة التي كانت تقترب من الدشرة التي ترعرت بها [قرية بومخلوف دوار حربيل] . و قبل أن أصل بقليل ، كان هناك تجمع سكاني أولي يدعى بلايد السطش و الذي كان يشكل الجزء الأكبر من القرية . و كان يقام به

(493) م . أوراجي ، المرجع المذكور .

طريق العودة الطويل

في الماضي سوق الإثنين، و كانت هناك حيوية كبيرة. كانت توجد كذلك قرب الدشرة مقبرة تحيط بها أشجار كستناء ضخمة. لكن لم تعد الأشجار موجودة، كان الجيش الفرنسي قد قطعها جميعها عندما أقام المركز العسكري.

عندما رأيت المكان، ذهلت. كان كل شيء قد تغير، لم يكن يوجد أحد، لا قطة ولا حتى دجاجة، لا شيء. كان الأمر وكأن كارثة ما حلت وزعزعت كل شيء. مررنا أمام الدكاكين، كان يبدو أحدها مفتوحا. طلبت من السائق أن يتوقف كي يسمح لي بأن أمر بالمحل، و طلبت منه أن ينتظرني لأنه كان لا يزال يفصلني عن منزلي كيلومتران أو ثلاثة كيلومترات. نزلت من السيارة، وفي تلك اللحظة انتابني نوبة عميقة من القلق. كان ذلك المظهر الكئيب يجعلني أفكر في مصيبة ما. كان لدي الانطباع بأن الجميع قد قُتل وأنه لم يعد يوجد أحد. وبعد أن صعدت الدرجات القليلة للدكان، وجدت أحدا جالسا بالداخل، كنت أعرفه، هو مُدارجي مسعود.

السلام عليكم.

السلام...

واش راك يا مسعود؟

لا بأس...

ثم، لا شيء، كنت قد تعرفت عليه، أما هو فلم يعرفني.

يا مسعود، ألم تتعرف علي؟

لا، لم أعرفك...

أنا فلان، ابن خالف شريف!

سليمان؟!

نعم، سليمان.

من فرط سعادته، وقف وبدأت الدموع تُذرف من عينيه. أحسست بالأرض تميد تحت قدمي.

إذن مسعود، أخبرني بما حدث هنا، ما سبب هذا المنظر الموحش؟

لا، الجو حار قليلا هذا كل ما في الأمر، إن الناس بمنازلهم، في الظل .
كانت عندي أخت تقطن بتلك القرية الصغيرة، سألت عن أطفالها .
نعم، إنهم هنا . كانوا في الواقع يلعبون بالقرب من هنا منذ لحظات .
حسن، أعطيني إذن القليل من السكر و القهوة و الفول السوداني و الحلوى
كذلك . أعتد عليك لتخبرهم بأنني عدت و بأنني سأذهب إلى المنزل .
ركبت سيارة الأجرة لأكمل ما تبقى من الطريق . و بالذرة، كانت توجد
مجموعة من الأشخاص . كانوا أناسا كنت أعرفهم و كبرت معهم . كان هناك
خاصة بوشايب بلقاسم، صديق الطفولة الذي كنت أذهب معه لرعي الأغنام
و كنت ألعب معه بالحقول و البساتين .
كيف حالك يا بلقاسم، هل أنت بخير ؟
كان الناس متفاجئين . من هو هذا الشخص الذي ينادينا بأسمائنا، من أين
جاء، و ما الذي يريده منا ؟
بلقاسم، ألم تعرفني ؟
لا لم أعرفك ...
كيف هذا يا بلقاسم ... أنت تمزح أليس كذلك ؟!
لا، أقسم لك أنني لم أعرفك .
أنا سليمان، ابن شريف و طاوس .

وقعنا في أحضان بعضنا البعض و أجهشنا بالبكاء . شعرت بشيء من الضيق،
أحسست بأنني لم أعد الشخص نفسه، بأنني لم أعد أتصرف كما في السابق، بأنني
لم أعد أتكلم كما كنت أفعل، كنت كالمذهول، و لقد شلني التأثر، عندها بدأ
الجميع يحملونني . لم يريدوا أن يدعوني أمشي على الأقدام . فحملوني هكذا
على بعد ستين مترا إلى غاية منزل والدي . لم أجد هناك إلا أختي، كانت والدتي قد
ذهبت إلى الحقول لتلثقت أغصان الزيتون . رأيت مخاوفي تنمو لعدم العثور عليها
بالمزلة . كان الأمر و كأنني كنت سأموت دون أن أراها للمرة الأخيرة . كانت تلك
اللحظة رهيبة [...] . ذهب أحدهم ليحضرها بالسيارة [...] و ما أن لمحوها

حتى جاؤوا لإخباري بذلك . خرجت حافي القدمين، لم أدرك ذلك حتى . ركضت عشرات الأمتار لملاقاها . رفعتها و حملتها بين ذراعيّ حتى المنزل . وهناك، كانت جالسة و لم تتمكن من التصديق بأنني أنا حقا ابنها سليمان . لم تتعرف عليّ، والدتي بنفسها لم تتعرف عليّ . كانت تضع يديها على وجهي و على جسدي مرودة - **أهذا أنت حقا سليمان ؟** ذكرتها بأمور من الماضي، كلمتها عن أغراض المنزل و عن تفاصيل كنا وحدنا نحن الاثنان نعرفها [...]⁴⁹⁴ .

كان مدادي سليمان قد تغير حقا، لم يعد ذلك المراهق في السابعة عشرة من عمره الذي شاهدته والدته يغادر . أصبح رجلا في الثلاثين من العمر وصمته تجربته في الكفاح و سنوات الحبس الصعبة . كان لم شمله مع عائلته قد زعزعه في المستوى العصبي، و حتى هو لم يعد يعرف نفسه .

« كنت قد تغيرت نفسيا . فالوقت الذي قضيته بالسجن جعل مني رجلا عصبيا [ضعيف نفسيا] . كنت أظن أن استقلال بلدي سيجعل مني رجلا سعيدا و بصحة جيدة، لكن الأمر لم يكن كذلك . »⁴⁹⁵ .

(494) س . مدادي، المرجع المذكور .

(495) المرجع نفسه .

العودة إلى الصف

الدفعات الأخيرة

لم يحظ جميع أعضاء المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بالخط الذي حظي به مدادي و أوراني في أن يتم اقتيادهم بسيارة الأجرة إلى قريتهم الأصلية. فالبعض، مثل شروق، اضطروا إلى أخذ القطار للتوجه إلى الجزائر العاصمة. و الرحلة لم تكن مريحة لأن منظمة الجيش السري، في تلك الأشهر الأخيرة للفترة الاستعمارية، ضاعفت من هجماتها، و القلق الذي اختفى لبعض الوقت بالمنازل المطمئنة لمضيفيهم الشاويين، كان قد عاد ليخالج من جديد المجموعة المتجهة إلى الجزائر العاصمة. فقد أوصاهم مسؤولو الولاية الأولى بالنزول بمحطة الحراش عوض محطة الجزائر العاصمة لأن منظمة الجيش السري في وسط المدينة، كانت تطلق النار على الجزائريين. و توقف القطار بالثنية لأنه قد تم تفجير الجسر. فانتاب الذعر الأذهان إلى درجة أن محكوما عليه بالإعدام سابقا حاول أن يلقي بنفسه من النافذة.

و بمحطة الحراش حيث وصلوا بعد أن نُقلوا، كانت الأرض صلبة خالية و لم تكن هناك أي لجنة لاستقبالهم. كان يوجد فقط عامل بالسكة الحديدية ؛ كان منهمكا بالعمل على السكة. و في الأخير، هو الذي ذهب مسرعا إلى الخارج و حجز لهم سيارات لتنقلهم إلى مقر جبهة التحرير الوطني بديار الجمعة. و بعد أن قضوا ليلة بمدرسة في الحي، حاول كل واحد منهم الالتحاق بعائلته. فالبعض منهم بقوا بمدينة كانت لا تزال تعاني من الاختلاجات الأخيرة لعصر قارب على نهايته. أما

البعض الآخر فقد ذهبوا إلى جبال طفولتهم حيث فكروا أنهم سيجدون السكون الذي سيسمح لهم باستعادة قواهم و الذي لطالما كانوا يتوقون إليه .

عائشة عليوات هي حالة خاصة لأنها كانت قد دخلت للجزائر لأول مرة في حياتها . ولقد كافحت كي يتحرر هذا البلد و لم يكن الإعلان عن وقف إطلاق النار يعني لها، مثلما لم يعنٍ لغيرها، انتهاء الهموم . فزياراتها المتكررة لعائلة أوصديق و لعائلات إطارات أخرى من جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني المقيمة بتونس سمحت لها بفهم طبيعة التحديات الجديدة و رهانات السلطة . فوقف إطلاق النار لم يكن يعني استرجاع السلام و الاستقلال و الحرية للجميع .

يبدو، مع ذلك، أنه كانت لا تزال هناك مهمة أساسية تتمثل في إنقاذ ما يمكن إنقاذه، و منع الجنون المدمر لكومندوس منظمة الجيش السري من تدمير كل شيء . ركبت عائشة، في 22 مارس 1962، طائرة عسكرية استأجرتها السلطات الفرنسية لنقل عائلات أعضاء « السلطة التنفيذية المؤقتة »⁴⁹⁶ من بنزرت إلى بومرداس . و بالجزائر العاصمة، حيث استلم الرائدان عز الدين و أوصديق قيادة العمليات، كانت المعركة، من أجل السيطرة على المدينة و الدفاع عن النقاط الاستراتيجية، في أوجها . فالتحقت، و هي مسلحة، ببلكور حيث يوجد مقر مجلس قيادة المنطقة المستقلة، و عُيِّنَت تحت قيادة النقيب لونييسي علي، المسؤول عن الشؤون الصحية بالمنطقة المستقلة بالجزائر العاصمة . و بما أنها كانت قد عملت كمرضة حرب لصالح المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ثم بالحدود الجزائرية التونسية، استمرت في الطريق نفسها و اهتمت بتنظيم المستشفيات السرية بالعاصمة الجزائرية . و لم يعد مستوصف ألبير دو مايستر⁴⁹⁷ الذي كانت تعمل به، لم يعد يكفي . و كان يجب فتح قاعات علاج بشقق بأحياء الجزائر لمواجهة التدفق الكبير للجرحى، فقد كانت منظمة الجيش السري تطلق

(496) مشكلة من 12 عضو (3 أوروبيين و 9 جزائريين، 5 منهم أعضاء بجبهة التحرير الوطني) و كان تحت تصرفها جنين جيش مكون من 40.000 رجل مؤطر من قبل ضباط جزائريين ليسوا من جبهة التحرير الوطني و ينصحهم ضباط فرنسيون . و كانت مهمتها تتمثل في التكفل بالمرحلة الانتقالية إلى غاية إقامة حكومة جزائرية سيادة .

(497) أعيد تسميته بمستوصف نعيمة و هو اسم إحدى شهيدات الثورة .

النار، من خط نار بأعالي بلكور، على الجميع : رجال، نساء، أطفال، شيوخ. كانت قنابل تنفجر بآماكن عامة مودية بحياة المئات، و بالمستشفيات المدنية، كان المرضى يغتالون و يتم الإجهاز على الجرحى أو تركهم لمصيرهم. و خلال عملية إنقاذ نظمته المنطقة المستقلة للجزائر العاصمة، وجدت عائشة البعض منهم مطروحين بأدراج معرض الجثث بمستشفى مصطفى.

« كان عدد الجرحى قد تجاوز إمكانياتنا تماما. و تمت تهيئة جميع زوايا المستوصف لاستقبال كل ذلك الجمع الغفير الموضوع رأسا لقدمين على الأسرة، على الأرض، فوق أفرشة مُرتجله. و لقد اضطررنا في الأخير إلى تحويل المستوصف إلى مركز فرز. »⁴⁹⁸.

نحن ندخل هنا، بطبيعة الحال، في قصة أخرى غير قصة المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. ولكن، المسيرات الفردية لأعضاء المنظمة لا يمنعنا من ملاحظة أنها تتقاطع في مكان و زمن أصبحا مختلفين. فلقاؤها بـ « ساكت » عيساوي أو حمد و بـ « حمادة » خاوجة يوسف و العديد من غيرهم الذين جاؤوا مباشرة لاستقبالها عند وصولها، يجعلنا نفترض أن علاقات متينة جدا و مظاهر تضامن فريق كانت لا تزال فاعلة. و هذه هي القوى التي حاولت أحيانا، الزمرات التي كانت تتنافس على السيادة السياسية، إعادة إدراجها في منطقتهم، منطلق الصراع على السلطة.

ما يبرز في جميع هذه الشهادات و يقوم مقام النموذج، هو هذا التصادم المدهش بين مستويات من الوعي و الانتماء. فخلال سنوات الكفاح و في محنة الاعتقال و الحبس مع القيام بالأعمال الشاقة، كان إحساس المكافحين بانتمائهم لحركة التحرير الوطني قد حل تدريجيا محل الإحساس بالانتماء إلى المجموعة العائلية أو إلى المجموعة القروية. فمكان رسوهم و مرجعهم الأساسي و المجموعة التي يندمجون فيها انطلقت من النوى الأولى التي كانوا ينتمون إليها : « فرق التدخل » أو « فرق التدخل القروي » أو « المنظمة الخاصة » ثم « فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني » و « جيش التحرير الوطني » (أكثر من « جبهة التحرير الوطني » في الواقع) و أخيرا إلى « المساجين » من فرين

(498) ع. عليوات، المرجع المذكور.

أو لوس - لي - ليل أو ليون أو غيرهم من مراكز الاعتقال . و انطلاقا من هنا، توسعت الحلقات المترابطة للوعي و للإحساس الانتمائي لتبلغ مفاهيم عامة أكثر، أقل مباشرة، و هي : الجزائر، الشعب الجزائري، الأمة الجزائرية . و بهذا، أصبح الدمج الاجتماعي أكثر تأثيرا بالجانب السياسي رغم أن تأثير الهياكل التقليدية كان لا يزال قويا، فهو الذي دفع في الواقع إلى تكوين ما سمي بالروح العشائرية، و مع ذلك، أمام ديناميكية النزعة الوطنية، يمكن اعتبار هذا التعبير الأخير لهذا الوعي و الإحساس بالانتماء، مع أنه مستمر و متفاقم، على أنه من مخلفات الماضي .

إن الأحداث الأخيرة للحرب و الأشهر القليلة إن لم تكن الأسابيع القليلة التي امتدت من وقف إطلاق النار إلى يوم الاستقلال، هي ما يمكن أن نطلق عليها بلحظة من اللحظات الفارقة في التاريخ ؛ تاريخ كل واحد و تاريخ الجميع بالمعنى الهيجلي للكلمة . فطريق العودة هذه التي اجتازها أعضاء المنظمة كانت تجربة رهيبة على المستوى العاطفي حيث فقد الوعي و استُردّ في الوقت نفسه . كان الاعتراف الأول من قبل جبهة التحرير الوطني التي قامت، في كل مكان، بالاهتمام باستقبالهم و التكفل بهم و وضعت بنياتها التحتية اللوجستية تحت تصرفهم . أما الاعتراف الآخر، المصاحب تقريبا للأول، فهو اعتراف الشعب الذي تكفل بهم كليا . فكان الأفراد، أغنياء أو فقراء، يتنافسون على شرف استقبال أبناء البلد المجيدين هؤلاء كإبنائهم، مثل والدة الشهيد تلك من باتنة التي بكت لأن المسؤول المحلي لم يقبل إدماجها ضمن العائلات المستضيفة للأسرى لأنها كانت فقيرة جدا، و التي تعبر جيدا عن تلك الرغبة في المشاركة : - لقد فقدت ولدا من أجل الجزائر، و أنا أجد آخر قاتل من أجلها، دعوني أستقبله و كأنه ابني أنا . تلى ذلك عدم تعرف القرية و العائلة، عدم تعرف أمهاتهم عليهم و اللواتي لم تعرفن ملامح المراهقة في رجال تصلبوا و تأثروا بفعل ندوب الحرب . و يا لها من صدمة مروعة بالنسبة لجميعهم على حد سواء .

التحيزات

لا يمكننا أن نقول بأن المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني تصرف بصورة متراصة في النزاعات التي كانت تزعزع الدوائر السياسية للسلطة

الناشئة. فلم يعد للمنظمة الخاصة وجود، كمنظمة و كهيكل قتال، انطلاقا من سنة 1961. و في 1962، استعاد كل واحد من أعضائها استقلاليتها، حتى وإن حاول البعض، بمجموعات صغيرة، أن يضعوا أنفسهم تحت وصايات جديدة.

و دون أن نُشِت انتباهنا في وقائع الأزمة التي كانت تهز، في ربيع و صيف 1962، الدوائر الحاكمة⁴⁹⁹، يمكننا بصورة مبسطة جدا أن نحدد الأقطاب الأربعة التي كانت تتنافس على ممارسة السلطة الشرعية و حق تمثيل الثورة و حق حكم البلاد بعد الحصول على الاستقلال. أولا لدينا الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من جهة، و الأركان العامة لجيش التحرير الوطني من جهة أخرى. ثم لدينا بن بلة أحمد و مؤيدوه وسط المجلس الوطني للثورة الجزائرية، و في الأخير، لدينا قيادات الولايات لجيش التحرير الوطني بالداخل. و ينبغي أن يضاف إلى هذه القوى، نوع من المتغيرة المستقلة التي كان تدخلها، في الكثير من الأحيان، حاسمة رغم أنها كانت، في الكثير من الأحيان، كتومة بطبيعتها و هي : مصالح بوصوف، نواة الأمن العسكري مستقبلا.

خلال مناقشات المجلس الوطني للثورة الجزائرية التي طبعت بداية الأزمة ثم خلال مواجهات صيف 1962، كان على جميع عناصر جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني أن يتحيزوا إلى هذا الجانب أو ذاك. فاصطفت اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني إلى جانب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، لكن الإطارات المتوسطة لم تتبع جميعها الخط المعتمد من قبل المسؤولين الفيدراليين، في حين كان على مناضلي القاعدة التقرير وفق ضميرهم الخاص. و سواء كان ذلك بطريقة منظمة أو لا فقد أدت المواقف المتخذة من قبل البعض و البعض الآخر، بدافع ولاء شخصي أو بدافع قناعة سياسية، أو ببساطة بدافع غريزة التجمع، إلى التضامن الفعلي للعديد من أعضاء المنظمة الخاصة.

و ابتداء من خريف 1961، طلبت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني تقديم إحصاء عن جميع من يملك شهادات مختلفة من أجل تعيينهم، عندما يحين الوقت، بالإدارات المركزية بالجزائر. ففيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني لم تكن أداة

(499) لمقاربة منهجية أكثر للرهانات و القوى المواجهة، سنستند إلى كتاب : M. Harbi, p. 321 et suiv

طريق العودة الطويل

للإشراف على الجالية المهاجرة فحسب، بل كانت كذلك، في تلك الفترة من نهاية حرب التحرير، إحدى التجمعات الأساسية للمناضلين ولإطارات السياسية المنظمة. وخلال هذه الفترة الانتقالية التي تمتد من مارس إلى جويلية 1962، كانت تؤدي إذن دور الممون المحتمل لإطارات سياسية لمختلف أجهزة الدولة المكلفة بضمان حسن سير مؤسسات الجزائر المستقلة. كان الرهان كبيرا، إذ كان يجب ملء الفراغ الذي تركه أوروبيو الجزائر الذين اختاروا العودة إلى فرنسا. ف 82% من الموظفين العاملين كانوا أوروبيين و الأمر ذاته بالنسبة لـ 94.8% من إطارات التصميم و الإدارة. من جهة ثانية، كان يجب كذلك تدارك الخطط طويلة المدى للسلطة الديغولية التي كانت تهدف إلى السيطرة على الإدارة الجزائرية بصورة غير مباشرة من خلال إدخال إطارات من السكان الأصليين الذين كانوا متشيعين إلى حد ما للمصالح الفرنسية. و من هنا تظهر أهمية منجم الإطارات الجزائرية الذي كانت تمثله الجالية الجزائرية و فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني التي كانت باسطة نفوذها عليها.

عمال مساعدون أم رجال مأجورون عرضيون ؟

من بين أولئك الذين تولوا مسؤوليات بالمسرح السياسي الجديد، حرايف عمر، القائد السابق للمنظمة الخاصة بمنطقة جنوب فرنسا، و الذي أصبح يقود الوحدات المسؤولة عن شرطة المدن الموضوعة تحت قيادة السلطة التنفيذية المؤقتة⁵⁰⁰. هؤلاء العمال المساعدون العرضيون يمثلون قوة عسكرية لا يستهان بها قادرة، في ظروف معينة، على معادلة مجموعات مسلحة أخرى بالوسط الحضري. و هم، في الأساس، عسكريون من الجيش الفرنسي من أصل جزائري ضمت إليهم عناصر من الجماعات المسلحة و إطارات محلية من المنظمة السرية لجبهة التحرير الوطني. و من « الطبيعي » تماما أن نرى الإخوة الثلاثة لحرايف عمر (علي و صديق و رشيد) و جزءا من مناضلي فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الذين عرفوه ما بين 1956 و 1958 ينضمون إليها.

(500) ألقى القبض على حرايف عمر بعد بضعة أشهر خلال النزاع الذي تواجته فيه جبهة القوى الاشتراكية و جبهة التحرير الوطني.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

بعد أيام من إطلاق سراحه من سجن أنغوليم، قام جعفر بلحواس، عضو المنظمة الخاصة بولاية مرسيليا، بالاتصال من جديد ببوعزيز رابح. فقد علم أن المنظمة كانت تبحث عن متطوعين للمساعدة على إرساء الإدارة الجزائرية. و كان عمرون رابح هو المتكفل بعملية فرز و توجيه مناضلي جنوب فرنسا إلى الجزائر. فكانت سلسلة المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني تعمل بكامل طاقتها.

« كنا معنيين لتأطير الشرطة الجزائرية بعد تدريب مسرّع. وجهت إحدى المجموعات إلى تيزي وزو و الأخرى إلى ياكورن⁵⁰¹. و بتيزي وزو جاءت لزيارتنا قيادة الولاية الثالثة، التي كان يمثلها وقتها أولحاج محند، برفقة سويسبي. و في الأخير، تم التخلي عن المشروع و عرض علينا محند أولحاج أن نخترار بين العودة إلى الحياة المدنية أو الانخراط في الجيش. »⁵⁰².

في الواقع، كان كل واحد، في الصراع الذي كان قائما بين أطراف النزاع المختلفة، يحاول أن يجمع من حوله أكبر عدد ممكن من القوى القابلة للتأثير في تقاسم السلطة. و لموازنة كتلة الفرق العسكرية التي جمعتها الأركان العامة و التي وضعها العقيد بومدين تحت أوامر مجموعة تلمسان⁵⁰³، دعا قادة الولايات وحدات « القوى المحلية »⁵⁰⁴ للالتحاق بجيش التحرير الوطني الداخلي و وضعوهم تحت قيادة ضباط أوفياء و إطارات سياسية متبصرة إلى حد ما. كان ذلك زمن « المارسيين ».

لم يتمكن شروق عبد الحفيظ من تحمل أجواء الحرب الأهلية التي كانت كامنة في الجزائر العاصمة ففضل الذهاب إلى قريته الأصلية حيث كان يفكر أنه سيجد سكونا أكثر ليسترجع فيه قواه. ولكن، تبين أن زمّورة، وهي قرية تابعة بجبال برج بوعريّيج، كانت كذلك المكان الذي عقد فيه، في 24 و 25 جوان 1962، اجتماع قادة الولايات الثانية و الثالثة و الرابعة و المنطقة المستقلة للجزائر العاصمة و فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني. كان على

(501) منطقة تابعة للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) المشهورة بغاباتها، مركزها عزازقة.

(502) جعفر بلحواس، المرجع المذكور.

(503) مجموعة مشكلة من حول بن بلة أحمد و خيضر محمد و عباس فرحات و العقيد بومدين.

(504) وحدات مكونة من مجندين من الجيش الفرنسي و مؤطرين من قبل ضباط و ضباط صف جزائريين.

الرجال المشاركين في هذا الاجتماع أن يتخذوا موقفا فيما يخص النزاع الذي كان قائما بين مختلف الأطراف التي كانت تتنافس على السلطة. هل ذلك مجرد صدفة أم أنه شيء مضمّر، فقدان للذاكرة انتقائي وهو أمر شائع جدا في هذا النوع من الروايات، والذي يفسر انسحاب شروق إلى زمورة؟ يبقى أنه تم الاتصال به في تلك اللحظة وحُث على العودة إلى العاصمة حيث كان يمكن أن يكون مفيدا. ولا يوجد أي تفسير لهذا التحول الذي جعله يستعيد فجأة عافيته و يعود إلى الجزائر العاصمة ليستأنف العمل. وقام تحت أوامر الرائد عز الدين وبوشافة مختار⁵⁰⁵، برفقة [محمد] بوعكاز ورشيد [على الأرجح رضاني] وأزرارة محمد، جميعهم أعضاء سابقون بالمنظمة الخاصة، بتشكيل وحدة حماية مقربة لأعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

كم هم أعضاء المنظمة الخاصة الذين، عن قصد أو عن غير قصد، بدافع روح التعاون أو بدافع الوفاء لقادتهم السابقين، وجدوا أنفسهم منحازين في نزاع يتجاوزهم؟ لم يكونوا جميعهم منحازين إلى المنطقة المستقلة للعاصمة، فالبعض منهم الذين تردد عليهم العقيد علواش⁵⁰⁶ اختاروا الولاية الرابعة، والبعض الآخر التحق بمجموعة تلمسان، ولكنهم خدموا دائما كرجال مأجورين.

عاد مدادي سليمان، الذي تعافى من صدمة لمّ شمله بعائلته وبسكان قريته، إلى الجزائر العاصمة بحثا عن عمل. لكن الأوضاع لم تكن جيدة على الإطلاق. كان سعدي ياسف يسيطر على القصبة، في حين كانت الولاية الرابعة تتنافس المنطقة المستقلة للعاصمة في السيطرة على العاصمة. في البداية، أراد تقديم خدماته للمنظمة السياسية لكن لقاءه مع العقيد علواش لم يكن مرضيا، فلم يقتنع لا هو ولا فرقاش أرزقي، الذي رافقه خلال اللقاء، بحجج محاورهم.

اشمأز تماما من « السياسة »، فقرر الذهاب من تلقاء نفسه ودون توصية ليتقدم بطلب للحصول على أي وظيفة بمستشفى مصطفى لأنه كان عندها متزوجا وكان عليه أن يفكر في التكفل بعائلته.

« بدأت بالعمل كرئيس الغسيل. كنت قد تزوجت في 16 أوت بقريتي الأصلية ثم غادرت في 28 أوت للبحث عن العمل. وبعد بعض الوقت، قام قادة

(505) أحد مسؤولي الجماعات المسلحة الأولى لبلكور بنوفمبر 1954.

(506) المستشار السياسي لسي حسان (يوسف خطيب)، قائد الولاية الرابعة.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

فيدرالية فرنسا، الذي كان من بينهم سي حميمي⁵⁰⁷، باستدعائنا للاجتماع بمقر النقابات⁵⁰⁸. كان المشكل يكمن في معرفة ما هو الموقف الذي كان على فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أن تتخذه أمام النزاع. كانت الولاية الرابعة ترغب في استعمال مناضلي فيدرالية فرنسا لتنظيم العاصمة للتصدي لسعدي ياسف. و كان معظم المناضلين ضد الفكرة. لم يكونوا يرغبون في الانحياز إلى هذه العُصبة أو تلك، و كانوا يرفضون اللجوء إلى قوة السلاح ضد جزائريين آخرين. و بعد نقاش حام، اتُخذ قرار ترك الحرية لكل واحد في أن يختار بشكل فردي و باسمه الخاص.

و بعد بعض الوقت، جاء رفقاء من فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني لرؤيتي. كان هناك فرحات غريب و قرقاش أرزقي و [أحمد] عيساوي و أزرارة محمد⁵⁰⁹... كان يبحث عني بومعزة بشير⁵¹⁰، الذي كان وزير العمل، و كان يريد مقابلي. كان قد أرسل رفاقي لهذا السبب. و عندما ذهبت إلى مقر الوزارة، استقبلني باحترام كبير، و قال لي أن مكاني ليس بالمستشفى و أنني أستحق ما هو أفضل.

حدث ذلك في شهر أكتوبر [1962]، و كانت الأمور قد حُسمت، كان الجيش الشعبي الوطني⁵¹¹ قد تفوق على قوات الولاية الرابعة و جرت انتخابات خريف 1962. أخبرني بومعزة بأنهم كانوا بحاجة إليّ في « الفرقة الخاصة » في الرئاسة. و أمام ترددي، قال لي :

اسمع سأتصل بمدغري⁵¹² أمامك و سيتكفل هو بتعيينك.

لا أرى الحاجة إلى ذلك، فأنا على أحسن حال بالمستشفى.

(507) من المحتمل أنه الرائد حميمي من الولاية الثالثة.

(508) مقر النقابات بساحة أول ماي بالجزائر العاصمة.

(509) جميعهم أعضاء بالمنظمة الخاصة.

(510) المسؤول عن المجموعة و عن لجنة دعم السجناء في وسط اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني.

(511) الاسم الجديد الذي أُعطى لجيش التحرير الوطني الذي أصبح الجيش الشعبي الوطني الموضوع تحت أوامر العقيد بومدين.

(512) النقيب أحمد مدغري (سي الحسين) عضو بالأركان العامة و بمجموعة تلمسان و أصبح محافظ تلمسان ثم وزير الداخلية في 26 سبتمبر 1962.

أؤكد لك مرة أخرى أن مكانك ليس بالمستشفى. لا يجب علينا أن نترك هذه المناصب لأي كان، يجب أن تكون الأولوية للمناضلين وإلا سيكون الأمر وكأننا لم نقوم بشيء والآخرون، الخونة، سيجدون المكان شاغرا.

لقد تمكن من الإيقاع بي نفسيا، فقبلت و وجدت نفسي بقصر الرئاسة حاملا رسالة توصية موجهة لمدغري. استقبلني هذا الأخير بالعناق، ثم طلب مني الجلوس و سألني أين أردت أن أعيّن. أخبرني أن جميع أصدقائي كانوا هناك : قرفاش أرزقي و رابح [على الأرجح عمرون] و فرحات [غريب] و « تكساس » [بن يحي محمد] و « ميشيل » [بوعكاز محمد] و أزرارة محمد و « لو بروتون » [بورياحي ابراهيم]. استدعى المراقب العام للأمن الوطني، أوسمر محمد، الذي عينني مفتش الاستعلامات العامة.

كنت مكلفا مع أزرارة محمد بالحماية الرئاسية و كذلك بالاستعلام حول أحزاب تلك الفترة.⁵¹³

تؤكد هذه الشهادة الأخيرة فكرة أن فيدرالية فرنسا حاولت حقيقة، بوساطة اللجنة الفيدرالية، أن تشغل التضامانات و التسلسلات الهرمية السابقة و أخفقت في ذلك على ما يبدو، بما أن كل واحد كان، في النهاية، حرا في خياراته. فقد اشتغلت تضامانات من نوع آخر، مثل تلك التي نشأت خلال ظروف الكفاح الصعبة، بصورة أفضل. فقد قام سويسبي عبد الكريم و بوعزيز رابح، عضوا اللجنة الفيدرالية و المسؤولين المتعاقبان عن « فرق التدخل » و المنظمة الخاصة، بتوجيه أعضاء الكومندوس السابقين إلى مجموعة تيزي وزو. هل كان ذلك بدافع الوفاء لمحمد بوضياف، المسؤول الأول عن لجنة التنسيق بجهة التحرير الوطني، في 1954، و عن فيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني في بدايتها ؟ أم بدافع الوفاء للعقيد صادق رفيق عبان و مسؤول سابق عن بوعزيز بالولاية الرابعة ؟ أم أنهم اتخذوا هذا الموقف كرد فعل عشائري فحسب ؟ إن شهادات أخرى و وثائق أخرى عن تلك الفترة هي فقط التي يمكنها أن تطلعنا على ذلك.

ومهما كان، فقد استفاد سويسبي و بوعزيز من صلات موثوقة بالقاعدة المناضلة. وكانت هذه الصلات تتمثل في نوابهم السابقين عمرون رابح

(513) مدادي سليمان، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

و فرقاش أرزقي، و كذا مناضلين آخرين و إطارات أخرى من المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني الذين تكفلوا بالمنظمة على المستوى الإقليمي بين سنة 1959 و سنة 1962. و قام حرايث عمر، هو بدوره، بتشغيل آليات الوفاء الشخصي و التضامن النضالي ليجمع من حوله المناضلين السابقين للمنظمة الخاصة لجنوب فرنسا.

و قام بومعزة بشير هو كذلك باسترجاع جزء من تعداد المنظمة الخاصة، ليجعل منهم « حراسا شخصيين » بالرئاسة أو « عملاء مخابرات » في خدمة مجموعة تلمسان أو الرئاسة، حسب الحالات. استعمل هو كذلك إطارات سابقة بالمنظمة الخاصة مثل عيساوي أو محمد و شغل كذلك ردود فعل تضامانات المجموعة. و نحن هنا عند حدود السياسي، النسخة الجزائرية له بـ 1962 – 1963.

لم يبق أحمد مهساس مكتوف اليدين، و هو الذي كان يتولى مسؤوليات باللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني في سنتي 1954 – 1955. عندما خلف عمار أوزقان على رأس وزارة الزراعة، استدعى مناضلين سابقين، و كان محمد أوزناني، الذي حصل على تسريحه من الجيش في 23 أكتوبر 1962، من ضمن هؤلاء.

« كنت قد عُينت بهيئة مراقبي الإدارة، و لكن الغريب في الأمر أننا كنا تابعين للرئاسة. كان الأمر يتعلق بمراقبة الأراضي المسيرة ذاتيا على المستوى الوطني. كان العمل الذي كنا نقوم به لا جدوى منه، كان يتمثل في تسوية المنازعات حول الأراضي و القيام بتحقيقات إدارية و إعتقال الجانحين إذا لزم الأمر. في الواقع، بعد برهة قصيرة من الزمن، كنا نجد مرتكبي اختلاسات أملاك الدولة طليقيين أحرارا. و بعد الحركة التصحيحية الشهيرة [لـ 19 جوان 1965] غادر مهساس الحكومة و أنا غادرت من جهتي المصلحة. »⁵¹⁴.

و هكذا، نجد، من خلال هذه الرواية التي تعبر عن خيبة أمل عنصر المنظمة المتخصص في المتفجرات، الخيار نفسه الذي قاد أعضاء هذه المنظمة، في لحظة من اللحظات، إلى خدمة القوى الجديدة كعملاء خاصين أو كرجال مأجورين. و الخيارات لم تكن في الواقع واسعة، فإما أن تنضم إلى الشرطة أو تنضم إلى مصالح الرئاسة.

(514) م. أوزناني، المرجع المذكور.

وساطات سياسية

لم يكن الشرق الجزائري محميا أكثر من النزاعات الداخلية، شأنه شأن باقي مناطق البلد، و مثلما بقاعدات الحدود أو بالعاصمة، اضطّر أعضاء فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و أعضاء المنظمة الخاصة إلى القيام بخيارات سياسية. وهنا كذلك، كان الاستقبال مختلفا عما كان يتوقعه الكثيرون. فبمجرد خروجه من لامبيز بشهر ماي 1962، وجد بن صدوق محمد نفسه واقعا في شباك تسوية الحسابات بين الداخل والخارج، و برفقة الرائد سليمان (قايد أحمد) و الملازم الأول بن جديد الشاذلي و مؤيدون آخرون للأركان تم اعتقاله و احتجازه بمقر المحافظة من قبل قيادة الولاية الثانية. لم يكن يفهم جيدا أسباب هذا الاعتقال، ولكنه فكر في أن فيدرالية فرنسا هي التي كانت مستهدفة.

« [كنت قد خرجت من لامبيز] فاتصل زوج أختي، الذي كان أستاذا بالريف أمام مصنع الحجار، بالفرع المحلي لجبهة التحرير الوطني. اصطحبني بالسيارة حتى عنابة حيث كان ينتظرني العديد من الأشخاص. كان الأمر شبيها بموكب و اضطرت إلى إلقاء خطاب. و في اليوم الموالي، تم احتجاجي بالمحافظة. فقد خشي البعض على سلطتهم و أبعدوني. كنت غريبا قادما من فرنسا. [...] كان بودريال طاهر⁵¹⁵ مسؤولا عسكريا بولاية، في حين كان كحل الراس عبد المجيد مسؤولا سياسيا و الأمة رابع المكلف بالاتصالات.

أطلق سراحني في غضون 15 يوما بفضل تدخل فاضل عبد الله⁵¹⁶. كان علي أن أبحث عن عمل أتقاضى به أجرا لأن والدي كان قد تعرض لحادث عمل و لم تكن لدينا موارد للعيش. واجهت عقبات على مستوى المحافظة من عند الذين كانوا يتوجسون من مناضلي فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و مناضلي البلدان المجاورة. كانت السلطات في أغلبها إطارا من الولاية الثانية الذين كانوا يرغبون في الحفاظ على احتكار معين لهيئات المنطقة. كنت قد كلفت بإعادة تنظيم حركة الكشفة بالشمال القسنطيني أي بقالمة و بسوق أهراس و بعنابة و بالقالة،

(515) المدعو طاهر العنابي، قائد منطقة بالولاية الثانية.

(516) فاضل عبد الله، عضو بحزب الشعب الجزائري، اعتقل في 1949 و أطلق سراحه في 1951. في 1954، التحق بالمقاومة في الجبال و أُلقي عليه القبض من جديد سنة 1955.

في حين سلّمت قسنطينة و ضواحيها لداقسي محمد طاهر. كان فاضل مسؤولاً سياسياً عن منطقة، و عُيّن مندوب الولاية الثانية لإنشاء وزارة الشباب و الرياضة. تبعته، برفقة رشيد حمّوتان⁵¹⁷، إلى الجزائر العاصمة حيث كانت السلطة التنفيذية السياسية، بوساطة الحزب، تريد إنشاء شبيبة جبهة التحرير الوطني.

كنا نتعامل مع شباب لم يكونوا مشتركين في صراعات الولايات، و أردنا أن نجعل منهم خلفاً سليماً. و جلبنا مناضلين آخرين للمشاركة في هذه المهمة مثل بن ناصر الذي كان مع فاضل بسجن لامبيزو و واسورزقي الذي كان معي بسجن ميتز. كان فاضل السكرتير الأول و كان يتكفل بالعلاقات الخارجية و كذا بالاتصال ب خيضر محمد من المكتب السياسي، و أنا كنت أهتم بالهيكل التنظيمي و بأمانة السر، في حين كان حمّوتان يهتم بالدورات التدريبية و التطوّع. كنا قد حصلنا على مبلغ 800 دج للميزانية من قبل بيطاط رابح لدفع تكاليف البنزين و السجائر و بعض الوجبات الخفيفة [...] عملت إلى غاية مارس 1963 [...] «⁵¹⁸.

و تقوم رواية بن صدوق، شأنها شأن جميع الروايات، بجعل فترات عديدة تتراكب مما يشوش أكثر محاولتنا في اكتشاف الأسباب الكامنة وراء الاعتقال، ثم إعادة الدمج في اللعبة السياسية بتدخل من فاضل. في الواقع، انقلبت موازين القوى، في أثناء ذلك، بالشمال القسنطيني من جهة عين مليلة بالولاية الأولى، في 25 جويلية 1962، إذ احتل العقيد العربي بـرجام⁵¹⁹ قسنطينة على رأس قوات وضعها العقيد بومدين تحت تصرفه. فقام باعتقال مئات الإطارات السياسيين بالمنطقة من بينهم أعضاء بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و أعضاء قيادة الولاية الثانية، لخضر بن طوبال و بونيدر صالح من بين غيرهم. و بعد مساومات عديدة على مختلف مستويات التسلسل الهرمي للسلطات، تم التوصل إلى إتفاق و استقرت حكومة جديدة بالجزائر العاصمة، في 26 سبتمبر 1962، تسيطر عليها مجموعة تلمسان.

(517) مسؤول طلبة قسنطينة.

(518) س. ن. صدوق، المرجع المذكور.

(519) عضو المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري و عضو باللجنة الأولى للولاية بجيش التحرير الوطني بشمال قسنطينة سنة 1954. و لما استبعد عند خلافة قيادة الولاية الثانية، حفظ ضغينة لبن طوبال و انتقم منه في 1962 بتحييزه إلى الأركان العامة و باعتقال قائده السابق.

كان فاضل عبد الله من بين الفريق الذي ساعد خيضر محمد في إدماج منظمات الشباب إلى جبهة التحرير الوطني الذي أصبح حزب جبهة التحرير الوطني، أي بعبارة أخرى الحزب الوحيد. في البداية، كانت الصداقات القديمة بالكشافة هي التي حددت خيارات بن صدوق، و شأنه شأن العديد من المناضلين الآخرين، قامت التضامنيات، التي نُسجت خلال سنوات الحبس الطويلة، ببقية العمل. يبقى أن المسيرة السياسية لبن صدوق محمد، أحد أول أعضاء المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، توفقت في أوت 1963 بعد استقالة من شباب - جبهة التحرير الوطني التي أرادها أن تكون مثالية بقدر ما أرادها أن تكون ملحوظة.

الإلكترونيات الحرة

لم يكن على جميع مناضلي المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أن يضعوا أنفسهم في خدمة جماعات أو زمر ولا بالأحرى في خدمة مسؤوليهم السياسيين السابقين. فالعديد منهم ابتعدوا عن الساحة السياسية وعادوا إلى الغفلية. كان من بينهم أولئك الذين اضطروا إلى مقاطعة دراستهم للانخراط في الكفاح المسلح، وبعد حصول الجزائر على الاستقلال أقنعتهم دوافع مختلفة بالابتعاد عن النزاعات الداخلية. ويمكننا أن نفترض كذلك أن فشل التحالف الذي انضمت إليه فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني أغلقت أمامهم آفاق الاندماج في النظام لبعض الوقت. ولكن إرادتهم في استئناف دراستهم هي، قبل أي شيء آخر، التي أثرت في خياراتهم بالنسبة للمستقبل.

و بعد أن التقى آيت مختار نصر الدين بمحمد بوضياف و بعناصر من الولاية الثالثة، اقتنع بأنه ليس هناك أي أفق واضح بالنسبة لمستقبل الجزائر. فعاد إلى المنفى و استقر بألمانيا لإكمال دراسته في الطب. لا نملك شهادة عن تلك الفترة من حياته لكن بعض الدلائل المتفرقة تشير إلى أنها لم تكن سهلة. فقد اضطّر نائب المسؤول السابق للمنظمة الخاصة لفيدرالية جبهة التحرير الوطني إلى العمل كحمال بالمرافئ ليتمكن من إتمام دراسته في الطب. و نفهم تماما مرارته عندما لاحظ أن جزءا كبيرا من الخدمات الطبية للجزائر المستقلة أصبحت بين أيدي رؤساء خدمة كانوا قد قاطعوا، في أغلبهم، إضراب 1956 و لم يساهموا في الكفاح

المسلح، بل و أسوأ من ذلك، ففي ذهن إطار رفيع المستوى كان قد قاد و نظم كومندوس المنظمة الخاصة في أصعب ظروف هجوم أوت 1958، كيف لا يتفاجأ عندما يجد نفسه مضطرا إلى التعامل مع مختبئين سابقين ليطالب بحقوقه كعضو سابق بالمنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ؟

و لم يكن التقاعد المبكر لآيت مختار من الشؤون السياسية فعلا معزولا . فلقد حاولت مجموعة طلبة الفرع الجامعي لجبهة التحرير الوطني متابعة الكفاح السياسي بالانخراط في الكفاحات التي شهدتها سنة 1962 المؤتمر التأسيسي للاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين . و لكن، كما هو الأمر بالنسبة لباقي قطاعات الحياة العامة، قامت نزاعات العُصب و محاولات إقامة حكم عسكري بتثبيط عزيمة العديد منهم . و لا نملك، مع الأسف، إلا صدى غير مباشر من حرايف زينة التي فضلت هي كذلك، لأسباب صحية أساسا، الانسحاب إلى ألمانيا ثم إلى سويسرا حيث التقت بزوجها المستقبلي .

و في جوان 1962، قررت زينة، التي ثبُتت الفوضى التي كانت تسود بالجزائر عزيمتها، اتباع توصيات أخيها عمر و قائد فيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب (بن سالم)، فعادت إلى ألمانيا حيث كانت تعرف أنه يمكنها الاعتماد هناك على فيدراليتها الأصلية .

» عُدت إلى ألمانيا بين شهر جوان و جويلية حيث التقيت ببوداود . اقترح علي الذهاب إلى باريس للاهتمام بالنساء، لكنني كنت محبطة و مريضة منذ وصولي إلى المغرب . كنت مصابة بالحمى في معظم الوقت و كنت أسعل . رفضت عرضه فُتركت لمصيري . كنت أعرف أنه لازال يوجد بألمانيا بعض الأصدقاء فبحثت عنهم . و في الأخير هم الذين عشروا علي بغرفة في فندق . أعلمني بن يحي بلقاسم و شيطور عبد الكريم أن بن عدودة عمار كان بالمناسبة هناك من أجل مؤتمر الإطارات⁵²⁰ . جاء عمار لرؤيتي، كان يريد أن نتزوج . و أمام ترددي، اقترح علي مرافقته إلى سويسرا للدراسة مع مناضلات أخريات . كان سيتكفل هو و أصدقاؤه بتغطية الرسوم الدراسية . ذهبنا إلى هناك و بدأت أعمل، كنت سألتحق بمدرسة

(520) على الأرجح إطارات فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني للبت في الموقف الذي يجب اتخاذها فيما يخص النزاع الذي كان يزعزع القيادة السياسية .

ببرن و لكن، ريشما يحدث ذلك، لم أكن أرغب في أن يعيلوني. لم يكن لديهم لا دخل ولا منحة. كانوا يعملون كحمالين بالمحطة أو كانوا يغسلون الصحون بالمطاعم. كان عليّ أن أبدأ العمل بالمستشفى، و خلال زيارة التفحص من أجل التشغيل، وجدوا لديّ كهفا رثويا. قضيت سبعة أشهر بمصحة لوزان و تحملت جبهة التحرير الوطني النفقات. كان الأطباء مندهشين جدا لرؤيتي لا أزال أقف على قدمي بإصابة كتلك. أظن أنه من المحتمل أنني كنت سأكون في عداد الموتى الآن لو تبعت الأخوات اللواتي عدن إلى الجزائر برا بسلوك طريق مغنية. تزوجنا (أنا و بن عدودة عمار) أثناء إقامتي بالمصحة و قامت جبهة التحرير الوطني بتسجيل عقد الزواج. لم نستطع حتى تحمّل تكاليف وجبة للاحتفال بهذا الحدث. ⁵²¹»

الاندماج الصعب

و بصرف النظر عن المواقف السياسية التي اتخذها البعض و البعض الآخر، فالعودة إلى ما يمكن أن نسميه بالحياة المدنية لم تكن سهلة جدا في أغلب الحالات التي شهدناها. حاولنا من قبل أن نقدم صورة عن أصول أعضاء المنظمة الخاصة التي تبين من خلالها أن معظم أعضائها كانوا قد غادروا الجزائر في سن مبكرة، و لكن كذلك دون الحصول على تعليم. و لم يتعلم البعض القراءة و الكتابة إلا بالحبس بفضل الدروس التي أعدتها لجان السجون. و بالتالي، رافق إحساسهم بأنهم أدوا واجبهم تجاه بلدهم إحساس بإحباط كبير عندما واجهوا مشكل إعادة إدماجهم في عالم العمل.

حاولوا، متفرقين و تقريبا كممثلين لحزب منتصر، الحصول على عمل، و لكن ما وجدوه في المقابل هو تسلسلات هرمية إدارية كانت قد بدأت تتحول إلى بيروقراطية. فكان العديد من رؤساء المصالح و المسؤولين عن المؤسسات قد حصلوا على تلك السلطة، ليس بسبب أي مشاركة لهم في العمل المسلح، بل بسبب عدم مشاركتهم بالذات، مما سمح لهم بالتقدم في مسيرتهم المهنية. و كان مسؤولون آخرون يشغلون مناصبهم جراء ترقيات تقديرية أجرتها الإدارة

(521) ز. حرايث، المرجع المذكور.

الفرنسية عند اقتراب الاستقلال، مثل أولئك التراجمة و كتاب المحكمة الذين أصبحوا قضاة و رؤساء قاعات المحاكم أو كذلك وكيلى الجمهورية. و في الأخير هناك من شغلوا مناصب فقط لأنهم كانوا أنصارا سياسيين أو عملاء محليين أو كذلك أتباع عشائر السلطة. و هكذا، ليس من المدهش أن نراهم ينكرون أي حق للمناضلين القدامى في الشفعة للحصول على أي وظيفة. و في هذه الظروف، نفهم بصورة أفضل السهولة النسبية التي قبل بها أعضاء المنظمة الخاصة الخدمة في « الفرق الخاصة » بالرئاسة أو كحرس بالوزارات.

عندما أكملت إدجيري يمينه أنطوانيت دراستها كقابلة، اختارت الذهاب إلى الجزائر حيث وعدتها وزارة الصحة بأن توفر لها وظيفة بعزازقة. و لكن، نظرا لعدم موافقة والدها على الأمر خوفا من رؤيتها تواجه مشاكل كثيرة في الاندماج، بقيت بالعاصمة (لا ننسى أن أنطوانيت ثمرة زواج مختلط و أنها كانت ذاهبة مع والدتها، الإيطالية الأصل، لأول مرة إلى الجزائر و أن كلتاهما تجهلان العربية و القبائلية).

« بعد أن قضيت 15 يوما بمرسيليا، ركبت مع والدتي السفينة المتجهة إلى الجزائر. [...] و خلال إقامتنا، قامت إحدى صديقاتي باستضافتنا بالحراش. كنت أقصد يوميا الجزائر العاصمة لأستعلم عن الوضعية. قررت على الفور استكشاف مستشفى مصطفى حيث كنت أعلم أنني سأتمكن من الالتقاء بمناضلين. استطعت رؤية الأنسة بلخوجة من مصلحة التوليد و أمراض النساء، و البروفيسور آيت أويحي و البروفيسور بونافوس و رئيسة القابلات الأنسة سرفاتي. و الأنسة بلخوجة هي التي أخبرتنا بتوفر أربعة مناصب. كنا، أنا و أغتاي باية [عضوة شبكة « صادق » بالمنظمة الخاصة] نحمل شهادات، كنا مناضلات قادمات من فرنسا، و بهذا كانت هذه المناصب من حقنا، لكن السيد علّال، مدير المستشفى، رفض تشغيلنا متحججا بأن الأطباء يجهلون الحالة الفعلية للتعهد. في اليوم الموالي، قررت الذهاب إلى قصر الحكومة حيث كانت توجد مصالح وزارة الصحة. جبت المكاتب لثمانية أيام إلى أن حصلت على تعييني. »⁵²².

(522) ي. 1. إدجيري، المرجع المذكور.

لم تكن نادية صغير بلمختار، إلى حد ما، محظوظة كبقية زملائها من المنظمة الخاصة. فعند خروجها من سجن رين، و بعد أن قضت شهرا بأحياء الاستقبال للسيماد بالمنطقة الباريسية، نقلت هي و رفيقاتها من الحبس⁵²³ على متن طائرة إلى الجزائر حيث اجتمعت كل واحدة منهن بالعائلة و الأصدقاء. و بعد أن ولت بهجة الاستقبال الكبيرة التي قابلتهم بها العائلة و الأقرباء، كان يجب العزم في نهاية المطاف على الاندماج من جديد في جزائر كانت في خضم نزاع داخلي.

« بقيت عند أخي بـ » لي فيفي «، و لم تعد لدي أي نشاطات نضالية. كان لزالى أحمد قد ألقى عليه القبض لعدة مرات، و في اعتقاله الأخير حكم عليه بالإعدام. كان قد أطلق سراحه هو الآخر بعد أن قضى ليلة بلامبيز. بحث عني و تزوجنا أسبوعا من بعد. عشنا عند عائلته بالقصبة ثم بشقة بحيدرة حيث رزقت ببنات. لا يمكنني أن أقول أننا عشنا حياة سهلة بعد الاستقلال لكننا كنا سعداء باستقلالنا أما صعوبات الحياة اليومية فكانت ثانوية.

كان زوجي قائدا بالمنطقة المستقلة للعاصمة ثم اشتغل بمكتب الطبيب حمياني، محافظ الجزائر العاصمة. و بعد ثمانية أشهر، تعرضنا أنا و زوجي إلى حادث سيارة أودى بحياته، و عانيت من آثار الحادث لسنوات، لم أكن أتحرّك إلا بالعكازات. كنت حاملا بابنتي الثانية و لم أكن أحظّ، في تلك الفترة العصبية، بأي مساعدة عدا مساعدة أختي. كان كل واحد مشغولا بأموره. كان رفقائي السابقون يعلمون بوضعيتي، لكن لم يحاول أحد رؤيتي أو مساعدتي. بعد ذلك، استولى سلفي على مسكني.

اضطرت إلى الذهاب للبحث عن عمل و كان بوشافة مختار، الذي كان وقتها مديرا بجريدة المجاهد، هو الذي وجد لي وظيفة موظفة استقبال بالجريدة [...] ثم التقيت بسكرتيرة عبد السلام بلعيد التي حصلت لي على وظيفة كموظفة اجتماعية بشركة التبغ الوطنية. عملت هناك إلى غاية تقاعدي في 1986. «⁵²⁴.

(523) كعبوش حليلة و باية خلوي و فطيمة سليمان و باية تاغليت و زهية خلف الله و جوهر أكرور و باية حسين و فوزية إغيل أحرير و والديها و عويشات الممثلة و غنية بلقايد و مليكة قريش و يمة زليخة و فطيمة كيوان و جميلة بوعزة و بوحيرد جميلة.

(524) ن. صغير مختار، المرجع المذكور.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني

لقد عرف أعضاء المنظمة الخاصة و أعضاء الشبكات التي كانت تابعة لها، على مستويات أخرى و بدرجات أقل، المصير نفسه . فقد اكتشفوا جميعهم، في نهاية المطاف، أنهم لا ينتمون إلى فريق المنتصرين و إنما إلى فريق المهزومين .

شكر و تقدير

أود أن أتوجه بخالص شكري، بصفة خاصة، لآيت مختار نصر الدين الذي وضع في متناولي وثيقة أصلية، وهي محاولته الأولى في كتابة تاريخ المنظمة الخاصة بفرنسا، والذي نظم كذلك لقاءاتي مع جميع أعضاء هذه المنظمة. أود أن يكون هذا العمل ثناء على اهتمامه الكبير. و أتوجه بجزيل شكري كذلك لحربي محمد الذي كان بالنسبة لي، باعتباره فاعلا و شاهدا و مؤرخا لحركة التحرير الوطني، مصدر معلومات لا ينفد بقدر ما كان ناقدا فطينا. و أود كذلك شكر دوم أحمد، عضو اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، الذي فعل كل شيء، منذ لقائنا الأول في ربيع 1998، لمساعدتي في الحصول على شهادات أقرانه من اللجنة الفيدرالية. و لن أنسى ذكر إعمارن علّال الذي كرّس أيام شيخوخته في طباعة المخطوطات التي كنت أسلمه إياها بفطنة كبيرة و تفان تام. و في الأخير، أتوجه بشكري إلى إعمارن جربال دليلة التي شاركت في اللقاءات مع المناضلين، و نسخت حرفيا المواد المسجلة و قرأت بنظرة ناقدة المخطوط و حرصت حتى النهاية على أن يرى هذا العمل النور.

ولولا مساعدة « المعهد عبر الإقليمي للدراسات المعاصرة حول الشرق الأوسط و شمال إفريقيا و آسيا الوسطى » بجامعة برينستون، نيوجرزي، بالولايات المتحدة الأمريكية، الذي وضع تحت تصرفي جميع الوسائل، لما كان من الممكن إتمام هذا الكتاب. لا يسعني إلا أن أرفع أسمى آيات الشكر و التقدير لمديرها السيد حمودي عبد الله.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني

أقدم كذلك بشكري لدليلة إعمارن جربال و فطومة آويمر شيخي
و نور الدين عمارة و نجيب سيدي موسى لقراءتهم و تقديمهم التعديلات الأخيرة
للمنسخة النهائية .

الملاحق

الملحق 1

بيان 27 فيفري 1957⁵²⁵

سعت أجهزة الإعلام الاستعماري، الصحافة و الراديو، الصامته أمام جرائم العساكر الفرنسيين، سعت إلى طمس فشل سياسة الغزو الاستعماري المسمى بـ « التهدئة ». و أمام عجزها عن تحقيق النجاح عسكريا و انتقاد الرأي العام و الرأي العالمي لها و إخطار الأمم المتحدة لها بأن تتفاوض مع الشعب الجزائري، لجأت الحكومة الفرنسية إلى التحايل و العمليات المشهدة. كان اختطاف « الخمسة » يهدف إلى جعل الشعب الجزائري يركع. هذه هي الوقائع. لم يكن الكفاح بطوليا يوما أكثر مما هو عليه الآن. و يشهد على هذا، النجاح الباهر للإضراب الوطني الذي دام 8 أيام. إن كفاحنا لا يُقهر لأنه كفاح الشعب بأكمله. تضمّ جبهة التحرير الوطني في صفوفها ملايين المناضلين الباسلين و المتيقنين المصممين على انتزاع الاستقلال الوطني، و منظمته مصممة على الكفاح على الدوام. تدعو اللجنة الفيدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا المهاجرين الجزائريين إلى مضاعفة روحهم القتالية و التيقظ لمناورات الدعاية الاستعمارية و إلى رصّ الصفوف حول جبهة التحرير الوطني. إن جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني، تحت قيادة لجنة التنسيق و التنفيذ، سيكونان دائما جديرين بالثقة التي أولاها لهم الشعب الجزائري.

اجتماع 27 فيفري 1957 بباريس.

(525) كتبه حربي محمد و أمضاه باسم « اللجنة الفيدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا ».

المحلق 2

مقتطف من تقرير لجنة الصحافة و الإعلام للجنة الفيدرالية عن العمل المسلح
بالتراب الفرنسي

« [...] المساهمة المباشرة للمهاجرين في تحرير الوطن : نظن أن الحصيلة السياسية لفيدرالية فرنسا متأخرة جدا، بالرغم من تقدم ملحوظ، بخصوص حاجيات الكفاح و تجارب الثورة.

1- الاحتياجات البشرية : يوجد بفرنسا عدد من المهارات التقنية، عسكريون سابقون و عمال متخصصون يمكنهم أن يشكلوا دعما قيّما لجيش التحرير الوطني . و هم مستخدمون مُكوّنون يمكن استخدامهم فورا .

2- المساعدة المادية : إن المساعدة المالية المتزايدة لا تزال بعيدة كل البعد عن بلوغ حدودها القصوى .

3- العمل في حد ذاته : يجب مراجعة الكفاح السياسي مراجعة جديدة . فعدا الإضرابات الوطنية الكبيرة التي عرفت نجاحا كبيرا، لم يُمكن إيجاد شكل فريد خاص بالجالية المهاجرة .

يثبت نجاح الإضرابات أنه يمكننا التصرّف . ما هي الأهداف ؟ يبدو أنه يجب التوجه نحو المسائل التي تؤثر في الرأي العام الفرنسي و الدولي لمحاولة دفع

الأول، على وجه الخصوص، للتحرك ضد القمع والتعذيب وإعدام المحكوم عليهم بالإعدام.

4- العمل المباشر بفرنسا : إن العمل المباشر بفرنسا سيكون دون شك خطوة ضرورية في حرب التحرير. من الصعب علينا أن نقدّر خيار اللحظة من حيث مداه والأشكال التي يجب أن يتخذها. فبالفعل، عليه أن يكون في إطار الاستراتيجية العامة للثورة، أي أن يكون مرتبطا بمنظورنا السياسي والعسكري، وبالإمكانات الحقيقية للجالية المهاجرة، وبالخيارات المفروضة على هذه الأخيرة، وبالإمكانات الموضوعية للعدو. يبدو أنه إذا خططنا لكفاح طويل المدى، أي إذا فكرنا أن التوازن بين القوى الثورية وقوى العدو لم يتم بلوغه بعد، إذا لم يصبح الخيار بين السبيلين (الحرب طويلة الأمد أو الاعتراف بالاستقلال) شرطا من شروط الكفاح بالنسبة لفرنسا، فلا يمكن للعمل أن يكون إلا مجرد مساعدة نفسية أكثر منها مساعدة مادية. يجب إذن إرجاؤها. لكن، إذا فكرنا، بالعكس، أن نقطة القطيعة قريبة بما فيه الكفاية، أي إذا كانت موازين القوى السياسية - العسكرية ستقلب قريباً في صالحنا، فالعمل المسلح يصبح إذا ضرورة ملحة لتسريع هذا التطور. بالإضافة إلى ذلك، فهي تطرح مسألة الأهداف وخيار مجال العمليات وأولوية استهداف الأهداف الاقتصادية والعسكرية وجهاز القمع. يبدو أن الاعتداء على شخصيات سياسية كمنهج عام سيكون سلبيا بسبب أهميته السياسية على الرأي العام الفرنسي والرأي العام الدولي. ولقد بدا هذا الأسلوب صالحا بالنسبة لبعض الفئات : الخونة الجزائريون والقادة الاستعماريون بالجزائر وجميع من شارك في القمع بمثابرتهم مسؤولين مباشرين. يبدو من أول وهلة أن مشكل العمل المباشر يطرح مشكل التوجه الذي أعطته الثورة للجالية المهاجرة الجزائرية. في الواقع، نحن نعتقد أن الأمر لا يتعلق بالخيار بين طريقتين مختلفتين، وإنما يتعلق بمراحل متعاقبة للكفاح. و لو لم يكن النضال السياسي بفرنسا يتأرجح بين الانتهازية المفاوضة و الشوفينية الطائفية، لَكُنَّا هَيَّأْنَا

الجالية سياسيا وربما شعب فرنسا، جزئيا، إلى المرحلة التالية و التي هي مرحلة الكفاح المسلح. و لكن، نظرا لنقص التحضيرات الكافية، يبدو الانتقال إلى هذه المرحلة الآن، بالنسبة للعديد من المناضلين، أمرا صعب التحضير صعوبة كبيرة و خيار طريق مختلف جدا عن الطريق الذي سلوكه حتى الآن.

يجب إذن المُضي بالعمل السياسي الذي بدأنا به إلى أبعد حدود. يجب، وبسرعة، التعجيل في العمل لاستدراك التأخير الكبير المتراكم بالنظر إلى متطلبات الوضع.

لا يمكن للعمل المباشر بفرنسا إلا أن يكون قوة إضافية، سيُشَلُّ القادة الفرنسيين نظرا للتعقيدات التي قد يخلقها لهم، لكن سيكون عليه أن يُتَصَوَّر كأداة سياسية في مداها أكثر منه قوة مادية. و هذا ما يظهر ذا أهمية استراتيجية. يجب أن يُنظر إلى العمل المسلح، في بعده التكتيكي، على أنه كفاح قصير المدى، كفاح أقلية موزعة في البلد العدو لا تملك احتياطات مادية كبيرة. يجب عليها إذن أن تتخذ شكلا معينا، قوة اصطدام ذات أقصى حد من حيث الشدة و سرعة التنفيذ و التزامن. ستكون تبعاتها على الجالية صعبة من دون شك. و لهذا، ليس من حقنا أن نطلب بتضحيات جسيمة من أجل نتائج سياسية – عسكرية مشكوك في فعاليتها. «

فيفري 1957.

الملحق 3

قائمة المقاومين الذين اتبعوا تكويننا عسكريا بالمغرب⁵²⁶

تيزي وزو بجاية	عدور اسماعيل عيشون محند
تيزي وزو تيزي وزو	عيساوي محمد آيت حسان عبد العزيز
بجاية تيزي وزو	علواش محمد عمور ^{1؟} عمرأوي ^{2؟}
سطيف بويرة	عوف محمد عون مزيان
تيزي وزو بجاية	عرار علي عزوف سعيد
عنابة بجاية	بگوش عبد القادر بشير محمد
تيزي وزو تيزي وزو	بلعيد محند بن عبيد رمضان

(526) قائمة وضعها آيت مختار من خلال شهادات المعنيين.

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

بن عيسى عبد القادر بن بورنان بوجمعة	تيزي وزو بجاية
بن سعيد عبد القادر بن يحي محمد « حسين »	سيدي بلعباس بجاية
بن زروق مبروك ³ بوعكاز محمد	سطيف سطيف
بوسعيد محمد شربال صالح	تيزي وزو تيزي وزو
شروق عبد الحفيظ غاوة سعيد	سطيف سطيف
غمار محمد فرقاش أرزقي	تيزي وزو تيزي وزو
حمدان عمر هلال محمد	تيزي وزو تيزي وزو
حسين « مستاش » لحوار محمد ⁴	تيزي وزو تيزي وزو
مروكي محمد مشتاوي أكلي	بوية تيزي وزو
مقران رابية أولمي حميد	بجاية قسنطينة
أولمي حسين أوراغي مولود	قسنطينة تيزي وزو
سعداوي محند أورمضان سبايحي عمار ⁵	تيزي وزو تيزي وزو

الملاحق

تلمسان غرداية	سراجي بلقاسم تازيمنت عمور « عبدو »
عنابة الجزائر العاصمة	ثامي عبد العزيز زواش رشيد

متخصصون في المتفجرات و مدربون بالمغرب

الدار البيضاء	شايب عبد السلام « مروكي »
الجزائر العاصمة	أوزناني محمد
الدار البيضاء	سكالي بلحاج
س ⁷	تلمساني رشيد ⁶

(حواشي)

1. من المحتمل أنه عمور عمار الذي حُوكم بمحاكمة المنظمة الخاصة.
2. ذكره شروق عبد الحفيظ.
3. ذكره العديد من الشهود.
4. من المحتمل أنه لعواني محند الذي حُوكم بمحاكمة المنظمة الخاصة.
5. أضفناه إلى قائمة آيت مختار.
6. أُعيد إرساله إلى المغرب لعدم الانضباط من قبل سداوي عمر.
7. مات عن طريق الخطأ (؟) عشية المغادرة لفرنسا.

الملحق 4

أعضاء المنظمة الخاصة الذين شاركوا في هجوم أوت 1958⁵²⁷

باريس الضفة اليمينية

- سعداوي محند أورمضان « صابر » (المسؤول عن الفرق).
- عبد الرحمن (من أصل مغربي عمل كسائق).
- عدّور سماعيل « مولاي دريس ».
- أكسور محمد.
- أكسوس أرزقي (اعتقل في بداية 1959).
- علواش العيد « صايقي ».
- علواش محمد « خروتشاف ».
- عمار « لو شينوا ».
- عمرون رابح.
- عوف محمد.
- عوف محمد (اعتقل في 1958).
- عون مزيان.
- أززارة محمد (اعتقل بمترو سلفرينو في 1960. حُكِمَ عليه بالإعدام).
- بشيري محمد.
- بلعيد رمضان.

(527) قائمة وضعها آيت مختار نصر الدين و نقحناها عن طريق تقسيم الخريطة.

الملاحق

- بلّحسن بلعيد « جيمي » .
بلعیدی محمد سعید .
بلقاسمي بلقاسم « حساني » (مات في ساحة المعركة بالدائرة الرابعة عشر
سنة 1958) .
بن يحيي مُحمد « تكساس » .
بن يحيي طاهر « علي » بوعكاز محمد « ميشيل » .
بورنان فرحات .
بوسعيد « جابوني » .
شاب براهيم « علي » .
شعبان الوالي (مات في ساحة المعركة بالدائرة الرابعة عشر سنة 1959) .
شحاب مسعود .
شايب عبد السلام « مروكي » (متخصص في المتفجرات لمنطقة باريس ،
توفي تحت التعذيب) .
شيخ عمار « عمار سطايفي » .
شروق عبد الحفيظ .
داود أكمور (اعتُقل في جويلية 1961) .
دريس العربي .
غاوة سعيد « سعيد شاوي » .
غمار محمد أرزقي .
قرقاش أرزقي .
غريب فرحات .
حمداني محمود .
حميدي أحمد (مات في المعركة بالدائرة الرابعة عشرة في 1959) .
إدريس الطيب .
إزري مولود .
مدادي سليمان .
مرادي عبد العزيز .
مسعود مسوم .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

- مزرارة محمد « حمادة » .
- موفق رابح « لو كومونست » .
- ملود زيوش .
- أوراغي مولود .
- رشيدي محمد « بوجمعة » .
- سعداوي مزيان .
- سداوي عمر « بوعلام » .
- سراج بلقاسم « عمر لو بُو » .
- بدون لقب دراجي « نجاي » .
- طُبّاش عبد القادر .
- باريس الضفة اليسارية
- حميدي العربي (المسؤول عن الفرق) .
- عاشور .
- علّواش علاوي (أصيب عند وضعه لقنبلة خلال الهجوم على مصنع الخرطوشات) .
- عميشي عمار (توفي في المعركة سنة 1958 خلال هجوم على سيارة شرطة) .
- أعراب عمر .
- عراي بشير .
- بّراي بودرارن .
- شعبان رابح .
- ديافي محمد (نائب المسؤول عن الفرق) .
- فليسي محمد .
- خليفي علي .
- مالك مرغوشي .
- مازاري علي « مون غايار » .
- مفتاح .
- مّسرلي أوحيسن محمد (توفي سنة 1958 خلال هجوم على سيارة شرطة) .
- تلمساني عبد القادر .

زروقي .

مدينة مرسليليا

من جويلية - أوت حتى نهاية 1958 :

مزيان شريف عبد الرحمن « علاوة »⁵²⁸ .

عاشور ؟

عكاش علي .

عمار رابح .

أعراب ؟

بلحواس جعفر .

بزاس بوعلام .

بوحراوة ؟

دادو حميد .

دكاري ربيعة « جميلة » .

حداد محمد .

« حليلة »⁵²⁹ .

حيدوكي لحسن .

إدجيري يمينه أنطوانيت .

ولد شيخ سعيد .

أوزناني محمد⁵³⁰ .

مختار صغير نادية .

تواتي الطيب .

يوسف مريم .

الفصل الأول من 1959 :

سداوي عمر « بوعلام »⁵³¹ .

(528) قائد مجموعة .

(529) عنصر مذكور في الشهادات . لن نتمكن من التعرف على هويتها .

(530) متخصص في المتفجرات .

(531) مسؤول جديد عن الجنوب .

- أوزناني محمد⁵³² .
عكاش علي .
بغدوش « خوجة خليفة » .
بلحواس جعفر⁵³³ .
بن سادي ليديا « سوزان » .
برصاص بوعلام .
دادو حميد .
دكاري جميلة .
فرنان محمد (الاستعلامات) .
حدّات محمد .
« حليلة »⁵³⁴ .
لواج مصطفى .
يوسف مريم .
يوسف زينب .
زبيلة علي .

(532) قائد مجموعة بمرسيلية .

(533) نائب أوزناني .

(534) ذُكرت في بعض الشهادات .

الملاحق

NATIONALE

-:-:-

Algérie, le 20 Août 1956

Aux responsables de la Fédération du P.L.N. de France:

Les principaux responsables de l'Oranie, Algérois et Constantinois réunis quelque part en Algérie, après avoir pris connaissance de votre rapport général non daté, vous renouvellent leur confiance et vous assurent ~~de~~ ~~plus~~ ~~encore~~ d'un appui total dans votre travail de clarification, de consolidation du P.L.N. en France et de liquidation des Berbéristes, Messalistes et autres contre-révolutionnaires qui continuent leur travail de sape et de division au sein de l'émigration algérienne.

Nous tenons à vous informer qu'une entente parfaite régit au sein des dirigeants de la Révolution. Cette entente sera, nous en sommes convaincus, plus forte que jamais maintenant que l'uniformisation et la centralisation sont complètement réalisées.

Les problèmes de doctrine et d'autorité ont été étudiés et résolus. Les solutions seront rendues publiques dès que nous aurons obtenu l'approbation des frères intéressés qui sont à l'extérieur.

Des instructions seront données aux responsables des villages et des douars qui adressent des lettres à des éléments du P.L.N. en France afin que cet état de choses cesse. Nous vous communiquerons les adresses des collecteurs de fonds en France que vous contacterez avec le mot d'ordre suivant: "Je viens d'Alger". A l'avenir l'argent vous sera ainsi directement versé et nous espérons qu'il n'y aura plus de malentendus.

Nous recevons continuellement des plaintes émanant d'Algériens terrorisés par les bandes armées à la solde du M.R.A. Nous voudrions arriver à détruire ces bandes par n'importe quel moyen. Vous nous avez parlé d'une organisation spéciale; Est-elle en mesure de s'attaquer et de détruire ces bandes? Sinon, nous sommes en mesure de vous envoyer des hommes qui ont fait leurs preuves dans ce genre de travail et nous pourrions vous garantir qu'ils liquideront très vite le M.R.A. ses ses et autres.

Dans l'espoir qu'à l'avenir nos rapports seront plus étroits et plus fructueux, recevez cher ~~frère~~ nos salutations patriotiques.



Signé: Benzehlil

Krim

Abbene

Quarane

Zirout

Bentobal

Si Chérif

كرونولوجيا

1946

أكتوبر : حسين أصلح يرسي فيدرالية فرنسا الأولى لحركة انتصار الحريات الديمقراطية .

1948

نوفمبر : رشيد علي يحيي يُعيّن على رأس فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية .

1949

أفريل : « أزمة أصحاب النزعة البربرية » تهزّ فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية . تعيين بلقاسم رجّاف برفقة سعيد صدّوق وشوقي مصطفىاوي لقيادة المنظمة .

موافقة لجنة فيدرالية، مكوّنة من 200 مفوض لتمثيل 70 فرع من فروع باريس والمقاطعات، على تقرير قدّمه مصطفىاوي شوقي .

ترأس فيدرالية فرنسا من قبل وفد دائم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ؛ يتكون هذا الأخير من : بولكرووا موسى (عضو بنجم الشمال الإفريقي) و عيساوي (طالب في الطب) و بن مهل و جمال بن ديمرد (طالب في الصيدلة) و محمد بلبقرة (الشريعة الإسلامية) و محمد يزيد، و هم جميعهم أعضاء اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية .

توقيف جريدة **النجم الجزائري** و عزل رابح سرباح و رشيد علي يحيي و محند أعراب بن يونس و بوزيد محداد و أحمد عبد المالك .

1951

مارس - أفريل : موسى بولكورووا يتراأس فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا . محمد بوضياف يخلف بومعزة بشير بلجنة المنظمة .

1952

أواخر 1952، التحاق الطيب بولحروف (عضو اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية) ببولكورووا موسى و محمد يزيد و مومجي زين العابدين و محمد بن مهل إلى الوفد الدائم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا .

1953

جانفي : ترؤس يزيد محمد للوفد الدائم لحركة انتصار الحريات الديمقراطية برفقة بولكورووا موسى (المسؤول عن الفيدرالية) و محمد بن مهل .
اعتقال الطيب بولحروف مع مزنة أحمد .

ذهاب محمد بوضياف و ديدوش مراد إلى فرنسا حيث لقيا معارضة شديدة من قبل مؤيدي مصالي .

20 أفريل : المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية . إزاحة مؤيدي مصالي من القيادة .

27 ديسمبر : أزمة مفتوحة بين مصاليين و مركزيين في وسط حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

عقد مؤتمر سنوي لإطارات فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية .
انتصار مؤيدي مصالي . فيلالي عبد الله يرأس لجنة الخلاص العام .

1954

27 فيفري : طرد مزنة أحمد (الرئيس) و مرباح مولاي (نائب الرئيس) من اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية .

مارس : اعتقال يزيد محمد و مزنة أحمد ثم إطلاق سراحهما .

23 مارس : إرساء اللجنة الثورية للوحدة و العمل .

28 مارس : اقتراح اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية لنزع الثقة من مصالي الحاج .

14 - 17 جويلية : مؤتمر هورنو. إبعاد ثمانية مسؤولين باللجنة المركزية من الحزب. انشقاق حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

مقابلة بوضياف مع بن بلة بسويسرا.

20 جويلية : حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

13 - 16 أوت : مؤتمر بلكور. الانقسام النهائي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية.

أكتوبر : سفر حسين بلحول ويزيد محمد إلى القاهرة للقاء خيضر محمد وحسين آيت أحمد وبن بلة أحمد.

محاولة محمد بوضياف، من جهته، كسب إدارات اللجنة الدائمة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بفرنسا إلى صف جبهة التحرير الوطني، وهم : طربوش، غراس، عمرون خنشول، العدلاني، دوم.

أول نوفمبر : اندلاع الكفاح المسلح على يد جبهة التحرير الوطني.

5 نوفمبر : حل حركة انتصار الحريات الديمقراطية وشن حملة اعتقالات لمسؤولي و مناضلي المنظمة.

22 ديسمبر : اعتقال قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

مصالي يؤسس الحركة الوطنية الجزائرية.

1955

بداية 1955 : تشكيل مراد طربوش، المعين من قبل بوضياف، للنواة الأولى لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني و اتصاله بالعربي ماضي محمد و بومنجل أحمد و شوقي مصطفى و حربي محمد. محاولة أحمد مهساس، من جهته، ضم المصاليين لتشكيل جبهة و إعادة تنظيم الحزب بفرنسا.

اغتيال « صايفي »، إطار بجبهة التحرير الوطني بالمنطقة الباريسية.

بداية المجابهات بين الحركة الوطنية الجزائرية و جبهة التحرير الوطني.

10 فيفري : إجراء محادثات في القاهرة بين خيضر و آيت أحمد و بن بلة و بوضياف و مزرنة لإيجاد حل للأزمة التي كانت تقسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

الفصل الأول : تشكيل أول لجنة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني من قبل محمد بوضياف . ضمت هذه اللجنة كل من : طربوش ، دوم ، غراس ، ماضي ، زروقي ، بن سالم ، مهساس ، مشاطي .

4-7 أفريل : مؤتمر تمهيدي لتأسيس اتحاد عام للطلبة الجزائريين .

13 ماي : حرية مؤقتة لقادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين اعتُقلوا في ديسمبر 1954 . هاجر العديد منهم إلى فرنسا .

ربيع : تعيين عبان رمضان لصالح لوانشي كمسؤول جديد لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني .

جوان : اعتقال بوضياف و مهساس و طربوش و سعدي ياسف بسويسرا .

إلقاء القبض على طربوش و زروقي و ماضي من اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بفرنسا . إعادة تشكيل غراس عبد الرحمن للجنة الفيدرالية و لم يضم بها مهساس .

14 جويلية : مؤتمر تأسيسي للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . تعيين طالب أحمد رئيسا لها .

جويلية : اعتقال مزنة أحمد و شاذلي بن مكّي بالقاهرة بطلب من جبهة التحرير الوطني . اختفاء العربي أولبصير .

20 أوت : هجوم عام شنته قيادة الولاية الثانية بالشمال القسنطيني و هبة الشعب للدفاع عن الأرض .

صيف - خريف : قدوم الطيب بولحروف و مومجي زين العابدين و سويسبي عبد الكريم لتعزيز اللجنة الفيدرالية .

13 سبتمبر : حل الحزب الشيوعي الجزائري .

سبتمبر - أكتوبر : بعد أحداث الشمال القسنطيني و موجة القمع التي تلتها، عودة إطارات حركة انتصار الحريات الديمقراطية من جديد إلى فرنسا من أجل تعزيز هياكل فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني .

أول نوفمبر : تكليف عبان رمضان لتمام عبد المالك بإعداد تقرير عن فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . التقاء هذا الأخير بجميع أعضاء اللجنة الفيدرالية بباريس .

ديسمبر : استقالة منتخبى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري . طلب لبجاوي، المكلف بمهمة من قبل عبان رمضان، من طالب أحمد بالاستعداد للالتحاق باللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني . تنحية بولحروف و مونجي .

1956

27 **جانفي** : اجتماع المثقفين الفرنسيين بباريس لمناهضة حرب الجزائر .
12 **فيفري** : انضمام جمعية العلماء إلى جبهة التحرير الوطني .
16 **فيفري** : نشأة الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين (المصالي) .
24 **فيفري** : تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين (جبهة التحرير الوطني) .

30 **مارس** : المؤتمر الثاني للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . انتخاب مولود بلحوان رئيسا للاتحاد .

إدماج طالب أحمد إلى اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني بقرار من عبان .

مارس - أفريل : تشكيل أول فروع جامعية تابعة لجبهة التحرير الوطني بباريس و منوبولي .

بغارة و غورشي يلتقيان ب خيضر محمد بالقاهرة .

21 **أفريل** : التحاق عباس فرحات بجبهة التحرير الوطني بالقاهرة .

22 **أفريل** : حلّ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري .

18 **ماي** : اجتماع فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة الذي دعا إلى إضراب عام مفتوح عن الدروس . دعوة الطلبة إلى الالتحاق بالمقاومة في الجبال .

21 **جويلية** : استئناف الاتصالات بين ممثلي غي موليه (بيير كومين و بيير هربو) و خيضر محمد بالقاهرة .

25 **جويلية** : اتصالات جديدة في بلغراد .

20 **أوت** : المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني المسمى بمؤتمر الصومام .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

استمرار الاتصالات السرية في روما .

28 أوت : اعتقال مشاطي و بن سالم و غراس و سويسبي (الذي أُطلق سراحه) .

صيف - خريف : تشكيل دوم أحمد و سويسبي عبد الكريم للنوى الأولى للمنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني .

2 - 3 سبتمبر : الاتصالات السرية الأخيرة في روما بين كومين و كازيل و هربو، من الجانب الفرنسي، و خيضر و يزيد و كيوان من جانب جبهة التحرير الوطني .

22 أكتوبر : تفتيش الطائرة التي كانت تُقلّ قادة جبهة التحرير الوطني .
بعد اعتقال دوم تم توسيع اللجنة الفيدرالية لتضم بومنجل أحمد و العدلاني قدور و بوعزيز رابح .
اجتماع غير رسمي لمجموعة مثقفين لمناقشة استراتيجية حركة التحرير بالتراب الفرنسي .

7 نوفمبر : اعتقال دوم أحمد .

ديسمبر : اجتماع قادة منطقة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بمنزل ياتا علي بإيفري حيث تم اتخاذ قرار إرساء لجنة تنظيمية مُركزة في اللجنة الفيدرالية .

عقد اجتماع ثان بليون حيث اقترح على العدلاني منصب مسؤول فيدرالي على رأس الهيئة التنظيمية . إدماج حربي محمد إلى لجنة الإعلام المرؤوسة من قبل بولحروف .

تعيين عبان لمحمد لبجاوي على رأس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني .
المسؤول الجديد عن اللجنة الفيدرالية يجتمع بأعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين .

تشكيل حربي محمد و ساحلي محمد شريف و مالك رضا للأمانة العامة للجنة الفيدرالية .

1957

28 جانفي : إضراب الثمانية أيام .

26 - 27 - 28 **فيفري** : اعتقال لبجاوي و طالب أحمد و مبارك سيد علي .
مست موجة الاعتقال عددا كبيرا من إطارات الحركة الطلابية .

صدور نص لجنة الإعلام المعارض لتوجه لجنة التنسيق و التنفيذ فيما يخص
فتح جبهة ثانية بالأراضي الفرنسية .

أول مارس : اعتقال صالح لوانشي .

فيفري - مارس : تشكيل اللجنة الفيدرالية الجديدة من العدلاني قدور
و بومنجل أحمد و سويسي عبد الكريم و مومجي زين العابدين و الطيب
بولحروف المكلفين بتولي القيادة بالوكالة .

اتصال اللجنة الفيدرالية بفارس عبد الرحمن ليتابع مشاكل
المعلومات العامة .

ربيع : بوعزيز رايح يحل محل سويسي عبد الكريم على رأس المنظمة الخاصة
لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني . يساعد في ذلك آيت مختار نصر الدين .

26 **ماي** : اغتيال شكال علي النائب العام السابق لمجلس النواب الجزائري .

جوان - جويلية : استلام بوداود عمر لقيادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير
الوطني . دخول حربي محمد (الإعلام و الاتصال) إلى اللجنة الفيدرالية و التقاؤه
العدلاني قدور (الهيئة التنظيمية) و مومجي زين العابدين (المالية) و قدروج
مسعود (اللوجستية) و بوعزيز رايح (المنظمة الخاصة) .

20 **أوت** : الاجتماع الأول للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة . تعديل
لجنة التنسيق و التنفيذ .

20 **سبتمبر** : إعدام سمّاش أحمد المسؤول عن الاتحاد النقابي للعمال
الجزائريين المناصر لمصالي .

23 **سبتمبر** : إعدام فيلاي عبد الله ملازم مصالي الحاج .

24 **سبتمبر** : إعدام سعيد ملولي مسؤول بالاتحاد النقابي للعمال الجزائريين
بشركة رونو .

7 **أكتوبر** : إعدام حسين مروت ملازم مصالي الحاج .

26 **أكتوبر** : إعدام أحمد بركات ، الأمين العام للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

29 نوفمبر : محاولة اغتيال فاشلة ضد شخص بر كروك عبد القادر .

ديسمبر : اغتيال عبان رمضان .

1958

28 جانفي : حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين من قبل مجلس وزراء غيار فيليكس .

جانفي - فيفري : اجتماع اللجنة الفيدرالية من أجل إرساء الفرع الطلابي لجبهة التحرير الوطني رسميا . تعيين سعيد حاج ادريس المسؤول الأول و تعيين حمداني لحبيب و سواليي الهاشمي و مقران محمد مساعدين له .

14 مارس : تعيين بابون موريس محافظ شرطة باريس .

أفريل : استقرار قيادة فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بألمانيا .

4 جوان : تقديم اللجنة المسيرة للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لاستقلالها الجماعية .

23 - 25 جويلية : اجتماع اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بكونولونيا بجميع قادة الولاية . تناول جدول الأعمال فتح جبهة ثانية بالتراب الفرنسي .

أوت : اجتماع اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني واللجنة التنفيذية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين واللجنة المسيرة للفرع الطلابي لجبهة التحرير الوطني بكونولونيا . الحفاظ على رمز إ.ع.ط.م.ج لكن وضع الفرع تحت وصاية جبهة التحرير الوطني .

25 أوت : شن كومنندوس المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني للهجوم العام ضد أهداف استراتيجية بالأراضي الفرنسية .

28 أوت : اعتقالات جماعية لجزائريين بباريس و ضواحيها .

خريف : هجومات على بنايات عسكرية و معامل تكرير للبترو و مراكز الاتصالات السلكية و اللاسلكية و مطارات و سكك حديدية و محطات كهربائية .

أول سبتمبر : حظر التجوال على الشمال إفريقيين انطلاقا من الساعة 21.30 إلى غاية الساعة 5.30 بالمنطقة الباريسية .

كرونولوجيا

- 15 سبتمبر : محاولة اغتيال سوستيل جاك وزير الإعلام .
- 17 سبتمبر : طلب تعزيزات 15.000 جندي احتياطي من قوات الدرك .
- تشكيل محافظة باريس لفرق خاصة لمكافحة الإرهاب .
- 19 سبتمبر : تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .
- منح وزير الداخلية الفرنسي سلطات خاصة .
- 24 سبتمبر : اكتشاف قبلة موجهة لتفجير وسيط الإشارة ببرج إيفيل و إبطال مفعولها .
- 27 سبتمبر : اعتقال أعضاء المنظمة الخاصة بمرسيليا و منطقتها .
- 28 سبتمبر : إصدار قوانين مكافحة للإرهاب .
- خريف - شتاء : استمرار الهجوم على قوات الشرطة و قوات الأمن .
- حملة اعتقالات بأوساط الجالية المهاجرة . احتجاز 15.000 جزائري بمعسكرات اعتقال في انتظار محاكمتهم .
- 1959
- أفريل : جزارة مجموعة محامي جبهة التحرير الوطني .
- ماي : اغتيال المحامي ولد عودية أمقران من مجموعة محامي جبهة التحرير الوطني .
- ربيع : اجتماع اللجنة الفيدرالية الذي ضمّ قادة الولايات . تقديم حاصل هجوم أوت 1958 ، تشكيل « مجموعات التدخل » المسماة كذلك بـ « الفرق الدائرة » .
- إعادة تنظيم المنظمة الخاصة .
- 10 جوان : لقاء الجنرال دي غول بممثلي الولاية الرابعة .
- 28 أوت : اغتيال العضو بمجلس الشيوخ بن حبيلس .
- 9 نوفمبر : تشكيل وحدات الفرق المساعدة (« الحركة ») تحت قيادة ضباط الأقسام الإدارية الخاصة و الأقسام الإدارية الحضرية .
- 25 نوفمبر : تشكيل قوات الشرطة المساعدة لمكافحة جبهة التحرير الوطني بفرنسا .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

خريف : اجتماع بوداود عمر بجونسون فرانسيس و جاك فيني و دافزي روبير و هورست جون لويس بنوفشاتيل .

26 ديسمبر : وصول أول فرقة مجندة لقوات الشرطة المساعدة إلى باريس .

1960

جانفي : تأسيس التجمع من أجل الجزائر الفرنسية .

27 جانفي : حملة اعتقالات في أوساط « حاملي الحقائق » لجبهة التحرير الوطني . تفكيك شبكة جونسون في أغلبيتها .

15 أفريل : مؤتمر صحفي لجونسون فرانسيس .

الفصل الأول : تعديلات بصفوف أركان الجيش الفرنسي .

ماي : مغادرة آيت مختار، المسؤول عن عمليات المنظمة الخاصة، للتراب الفرنسي . تعيين بن يحي طاهر مكانه .

جوان : تأسيس جبهة الجزائر الفرنسية .

21 جوان : الأمر التوجيهي الأول للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني للاستعداد لوقف جميع الأعمال المسلحة ضد أي فرنسي أو جزائري داخل أو خارج المنظمة .

23 جوان : تحفظ اللجنة الفيدرالية لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني فيما يتعلق بالأمر التوجيهي رقم واحد للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

25 - 29 جوان : المفاوضات الأولى بملون بين ممثلي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و الحكومة الفرنسية .

20 جويلية : نشأة الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار .

29 جويلية : المؤتمر الأول لـ « المقاومة الشابة » .

صيف - خريف : تفكيك شبكة كوريل .

الاجتماع المسمى بـ « اجتماع العقدة العشرة » لجيش التحرير الوطني .

سبتمبر - أكتوبر : بن سعيد عبد القادر يحل محل بن يحي طاهر على رأس المنظمة الخاصة بفرنسا .

- 18 ديسمبر : اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية .
1961
- 8 جانفي : استفتاء حول حق الجزائر في تقرير المصير .
27 جانفي : اعتقال قيادة « المقاومة الشابة » .
29 جانفي : اعتقال دافزي روبير .
20 فيفري : التقاء الطيب بولحروف و بومنجل أحمد بجورج بومبيدو
و دو لوس برونو بلوسارن .
24 فيفري : هروب ست نساء من سجن لا بوتيت روكيت .
مارس : إنشاء حزب الجزائر الفرنسية و منظمة الجيش السري .
30 مارس : إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و الحكومة الفرنسية
سويا فتح مفاوضات إيفيان بتاريخ 7 أفريل .
22 أفريل : محاولة انقلاب الجنرالات الفرنسيين
أفريل : نشأة الجبهة الطلابية المناهضة للفاشية .
20 ماي : فتح المفاوضات الأولى الجزائرية – الفرنسية بإيفيان .
ماي – جوان : عمليات واسعة النطاق لكومندوس المنظمة الخاصة
و المجموعات المسلحة ضد قوات الأمن بالدائرة الثالثة عشرة و الدائرة الثامنة
عشرة بباريس .
خلافه عزاوز برايك لبن سعيد عبد القادر كمسؤول على المنظمة الخاصة
بفرنسا .
9 جوان : اعتقالات و تفتيشات في الأوساط اليسارية .
21 جوان : افتتاح جلسة محاكمة ميشال رابيتس بأمستردام .
26 جوان : اعتقال بونو روبير بمرسيليا .
20 جويلية : استئناف المفاوضات الجزائرية – الفرنسية بلوغرين .
سبتمبر : اتخاذ محافظة شرطة باريس قرار غلق جميع المقاهي – المطاعم
الجزائرية بعد الساعة 19 و منع التجمعات التي تزيد عن شخصين .

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

23-25 سبتمبر : اجتماع أعضاء شبكات دعم جبهة التحرير الوطني ببلجيكا .
تشكيل جبهة التضامن مع الثورة الجزائرية .

24 سبتمبر : افتتاح جلسة محاكمة هسبل و بلومنتال و أرهانت .

26 أكتوبر : إضراب عن الطعام لمدة 21 يوما بالسجون الفرنسية .

خريف : اغتلالات و تفجيرات مقترفة من قبل الشرطة الموازية و منظمة الجيش
السري ضد الجالية الجزائرية و الأطارات السياسية لجبهة التحرير الوطني .

1962

13 مارس : إمضاء اتفاقيات إيفيان .

فهرس الأسماء

- أ
- أرغود (رئيس أركان فيلق الجيش) 337
 آرنو جورج 152
 آريان 154
 أنصار مولود 41
 آن لودوك 156، 155، 152
 آيت أحمد حسين 21، 23، 33، 443
 آيت أويحي 420
 آيت حسان 431
 آيت شعلال مسعود 57
 آيت علي 232
 آيت مختار 80، 81، 82، 83، 85، 87، 88، 90، 91، 97، 112، 113، 114، 119، 124، 141، 142، 152، 162، 170، 175، 178، 193، 194، 201، 206، 207، 208، 209، 230، 232، 234، 239، 242، 244، 253، 257، 283، 292، 293، 296، 306، 324، 326، 327، 329، 331، 342، 343، 351، 353، 380، 383، 418، 423، 431، 433، 447، 450
 آيت مختار نصر الدين (مجيد) 14، 48، 72، 80، 86، 87، 90، 189، 195، 324، 326، 352، 417، 423، 434، 447
 أبولكر 87، 88، 90، 258، 277، 293، 326
 أحمد بركات 45، 447
- أحمد حاج علي 34
 أحمد حميدي 284
 أحمد فرانسيس 278
 أرزقي (جودوكا) 351
 أرهانت 128، 152، 167، 365، 452
 أرهانت لويس 167
 أزرارة محمد 411، 412، 413، 434
 أغتاي باية 382، 383، 420
 أمنزوفارن 114
 أمنزوفارن أحمد 100، 114
 أندرسون نيلس 156
 أنطوانيت 116، 120، 121، 128، 151، 152، 202، 203، 264، 267، 268، 294، 295، 296، 381، 383، 420، 437
 أوراعي 41، 125، 130، 131، 136، 151، 152، 183، 190، 191، 233، 240، 241، 242، 250، 251، 252، 254، 255، 257، 306، 308، 309، 312، 398، 400، 404، 432، 436
 أوراعي مولود 41، 42، 76، 85، 98، 125، 127، 183، 190، 233، 240، 242، 306، 398، 432، 436
 أوزناني محمد 133، 135، 136، 181، 182، 183، 200، 235، 237، 245، 263، 264، 265، 266، 267، 269، 270، 288، 291، 293، 294

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

باريت 272	296، 381، 392، 414، 433، 437، 438
باسطة مريم 384	أوسمر محمد 413
باغلي جلّول 57	أوصديق 305، 312، 322، 382، 389، 405
بالج ميشيل 142	أوعمران (العقيد) 89
بانيت هيلين 297	أوغوي جوليت (المولودة باسم مارتين) 142
براح 48، 57	أولحاج محند 410
برايك أزواو 343	إتيان بولو 323
برياش محمد 330	إدجيري يمينه أنطوانيت 116، 120، 178،
برتلات جاك 152، 365	179، 202، 203، 294، 381، 382، 420، 437
برجي دنيس 146، 148	إدموند ميشيل 315
برفيلي غي 31، 49	إسعد 101، 102، 104، 107، 134
بركروك عبد القادر 77، 93، 232، 448	إعمارن جريال دليلة 423
بريكي يحيى 395	إعمارن علّال 423
بريمة أحمد 84	إلياس 290، 291
بشير صاري 105	إينج 115، 142، 296، 297، 326، 342
بصطالي أمير 27	الأمة رابح 415
بطروني عبدالعزيز 294	الأيوبي صلاح الدين 215
بطروني علي 86، 120، 246	الصغير مالك أحسين 36
بكّوش 27، 127، 251، 431	الطيب إدريس 83، 100
بكّوش عبد القادر 431	العدلاني قدور 21، 57، 58، 60، 79، 108، 147،
بلحوّاس 84، 98، 119، 236، 237، 263، 265،	228، 344، 345، 347، 348، 357، 446، 447
289، 290، 291، 293، 294، 377، 379، 390،	العربي ماضي محمد 21، 23، 24، 443
410، 437، 438	العربي محمد (دماغ العتروس) 213
بلحواس عبد الغاني 84	العقبي الطيب 186، 214
بلحوّاس مُحمد 293، 294، 377	العيد (جدي الكبير) 208
بلحوسين 34، 84، 86، 91، 245	المدني توفيق 214
بلحوسين علي 84، 86، 245	المقراني 193، 206
بلحوسين مبروك 34	المهداوي حسين 36
بلخوجة 420	
بلعابد براهيم (فليتي) 331	ب
بلعيد 45، 46، 189، 198، 298، 421، 431، 435	بابون موريس 272، 319، 331، 448
بلعيدي رمضان 331	باتاي جوديث 115، 142
بلقاسم كريم 28، 36، 229، 230	باتاي لورانس 156، 310، 326
	بارت روبير 30، 31، 159

فهرس الأسماء

- بلوشراني 145
 بلومنتال سيمون 148
 بلومهورف كوليت 177، 98
 بَنّاي والي 185
 بن بلة 21، 23، 26، 27، 28، 33، 102، 301، 408، 410، 443
 بن بورنان بوجمعة 343، 432
 بن بولعيد مصطفى 20، 208
 بن تشيكو 91
 بن تونس أحمد 91
 بن جديد الشاذلي 13، 415
 بن حبيلس 27، 36، 56، 114، 232، 270، 272، 273، 275، 277، 278، 279، 303، 304، 328، 341، 449
 بن حرّات سيد أحمد 182
 بن خدة 20، 29، 30، 89، 101، 227، 339، 379
 بن دالي 42، 82، 83، 84، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 152، 179، 195، 377، 378، 379
 بن دالي حسين 82، 83، 84، 92، 93، 94، 96، 97، 152، 179، 195، 377، 379
 بن زروقي 126، 251
 بن سادي ليديا 116، 438
 بن سالم فضيل 24، 29، 391
 بن سعادة يمينه 116
 بن سعيد عبد القادر (قادر) 114، 342
 بن سونة 77
 بن سيام بن يوسف 36
 بن صدوق 71، 73، 76، 77، 82، 123، 180، 181، 213، 214، 300، 301، 302، 304، 415، 417، 416
 بن صدوق محمد 71، 82، 123، 180، 213
 بن طوبال 27، 66، 95، 273، 277، 279، 315
- 317، 338، 339، 416
 بن عدودة عمار 47، 56، 80، 81، 117، 418، 419
 بن علي علي 87، 247
 بن عيسى 116
 بن عيسى عيسى 101، 106
 بن عيسى يمينه 116
 بن غزال عمور 36، 395
 بن مغنية فطيمة 384
 بن مهيل توفيق 19
 بن مهدي 61، 62، 70، 89، 101، 394
 بن ميلود 34، 53، 102
 بن ميلود عزيز 34، 46
 بن ناصر 416
 بن هارون عبد المالك 94
 بن يحي بلقاسم 350، 418
 بن يحي طاهر 240، 324، 325، 326، 342، 435، 450
 بن يحي محمد 343، 413، 432
 بن يونس محند آكلي 351
 بوبنيدر صالح 416
 بوبير جون كلود 159
 بوجمعة 266، 343، 432، 436
 بوخيرد جميلة 153، 421
 بوخالفة 387
 بوخروبة أرزقي 36
 بوداود عُمر 53، 57، 58، 107، 109، 116، 117، 126، 132، 147، 184، 225، 228، 229، 273، 278، 324، 341، 355، 356، 357، 363، 378، 379، 385، 386، 387، 447، 450
 بودربالة طاهر 415
 بودية محمد 359
 بودينار 99
 بورجو لويس 75، 88، 125، 232

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

بورمنجل أحمد 35، 56، 91، 345، 443، 446، 447، 451	بورشيز جون جاك 161
بونافوس 420	بورشيز جون-جاك 149
بونعامه سي محمد 315	بورثان زهرة (نورة) 116
بونو 149، 150، 151، 292، 293، 358، 365، 451	بورياحي ابراهيم (بروتون) 331، 413
بونو روبير 149، 150، 151، 292، 293، 358، 451	بوشافة مختار 421، 411
بويحي محمود 91	بوشامة لخضر 315
بيجار 65، 287، 337	بوشايب بلقاسم 402
بيرو جيل 361	بوشوك مراد 106، 112
بيريز سيمون 301	بوشينة علي 85، 245
بيرينو جون لويس 365	بوصالح أحمد 57
بيطاط رابح 27، 416	بوصوف 27، 95، 99، 101، 106، 109، 133، 229، 273، 278، 279، 315، 316، 317، 339، 408، 381، 380
ت	بوضياف 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 31، 32، 33، 69، 102، 106، 413، 417، 444، 443، 442
تازيبنت أعمار 86، 127	بوطالب 91، 325، 326
تريكو برنارد 315	بوعزيز 36، 70، 79، 81، 82، 84، 87، 96، 97، 108، 109، 112، 115، 116، 117، 129، 136، 140، 142، 152، 154، 155، 162، 167، 170، 171، 172، 191، 192، 193، 226، 228، 229، 230، 233، 236، 294، 324، 329، 342، 349، 357، 379، 380، 383، 384، 413
تلمساني رشيد 135	بوعزيز رابح (سعيد) 60، 70، 100، 147، 190، 228، 239، 357، 382، 413، 446، 447
تمام عبد المالك 35	بوعكاز محمد 329، 330، 413، 435
تمزالي 108	بوغلين جون ماري 323، 365
تواتي دريس 41، 185	بوقدوم 58
توركيون 149	بوكهارت جورج 111، 320
تيتون جرمان 77	بولحروف 19، 20، 23، 30، 34، 35، 36، 37، 50، 57، 345، 442، 444، 445، 446، 447، 451
ث	بولكرووا موسى 19، 441، 442
ثامي عبد العزيز 86، 127، 433	بومعزة بشير 185، 310، 412
ثعالبي الطيب (سي علال) 102، 384	
ج	
جاك 77، 89، 116، 128، 149، 152، 157، 158، 161، 166، 249، 250، 272، 292، 302، 322، 337، 363، 380، 449، 450	
جبور أحمد 77، 232، 244	
جعفر 289، 410، 437، 438	
جوبلان 149، 150، 358	

فهرس الأسماء

- جوبلان لوسيان 149
جورج 111، 115، 152، 157، 158، 161، 162،
320، 321، 342، 359، 363
جون بول سارتر 157، 302
جون جاك سرفان شرايبر 158
جونسون المارسيلى 149، 358
جونسون فرانسييس (تيري) 157، 159، 323،
355، 357، 360، 363، 372، 450
جيلالى مبارك 389
- ح
حاج شرشالى 34
حاج علي 34
حداد عمار 184
حرايف زينة 43، 116، 117، 118، 199، 211،
220، 235، 253، 258، 274، 296، 310، 313،
326، 342، 384، 418
حرايف عمر 82، 84، 119، 202، 245، 288،
291، 409، 414
حربي عمار 213
حربي محمد 21، 22، 23، 28، 31، 35، 46،
49، 56، 57، 226، 229، 230، 339، 423، 427،
443، 446، 447
حرقاص أحمد 99
حريزي بولعراس 36
حريش يحيى 329
حسان (الطبيب) 131
حساني (الطبيب) 39، 194، 388، 435
حسين حلمي (ليتوديون) 116
حمادة مولود 199
حمدان 31، 329، 432
حمداني لحبيب 48، 56، 57، 448
حمداني محمود 435
حمدي طاهر 57
- حمزاوي 121، 203
حمو (النقيب) 36، 131
حمود فاطمة 313، 384
حمودي عبد الله 423
حمّوش (المدعو : موح الطويل) 395
حمو يوسف حاج 36
حميدي العربي 85، 243، 436
حمّيش 198
حناش محمد 329، 331
- خ
خالف شريف 401
خاوجة يوسف 406
خدوجة 119، 202
خطيب (الطبيب) 102
خلوي 182
خميستي محمد 46، 56، 90، 91
خناش موفق 330
خناش نافع 329
خنشول علي 21
خيضر محمد 21، 410، 416، 417، 443، 445
- د
داربوا دومينيك 116، 143
دافزي 128، 129، 130، 143، 151، 152، 154،
155، 156، 157، 166، 168، 169، 177، 362،
450، 451
دافزي روبير 128، 151، 152، 154، 157، 168،
177، 362، 369، 450، 451
داقسي محمد طاهر 416
دالي 106
دامرجي (الطبيب) 102
دانيال (جاك) 128
دباغين لمين 102، 227، 339

- ز
- دحلب 29، 227
- دحليس صادق 70، 89
- دراجي 25، 39، 80، 81، 91، 436
- درّاش عبد القادر 329، 330
- دكاري رابية (جميلة) 116
- دوبري ميشيل 270، 318
- دوتشك رودي 169
- دو سرينيني آلان 75، 88
- دو فانغن جهان 323، 327
- دو لوس برونو 345، 451
- دوم أحمد (رضا) 22، 24، 26، 30، 34، 59، 70، 79، 423، 446
- دونات غاستون 144
- ديافي محمد 83، 85، 243، 244، 284، 436
- ديدار فوزي 310، 313، 327، 384
- ديدوش مراد 20، 21، 22، 23، 27، 61، 69، 442
- دي غول شارل 65، 89، 135، 270، 271، 272، 277، 278، 287، 304، 314، 315، 316، 331، 337، 339، 340، 344، 345، 449
- ديف محمد 221
- ديل باستولنزا 294
- ر
- راجيف بلقاسم 28
- رامايح خلوفي 330
- راي روجي 143، 144، 145، 146، 147، 149
- رجّاح (المفتش) 219
- رجال عبد اللطيف 390
- رحماني 89
- رزوق محمد 76
- رشيد 135، 200، 329، 330، 331، 409، 411، 416، 433، 441
- روتمان 170، 361
- رولاند جيرار 148
- زرفيني 89
- زروالي محمد 184
- زروق احسن (بوزيد) 24، 25، 28، 29، 35، 36، 37، 59، 79
- زغودي محمد أعراب 329
- زناتي 213
- زولا (زوزو) 116
- زيغوت يوسف 27، 62
- زينات إيدير 99، 294، 295
- زينر جون 291
- س
- ساحلي محمد شريف 31، 34، 56، 446
- سارتريا فيلسوفا 149، 358
- ساكت 82، 127، 136، 406
- سبايحي عمار 432
- سبيتزر جيرار 146، 148
- ستورا بنيامين 16، 38، 44
- ستيب بيار (المحامي) 300، 301، 302، 359
- سداوي عمر (بوعلام) 85، 122، 123، 184، 234، 235، 240، 292، 293، 380، 381، 392، 433، 436، 437
- سرغيني 113
- سرفاتي 420
- سطمبولي بوعلام 87
- سعدان 48
- سعداوي 41، 83، 100، 126، 127، 128، 129، 130، 151، 290، 432، 434، 436
- سعداوي محند أورمضان 41، 85، 127، 234، 242، 432، 434
- سعدون محمد 329
- سعدي ياسف 25، 26، 89، 106، 411، 444

فهرس الأسماء

257، 309، 312، 313، 395، 398، 410، 411،
432، 433، 435
شروق عبد الحفيظ 126، 127، 185، 186،
214، 251، 410، 432، 433، 435
شريف ساحلي محمد 31، 34، 56، 446
شريف مزيان 119، 264، 288، 289، 291
شطاب عبد الرحمن 330
شطاب عبد القادر 329
شكال علي 76، 77، 78، 87، 88، 232، 277،
300، 303، 447
شليل محمد 106
شنتوف عبد الرزاق 387
شولي بيير 30
شولي كلودين 30
شيخ الحداد 206
شيخ بن دالي 42
شيطور عبد الكريم 350، 418

ص

صحراوي سليمة (نادية) 91، 115، 382

ط

طالب أحمد 30، 31، 34، 46، 48، 444، 445، 447
طالب عبد الرحمن 56، 106، 215
طربوش مراد 21، 23، 24، 25، 26، 28، 29،
69، 443، 444
طيبار سيد علي 96
طيبار شريف 95، 96

ع

عائشة 43، 44، 196، 197، 212، 216، 218، 247،
258، 259، 260، 261، 262، 263، 284، 298، 383،
384، 385، 386، 387، 388، 405، 406
عباس 29، 88، 89، 227، 263، 277، 278، 279،

سعيد حاج دريس 57
سكالي بلحاج 133، 433
سلمي 84
سليمان (قايد أحمد) 415
سماش أحمد 447
سناح مليكة 116
سنوسي 185
سواليلي الهاشمي 448، 57
سوامي سالم 92
سوستيل جاك 74، 77، 89، 158، 232، 242،
249، 250، 251، 253، 254، 258، 272، 302،
337، 449
سوفاج كاترين 384
سويسبي عبد الكريم 60، 70، 71، 82، 190،
226، 228، 301، 413، 444، 446، 447
سي أحمد 25
سيانو 310
سي حميمي 412
سيددي عبد الرحمن 184
سيسيل 310، 311، 362
سي صالح (العقيد) 315
سي طاهر 292
سي عبد الله 42
سي محي الدين 42

ش

شاربان جاكلين 142
شال (الجنرال) 271، 337
شايب طالب 57، 381
شايب عبد السلام (مروكي) 260، 433، 435
شرايط محمود 329
شرشالي محمد حاج 34
شروق 126، 127، 129، 130، 132، 185، 186،
187، 214، 215، 251، 252، 253، 254، 255،

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

- عمرون رايح 324، 410، 413، 434
 عمرون مصطفى 21
 عوف محمد 431، 434
 عيساوي أو محمد (فاسي) 71، 82، 86، 406، 414
 عيسى 23، 73، 84، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 108، 110، 116، 127، 142، 170، 192، 207، 208، 209، 215، 260، 320، 350، 381، 432
 عيسى عبد الصمد 103، 105، 106، 110، 142، 170، 192، 207، 209، 215، 260، 320، 350، 381
 عيسوي آكلي 321
 عيشون محمد 331
 عيشون محند 431
 عينوز أعراب 86، 247
 غ
 غايار فيليكس 56، 63، 346، 448
 غراتيهو 144
 غرادة حسان 112
 غراس عبد الرحمن 21، 22، 24، 25، 26، 29، 33، 443، 444، 446
 غربي شيخ 32
 غريب 274، 275، 276، 304، 395، 435
 غواتاري فليكس 148
 غوثر أدولف 113
 غوثر جيزيلا 113، 116، 142
 غي جون 367
 ف
 فار الذهب 106
 فارس عبد الرحمن 87، 88، 90، 91، 277، 380، 447
 فاضل عبد الله 213، 214، 415، 417
 315، 321، 338، 339، 341، 379، 380، 410، 445
 عبان 28، 29، 30، 31، 32، 35، 51، 54، 59، 60، 61، 62، 66، 70، 77، 89، 190، 226، 227، 230، 413، 444، 445، 448
 عبد الحفيظ 27، 47، 91، 99، 101، 115، 126، 127، 185، 186، 214، 229، 251، 410، 432، 433، 435
 عبد الحميد سيد علي 24، 29
 عبد السلام بلعيد 46، 189، 421
 عبد الصمد 102، 103، 105، 106، 107، 110، 112، 113، 133، 134، 142، 170، 172، 192، 193
 عبد الغني 289
 عبد المجيد (س) 331
 عبد الوهاب 127
 عيدو (تازيمنت) 433
 عثمان سيف الإسلام 104
 عدور (سماويل) 127، 130، 251، 254، 431
 عز الدين (الرائد) 405، 411
 عطا الله دهيئة 14
 عكون بول 49
 علواش (العقيد) 411
 علواش ميمي 390
 علي أجاوود 330، 331
 علي لايوانت 89
 عمار 28، 33، 41، 60، 80، 83، 86، 100، 101، 112، 117، 127، 135، 145، 184، 235، 246، 298، 414، 418، 419، 433، 434، 435، 436
 عمارة 59، 189، 210، 424
 عمار (لوشينوا) 434
 عمراني أحمد 71، 82
 عمراوي 127، 431
 عمروش جون 90، 91، 277، 315

فهرس الأسماء

- فرجيني آن 153
فرحات 21، 29، 88، 89، 227، 263، 274، 277، 278، 304، 321، 339، 341، 379، 380، 410، 412، 413، 435، 445
فرلوس 310
فرملين غي 52
فروخي مصطفى 29، 386
فور إدغار 89
فيرجيس جاك 158، 322
فيلاي عبد الله 442، 447، 45
فيني جاك 116، 128، 157
- ق**
قارة سيد 232، 346
قاسم مولود 378
قاسي 43، 44
قبايلي موسى 39، 47، 57، 59، 69، 72، 79، 80، 81، 115، 117، 126، 127، 147، 188، 190، 194، 195، 210، 219، 220، 226، 229، 356، 396
قدور 21، 57، 58، 60، 79، 108، 147، 228، 344، 345، 347، 348، 357، 367، 446، 447
- ف**
فدروج مسعود 20، 32، 35، 36، 58، 59، 129، 130، 447
فرقاش أرزقي 343، 411، 412، 413، 414، 432، 435
فمار محمد (جودوكا) 331
- ك**
كاير مولود 145، 147
كازانوف 358
كامو ألبير 31
كاوة 232
كحل الراس عبد المجيد 415
- كرامان حفيظ 321، 377، 378
كرامان عبد الحفيظ 47، 91، 101، 115
كرامان ندير 92
كربان (جنرال) 337
كعبوش حليلة 310، 421
كلافيل موريس 323
كلال محمد 92
كلو حميد 76، 91
كمار عمار 400
كتاش موفق 329
كنيس إيفون 116
كودال غي 52
كوريل هنري 143، 154، 157، 159، 160، 167، 168، 170، 310، 323، 325، 327، 342، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 366، 450
كيوان عبد الرحمن 24
- ل**
لاكوست روبير 65، 76، 89، 272، 302
لالو ريموند 116
ليجاوي 25، 30، 36، 56، 89، 445، 446، 447
لبصير عزيز 106
لحو حسين 20، 21، 29
لخديري علي 36، 56
لدغم علي 86
لزالي أحمد 119، 202، 421
لشقر محمد العيد 395
لطرش عبد الحميد 392
لعماري علي 127
لعواري عمار 127
لنجي صالح 387، 389
لواب 232
لوانشي 28، 29، 30، 31، 32، 34، 35، 36، 136، 444، 447

المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني

- لوحى (مولود) 128، 129
لو دانث فيليب 40
لورن ريشار 146، 148
لومي مونيك 153
لوناس نور 98
لونتان ألبير بول 315
لونيسي علي 405
لويز 120
ليشتي ألبين 165
- م
- ماتيو 369
ماتتي جورج 157، 158، 159، 162
ماثون 315
مارتن هنري 250
مارسيل 261، 262، 263، 291، 298، 320
ماسبيتول رولاند 63
ماسو (جنرال) 65، 232، 287، 337، 346، 395
ماسون دياغو 115، 142، 154
ماضي 21، 23، 24، 26، 28، 29، 148، 357، 443، 444
مالك رضا 31، 36، 56، 446
ماندوز أندريه 30، 49، 140، 159، 165، 302
مانديل إرنست 52
ماير جيرار 363
مايزة (صايفي) 189
مباربي (لوليبرار) 369
مبارك سيد علي 447
مجيد 14، 76، 81، 82، 83، 84، 85، 87، 91، 92، 93، 97، 98، 115، 117، 123، 126، 136، 142، 191، 192، 234، 242، 250، 251، 252، 253، 259، 260، 273، 293، 296، 297، 298، 325، 326، 343، 352، 381، 384
محي الدين 42، 185، 202
- محيوت 395
مختار صغير نادية 201، 202، 235، 264، 288، 289، 309، 421، 437
مدادي 273، 274، 275، 276، 277، 304، 305، 395، 397، 398، 400، 403، 404، 411، 413، 435
مدادي سليمان 273، 275، 277، 304، 305، 395، 397، 398، 400، 403، 411، 413، 435
مدارجي مسعود 401
مراح عبد القادر 395
مرادي عبد العزيز 235، 435
مرباح مولاي 378، 442
مرزوق عمر 182
مزرارة محمد 242، 262، 436
مزرنة أحمد 442، 444
مزيان شريف عبد الرحمن (علاوة) 85، 86، 245، 437
مزيان علي (مونغايار) 199
مسعود (س) 327
مشاطي 25، 29، 33، 301، 444، 446
مشموش 23
مصالي 20، 21، 22، 23، 24، 33، 45، 185، 442، 443، 447
مصطفى شوقي 441
معابد 106، 109، 110، 111، 112، 113، 115، 133، 377، 379
معمر محمد 322
مقران محمد 448
مكي 27، 43، 44، 285، 444
ملولي سعيد 45
مليم عبد الله 330
مناصرية 35، 36، 79، 153
مناصرية عبد الله 25، 35
مناع اسماعيل 44، 59، 117، 226، 227

فهرس الأسماء

هورست 163، 164، 165، 166، 167، 169،
362، 363، 365، 366، 367، 450
هورست جون لويس 163، 169، 362، 363،
366، 450
هوشولتز إينج 115، 142، 296، 326، 342
هوغو فيكتور 251

و
واسورزقي 416
ولد عودية أمقران 91، 322، 449
وولف هبانز 320
ويشنويسكي هانس يورغن 350

ي
ياتا علي 446
ياشير زهرة 116
ياكر العياشي 31، 36
يزيد محمد (زبير) 27
يوسف أرزقي 331
يوسفي 47، 58، 101، 116، 135، 377، 379،
437، 438، 481

منصور 101، 104، 106، 107، 109، 379
منصوري 32، 59، 131
منصوري عمارة 32، 59
مهري 29، 30، 315، 339
مهساس أحمد 22، 23، 26، 27، 28، 30، 414،
443، 444
موريس 65، 78، 133، 146، 232، 323، 345،
347، 348، 349، 367، 368، 372، 389، 448
موريل 275، 372
موستاش 267، 288
مولي غي 89، 146
مومجي زين العابدين (حسين) 19، 22، 30،
35، 36، 442، 444، 447
مونتان ريموند 319
مونتاي فانسن 77
مونيك 153، 154
ميرسي مارسيل (العقيد) 320

ن

ناصر عقيلة 116
نافه محمد 330
نصر الدين 14، 48، 72، 80، 86، 87، 90، 189،
193، 194، 195، 206، 324، 326، 352، 417،
423، 434، 447
نقاش (الطبيب) 387، 389

هـ

هارون علي 16، 24، 26، 28، 47، 57، 59،
60، 70، 90، 102، 107، 109، 111، 128، 147،
152، 155، 189، 225، 226، 303، 327، 343،
356، 360
هامون 170، 360، 361
هرنو فيليب 37
هسمان أدولف 113

أنجز طبعه على مطابع

باتنة – Chihabprint